



مركز
للبحوث والتحريات الكمبيوترية

اصبحان

للغافل



عليكم يا صبا
الربا

www. **Ghaemiyeh** .com
www. **Ghaemiyeh** .org
www. **Ghaemiyeh** .net
www. **Ghaemiyeh** .ir

إحسان الأمين

التفسير بالأثر وتطويره عند الشيعة لإمامية



دارالمكتبة الإسلامية

للطباعة والنشر والتوزيع

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة

كاتب:

احسان امين

نشرت في الطباعة:

دار الهادي

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

٥	الفهرس
١٧	التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة
١٧	اشاره
١٧	المقدمه
١٧	اشاره
٢٠	أهداف البحث:
٢١	منهج البحث:
٢٤	مشاكل البحث:
٢٥	نتائج البحث:
٢٧	الفصل الأول تعريفات
٢٧	اشاره
٢٧	التفسير لغة:
٢٩	التفسير اصطلاحا:
٣١	الأثر في اللغه:
٣٣	الأثر اصطلاحا:
٣٣	التفسير بالمأثور اصطلاحا:
٣٥	مصادر التفسير بالمأثور:
٣٦	الشيعة:
٣٧	الإماميه:
٣٨	عقائد الإماميه
٣٨	اشاره
٤٢	التوحيد
٤٢	اشاره
٤٢	١- توحيد الله في ذاته:

٤٤	٢- توحيد الله في صفاته:
٤٤	٣- توحيد الله في أفعاله:
٤٤	٤- توحيد الله في العباده:
٤٤	العدل:
٤٤	الجبر و التفويض:
٤٤	النبوه:
٤٨	الإسلام:
٤٨	القرآن الكريم:
٥٠	الإمامه:
٥٠	اشاره
٥١	أهل البيت (ع):
٥٣	المهدى (ع):
٥٥	المعاد:
٥٥	التقيه و الرجعه و مسائل اخرى:
٥٨	حول نشأه التشيع:
٦٣	منهج الذهبى فى تقييم التفاسير:
٦٤	[عقائد الذهبى
٦٤	١- رؤيه الله:
٦٦	٢- الكرسي:
٦٧	٣- سحر النبى (ص):
٧٠	٤- منهج الذهبى فى دراسه التفاسير الشيعيه:
٧٥	٥- مصادر موهومه:
٧٦	٦- مصادر تفسير الشيعه عند الذهبى:
٨١	الفصل الثانى مصادر التفسير بالمأثور
٨١	اشاره
٨١	١- القرآن الكريم

- ٨١ اشاره
- ٨٥ هل يجوز تفسير القرآن بغير المأثور؟
- ٨٦ أسباب الاختلاف:
- ٨٩ القائلون بجواز تفسيره بغير المأثور:
- ٩٣ أهميته التفسير بالمأثور:
- ٩٥ ٢- السنه النبويه
- ٩٥ اشاره
- ٩٦ مسائل السنه النبويه
- ٩٧ دور السنه النبويه فى التفسير
- ٩٩ علاقه السنه بالقرآن
- ١٠٠ ٣- أهل البيت (ع)
- ١٠٠ مقدمه
- ١٠٥ الرعايه النبويه الخاصه بعلى (ع)
- ١٠٥ اشاره
- ١٠٦ أهداف الرعايه النبويه
- ١٠٨ نتائج الرعايه النبويه
- ١١٠ على (ع) إمام المفسرين
- ١١٢ مرجعيته أهل البيت (ع) فى فهم القرآن الكريم:
- ١١٩ الظروف التى منعت الأئمة من الاستفادة من علم على (ع)؟
- ١٢٤ أهل البيت (ع) حمله العلوم النبويه:
- ١٢٦ ٤- الصحابه
- ١٢٦ اشاره
- ١٢٨ (١) الموقوف و المرفوع:
- ١٢٩ (٢) فى معنى الصحابي و الصحاب:
- ١٣٤ (٣) عداله الصحابي:
- ١٣٤ اشاره

- الأدلّه على عداله الصحابه: ١٣٦
- رأى الغزالي ١٣٧
- (٤) رأى الشيعة فى الصحابه و عدالتهم ١٣٨
- اشاره ١٣٨
- (أ) رأيهم فى مستى الصحابي: ١٣٩
- (ب) الموقف العام من الصحابه: ١٤٠
- (ج) رأيهم فى عداله الصحابه: ١٤١
- (٥) تفسير الصحابي: ١٤٤
- (٦) مصادر الصحابه فى التفسير: ١٤٦
- (٧) موقف الشيعة من تفسير الصحابه ١٤٨
- أهميته تفسير الصحابي: ١٥١
- إفراط و تفريط: ١٥٣
- ٥- التابعون ١٥٥
- اشاره ١٥٥
- حجّيه تفسير التابعي: ١٥٦
- موقف المفسرين من تفسير التابعي: ١٥٨
- موقف المفسرين الشيعة منه: ١٥٨
- الفصل الثالث مسائل التفسير بالمأثور ١٦٥
- اشاره ١٦٥
- ١- الوضع ١٦٥
- اشاره ١٦٥
- متى ابتدأ الوضع؟ ١٦٧
- سياسه معاويه فى وضع الحديث: ١٧٠
- أسباب وضع الحديث و أنواع الوضع ١٧٤
- ١- الأسباب السياسيّه: ١٧٤
- ٢- الأسباب المذهبيّه: ١٧٧

١٧٩	٣- الأسباب التعبدية:
١٨٠	٤- حركة الزنادقة:
١٨٢	٥- الوضع القصصي:
١٨٧	الوضع على أهل البيت (ع)
١٨٩	الوضع في التفسير
١٨٩	مقدمه
١٩١	نماذج من الوضع في التفسير
١٩١	أولاً- أحاديث فضائل السور:
١٩٢	ثانياً- الوضع في تفسير الآيات:
١٩٢	اشاره
١٩٣	١- مسائل التوحيد:
١٩٣	اشاره
١٩٥	أ) إمكان الرؤيه:
١٩٥	اشاره
١٩٨	مصدر القول بالرؤيه
٢٠٠	الرأى الصحيح فى الرؤيه:
٢٠١	رأى المفسرين الشيعة فى موضوع الرؤيه:
٢٠٨	ب) روايات التجسيم:
٢٠٨	اشاره
٢١٠	رأى المفسرين الشيعة فى روايات التجسيم:
٢١٢	ج) روايات فى الحركة و الانتقال و الجبهه:
٢١٢	اشاره
٢١٣	رأى المفسرين الشيعة فيها:
٢١٧	٢- قضايا النبوه:
٢١٧	اشاره
٢١٧	- اسطوره «الغرانيق» و رواياتها:

- ٢١٧ اشارة
- ٢٢٠ دراسه الروايات: -
- ٢٢١ - رأى المفتشرين الشيعه فى أسطوره الغرائق:
- ٢٢٥ ٣- روايات الإسراء و المعراج:
- ٢٢٦ ٤- قصه آدم (ع):
- ٢٢٨ ٥- روايات الفضائل و المناقب:
- ٢٣١ موارد الوضع فى التفاسير الشيعيه -
- ٢٣١ أسباب الوضع:
- ٢٣٤ أهل البيت (ع) يحذرون من الوضع:
- ٢٣٦ المفتشرون الشيعه و الوضع:
- ٢٣٨ مصادر الموضوعات:
- ٢٣٩ نماذج من الموضوعات:
- ٢٤٣ ٢- الإسرائيليات -
- ٢٤٣ اشارة
- ٢٤٥ جواز نقل الإسرائيليات و عدمه
- ٢٤٨ مصادر الإسرائيليات:
- ٢٤٨ طرق تسلل الإسرائيليات:
- ٢٤٩ كيف دخلت الإسرائيليات الفكر الاسلامى؟
- ٢٥٥ الإسرائيليات فى كتب التفسير بالمأثور:
- ٢٥٧ الموضوعات الإسرائيليه فى كتب التفسير:
- ٢٥٧ نماذج من الإسرائيليات فى التفسير:
- ٢٥٧ اشارة
- ٢٥٧ ١- قصه زواج النبى داود (ع):
- ٢٥٧ اشارة
- ٢٦٠ رأى الخازن (ت: ٧٤١هـ):
- ٢٦٢ رأى ابن كثير (ت: ٧٤٤هـ):

- ٢٦٢ رأى السيوطى (ت: ٩١١هـ):
- ٢٦٣ مراجعه الروايات:
- ٢٦٤ موقف المفسرين الشيعة منها:
- ٢٦٤ اشاره
- ٢٦٤ رأى تفسير القمى «١» (من أعلام القرن الثالث):
- ٢٦٥ رأى الشيخ الطوسى (ت: ٤٦٠هـ):
- ٢٦٦ رأى الشيخ الطبرسى (ت: ٥٤٣هـ):
- ٢٦٨ رأى الفيض الكاشانى (ت: ١٠٦١هـ):
- ٢٧٠ رأى العلامة الطباطبائى:
- ٢٧٢ ٢- قصه النبى سليمان (ع):
- ٢٧٢ اشاره
- ٢٧٣ رأى المفسرين الشيعة فيها:
- ٢٧٥ ٣- قصه خاتم سليمان (ع):
- ٢٧٦ ٤- قصه هاروت و ماروت:
- ٢٧٦ اشاره
- ٢٧٦ رأى الطبرى و السيوطى:
- ٢٧٨ رأى ابن كثير:
- ٢٧٩ رأى المفسرين الشيعة:
- ٢٨٢ معيار التعامل مع الإسرائيليات عند المفسرين الشيعة:
- ٢٨٤ ٣- الغلو
- ٢٨٤ اشاره
- ٢٨٥ الغلو فى كتب اللّغه:
- ٢٨٧ أقوال المفسرين فى الغلو:
- ٢٨٩ خلاصه البحث فى الغلو بين كتب اللّغه و التفاسير:
- ٢٩٠ الغلو فى كتب الفرق:
- ٢٩٢ موقف أهل البيت (ع) من الغلاه

- أحاديث أهل البيت (ع) بشأن الغلاة: ٢٩٣
- اشاره ٢٩٣
- ١- في تحديد معنى الغلو: ٢٩٥
- ٢- مقولات الغلو: ٢٩٦
- ٣- مصادره الفكرية: ٢٩٦
- ٤- مصاديق الغلاة: ٢٩٦
- ٥- صفاه الغلاة: ٢٩٦
- ٦- موقف الأئمة (ع) من الغلو و الغلاة: ٢٩٧
- ٧- الغلو و السنن: ٢٩٨
- ٨- نتائج حركة الغلو: ٢٩٨
- نفى آثار الغلو: ٢٩٨
- آراء العلماء الشيعة في الغلاة: ٣٠٠
- موقف الفقهاء: ٣٠٢
- الموقف من روايه الغلاة: ٣٠٣
- حركه التأليف في الرد على الغلاة: ٣٠٥
- الغلو و مساحته عند المسلمين: ٣٠٧
- موقف المفسرين الشيعة من الغلو: ٣١٠
- الظاهره السبئيه ٣١٢
- اشاره ٣١٢
- سلسله رواه الأسطوره السبئيه ٣١٥
- آراء علماء الرجال في سيف و رواته: ٣١٦
- مراجعته النصوص «السبئيه» ٣١٧
- مناقشه في متن الروايات ٣٢١
- الخلاصه: ٣٢٧
- ٤- التأويل ٣٢٨
- اشاره ٣٢٨

- روايات أن القرآن ظهرها و بطننا: ٣٣١
- اشاره ٣٣١
- روايات مدرسه أهل البيت (ع): ٣٣٣
- معنى بطن الآيات: ٣٣٤
- شرائط التأويل: ٣٤٠
- التأويل المذموم: ٣٤١
- اشاره ٣٤١
- رأى المفسرين الشيعة: ٣٤٢
- موارد التأويل المقبول: ٣٤٥
- اشاره ٣٤٥
- أ- موارد الجرى و التطبيق: ٣٤٥
- ب- موارد انتزاع المفهوم العام و تطبيقه: ٣٥٣
- التأويل الباطنى المذموم: ٣٥٥
- اشاره ٣٥٥
- موارد التأويل المذموم: ٣٥٥
- منهج الإماميه فى التأويل الباطنى ٣٦٩
- اختلاف التأويل عن التفسير الباطنى: ٣٧١
- التأويل لدى مختلف المذاهب: ٣٧٥
- الفصل الرابع منهج التعامل مع الحديث و أثره فى التفسير ٣٧٩
- اشاره ٣٧٩
- أهميته علوم الحديث: ٣٧٩
- أشعب علوم الحديث ٣٨٢
- ١- علوم السند: ٣٨٢
- ٢- دراسه المتن: ٣٨٢
- نواقص علوم الحديث: ٣٨٢
- اتجاهات التعامل مع المتشابه من الحديث: ٣٨٤

- ٣٨٤ اشارة
- ٣٨٨ الحشويته
- ٣٨٨ اشارة
- ٣٨٩ مصدر التسميه:
- ٣٩٠ اتجاهات المدارس الفقيهيه:
- ٣٩٢ آثار المنهج في مدارس التفسير
- ٣٩٣ تأثير مناهج الحديث في التفسير الشيعي:
- ٣٩٣ اشارة
- ٣٩٥ ظهور الحركة الاخباريه عند الشيعه:
- ٣٩٦ معالم المدرسه الاخباريه في الحديث:
- ٣٩٨ آثار الحركة الاخباريه في التفسير
- ٤٠٠ موقف المفسرين الشيعه من الاتجاه الاخباري
- ٤٠٧ ملاحظتان:
- ٤٠٨ منهج نقد النص في التفسير الشيعي:
- ٤١٢ الفصل الخامس تطوّر التفسير عند الشيعه الإماميه
- ٤١٢ اشارة
- ٤١٤ طبقات المفسرين الشيعه:
- ٤١٦ التصنيف المقترح:
- ٤١٦ ١- عهد الرسول (ص):
- ٤١٧ ٢- عهد الإمام علي (ع):
- ٤١٨ ٣- عهد الإمامين الحسن (ع) و الحسين (ع) (استشهد في عاشوراء ٦١ هـ):
- ٤١٩ ٤- عهد الأئمه: السّجاد و الباقر و الصادق (ع):
- ٤٢٧ ٥- عهد الإمام الكاظم (ع) حتّى غيبه الإمام المهدي (ع):
- ٤٣٠ ٦- فتره الغيبه- القرن الرابع الهجري- (الازدهار القمي):
- ٤٣١ ٧- القرن الخامس (عصر المفيد):
- ٤٣٢ ٨- القرن السادس (مدرسه خراسان):

- ٤٣٣ ٩- القرن السابع حتى نهاية القرن العاشر:
- ٤٣٥ ١٠- القرنان الحادى عشر و الثانى عشر: -
- ٤٣٥ ١١- القرن الثالث عشر: -
- ٤٣٧ ١٢- القرن الرابع عشر: -
- ٤٣٨ الفصل السادس أشهر التفاسير بالمأثور عند الشيعة الإمامية -
- ٤٣٨ اشاره -
- ٤٤٠ تفسير العياشى
- ٤٤٠ المؤلف:
- ٤٤٣ التفسير و منهجه:
- ٤٥١ تفسير القمى -
- ٤٥١ المؤلف:
- ٤٥٤ التفسير و منهجه:
- ٤٥٧ تفسير فرات الكوفى
- ٤٥٧ المؤلف:
- ٤٥٩ التبيان فى تفسير القرآن
- ٤٥٩ المؤلف:
- ٤٦١ التبيان:
- ٤٦١ اشاره
- ٤٦٣ منهج الطوسى فى التفسير بالمأثور:
- ٤٦٨ مجمع البيان فى تفسير القرآن
- ٤٦٨ المؤلف:
- ٤٧٤ منهج المفتر:
- ٤٧٧ البرهان فى تفسير القرآن
- ٤٧٧ اشاره
- ٤٧٧ المؤلف:
- ٤٧٩ التفسير:

٤٨٢	منهج التفسير:
٤٨٥	الميزان في تفسير القرآن
٤٨٥	اشاره
٤٨٦	المؤلف:
٤٨٨	تفسير الميزان:
٤٩٠	منهجه في التفسير:
٤٩١	منهج التفسير بالمأثور عند الطبائبي
٤٩١	اشاره
٤٩٣	١- تفسير القرآن بالقرآن:
٤٩٣	اشاره
٤٩٦	تطبيقات تفسير القرآن بالقرآن:
٤٩٦	١- رفع التشابه من الآيات:
٤٩٨	٢- بيان الآيات بعضها ببعض:
٤٩٩	٣- التفسير الموضوعي للقرآن:
٥٠٠	٢- التفسير بالمأثور من السنّه:
٥٠٠	أ- دور السنّه في التفسير:
٥٠٣	ب- دراسه السنّه و المتن:
٥٠٣	اشاره
٥٠٦	موقفه من أخبار الصحابه و التابعين:
٥٠٨	ج- موقفه من الإسرائيليات:
٥١١	د- التأويل و الباطن:
٥١٣	هـ- الجرى و التطبيق:
٥١٨	فهرست المراجع و المصادر
٥٣٨	فهرست الموضوعات
٥٥٠	تعريف مركز

اشاره

سرشناسه: ايمن احسان عنوان و نام پديدآور: التفسير بالمأثور و تطويرها عند الشيعة الاماميه/ احسان الامين مشخصات نشر: بيروت: دارالهادى، ١٤٢١ق = ٢٠٠٠م = ١٣٧٩. مشخصات ظاهري: ص ٤٨٨ وضعيت فهرست نويسى: فهرست نويسى قبلى يادداشت: كتابنامه ص ٤٨٠ - ٤٦٧؛ همچنين به صورت زيرنويس موضوع: تفاسير مأثوره -- شيعة اماميه رده بندي كنگره: BP٩٢/٩٥ الف ٨ ٧ شماره كتابشناسى ملى: م ٨١-٢٤٧٦٢

المقدمه

اشاره

التفسير بالمأثور و تطوره عند الشيعة الإماميه إحسان الأمين دار الهدى للطباعة و النشر و التوزيع التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٤

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ «دعاء» «اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ.

و احطط بالقرآن عَنَّا ثَقُلُ الْأَوْزَارِ.

و هب لنا حسن شمائل الأبرار.

و اقف بنا آثار الذين قاموا لك به آناء الليل و أطراف النهار.

حتى تطهرنا من كل دنس بتطهيره.

و تقفو بنا آثار الذين استضاءوا بنوره، و لم يلهم الأمل عن العمل فيقطعهم بخدع غروره».

من دعاء ختم القرآن للإمام علي بن الحسين عليه السلام في الصحيفة السجادية

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الحمد لله رب العالمين، و الصيلاه و السلام على سيدنا و نبينا محمداً و على آله الطاهرين و أصحابه المنتجبين، و بعد ..

بعث الله سبحانه و تعالى رسوله الكريم (ص) رحمه للعالمين، ليخرجهم من الظلمات إلى النور، و من عباده الأوثان إلى عبادته، و من طاعه الشيطان إلى طاعته، و أنزل معه القرآن هدى و نورا، فيه تبيان كل شىء، و منهاج كل حق، فكان فلاح الامه و صلاحها في التمسك بالقرآن، و اتباع

نهجه، و الاستهداء بهديه، تجتمع به كلمتها، و تكتمل به عزتها.

و كان القرآن، و لزال، المحور الذى تلتف حوله الامه، ليجمعها شرقا و غربا، على اختلاف مللها و نحلها، فإذا ما تفرقت السبل اجتمعت بالقرآن، يهديها و يسير بها نحو الكمال، حيث يقول جل شأنه:

إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا. (الإسراء / ٩)

و قد دأب العلماء من مختلف طوائف الامه منذ بزوغ فجر الاسلام، حتى يومنا الحاضر على تدبره و دراسته و الاستهداء بآياته، مستئين بسنه الهادى محمد (ص)، متأسين بسيرته العطره، و كان مرجعهم فى ذلك قبل أى شىء ما جاء فى الأثر الشريف عنه من شرح و بيان و تفسير للآيات المباركه، و تابعوا ما ورد فى ذلك، فشكّل بمجموعه ما اطلق عليه «التفسير بالمأثور».

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٦

و كان الحرى بهذا اللون من التفسير أن يكون المرجع فى معرفه كتاب الله، و هو يقرب الرؤى و يجمع الآراء باتجاه مصدرها الأول من وحى الله المسطور فى القرآن، و بما تكفل الرسول (ص) ببيانه، لكن توزع المآخذ و تنوع المطالب أديا إلى الاختلاف و التكثر، إذا اقتصر البعض على ما ورد عن الصحابه و التابعين من أثر، و اتبع البعض الآخر ما جاء عن أهل البيت (ع)، و مع ذلك كله فإن سبل الالتقاء كثيره، و قد التقوا فى القرآن، و مجالات التفاهم و الحوار واسع، و قد وسّعها القرآن، إذ دعا إلى الحكمه و الموعظه الحسنه، و حث على الجدل بالتي هى أحسن، و أرسى منهاج الاسلام على استماع القول و اتباع أحسنه.

لكن ما يؤسف له

أن نجد قوما تحجّبوا بالجهل والعصبيّة، و جهدوا فى سدّ باب العلم والحلم، و بذلوا جهودهم فى تمزيق وحده المسلمين، إذ اختاروا و صم اخوتهم ممّن اختلفوا معهم بالزّيغ والانحراف، بل رموهم بأقسى تهمة الكفر والضلال، دون أن يلجوا باب العلم الواسع و يسلكوا طريق الحوار السهل.

و كان كل ذلك نتيجة لجهل بعضهم ببعض، و تعصّبهم فى الرأى دون دليل مقنع، و لم يستفد من نهجهم المائل إلّا أعداء الأُمّة و الاسلام.

لذا كان من الضرورى بحث آراء المذاهب المختلفه بكل تجرّد و موضوعيه، و رغم حساسيّه مثل تلك البحوث، إلّا أنّها بلا شك سوف تؤدّى إلى تقريب القلوب و تنوير العقول، بما يحكّم وحده المسلمين، خصوصا و أنّنا نعيش فى عالم تتعالى فيه أصوات احترام الرأى الآخر، مهما بلغ الاختلاف و التضاد، فكيف بنا و نحن أبناء أُمّه واحده يجمعنا الكثير و نفترق فى القليل، و هو ممّا لا بدّ منه فى ساحه الرأى و ميادين الاجتهاد.

و معلوم إنّ تعدّد الآراء و تنوّع الاجتهاد هو ممّا يغبى البحث العلمى عموما، و التفسير القرآنى خصوصا، إذ أنّه المجال الذى لا تنتهى آفاقه، و الحيز الذى لا تحدّ أبعاده.

و ما أحوجنا اليوم إلى أن يبذل علماءنا و مفكّرنا طاقاتهم فى استمداد المعارف و العلوم القرآنيه التى تحتاجها الأُمّه فى بناء حاضرها و مستقبلها على أساس الاسلام، و هذا

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٧

يتطلّب فتح باب الحوار العلمى البناء و التعاطى الموضوعى مع الآراء المختلفه، بعيدا عن التعصّب و الجمود و الانغلاق، فلربّما عرضت علينا قضيه و بإمكاننا أن نجد لها حلّا عند اتّجاه فكرى معيّن أو مدرسه فكريّه اخرى، فالحكمه

ضالّه المؤمن، خصوصا إذا أخذنا بعين الاعتبار أنّ الآراء ليست دائما تعبر بصوره قطعيه عن الوحي أو السنّه، بل إنّ الكثير منها يعبر عن اجتهادات و آراء بشريّه حول النصوص الدينيه، و بعضها يحتمل أكثر من وجه، و بعضها الآخر يحتاج إلى تمحيص و تدبّر في سنده و متنه و ظروفه التاريخيه، فقد أثبتت البحوث أنّ الفهم البشري يتأثر- إلى حدّ ما- بالظروف الاجتماعيه المحيطه و المعارف السائده، فالزمان و المكان كما هما دخيلان في تولّد النصّ و ترتبه على الموضوع، كذلك هما مؤثران في فهم المتناول للنصّ، فقد يرى الحكيم في نصّ أمرا لا يراه غيره، كما قد يتدوّق الأديب من كلام ما معاني تغيب عن أذهان الكثيرين.

أهداف البحث:

كان اختيارنا لهذا البحث، خطوه على هذا الطريق، خصوصا و أنّ موضوع «التفسير بالمأثور عند الشيعة الإماميه» كان من الموارد الأساسيه التي أثار حولها البعض الشبهات طعنا و تشكيكا، بل ردّا لكلّ ما جاء به الشيعة من فكر و تراث يتعلّق بالقرآن، مع ما فيه من كنوز عظيمه، و جهود كبيره، فكان لا بدّ من بحث هذا الموضوع بحثا علميا، يوضّح المواقف، و يستبين الآراء، يتحرّى نقاط الاشتراك فيؤكّدها، و يشخّص نقاط الاختلاف فيؤلّف بينها، إذ إنّ اختلاف الرأي لا يفسد في الودّ قضيه، مع علمنا بأنّ المسلمين الشيعة طائفه كبيره تشكّل خمس المسلمين في العالم اليوم، يشاركون بقيّه إخوانهم آلامهم و آمالهم في بناء حضاره الاسلام الزاهره لتأمين مستقبل مجيد لشعوبه و بلاده العزيزه.

و ممّا بعثنى على الاهتمام بهذا الموضوع هو ما وجدته في بعض الكتب التي تشكّل المنهج الدراسي لعلوم التفسير في كثير من جامعاتنا الاسلاميه، و استند إليها الكثير

التفسير بالمأثور و تطويره

من الباحثين فى التفسير .. وجدت بعض هذه الكتب تخلط بين عقائد الشيعة و أفكارهم و بين مقولات الغلاة و إفراطهم، و التى كانت عبر التاريخ موضع استنكار الشيعة و استهجانهم، و أنّ بعضهم جعل من آرائه المذهبيه الخاصه التى يخالفها جمهور المسلمين اليوم مقياسا يزن به عقائد الآخرين و معيارا يحكم به على آرائهم، فمن وافقه فى الرأى كان من جماعه المسلمين، و من خالفه كان من الفرق المبتدعه و أهل الضلال.

و لا ننكر أنّ بعض الاسرائيليات و الموضوعات قد أخذت طريقها إلى بعض كتب التفسير بالمأثور عند أهل السنّه، كما إنّ بعض روايات الغلاة قد تسلّلت هى الاخرى إلى بعض كتب الشيعة، رغم شدّه التحذير من هذه و تلك لدى كلا الفريقين، و هذه الامور تدعونا إلى تجديد النظر فيما عندنا من تراث، و إلى البحث الجاد عن وضع اسس علميه صحيحه لمراجعته و تناوله، دون أن تسدّ هذه الهنات طريقنا فى الاستناره و الاستفادة من تراثنا العظيم و الكنوز المعرفيه المدّخره فيه.

منهج البحث:

و لكى يكون المنهج علميًا و موضوعيًا قائما على أساس الحقيقه، لا الوهم و التصوّر الذاتى و الحكم المسبق، كان لا بدّ من:

- ١- اعتماد المصادر الأساسيه المقبوله لدى أصحاب الرأى الذى ينسب إليهم، لا المصادر التى تنسب إليهم من قبل آخرين، و هم يرفضونها أو لا يعتمدون عليها.
- ٢- متابعه بحث الموضوعات ابتداء بشكل علمى بعيدا عن التعصّب المذهبى.
- ٣- ثمّ متابعه رأى الفريقين فيه من الناحيه النظرية، وفقا للآراء المتبناه فى كتب علوم القرآن و التفسير و كذلك العقائد و الفقه و الاصول بحسب المواضيع المختلفه.
- ٤- عرض النتائج العلميه بعيدا عن روح التحامل أو المجامله و المداراه

لهذا الفريق أو ذاك.

لذلك و بغيه تقديم صورته وافيته عن موضوع البحث كان لا بد لنا من تناول الموضوعات بالترتيب التالي:

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٩

درسنا أولاً المصطلحات الأساسية المتعلقة بالبحث: التفسير، الأثر، و التفسير بالمأثور، و كذلك: الشيعة، و الشيعة الإمامية، و تحدثنا بإيجاز حول الشبهات المطروحة حول عقائد الشيعة و بعض أجوبتهم، ثم بموجز لعقائد الشيعة الإمامية كمدخل لدراسة التفسير بالمأثور عندهم، جريا على عادة الباحثين في تلك الموضوعات، خصوصا و أنه كثيرا ما يقع فيها الخلط و الاشتباه بسبب عدم تحديد مساحه البحث بصوره دقيقه، فقد وجدنا كثيرا من الباحثين قد حمل الشيعة، و الإمامية منهم على الخصوص، كثيرا من عقائد الغلاة و الباطنية، و حاكم أفكارهم على هذا الأساس، في الوقت الذي نجد فيه الشيعة أنفسهم - أئمة و علماء - قد دخلوا في مواجهه فكرية صارمه للرد على هذه الفرق الباطنية، و أعلنوا براءتهم منها.

و كان الفصل الثاني في دراسته مصادر التفسير بالمأثور، قد تناول المنابع التي يستمد منها التفسير بالمأثور مادته، و كان هدفنا بيان اتفاق المسلمين على المصادر الأساسية للتفسير و حجيتها، و هي: القرآن الكريم و السنه النبويه الشريفه و ما يتعلق بها من مسائل، و درسنا مفضيلا ما روى عن أهل البيت (ع)، و ما روى عن الصحابه و التابعين لاكتشاف طريقه كل منهما إلى السنه النبويه و علاقته بها و حجيتها في التفسير و مدى كاشفيتها عن مراد الله تعالى من كتابه الكريم.

و في الفصل الثالث درسنا أهم الموضوعات التي تثار عادة كنقاط ضعف في التفسير بالمأثور بشكل عام، كالوضع و الاسرائيليات، فمررنا بأهم مسائلهما الأساسية، ثم تتبعنا مواردتهما في التفسير بالمأثور عند

السنة و الشيعة مع المقارنه و المناقشه فيهما.

ثم أتمنا هذا الفصل بدراسه موضوعين آخرين، يطرحان عاده فيما يتعلّق بالتفسير بالمأثور عند الشيعة، و هما الغلوّ و التأويل، فبحثنا الغلوّ في اللغه عند المفسّرين و مؤلّفى كتب الفرق، و الموقف من الغلاه و آثارهم في كتب التفسير، ثم درسنا الظاهره السبئيه، و ما يترتب عليها.

و بحثنا التأويل لغه و اصطلاحا و بيّنا شرائط التأويل المقبول و المذموم، ثم عرضنا

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ١٠

نماذج لكل منهما مع بيان دلائل رفض التأويلات المذمومه و عدم قبولها.

و كان الفصل الرابع يتعلّق بمنهج التعامل مع الحديث، و الذى يشمل التفسير بالمأثور، و درسنا المناهج المختلفه لدى المسلمين عموما و مفسّريهم بشكل خاص، و الآراء الناتجه عن كل منهج، و تبين لنا وجود خطين متميزين فى المنهج: اصولا و حديثا و تفسيراً، و لم يميّز معظم الباحثين بين الخطين المختلفين ممّا جعل نتائج بحوثهم مرتبكه و غير دقيقه، فكان لا بدّ من دراسه منهج كل اتجاه و تمييزه.

و أمّا الفصل الخامس فقد خصّصناه لإلقاء نظره عامّه على تطوّر التفسير و تاريخ تدوينه و طبقات المفسّرين الشيعة، منذ عصر الرسول (ص) حتّى يومنا الحاضر، مع بيان السمات العامّه لكل فتره.

و فى الفصل الأخير ألقينا نظره كليّه على نماذج من التفاسير التى اختصّت أو عنت بالتفسير بالمأثور، و عرفنا قيمه كل تفسير، و منهجه فى التعامل مع المأثور من الروايات التفسيريه، و بالتالى قيمه كل تفسير و موقعه فى التعبير عن المنهج الشيعى.

و لا بدّ من الإشاره إلى أننا قد نعبر عن الاتجاه السنيّ بالجمهور، أو العامّه، أو بأسماء أعلامهم، بحسب تعبيرات مصادر البحث، كما أننا قد نعبر

عن الشيعة صريحا، أو بعرض أسماء أعلامهم، قديما و حديثا، كالطوسي و الطبرسي و الطباطبائي و غيره ممّا هو واضح للمراجع أثناء البحث.

مشاكل البحث:

واجهنا في الموضوع بعض الصعوبات، و هي عادة تصاحب معظم الأعمال الفكرية المتعلقة بالتراث، و أهمّها:

١- أنّ كثيرا من البحوث السابقه التي تناولت هذا الموضوع، كانت تنطلق من موقف مذهبي مسبق، لذا افتقدت إلى الموضوعية اللّازمه في البحث، خصوصا و أنّها اعتمدت على مصادر ضعيفه، و على كتابات ذات موقف سلبي مسبق. فلم نستفد ممّا

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ١١

كتبه هؤلاء في هذا الموضوع كثيرا، اللهمّ إلّا في موارد الإثارة و الاتّهام.

٢- و ربّما نجد بعض الدراسات العلميه في نفس الموضوع، إلّا أنّها اتّجهت نحو اعطاء فكره عامّه دون الخوض في التفاصيل، خصوصا الموضوعات ذات الحساسيه، و لذا لم نجد فيها الصراحه المطلوبه في معالجه بعض القضايا، كالوضع عند المفسّرين الشيعة.

٣- و لم نجد في المصادر التي بأيدينا من عالّج موضوعات كانت مشارا للجدل، و ربّما للاتّهام، كموضوع التأويل، معالجه تفصيليه تحاول تمييز الغثّ من السّمين فيه، و لو على حساب بعض العواطف، و التي نعتقد أنّها سوف تتوازن إذا ما اطّلع أصحابها على منهج البحث و مساره.

٤- و من مشاكل البحث فقدان الكثير من الاصول و المراجع التاريخيه ذات الشّان في موضوعنا بسبب حوادث التاريخ من حروب و فتن و غيرها، و ما تعرّضت له المكتبات الشيعيه، خاصّه مكتبات بغداد من حرق و نهب و تخريب، أدّى إلى ضياع آلاف الاصول و المصادر المهمّه و المعبره.

٥- و من المشاكل التي واجهناها أيضا، سعه البحث، إذ اشتمل على عدّه موضوعات مختلفه، كان كل واحد منها يستحق أن يفرد

له بحث خاص، وقد أحسنا بتلك المشكله فى أثناء البحث، و لم يكن جديرا أن نمرّ على هذه الموضوعات الدقيقه، كموضوع تفسير أهل البيت (ع)، أو الصحابه، أو الوضع و الإسرائيليات، مرورا عابرا، بل كان لا بدّ من استيعاب هذه الموضوعات للخروج منها بنتيجه علميه مقبوله.

كما إنّنا و بعد الاطلاع على ما كتب حول الموضوع، وجدنا ضروره تناول موضوعات الغلوّ و التأويل، رغم أنّها ممّا لا تبحث عادة فى التفسير بالمأثور بشكل عام، إلّا أنّنا وجدنا هذين الموضوعين ممّا ارتبط اسماهما بالتفسير الشيعى الذى نحن بصدده، لذا أفردناهما بالبحث بشكل خاص.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ١٢

نتائج البحث:

لا نريد أن نسبق البحث بنتائجه، إلّا أنّ من المفيد هنا ذكر الخطوط العامه للدراسه، تاركين التفاصيل و المصاديق لمواقعها، و من ذلك:

١- إنّ كلا المدرستين - السنيّه و الشيعيه - تشتركان فى الكثير من المسائل الأساسيه فى التفسير و تتفقان حولها.

٢- إنّ معظم الآراء المختلفه بشأن كل قضيه لا- تختص بطائفه دون اخرى و إنّما هى موجوده لدى الفريق الآخر أيضا، فى اتجاهات اجتهاديه عنده. فقد يختلف أهل السنّه فيما بينهم حول قضيه ما، كما يختلف الشيعة فيما بينهم حول قضايا اخرى، فى حين يتفق علماء السنّه و الشيعة فى مواضيع عديده لا حصر لها.

فعلى سبيل المثال، إنّ من أكثر المسائل حساسيه، موضوع موقف الشيعة من الصحابه، من حيث المسمّى و حجّيه أقوالهم، و قد وجدنا من خلال البحث، أنّ آراء الشيعة فى تلك المسأله تشترك مع آراء كثير من العلماء السنّه، الذين توزّعوا فى هذه المسأله على عدّه أقوال.

٣- عدم اتّفاق المدرسه الواحده على رأى واحد، بل يغلب عادة وجود خطّين، فى كلا المدرستين،

خط حديثي (أخباري) يجمد على المأثور، و خط يؤمن بالاجتهاد و يفتح باب الاستنباط، مع وجود بعض الآراء الشاذة عن هذا و ذاك.

٤- إنَّ الرأى الشيعى يمثله خط عام من العلماء و المفسرين الذين مثّلوا غالبية الشيعة من جهه، و مثّلوا الامتداد للمنهج الوسط الذى أرساه أهل البيت (ع)، و لا يمنع ذلك من وجود آراء متفرقة عنه.

٥- و من المؤسف أنّ معظم من بحث الموضوع عن الشيعة، اعتمد على مصادر مجهوله، أو ضعيفه و غير مقبوله لدى الشيعة، و هى آراء شاذة لا تمثّل المذهب العام عندهم.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ١٣

٦- إنَّ البحث العلمى أساس مطلوب للوصول إلى الحقائق الناصعه، و فتح آفاق التواصل و الحوار البناء بين طوائف الامه.

ختاماً، فيأنى لا ادعى أنّ كل ما توصّلت إليه فى هذا البحث هو الصحيح دون غيره، إلّا أنّى بذلت جهدى فى هذه الدرّاسه الأكاديميه لأقترب من الحقيقه بنفسى أوّلاً و من ثم أهتئى متطلّبات الدرّاسه الضروريه من معلومات و آراء و أفكار و أدوات بحث و نماذج استدلاليه، تاركا للقارئ الكريم حريه التفكير و الاستنتاج، مع اعتقادى الراسخ بأننا- و فى هذه الفتره العصبيه من حياتنا- بحاجه ماسّه إلى تمّتين أواصر أخوتنا و تضامننا فى نفس الوقت الذى نوسّع فيه آفاق الحوار الموضوعى و نفتح أبواب النقد العلمى البناء، الذى فيه حياه الفكر و تجدده و اضطراده، مستنيرين بهدى البارى تعالى الذى يقول:

... فَبَشِّرْ عِبَادِ* الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَ أُولَئِكَ هُمُ أُولُوا الْأَلْبَابِ (الزّمر/ ١٦، ١٧)

و ها هو الكتاب، أضعه بين يدى القراء الأعزاء، مع خالص شكرى لهم لتناولهم الكتاب بالمطالعه و الاهتمام، مقدّما

عظيم امتناني لكل الأساتذة الأفاضل و الإخوة الكرام الذين أكرمونا بألطفهم، توجيهها و عوننا و مساعدته و تعضيدا.

... رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَ
اغْفُ عَنَّا وَ اغْفِرْ لَنَا وَ ارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ.

إحسان الأمين ١٠ رمضان ١٤١٩ هـ. ق التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ١٥

الفصل الأول تعريفات

إشاره

التفسير، الأثر، التفسير بالمأثور، الشيعة الإماميه، شبهات حول عقائد الإماميه، موجز عقائد الإماميه.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ١٧

التفسير لغة:

أرجع ابن فارس، التفسير إلى البيان و الإيضاح فقال: «الفاء و السين و الزاء كلمه واحده تدلّ على بيان شىء و إيضاحه، من ذلك الفسر، يقال: فسرت الشىء و فسرتة، و الفسر و التفسره: نظر الطبيب إلى الماء و حكمه فيه، و الله أعلم بالصواب» (١).

و أما الزاغب فقد أرجع التفسير إلى الإظهار، فقال: «الفسر: إظهار المعنى المعقول ...

و التفسير فى المبالغه كالفسر، و التفسير قد يختص بمفردات الألفاظ و غريبها و فيما يختص بالتأويل، و لهذا يقال: تفسير الرؤيا و تأويلها، قال تعالى: وَ أَحْسَنَ تَفْسِيرًا (الفرقان / ٣٣)» (٢).

و أرجع الزركشى التفسير فى اللغه إلى معنى الاظهار و الكشف، إذ إنّ أصلها فى اللغه من التفسره، و هى الماء القليل الذى ينظر فيه الأطباء، فكما إنّ الطبيب بالنظر فيه يكشف عن علّة المريض، فكذلك المفسّر يكشف عن شأن الآيه و قصصها و معناها، و السبب الذى أنزلت فيه. و من معنى ذلك قول العرب: فسّرت الدابّة، إذا ركضتها محصوره لينطلق حصرها، فهو يؤول الى الكشف أيضا.

فالتفسير: «كشف المغلق من المراد بلفظه و إطلاق للمحتبس عن الفهم به» (٣).

(١) - معجم مقاييس اللغه / ج ٤ / مادّه فسر.

(٢) - مفردات ألفاظ القرآن / مادّه فسر.

(٣) - البرهان في علوم القرآن / الزركشي / ج ٢ / ص ١٤٧.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ١٨

و قال آخرون: إنّ الفسر مقلوب من (سفر) فإنّ معناه أيضا الكشف، يقال: سفرت المرأة سفورا، إذا ألقّت خمارها عن وجهها، و هي سافره. و أسفر الصّبح: أضاء ...

و يستعمل المجرّد و

المزيد منه فى معنى واحد، و إن كان المزيد منه أكثر استعمالاً فيقال:

فسيرت الشىء أفسيره تفسيرا، و فسرتة أفسره فسرا. و إنما بنوه على التفعيل لأنه للتكثير، كقوله تعالى: يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ (البقره/ ٤٩)، فكأنه يتبع سورة بعد سورة و آيه بعد أخرى «١».

و إلى الكشف أرجعه ابن منظور أيضا، فقال: الفسر: كشف المغطى، و التفسير:

كشف المراد عن اللفظ المشكل.

فالمحصّل أنّ التفسير لغيره يرجع إلى معنى البيان و الكشف «٢».

التفسير اصطلاحاً:

اختلف العلماء و المفسّرون فى تعريف التفسير كاصطلاح، بين موسع و مضيق، فمنهم من أدخل فى هذا العلم كل ما يتعلّق بالآيات القرآنية لفظاً و معنى، كأبى حيان الذى قال: «و أمّا الرسم فى الاصطلاح فنقول: التفسير علم يبحث فيه عن كيفيّة النطق بألفاظ القرآن، و مدلولاتها، و أحكامها الافراديه و التركيبيه، و معانيها التى تحمل عليها حاله التركيب و تتمات لذلك» «٣».

و منهم من اعتبر علوم القرآن و الفقه و القراءات و غيرها مقدّمات لدرك التفسير، لا- منه، كالزركشى الذى عرفه بأنّه: «علم يعرف به فهم كتاب الله المنزّل على نبيه محمّد (ص) و بيان معانيه و استخراج أحكامه و حكمه و استمداد ذلك من علم اللّغه و النحو و التصريف و علم البيان و اصول الفقه و القراءات و يحتاج لمعرفه أسباب النزول

(١)- لسان العرب / مادّه فسر.

(٢)- علوم القرآن / ص ٢١٦.

(٣)- البحر المحيط / أبو حيان / ج ١ / ص ١٤.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ١٩

و الناسخ و المنسوخ «١».

و قد عدّ بعضهم سائر العلوم المتعلقة بالقرآن داخله فى علم التفسير، فقال:

«التفسير فى الاصطلاح: علم نزول الآيات و شؤونها، و أقاصيصها، و الأسباب النازله فيها، ثم تركيب

مكيها و مدنيها، و محكمها و متشابهها، و ناسخها و منسوخها، و خاصيها و عامها، و مطلقها و مقيدها، و مجملها و مفصّلها، و حلالها و حرامها، و وعدها و وعيدها، و أمرها و نهيها، و عبرها و أمثالها» (٢).

في الوقت الذي ذهب فيه آخرون إلى تعريف مضيّق للتفسير يقتصر فيه على بيان معاني ألفاظ القرآن و ما يستفاد منها باختصار أو توسّع (٣).

و خصّص الطوسي التفسير باللفظ المشكل لا سائر الألفاظ، فقال: «التفسير كشف المراد عن اللفظ المشكل» (٤).

و أضاف العلّامة الطباطبائي المقاصد و المداليل إلى البيان فقال: «التفسير: هو بيان معاني الآيات القرآنية و الكشف عن مقاصدها و مداليلها» (٥).

و وسّع الشهيد الصّدر دائره التفسير ليشمل إضافه إلى تفسير اللفظ - و هو بيان المعنى لغه-، تفسير المعنى و هو تحديد مصداقه الخارجى الذى ينطبق عليه ذلك المعنى (٦).

و بناء على ذلك، هل يشمل التفسير الذى هو «الكشف و الإبانة»، ذكر المعنى الظاهر المتبادر من اللفظ، أى المعنى البين غير المستور؟

(١)- البرهان فى علوم القرآن/ الزركشى/ ج ١/ ص ١٣.

(٢)- الاتقان/ السيوطى/ ج ٢/ ص ١١٩١.

(٣)- التحرير و التنوير/ ابن عاشور/ ج ١/ ص ١٠.

(٤)- مجمع البيان فى تفسير القرآن/ خطبه الكتاب.

(٥)- الميزان/ الطباطبائى/ ج ١/ ص ٤.

(٦)- علوم القرآن/ ط ٣/ ص ٢٢٢.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٢٠

فإنّ الاتجاه السائد لدى الاصوليين أنّهم لا يرون ذلك تفسيراً (١).

فالتفسير عندهم هو «بمعنى كشف القناع، فلا يشمل الأخذ بظاهر اللفظ، لأنه غير مستور ليكشف عنه القناع» (٢).

و قسّم الشهيد الصّدر هذا الظهور إلى ظهور بسيط، و ظهور معقد: و هو الظهور المتكوّن نتيجة لمجموعه من

الظهورات المتفاعله. لذا فإنّ «ذكر المعنى الظاهر قد يكون في بعض الحالات تفسيراً أيضاً، وإظهاراً لأمر خفيّ» (٣).

إلّا أنّنا نجد الزركشى يعمّم التفسير ليشمل كشف معانى القرآن و بيان المراد، ليشمل ذلك اللفظ المشكل و غيره، و المعنى الظاهر و غيره (٤).

الأثر في اللغة:

قال الخليل: «الأثر: بقيه ما يرى من كل شىء، و ما لا يرى بعد ما يبقى علقه، و أثر السيف ضربته. و أثروا الحديث: أن يآثره قوم عن قوم، أى: يحدّث به فى آثارهم، أى بعدهم» (٥).

و قال الراغب: «أثرت العلم: رويته، آثره أثرا و آثاره و أثره، و أصله تتبعت أثره.

أو آثاره من علم (الأحقاف/٤). و قرئ: (أثره). و هو ما يروى أو يكتب فيبقى له أثر» (٦).

(١) - م. ن / ص ٢١٨.

(٢) - البيان فى تفسير القرآن / الخوئى / ص ٢٦٨.

(٣) - علوم القرآن / ص ٢١٨.

(٤) - البرهان / ج ٢ / ص ١٤٩.

(٥) - العين / مادّه أثر.

(٦) - مفردات ألفاظ القرآن.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٢١

و قال الجوهري فى صحاحه: «و الأثر أيضا: مصدر قولك أثرت الحديث إذا ذكرته عن غيرك. و منه قيل: حديث مأثور، أى ينقله خلف عن سلف. قال الأعشى: إنّ الذى فيه تماريتما بين للسامع و الأثر» (١).

و قال ابن منظور: «الأثر: بقيه الشىء، و الجمع آثار و أثور. و الأثر: ما بقى من رسم الشىء. و الآثار: الأعلام. و الأثر: الخبر، و الجمع آثار.

و سنن النبى (ص): آثاره. و الأثر: مصدر قولك أثرت الحديث آثره إذا ذكرته عن غيرك. و فى حديث على (ع) فى دعائه على الخوارج: و لا بقى منكم أثر، أى مخبر يروى الحديث ...

و من هذا قيل: حديث

مأثور، أى يخبر الناس به بعضهم بعضا، أى ينقله خلف عن سلف» «٢».

وقال ابن حجر فى تفسير غريب الحديث: «قوله لو لا أن يأتروا، أى ينقلوا، يقال: أثرت الحديث - بالقصر - آثره - بالمدّ و ضمّ الثاء - أثرا بسكونها إذا حدّثت به. وقوله: ذاكرا و لا آثرا، أى ناقلا».

فالمأثور هو الكلام المروى، المذكور عن الغير، الذى ينقله خلف عن سلف، المحدث به بعدهم.

و من هنا ورد التفسير بالمأثور، التفسير الأثرى، التفسير بالمنقول، التفسير الروائى بمعنى واحد، فى مقابل التفسير بالرأى الذى يطلق عليه أيضا التفسير بالمعقول، أو التفسير العقلى.

(١) - تاج اللغه و صحاح العربيه.

(٢) - لسان العرب / مادّه أثر.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٢٢

الأثر اصطلاحا:

أطلق المحدثون «الأثر» تارة على الحديث الموقوف «١»، إذ «يسميه كثير من الفقهاء و المحدثين أيضا: أثرا» «٢».

و عزاه ابن الصّلاح إلى الخراسانيين: «أنهم يسمّون الموقوف أثرا. قال: و بلغنا عن أبى القاسم الفورانى أنه قال: الخبر ما كان عن رسول الله (ص)، و الأثر ما كان عن الصحابى».

إلّا أنّ السيوطى قال: «و عند فقهاء خراسان تسميه الموقوف بالأثر، و المرفوع بالخبر، و عند المحدثين كلّ هذا يسمّى أثرا» «٣».

و لم يحسم الأمر حتى عند المتأخرين، إذ قال بعضهم: «و أمّا الأثر: فربّما يخصّص بما ورد عن المعصوم من الصحابى أو التابعى، و ربّما يستعمل مرادفا للحديث و هو الأكثر» «٤».

و هذا المعنى هو الأكثر تداولاً، خصوصا فى «المأثور»، إذ يراد به الحديث المنقول، و لذا يقيّد عادة بمن نقل عنه، فيقال: المأثور عن النبى (ص) أو الأئمّه (ع) أو المأثور عن الصحابه، أو التابعين.

التفسير بالمأثور اصطلاحا:

كما اختلف فى الأثر، اختلفوا فى التفسير بالمأثور توسعه و ضيقا؛ فمنهم من اعتبره:

«التفسير بالمأثور الذى رواه الصحابه و التابعون عن النبى (ص)، أو ما روى علماء

(١) - و هو المروى عن الصحابه قولاً أو فعلاً أو نحوه متّصلاً كان أو منقطعاً، و يستعمل فى غيرهم مقْتيداً. (تدريب الراوى / ص ١١٧).

(٢) - الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث / الحافظ ابن كثير / ص ٤٣.

(٣) - تدريب الراوى / السيوطى / ص ١١٧، و المرفوع: هو ما اضيف الى النبى (ص) خاصّه.

(٤) - اصول الحديث و أحكامه فى علم الدرايه / جعفر السبحانى / ص ٢٠.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٢٣

الأثر عن الصحابه و التابعين أيضا ممّا يتعلّق بالقرآن من كل الوجوه» «١».

فيما وسعه آخرون ل «يشمل التفسير بالمأثور ما جاء

فى القرآن نفسه من البىان و التفصىل لبعض آىاته و ما نقل عن الرسول (ص) و ما نقل عن الصحابه (رض) و ما نقل عن التابعىن، من كل ما هو بىان و توضىح لمراد الله تعالى من نصوص كتابه الكرىم» «٢».

مصادر التفسىر بالمأثور:

و اختلف أىضا فى مصادر التفسىر بالمأثور، ممّا سنفضله لاحقا و نشىر له هنا إجمالا؛ و مرّد هذا الخلاف ناشئ عن قىمه «المأثور» المروى و كاشفتة عن مراد الله تعالى.

فلا خلاف فى مصدرىة القرآن الكرىم، أو ما ثبت من السنّه النبویة الكرىمه، إلّا أنه وقع الخلاف فى مصدرىة حدیث الصحابه التفسىرى و مرجعیته إذ إنّ «إطلاق بعضهم أنّ تفسىر الصحابه له حكم المرفوع، إطلاق غیر جىد، لأنّ الصحابه اجتهدوا فى تفسىر القرآن، و اختلفوا فى بعض المسائل و الفروع، كما رأىنا بعضهم ىروى الاسرائلیات» «٣».

و كذلك الخلاف فىما روى عن التابعىن، فهل هو من قبىل المأثور أو من قبىل الرأى؟ «٤»

و لىس الخلاف فى ذلك بىن السنّه أو الشىعه، أو أنّه خلاف نشأ حدیثا، و إنّما كان

(١) - مقدّمه معالم التنزىل للبغوى / ج ١ / ص ١٠ - ١١.

(٢) - التفسىر و المفسّرون / د. الذهبى / ج ١ / ص ١٥٦.

(٣) - علوم الحدیث و مصطلحه / د. صبجى الصالح / ص ٢٢٠.

(٤) - التفسىر و المفسّرون / د. الذهبى / ج ١ / ص ١٥٦.

التفسىر بالمأثور و تطویره عند الشىعه، ص: ٢٤

للعلماء منذ القدم آراء مختلفه فىه، فقد كان للإمام أبى حنیفه النّعمان بن ثابت (ت ١٥٠ هـ) رأى مشهور فى ذلك، فهو على رغم إدراکه عددا من الصحابه كأنس ابن مالك و عبد الله بن عبّاس (رض) یقول قولا صرىحا: ما جاء عن الرسول (ص) فعلى العىن

و

الرأس، و ما جاء عن الصحابه تخيرنا منه، و أمّا ما جاء عن التابعين فهم رجال و نحن رجال «١».

و اختلف أيضا فى مصدرية و مرجعية أهل البيت (ع) بين السنّة و الشيعة، إذ يعدّهم السنّة صحابه و تابعين و تابعى التابعين مع الاقرار بفضلهم و علمهم و تقواهم، فيما يعتبرهم الشيعة و ما اثر عنهم امتدادا لسنّة رسول الله (ص)، فهم يعتبرون أنّ جميع أحاديثهم «إلّا ما ندر تنتهى إلى الأئمة الاثنى عشر (سلام الله عليهم أجمعين)، و هم ينتهون فيها إلى النبى (ص)، فإنّ علومهم مقتبسه من تلك المشكاة» «٢».

و إنّما أشرنا إلى هذه الآراء ليعلم منه الاختلاف فى تعريف التفسير بالمأثور اصطلاحا، بحسب الاختلاف فى مصادرهم.

الشيعة:

الشياع- فى اللّغه-: الانتشار و التقويه، يقال: شاع الخبر أى كثر و قوى. و الشيعة من يتقوى بهم الانسان و ينتشرون عنه، و شاع القوم: انتشروا. و منه قيل للشجاع مشيع، يقال شيعة و شيع و أشياع، قال: وَ إِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لِأَبْرَاهِيمَ (الصفافات / ٨٣)، هذا مِنْ شِيعَتِهِ وَ هذا مِنْ عَدُوِّهِ (القصص / ١٥) «٣».

و قال الشهرستاني: «الشيعة هم الذين شايعوا عليا (رض) على الخصوص، و قالوا بإمامته و خلافته نصّا و وصيه، إمّا جليا و إمّا خفيا» _____، و اعتق _____دوا أنّ الإمام _____امه لا _____تخرج من _____

(١)- علوم الحديث / د. صبحى الصالح / ص ٢٢٠.

(٢)- الوجيزه / الشيخ البهائى / ص ٢٢.

(٣)- مفردات ألفاظ القرآن / الراغب الاصفهانى / تحقيق صفوان داودى / ص ٤٧٠.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٢٥

ولده، و إن خرجت فبظلم يكون من غيره أو بتقيّه من عنده.

و قالوا: ليست الإمامه قضيه مصلحيه تناط باختيار العامّه و ينتصب الإمام بنصبهم، بل هى قضيه

أصوليه و هي ركن الدين، لا يجوز للرسل (ع) إغفاله و إهماله و لا تفويضه إلى العامه و إرساله.

و يجمعهم القول بوجوب التعيين و التنصيص، و ثبوت عصمه الأنبياء و الأئمه و جوبا عن الكبائر و الصغائر، و القول بالتولي و التبري: قولاً و فعلاً و عقلاً، إلّا في حال التقية» (١).

و لأبان- و هو من أعظم أصحاب الأئمه: السجاد و الباقر و الصادق (ع)- قوله في تعريف الشيعة، إذ يركّز على جانب اتباع الرأى في مفهوم التشيع، فيقول مخاطباً أحد أصحابه: «يا أبا البلاد! أ تدرى من الشيعة؟ الشيعة الذين إذا اختلف الناس عن رسول الله (ص) أخذوا بقول عليّ (ع)، و إذا اختلف الناس عن عليّ (ع)، أخذوا بقول جعفر بن محمد (ع)» (٢).

الإماميه:

و يطلق على الشيعة الإماميه لقولهم بوجوب نصب الإمام، «و هذا الاسم و إن كان يشمل كل من قال بوجوب الإمامه من الشيعة و إن لم يكن اثني عشرياً، غير أنه صار للشيعة القائلين بإمامه الاثني عشر إماماً لقباً خاصاً يمتازون به عن غيرهم، يتبادر منه عند اللفظ» (٣).

و بدأ يخرج بهذا المصطلح منهم الزيدية الذين قالوا بالإمامه بعد عليّ بن الحسين في زيد بن عليّ ثم بعده يحيى بن زيد، فهم لا يقولون بإمامه الاثني عشر (ع)، و إنما «ساقوا الإمامه في أولاد فاطمه (ع) و لم يجوزوا الإمامه في غيرهم إلّا أنهم جوزوا أن

(١)- الملل و النحل / الشهرستاني / ص ١٣١.

(٢)- رجال النجاشي / ج ١ / ص ٧٨.

(٣)- الشيعة / السيد محمد صادق الصدر / ص ٧٤.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٢٦

يكون كل فاطمي عالم زاهد، شجاع سخّي خرج بالإمامه أن يكون إماماً واجب

و خرج بذلك سائر الذين توقّفوا عند أحد الأئمّه، كالباقر أو الصادق أو الكاظم (ع)، إذ أنّهم ساقوا الامامه إلى ولدهم الآخرين من غير الاثنى عشر (ع)، سواء من باد منهم كالناووسيه «٢» أو الأفطحيه «٣» أو من بقى منهم أثر كالاسماعيليه «٤».

و كذلك لا يدخل فيهم كل فرق الغلاه «الذين غلوا في حقّ أئمّتهم حتى أخرجوهم من حدود الخليقيه و حكموا فيهم بأحكام الإلهيه» (٥)».

فإنّ الإمام الصادق (ع) «قد تبرّأ عمّا كان ينسب إليه بعض الغلاه و برئ منهم و لعنهم» (٦)».

كما تبرّأ منهم سائر الأئمّه (ع) (٧) و تبعهم على ذلك الشيعه الذين قالوا فيهم أنّهم «ضلال كفّار حكم فيهم أمير المؤمنين بالقتل و التحريق بالنار، و قضت الأئمّه (ع) عليهم بالكفار و الخروج عن الاسلام» (٨)».

عقائد الإماميه

اشاره

قال الشيخ محمّد الحسين كاشف الغطاء في بيان عام لعقائد الشيعه:

(١) - الممل و النحل / الشهرستاني / تخريج محمّد بدران / ص ١٣٧.

(٢) - توقّفوا في الصّادق (ع).

(٣) - قالوا بانتقال الإمامه من الصّادق (ع) إلى ابنه عبد الله الأفطح.

(٤) - قالوا أنّ الإمام بعد جعفر بن محمد: إسماعيل.

(٥) - الممل و النحل / الشهرستاني / ص ١٥٤.

(٦) - م. ن.

(٧) - سيأتي ذلك مفصّلاً في بحث «الغلو».

(٨) - شرح عقائد الصّدوق / الشيخ المفيد / ط الداودي قم / ص ٢٣٨.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعه، ص: ٢٧

«انّ الدّين ينحصر فى قضايا خمس: (١) معرفه الخالق. (٢) معرفه المبلّغ عنه.

(٣) معرفه ما تعبّد به و العمل به. (٤) الأخذ بالفضيله و رفض الرذيله. (٥) الاعتقاد بالمعاد و الدينونه.

فالدّين علم و عمل و إنّ الدّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ و الإسلام و الإيمان مترادفان و يطلقان على معنى أعم

يعتمد على ثلاثه أركان: التوحيد و النبوه و المعاد.

فلو أنكر الرجل واحدا منها فليس بمسلم و لا مؤمن، و إذا دان بتوحيد الله و نبوه سيد الأنبياء محمد (ص) و اعتقد بيوم الجزاء، من آمن بالله و رسوله و اليوم الآخر، فهو مسلم حقاً، له ما للمسلمين و عليه ما عليهم دمه و ماله و عرضه حرام.

و يطلقان أيضا على معنى أخصّ يعتمد على تلك الأركان الثلاثه، و ركن رابع و هو العمل بالدعائم التي بنى عليها الاسلام و هي: الصلاه، و الصوم، و الزكاه، و الحج، و الجهاد .. و بالنظر إلى هذا قالوا: الإيمان اعتقاد بالجنان و إقرار باللسان و عمل بالأركان (من آمن بالله و رسوله و عمل صالحا) فكلّ مورد في القرآن اقتصر على ذكر الإيمان بالله و رسوله و اليوم الآخر يراد به الاسلام و الإيمان بالمعنى الأول، و كلّ مورد اضيف إليه ذكر العمل الصالح يراد به المعنى الثاني ...

فهذه الأركان الأربعه هي أصول الاسلام و الإيمان بالمعنى الأخصّ عند جمهور المسلمين، و لكن الشيعة الإماميه زادوا ركنا خامسا و هو الاعتقاد بالإمامه. يعنى أن يعتقد أنّ الإمامه منصب إلهي كالنبوه، فكما أنّ الله يختار من يشاء من عباده للنبوه و الرساله ... فكذلك يختار للإمامه من يشاء و يأمر نبيه بالنص عليه و أن ينصبه إماما للناس من بعده للقيام بالوظائف التي كان على النبي أن يقوم بها سوى أنّ الإمام لا يوحى إليه كالنبي و إنّما يتلقى الأحكام منه مع تسديد إلهي، فالنبي مبلغ عن الله، و الإمام مبلغ عن النبي.

و الإمامه متسلسله في اثني عشر، كل سابق ينصّ على اللاحق و يشترطون أن يكون معصوما كالنبي

عن الخطأ و الخطيئه و إلّا زالت الثقة به، و الآيه الكريمه فى قوله التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٢٨

تعالى إني جاعلك للناس إماماً قالَ وَ مِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ (البقره/ ١٢٤) حريّه فى لزوم العصمه فى الإمام لمن تدبرها جيداً

فالإمام فى الكمالات دون النبى و فوق البشر.

فمن اعتقد بالإمامه بالمعنى الذى ذكرناه فهو عندهم مؤمن بالمعنى الأخصّ، و إذا اقتصر على تلك الأركان الأربعة فهو مسلم و مؤمن بالمعنى الأعم تترتب عليه جميع أحكام الاسلام ... لا أنه بعدم الاعتقاد بالإمامه يخرج عن كونه مسلماً (معاذ الله) «١»؛ نعم يظهر أثر التدين بالإمامه فى منازل القرب و الكرامه يوم القيامه، أمّا فى الدنيا فالمسلمون بأجمعهم سواء و بعضهم لبعض أكفاء ... «٢».

و هذا يظهر بشكل عام أنّ الشيعة يشتركون مع سائر المسلمين فى الاعتقاد بالتوحيد و النبوه و المعاد، و يضيفون إلى ذلك الاعتقاد بالإمامه المنصوص عليها و المنصوبه من قبل النبى (ص).

على أنّ كثيراً من الناس قد أكثروا اللّغظ و التشكيك إمّا جهلاً أو تحاملاً، فنسبوا إلى الشيعة أشياء كثيره و هم منها برآء، بل كان مذهبهم على أساس نفى العقائد المنحرفه و التأكيد على التوحيد الخالص و تنزيه الأنبياء، لذا يتطلّب منّا ذلك المرور على أهم أركان الاعتقاد، و التعرّف بإجمال على رأى الشيعة فيها:

١- التوحيد.

٢- العدل.

٣- النبوه.

٤- الإمامه.

٥- الإيمان بعالم الآخره (المعاد).

(١)- و هذا يناقض تماماً ما نسبته الذهبى إلى الشيعة من أنّهم يعتبرون أنّ من مات غير معتقد بالإمام فهو ميت على الكفر. التفسير و المفسرون/ ج ٢/ ص ١٠-١١.

(٢)- أصل الشيعة و اصولها/ محمّد الحسين كاشف الغطاء/ ص

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٢٩

التوحيد

إشارة

قال الإمام عليّ (ع): «وكمال توحيد الاخلاص له، وكمال الاخلاص له نفى الصّفات عنه، لشهادته كلّ صفة أنّها غير الموصوف، و شهادته كلّ موصوف أنّها غير الصّفة. فمن وصف الله سبحانه فقد قرنه، و من قرنه فقد ثناه، و من ثناه فقد جزّأه، و من جزّأه فقد جهله، و من جهله فقد أشار إليه، و من أشار إليه فقد حدّه، و من حدّه فقد عدّه.

فاعل لا بمعنى الحركات والآله، بصير إذ لا منظور إليه من خلقه، متوحد إذ لا سكن يستأنس به و لا يستوحش لفقده.

كائن لا عن حدث، موجود لا عن عدم، مع كلّ شيء لا بمقارنه، و غير كلّ شيء لا بمزايله» (١).

و قال الإمام الصادق (ع): «إنّ المذهب الصحيح في التوحيد ما نزل به القرآن من صفات الله (عزّ و جلّ)، فانف عن الله تعالى البطلان و التشبيه، فلا نفى و لا تشبيه، هو الله الثابت الموجود تعالى الله عمّا يصفه الواصفون، و لا تعدوا القرآن فتضلّوا بعد البيان» (٢).

وفق هذا المنهج الذي حدّده أئمّه أهل البيت (ع)، تحدّدت رؤيه الشيعة حول قضايا التوحيد انطلاقاً ممّا كان يؤكّده أئمّتهم (ع) على توحيد الله و تنزيهه و نفى الشّرك عنه، في الذات و الصّفات و الأفعال و العباده (٣).

فكان منهجهم:

١- توحيد الله في ذاته:

قال الإمام عليّ (ع): «التوحيد ألاّ تتوهمه، و العدل ألاّ تتهمه» (٤).

(١) - نهج البلاغه / الشريف الرضى / الخطبه ١.

(٢) - الاصول من الكافي / الكليني / ج ١ / ص ١٠٠.

(٣) - التشيع نشأته، معالمه / السيد هاشم الموسوي / ص ٧٤.

(٤) - نهج البلاغه / ح ٤٧٠.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٣٠

و قال الإمام الصادق (ع): «من شبه الله بخلقه فهو

مشرك، و من أنكر قدرته فهو كافر» (١).

٢- توحيد الله في صفاته:

فقد كان منهجهم البين من خلال أحاديثهم الكثيره أنّ صفات الله من العلم و القدره و الحياه، هي عين ذاته، فلا نفى لصفاته و لا تشبيه بخلقه.

روى الحسين بن خالد، قلت له- للرضا (ع)-: يا ابن رسول الله، إنّ قوما يقولون: إنه (عزّ و جلّ) لم يزل عالما بعلم، و قادرا بقدره، و حيّا بحياه، و قديما بقدم، و سميعا بسمع، و بصيرا ببصر.

فقال (ع): من قال ذلك و دان به، فقد اتّخذ مع الله آلهه اخرى، و ليس من ولايتنا على شىء. ثمّ قال (ع): لم يزل (عزّ و جلّ) عليما قادرا حيّا قديما سميعا بصيرا بذاته، تعالى عمّا يقول المشركون و المشبّهون علّوا كبيرا» (٢).

٣- توحيد الله في أفعاله:

و هو الإيمان بأنّ الله سبحانه هو وحده القادر على فعل أفعاله كالخلق و الرزق و الإحياء و الإماتة.

«فمن اعتقد أنّ شيئا من الرزق أو الخلق أو الموت أو الحياه لغير الله فهو كافر مشرك خارج عن ربه الاسلام» (٣).

و أنّ الأسباب الطبيعيه و البشريه هي جاريه تحت قدرته و سلطانه، و لا ينافى ذلك الاراده البشريه، «فلا جبر و لا تفويض و إنّما هو أمر بين الأمرين» (٤).

(١)- التوحيد/ الشيخ الصدوق/ ص ٤٧.

(٢)- م. ن/ ص ١٤٠.

(٣)- أصل الشيعه و اصولها/ محمد الحسين كاشف الغطاء/ ص ١٣١.

(٤)- م. ن/ ص ١٤٠.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعه، ص: ٣١

و أنّ الله سبحانه و تعالى لا يفعل شيئا إلّا لغرض و عنايه و مصلحه لعباده، و هو منزّه عن الحاجه إليهم، فهو غنيّ مفيض الخير على الخلائق كلّها.

٤- توحيد الله في العباده:

«و كذا يجب عندهم- الشيعة- إخلاص الطّاعة و العبادة لله، فمن عبد شيئا معه أو شيئا دونه أو ليقربه زلفى إلى الله فهو كافر عندهم أيضا. و لا تجوز العبادة إلّا لله وحده لا شريك له.

و طاعه الأنبياء و الأئمّه (ع) فيما يبلغون عن طاعه الله، و لكن لا يجوز عبادتهم بدعوى أنّها عباده الله، فإنّها خدعه شيطانيّه و تلبسات إبليسيّه» «١».

«أمّا زياره القبور و إقامه المآتم، فليست هى من نوع التقرب إلى غير الله تعالى فى العباده ... بل هى من نوع التقرب إلى الله بالأعمال الصالحه كالتقرب إليه بعياده المريض و تشييع الجنائز و زياره الاخوان فى الدّين ... فإنّ عياده المريض - مثلا- فى نفسها عمل صالح يتقرب به العبد إلى الله تعالى، و ليس هو تقربا إلى

المريض يوجب أن يجعل عمله عباده لغير الله تعالى أو الشرك في عبادته» (٢).

العدل:

«و يراد به الاعتقاد بأنَّ الله تعالى سبحانه لا يظلم أحداً، ولا يفعل ما يستقبحه العقل السليم» (٣).

الجبر و التفويض:

و هي من المسائل الأساسية التي كثر فيها الخلاف تاريخياً، خصوصاً بين الأشاعره

(١) - أصل الشيعة و اصولها/ ص ١٣١.

(٢) - عقائد الإمامية/ محمّد رضا المظفر/ ص ٣٨.

(٣) - أصل الشيعة و اصولها/ ص ١٤١.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٣٢

و المعتزله، و قد اتّخذ الشيعة في ذلك الجادّه الوسطى، إذ يقولون: (قال إمامنا الصادق (ع) لبيان الطريق الوسط كلمته المشهوره: «لا جبر و لا تفويض و لكن أمر بين أمرين»).

إنّ أفعالنا من جهه هي أفعالنا حقيقه و نحن أسبابها الطبيعيه، و هي تحت قدرتنا و اختيارنا؛ و من جهه اخرى هي مقدوره لله تعالى و داخله في سلطانه، لأنّه هو مفيض الوجود و معطيه.

فلم يجبرنا على أفعالنا حتى يكون قد ظلمنا في عقابنا على المعاصي، لأنّ لنا القدره و الاختيار فيما نفعل، و لم يفوّض إلينا خلق أفعالنا حتى يكون قد أخرجها عن سلطانه، بل له الخلق و الحكم و الأمر، و هو قادر على كلّ شيء و محيط بالعباد» (١).

النّبوه:

«يعتقد الشيعة الإمامية أنّ جميع الأنبياء الذين نصّ عليهم القرآن الكريم رسل من الله و عباد مكرمون بعثوا لدعوه الخلق إلى الحقّ، و أنّ محمّداً خاتم الأنبياء و سيّد الرّسل، و أنّه معصوم من الخطأ و الخطيئه، و أنّه ما ارتكب معصيه مدّه عمره و ما فعل إلّا ما يوافق رضى الله سبحانه حتى قبضه إليه» (٢).

«و أنّ جميع الأنبياء و المرسلين على حق، كما تؤمن بعصمتهم و طهارتهم. و أمّا إنكار نبوتهم أو سبهم أو الاستهزاء بهم فهو من الكفر و الزّناده...» (٣).

«وَالدَّلِيلُ عَلَى وَجوبِ الْعِصْمَةِ: أَنَّهُ لَوْ جَازَ أَنْ يَفْعَلَ النَّبِيُّ الْمَعْصِيَةَ أَوْ يَخْطِئَ

أو ينسى، و صدر منه شيء من هذا القبيل، فإما أن يجب اتّباعه في فعله الصادر عنه عصياناً أو خطأ أو لا يجب، فإن وجب اتّباعه ففقد جُوزنا ففعل المعاصي برخصه من

(١) - عقائد الإمامية / المظفر / ص ٤٤.

(٢) - أصل الشيعة و اصولها / ص ١٣٢.

(٣) - عقائد الإمامية / المظفر / ص ٥٤.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٣٣

اللّه تعالى بل أوجبنا ذلك، و هذا باطل بضروره الدّين و العقل، و إن لم يجب اتّباعه فذلك يناهى النبوّه التي لا بدّ أن تقترن بوجود الطّاعه أبداً» (١).

الإسلام:

و في ذلك يقولون: «نعتقد أنّ الدّين عند الله الاسلام، و هو الشريعة الإلهية الحقّه التي هي خاتمه الشرائع و أكملها و أوقفها في سعاده البشر، و أجمعها لمصالحهم في دنياهم و آخرتهم، و صالحه للبقاء مدى الدهور و العصور لا تتغيّر و لا تتبدّل» (٢).

و «أنّ صاحب الرساله الاسلاميه هو محمّد بن عبد الله، و هو خاتم النبيين و سيّد المرسلين و أفضلهم على الاطلاق، كما أنّه سيّد البشر جميعاً لا يوازيه فاضل في فضل و لا يدانيه أحد في مكرمه، و لا يقاربه عاقل في عقل، و لا يشبهه شخص في خلق، و أنّه لعلّ خلق عظيم ...» (٣).

القرآن الكريم:

و قد كثر التشكيك من بعض المعاصرين في موقف الشيعة من القرآن، خصوصاً فيما يتعلّق بسلامته من التحريف و الزيادة و النقصان، كما نجد ذلك عند الذهبي (٤)، و عليه ارتكزت معظم مواقف المتأخرين ممّن هاجموا الشيعة (٥)، إلّا أنّ الشيعة يؤكّدون على حفظ القرآن و سلامته، فهم ينصّون على «إنّ الكتاب الموجود في أيدي المسلمين هو الكتاب الذي أنزله الله إليه - محمّد (ص) - للإعجاز و التحدّي و لتعليم الأحكام و تمييز الحلال من الحرام، و أنّه لا نقص فيه و لا تحريف و لا زياده، و على هذا إجماعهم ...

و الأخبار الواردة من طرقنا أو طرقهم الظاهره في نقصه أو تحريفه ضعيفه شاذّه أو

(٢) - م. ن.

(٣) - م. ن. / ص ٥٩.

(٤) - التفسير و المفسرون / ج ٢ / ص ٣٨.

(٥) - الشيعة و القرآن / إحسان ظهير إلهى، و غيره كثيرون استندوا إليه غالبا.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٣٤

أخبار آحاد لا تفيد علما و لا عملا، فإمّا

أن تؤوّل بنحو من الاعتبار أو يضرب بها الجدار...» (١).

و «أنّ القرآن هو الوحي الإلهي المنزّل من الله تعالى على لسان نبيّه الأكرم ...

لا يعتريه التبديل و التغيير و التحريف ... و من ادّعى فيه غير ذلك فهو مخترق أو مغالط أو مشتبه، و كلّهم على غير هدى، فإنّه كلام الله تعالى الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه» (٢).

الإمامه:

إشاره

و «هو الأصل الذي امتازت به الإماميّة و افتقرت عن سائر فرق المسلمين، و هو فرق جوهرى أصلى، و ما عداه من الفروق فرعيّه عرضيّه كالفرق التي تقع بين أئمّه الاجتهاد عندهم كالحنفيّ و الشافعيّ و غيرهما ...».

إذ اتّفقت الإماميّة على أنّه لا بدّ في كلّ زمان من إمام موجود يحتجّ به الله عزّ و جلّ على عباده المكلفين و يكون بوجوده تمام المصلحه في الدّين ...» (٣).

و اتّفقت ... على أنّ إمام الدّين لا يكون إلّا معصوما من الخلاف لله تعالى «(٤)، عالما

(١) - أصل الشيعة و اصولها/ ص ١٣٣.

(٢) - عقائد الإماميّة / المظفر/ ص ٥٩. و راجع للمزيد موقف المفسّرين الشيعة من الاتجاه الاخباري في الفصل الرابع من هذا الكتاب.

(٣) - قوله تعالى: وَ لِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ (الرّعد/ ٨)، و قال: وَ إِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ (فاطر / ٢٢)، عقائد الشيعة/ ص ٦٦.

(٤) - قوله تعالى: وَ إِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَ مِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا - يَنَالُ عَهْدِي الظّالِمِينَ (البقره / ١٢٥). قال الطوسي: «و استدلل أصحابنا بهذه الآية على أنّ الإمام لا يكون إلّا معصوما من القبائح، لأنّ الله تعالى نفى أن ينال عهده - الذي هو الإمامه -

بجميع علوم الدين، كاملاً في الفضل، بائناً من الكل بالفضل عليهم في الأعمال التي يستحقّ بها النعيم المقيم ..

و اتّفقت الإماميّة على أنّ الإمامه لا تثبت مع عدم المعجز لصاحبها إلّا بالنص على عينه و التوقيف ...

و اتّفقت ... على أنّ رسول الله (ص) استخلف أمير المؤمنين - عليّاً - في حياته و نصّ عليه بالإمامه بعد وفاته «١» و أنّ من دفع ذلك فقد دفع فرضاً من الدين ...

و اتّفقت الإماميّة على أنّ النبيّ (ص) نصّ على الحسن و الحسين بعد أمير المؤمنين، و أنّ أمير المؤمنين نصّ عليهما كما نصّ الرسول (ص) ... «٢»

و اتّفقت ... على أنّ الأئمة بعد الرسول (ص) اثنا عشر إماماً ... «٣».

أهل البيت (ع):

قد تقدّم عن أبان- و هو من أعظم الشيعة- أنّ ما يميّز الشيعة هو أنّهم إذا اختلف الناس عن رسول الله (ص) أخذوا بقول عليّ (ع)، و إذا اختلف الناس عن عليّ (ع)، أخذوا بقول جعفر بن محمد ... «٤»، لذا فإنّ الرجوع إلى أهل البيت (ع) يعتبر المحور

- ظالم، و من ليس بمعصوم فهو ظالم: إمّا لنفسه أو لغيره». التبيان في تفسير القرآن/ ج ١/ تفسير الآيه. راجع تاريخ الإماميه/ الفيّاض / ص ١٣٢.

(١)- «... فخطب رسول الله (ص) الناس عند منصرفه من حجّه الوداع في غدير خم، فنادى و جلّهم يسمعون: أ لست أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ فقالوا: اللّهم نعم، فقال: من كنت مولاه فهذا عليّ مولاه ... إلى آخر ما قال، ثمّ أكّد ذلك في مواطن أخرى تلويحاً و تصريحاً و إشاره و نصّاً حتى أدّى الوظيفة و بلغ عن الله المعذره ...». أصل الشيعة و اصولها/ ص

(٢) - «و هذه سنّه الأنبياء من آدمهم إلى خاتمهم، وقد أَلَفَ جَمَّ غفير من أعظم علماء الدّين مؤلّفات في إثبات الوصيّه». أصل الشيعة و اصولها/ ص ١٣٦.

(٣) - أوائل المقالات/ الشيخ المفيد/ باب فيما اتّفتت الإماميّة فيه.

(٤) - رجال النجاشي/ ج ١/ ص ٧٨، ترجمه أبان.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٣٦

الأساسى فى التشيع، و هم فى ذلك يقولون: «الدليل القطعى دال على وجوب الرجوع إلى آل البيت (ع) و أنّهم المرجع الأصلى بعد النبى لأحكام الله المنزله، و على الأقل قوله (عليه أفضل الصلاه و التحيات): (إنى قد تركت فيكم ما إن تمسّ بكم به لن تضلّوا بعدى أبدا: الثقلين، و أحدهما أكبر من الآخر: كتاب الله جبل ممدود من السماء إلى الأرض و عترتى أهل بيتى، ألا و أنّهما لن يفترقا حتّى يردا علىّ الحوض). و هذا الحديث اتّفتت الروايه عليه من طرق أهل السنّه و الشيعة» «١».

«و قد تواتر عن النبى (ص) أن حبّهم علامه الايمان و أنّ بغضهم علامه النفاق، و أنّ من أحبّهم أحبّ الله و رسوله و من أبغضهم أبغض الله و رسوله».

إلّا أنّ عقيدتهم فى الأئمه هذه، لا تصل إلى حدّ الغلوّ فيهم، كما ادّعى الذهبى و غيره، فهم يوضحون موقفهم من ذلك بقولهم: «و لا نعتقد فى أئمتنا ما يعتقد الغلاة و الحلوليون (كبرت كلمه تخرج من أفواههم). بل عقيدتنا الخاصّه أنّهم بشر مثلنا، لهم ما لنا و عليهم ما علينا، و إنّما هم عباد مكرمون اختصّهم الله تعالى بكرامته و جباهم بولايته، إذ كانوا فى أعلى درجات الكمال اللائقه فى البشر ... و بهذا استحقّوا أن يكونوا أئمه و هداة و

مرجعاً بعد النبي في كل ما يعود للناس من أحكام و حكم ...» (٢).

«... و كل من غالى في أحد من الناس من أهل البيت أو غيرهم و أخرجه عن درجه العبوديه لله تعالى، و أثبت له نبوه أو مشاركته فيها، أو شيئاً من صفات الإلهيه فهو خارج عن ربه الاسلام، و الشيعة يبرءون من جميع الغلاه و المفوضه و أمثالهم» (٣).

المهدى (ع):

إن فكره المهدى ليست مختصه بالشيعة، بل يقول بها عامه المسلمين.

(١) - روى الحديث الترمذى فى صحيحه/ مناقب أهل البيت (ع) / ج ٢ / ص ٣٨٠، و أخرجه الحاكم فى مستدرک الصحيحين ج ٣ / ص ١٠٩، و أبو نعيم فى حليه الأولياء ج ٤ / ص ٣٠٦.

(٢) - عقائد الإماميه / ص ٧٢ - ٧٥.

(٣) - أعيان الشيعة/ السيد محسن الأمين / ج ١ / ص ٩١.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٣٧

قال الشيخ عبد المحسن عباد «١»: «فلما كان فى آخر الزمان عند نزول عيسى بن مريم (ع) من السماء خرج رجل من أهل بيت النبوه من ولد الحسين بن على بن أبى طالب (رض) يوافق اسمه اسم الرسول (ص) و اسم أبيه اسم أبيه، و يقال له المهدى يتولى إمره المسلمين و يصلى عيسى بن مريم (ع) خلفه، و ذلك لدلاله الأحاديث الكثيره المستفيضه عن رسول الله (ص) التى تلقتها الامه بالقبول و اعتقدت موجبها إلا من شذ...» (٢).

و أورد أسماء سته و عشرين صحابياً رووا أحاديث المهدى و ثمانية و ثلاثين من أئمة الحديث الذين خرّجوا أحاديثه.

و علّق عبد العزيز بن باز مفتى السعوديه على حديثه قائلاً: «... إن الحق و الصواب هو ما أبداه فضيلته فى هذه المحاضره، كما

بينه

أهل العلم، فأمر المهدي أمر معلوم و الأحاديث فيه مستفيضه بل متواتره متعاضده».

و قال الألباني: «و الأحاديث عن النبي (ص) فى التنصيص على خروج المهدي من عترته من ولد فاطمه ثابتة» (٣).

ففكره المهديّ يقول بها مختلف طوائف المسلمين، و إن اختلفوا فى تحديد المصداق، إذ يقول الشيعة أنه الثانى عشر من أئمه أهل البيت، فهم يقولون: «إنّ البشاره بظهور (المهدي) من ولد فاطمه فى آخر الزّمان - ليملاً الأرض قسطاً و عدلاً بعد ما ملئت ظلماً و جوراً - ثابتة عن النبي (ص) بالتواتر، و سجّلها المسلمون جميعاً فيما رووه من الحديث على اختلاف مشاربهم» (٤).

(١) - المدرّس فى الجامعه الاسلاميه بالمدينه المنوره.

(٢) - نشر البحث فى مجلّه الجامعه الاسلاميه تحت عنوان: عقيدته أهل السنّه و الأثر فى المهدي المنتظر.

(٣) - سلسله الأحاديث الضعيفه و الموضوعه / محمّد ناصر الدين الألباني / ج ١ / ص ١٠٤.

(٤) - عقائد الإماميه / ص ٧٩.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٣٨

و ليست هى بالفكره المستحدثه عند الشيعة ... إذ إنّ طبيعه الوضع الفاسد فى البشر البالغ الغايه فى الظلم و الفساد، مع الإيمان بصحّه هذا الدين و أنّه الخاتم للأديان يقتضى انتظار هذا المصلح (المهدي) لانقاذ العالم ممّا هو فيه.

و لأجل ذلك آمنت بهذا الانتظار جميع الفرق المسلمه، بل الامم من غير المسلمين.

غير أنّ الفرق بين الاماميه و غيرها هو أنّ الاماميه تعتقد أنّ هذا المصلح المهدي هو شخص معيّن معروف ولد سنه ٢٥٥ هـ و لا يزال حيّاً، هو ابن الحسن العسكري و اسمه (محمّد). و ذلك بما ثبت عن النبي و آل البيت من الوعد به، و ما تواتر من ولادته و احتجابه.

«إذ ليس ثمّه إمام يدعى

وجوده سواه، و هذه حقيقه واضحه و لا يضرّ الشيعة استبعاد الخصوم طول عمره هذه المدّه و ما داموا يعترفون بحياه الخضر (ع) و الدجال لعنه الله، و هما أطول منه عمرا، و ما دام القرآن الكريم يذكر لنا أنّ نوحا لبث في قومه بيث الدعوه ألف سنه إلّا خمسين عاما» (١).

المعاد:

و فيه «يعتقد الاماميه كما يعتقد سائر المسلمين أنّ الله سبحانه يعيد الخلائق و يحييهم بعد موتهم يوم القيامه للحساب و الجزاء، و المعاد هو الشخص بعينه و بجسده و روحه بحيث لو رآه الرائي لقال هذا فلان ... و يؤمنون بجميع ما في القرآن و السنّه القطعيّه من الجنه و النار و نعيم البرزخ و عذابه و الميزان و الصراط و الأعراف و الكتاب الذي لا يغادر صغيره و لا كبيره إلّا أحصاها، و أنّ الناس مجزيون بأعمالهم إن خيرا فخير و إن شرا فشر ...» (٢).

(١) - الشيعة / السيد محمّد صادق الصدر / ص ١١٩.

(٢) - أصل الشيعة و اصولها / ص ١٤٤.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٣٩

التقيّه و الرجعه و مسائل اخرى:

رغم أنّ أصحاب الفرق و الملل مع موقفهم المتميز ضدّ الشيعة لم يجعلوا من مبادئ الشيعة الأساسيه: التقيّه و الرجعه «١»، إلّا أنّ المتأخرين من كتاب الفرق الاسلاميه ركّزوا على هذين الأمرين إضافة إلى مسائل فرعيّه اخرى.

قال الذهبي: «و أشهر تعاليم الإماميه الاثني عشرية امور أربعة: العصمه و المهديّه و الرجعه و التقيّه».

لذا كان لزاما بيان هذه الامور و موقعها العقائدي عند الشيعة.

أمّا التقيّه: و هي كتمان الحق و عدم الإفصاح به، عند الخوف على النفس، فهي واجبه عند الشيعة، كما روى رخصه في جواز الإفصاح بالحق عندها «٢».

إلّا أنّها «لا تدخل في باب العقائد عند الإماميه لأنّها إذن و رخصه تباح في بعض الحالات الخاصّه التي حددتها كتب الفقهاء، لذا يعدّ الشيعة الاماميه التقيّه من الفروع و لا ينزلونها منزله العقائد ...».

و هي «مبدأ اسلامي ظهر في عهد الرسول (ص) و أقره - كما بيّننا - في حالتين، و هي قضيه عمّار بن ياسر

«٣» و قضيه الرجلين المسلمين مع مسيلمه الكذاب.

و مما يدل على أنّ التقيّه مبدأ إسلامي معروف، هو أنّ جماعات اسلاميه اخرى غير الإماميه أمثال طوائف من الخوارج و الحنابله أجازت اللجوء إلى التقيّه عند الخوف على النفس... «٤».

(١) - راجع كتاب الملل و النحل للشهرستاني / الباب السادس: الشيعة.

(٢) - التبيان / الطوسي / ج ٢ / ص ٤٣٥. راجع للتفصيل: تاريخ الإماميه / ص ١٦٦.

(٣) - راجع تفسير الآيه ١٠٦ من سوره النحل في كتب التفاسير، قوله تعالى: **إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَ قَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ**، و كذلك قوله تعالى: **لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ... إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً** (آل عمران / ٢٨).

(٤) - تاريخ الإماميه و أسلافهم من الشيعة / الفيض / ص ١٦٧.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٤٠

و فضيل كاشف الغطاء أحكامها فقال: «... و العمل بالتقيّه له أحكامه الثلاثه؛ فتاره يجب، كما إذا كان تركها يستوجب تلف النفس من غير فائده، و اخرى يكون رخصه كما لو كان في تركها و التظاهر بالحق نوع تقويه له، فله أن يضحي بنفسه و له أن يحافظ عليها، و ثالثه يحرم العمل بها كما لو كان ذلك موجبا لرواج الباطل و إضلال الخلق و إحياء الظلم...» «١».

و عن دواعيها قال: «و تعرف أنّ اللوم و التعيير بالتقيّه - إن كانت تستحقّ اللوم و التعيير - ليس على الشيعة بل على من سلبهم موهبه الحرّيه و ألجأهم إلى العمل بالتقيّه» «٢».

أمّا الرجعه: فهي تعنى الرجوع بعد الموت، أي «أنّ الله تعالى يعيد قوما من الأموات إلى الدنيا في صورهم التي كانوا عليها، فيعز فريقا و يذل فريقا آخر... و ذلك عند قيام مهدي آل

محمد عليه و عليهم أفضل الصلاه و السلام» «٣».

و قد ردّ المظفر اعتبار الرجعه نوعا من التناسخ الباطل بقوله: «و الرجعه نوع من المعاد الجسماني، فإنّ معنى التناسخ هو انتقال النفس من بدن إلى بدن آخر منفصل عن الأوّل، و ليس كذلك معنى المعاد الجسماني، فإنّ معناه رجوع نفس البدن الأوّل بمشخصاته النفسيه، فكذلك الرجعه، و إذا كانت الرجعه تناسخا فإنّ إحياء الموتى على يد عيسى (ع) كان تناسخا...» «٤».

«و قد ورد في القرآن ما يثبت وقوع الرجعه إلى الدنيا لبعض الأموات؛ كمعجزه عيسى (ع) ... و كقوله تعالى: أَنِّي يُحْيِي هَذِهِ اللَّهَ بَعْدَ مَوْتِهَا، فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ» «٥».

(١) - أصل الشيعة و اصولها/ ص ٢٣٥.

(٢) - أصل الشيعة و اصولها/ ص ٢٣٥.

(٣) - عقائد الإماميه/ ص ٨٠.

(٤) - م. ن. / ص ٨٢.

(٥) - م. ن. / ص ٨٣.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٤١

و يردّ المظفر على من يدعى أنّ فكره الرجعه تسرّبت من اليهوديه إلى الشيعة، فيقول: «و بعد هذا، أ فلا تعجب من كاتب شهير يدعى المعرفه مثل أحمد أمين في كتابه (فجر الاسلام) إذ يقول: (فاليهوديه ظهرت في التشيع بالقول بالرجعه) ...

و الحقيقه أنّه لا بدّ أن تظهر اليهوديه و النصرانيه في كثير من المعتقدات و الأحكام الاسلاميه، لأنّ النبي الأكرم جاء مصدقا لما بين يديه من الشرائع السماويه، و إن نسخ بعض أحكامها، فظهور اليهوديه أو النصرانيه في بعض المعتقدات الاسلاميه ليس عيبا في الاسلام، على تقدير أنّ الرجعه من الآراء اليهوديه كما يدعيه هذا الكاتب» «١».

و مع كل هذا، فإنّ المظفر صرح بأنّ الرجعه «ليست من الاصول التي يجب الاعتقاد بها و

النَّظَرُ فِيهَا ...» (٢).

أما الحسنى - وهو من علماء الشيعة- فقد أكد على أنّ الايمان بالرجعه ليس من العقائد و لا من الضروريات، إذ إنّه نسب إلى الكثير من الشيعة التشكيك فى صحّه ما روى بهذا الشأن، و تأويله إن ثبت تأويلا يختلف عن ظاهره، فيقول: «أما رجعه الأموات قبل المحشر فليست من عقائدهم، و لا من ضروريات مذهبهم، مع العلم بوجود بعض المرويات عن الأئمه فيها، و لكن الكثير منهم يدّعون أنّها من الموضوعات بين أحاديث أهل البيت ... و مجمل القول أنّ الرجعه ليست من معتقدات الاماميه و لا من الضروريات عندهم، و النصوص التى تعرّضت لها، لو صحّت عن الأئمه (ع) لا بدّ من تأويلها برجوع سلطان الأئمه و مبادئهم بظهور محمّد بن الحسن الإمام الثانى عشر (ع)» (٣).

و أضاف الحسنى: «و لو تغاضينا عن ذلك و قلنا بأنّها من مختصات الشيعة، أو الإماميه كما يدّعى بعض الكتاب كأحمد أمين و أمثاله، و لكنّها ليست من مخترعاتهم، و لا هى مستورده من اليهوديه كما يدّعون، لأنّ حديث رجعه الأموات قد ردّده عمر

(١)- م. ن. / ص ٨٤.

(٢)- م. ن. / ص ٨٤.

(٣)- الشيعة بين الأشاعره و المعتزله/ هاشم معروف الحسنى / ص ٢٣٦-٢٣٧.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٤٢

ابن الخطّاب فى اليوم الذى توفّى به الرّسول (ص) ... و قد رواه أكثر المحدّثين عن الخليفه الثانى و لا يجهله أحد من الكتاب و المؤرّخين» (١).

حول نشأه التشيع:

ردّد كثير من الكتاب قديما و حديثا، خصوصا من كتب فى الفرق و الملل و النحل، أنّ التشيع نشأ من اليهود الذين دخلوا الاسلام (كعبد الله بن سبأ ...!!) أو أنّ العقائد الشيعيه

متأثره بالعقائد اليهودية.

قال الأشعري القمي: «و حكي جماعه من أهل العلم أنّ عبد الله بن سبأ كان يهودياً فأسلم و والى علينا، و كان يقول و هو على يهوديته في يوشع بن نون وصى موسى بهذه المقاله ... فمن هاهنا قال من خالف الشيعة أنّ أصل الرّفص مأخوذ من اليهودية» (٢).

و مع أنّ فكره بقاء عيسى (ع) و عودته موجوده في سائر فرق المسلمين، إلا أنّ ابن حزم ربط بين فكره المهديّه عند الشيعة و أفكار عن بقاء بعض الأشخاص عند اليهودية «٣».

أمّا الأسفراييني فقد نسب هذا الادعاء بالارتباط بين التشيع و اليهوديه إلى رسول الله (ص)، فهو يقول: «و لهذا المعنى شبه النبي (ص) الرّوافض باليهود فقال: الرّوافض يهود هذه الامّه» «٤».

(١) - الشيعة بين الأشاعره و المعتزله / هاشم معروف الحسني / ص ٢٣٧. و للمزيد من مصادر حديث رجعه النبي (ص) إلى الدنيا كما ادّعاها عمر له، راجع: طبقات ابن سعد، مسند أحمد، كنز العمال، تاريخ الذهبى، اليعقوبى و أبى الفداء و غيرهم.

(٢) - كتاب المقالات و الفرق / ص ٢٠.

(٣) - مختصر الفرق بين الفرق / ص ١٢٤، نقلا عن الصّله بين التّصوّف و التشيع / ج ١ / ص ١٤٦.

(٤) - التبصير في الدين / أبو المظفر الأسفراييني / ص ٤١.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٤٣

و قد علّق محقق الكتاب في الهامش على الحديث الذي أورده قائلا: «لم نره في كتب الحديث المعول عليها، و هذا لم يثبت».

و تداول هذه المقولات كثير من الكتاب المعاصرين، كما مرّ منه قول أحمد أمين و غيره.

كما ردّد هذا المدّعى أيضا بعض المستشرقين، منهم جولد تسيهر الذي قال: «و فكره الرّجعه ذاتها ليست من وضع الشيعة أو من

عقائدهم التي اختصوا بها، و يحتمل أن تكون قد تسربت إلى الاسلام عن طريق المؤثرات اليهودية و المسيحية» (١).

بل إنّه اعتبر فكره المهدية ترجع في أصلها إلى العناصر اليهودية و المسيحية (٢).

و لغرض استكمال البحث نورد على هذا الموضوع الملاحظات التالية:

١- إنّ تهمة التأثر بالأديان السابقة قد وجهت إلى رسول الله (ص) نفسه، و نصّ الذكر الحكيم على ذلك، قال تعالى: وَ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا إِفْكُ افْتَرَاهُ وَ أَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَ زُورًا* وَ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكَتَبَهَا فَهِيَ تُمَلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَ أُصِيلًا* قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا (الفرقان / ٤-٦).

قال الطبرسي في تفسير الآيات: «ثم أخبر سبحانه عن تكذيبهم بالقرآن فقال:

وَ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا إِفْكُ افْتَرَاهُ أَي: ما هذا القرآن إلّا كذب افتراه محمد (ص) و اختلقه من تلقاء نفسه. وَ أَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ قَالُوا: أعان محمدًا (ص) على هذا القرآن عداس مولى حويطب بن عبد العزى، و يسار غلام العلاء بن الحضرمي، و حبر مولى عامر، و كانوا من أهل الكتاب. و قيل: إنهم قالوا أعانه قوم من اليهود، عن مجاهد. فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَ زُورًا أَي: فقد قالوا شركا و كذبا، حين زعموا أنّ القرآن ليس من الله. و متى قيل: كيف اكتفى بهذا القدر في جوابهم؟ قلنا: إنه لَمَّا تقدّم

(١)- العقيدة و الشريعة في الاسلام/ ص ١٩٢.

(٢)- م. ن. / ص ١٩٥.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٤٤

التحدى، و عجزهم عن الإتيان بمثله، اكتفى هاهنا بالتنبيه على ذلك. وَ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكَتَبَهَا معناه: و قالوا

أيضا هذه أحاديث المتقدمين، و ما سطروه في كتبهم انتسخها. و قيل استكتبها فهى تُملى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَ أَسْتَيْلًا أى: تملى عليه طرفى نهاره حتى يحفظها و ينسخها. و الأصيل: العشى لأنه أصل الليل و أوله. و فى هذا بيان مناقضتهم و كذبهم، لأنهم قالوا: افترأه، ثم قالوا: تُملى عَلَيْهِ فقد افترأه غيره. و قالوا: إنه كتب، و قد علموا أنه كان لا يحسن الكتابه، فكيف كتب و لم يستكتب» (١).

٢- إنَّ هذا الاتِّهام لم يكن خاصًّا بالتَّشيع، بل ذهب المستشرقون و غيرهم إلى اتِّهام الاسلام بأنَّه تأثَّر بالعقائد السَّابِقه، و أنَّ الرسول (ص) قد بَشَّر بها، امتدادا لاتِّهام المشركين له، قال جولد تسيهر: «... فتبشير النَّبىِّ العَرَبىِّ ليس إلَّا مزيجا منتخبا من معارف و آراء دينيَّه، عرفها أو استفها بسبب اتصاله بالعناصر اليهوديَّه و المسيحيَّه و غيرها التى تأثَّر بها تأثُّرا عميقا» (٢).

و هذا خلاف الواقع الذى جاء به الاسلام من نقده الشديده لعقائد أهل الكتاب المنحرفه التى كانت سائده فى المحيط العربى آنذاك.

٣- و قد ذهب إلى ما يقرب من ذلك بعض كُتَّاب الأساطير، الذين ربطوا بشكل و آخر بين ما جاء فى القرآن و ما جاء فى التوراه، و الأساطير القديمه من رموز أو إشارات أو أمثله (٣).

٤- و لا- تتعلَّق صحَّه أيَّه فكره على و رودها هنا أو عدم و رودها هناك، فإنَّ الأفكار الصحيحه كما هى الأفكار الخاطئه كانت موجوده عند مختلف الأقسام منذ ظهور البشريَّه و حتَّى يومنا هذا، و ملاك الصحَّه أو السقم يتعلَّق بذات الفكره لا من حملها أو قال بها، فقد روى عن الإمام على (ع) قوله: «اعرف الحقَّ تعرف أهله، و لا تنظر

تفسير القرآن / ج ٧ / تفسير الآيات.

(٢) - العقيدة و الشريعة فى الاسلام / ص ٤.

(٣) - راجع: مغامره العقل الاولى / فراس السواح / المقدمه.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٤٥

لمن قال و لكن انظر لما قال».

٥- و من الطبيعى أن تكون بعض الأفكار مشتركه بين الأديان المختلفه خصوصا المنزله من الله سبحانه و تعالى، إذ هى صدرت من منبع واحد رغم طروء التحريف و التبديل و التغيير فى الكثير من معتقداتها.

و «لا بد أن تظهر اليهوديه و النصرانيه فى كثير من المعتقدات و الأحكام الاسلاميه، لأن النبى الأكرم جاء مصدقا لما بين يديه من الشرائع السماويه ...» «١».

٦- و يبدو أن هذه التهمه غدت متداوله عند كثير ممن يريدون الطعن فى عقائد الآخرين، قال الذهبى فى تعريفه بمنهج أحد مفسرى الأباضية:

«و ترى المؤلف كلما سنحت له الفرصه للتنديد بجمهور أهل السنه القائلين بأن صاحب الكبيره من المؤمنين يعذب فى النار على قدر معصيته ثم يدخل الجنة بعد ذلك، ندد بهم و لمزهم.

فمثلا عند تفسيره لقوله تعالى فى الآيه ٤ من سوره البقره ... يقول: ... و ترى أقواما ينتسبون إلى المله الحنفيه يضاهنون اليهود فى قولهم: لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ» «٢».

لذا فإن هذه الدعاوى لم تثبت بالبحث العلمى إذ لم تكن تستند إلى دليل، فمجرد اطلاقها لا يثبت حقا و لا يبطل باطلا، وإنما الملاك هو قوله تعالى: فَبَشِّرْ عِبَادِ* الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَ أُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ (الزمر/ ١٧-١٨).

بقيت موارد اخرى أثارها الذهبى حول التفسير عند الشيعة و مصادره من الكتاب و السنه، و أحاديث الصحابه، و مسائل الوضع و التأويل و

غيرها، سنتناولها بالدراسة فيما يأتي من بحوث، في مواضعها المختلفه إن شاء الله.

(١) - عقائد الإماميه / ص ٨٤.

(٢) - التفسير و المفسرون / ج ٢ / ص ٣٥١.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٤٦

ولما كان الذهبي قد خصّص جزءا كبيرا من كتابه لدراسة التفسير عند الشيعة، و تناوله بالنقد و التحليل من وجهه نظر خاصه، لذا كان من الضروري دراسته منهجه في التعامل مع التفاسير عموما، و التفاسير الشيعيه بشكل خاص؛ لأننا وجدنا أنّ ما كتبه الذهبي شكّل ذهنيته سلبيه مسبقه عند كثير من الدارسين و الباحثين، ممّا يتطلّب منا التحزّر من هذه الرؤيه، و من ثمّ دراسته مسائل التفسير و قضاياها عند الشيعة، كما هي في ما بأيدينا من مصادر و نصوص، و الخروج منها باستنتاجات و آراء واقعيه.

منهج الذهبي في تقييم التفاسير:

حذّر الذهبي في مواضع كثيره من التفسير بالرأى (غير الجائز)، و اعتبر التفسير المذهبي مثالا له، و قسّم التفاسير التي تناولها بالبحث إلى قسمين:

الأول: أهم كتب التفسير بالرأى الجائز (الفصل الثالث من الجزء الأول).

الثاني: التفسير بالرأى المذموم أو تفسير الفرق المبتدعه (الفصل الرابع من الجزء الأول و الثاني).

و ضمّن القسم الأول تفاسير معيّنه وصفها بقوله: «و سبق أن تكلمنا عن التفسير بالرأى الجائز، و أهم ما ألف فيه من كتب، و ذلك هو تفسير أهل السنّه و الجماعه...» (١).

و قد قصد بذلك الأشعريّه منهم القائلين بالثشبيه، إذ إنّهُ ضمّن القسم الثاني تفاسير سائر الفرق الاخرى التي اختلفت بالرأى عن الأشعريه، كالمعتزله و الشيعة و الزيديه و الخوارج، و أضاف إليها الاسماعيليه الباطنيه و الباويه (٢) لعلّه خاصه.

و ما حذّر منه الذهبي وقع فيه، إذ إنّهُ صنّف التفاسير وفقا لعقيده المذهبيه القائمه

(٢)- إذ إنه عدّ الباطنيه من الغلاه الذين خرجوا عن دائره الاسلام ... بل هم على دين المجوس (ج ١/ ص ٣٦٥)، و لكنّه حشرهم فيما بعد وسط المعتزله و الشيعه و الزيديه و الخوارج !!!

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعه، ص: ٤٧

على مفترضات لا يتفق علماء السنّه بشأنها، فضلا عن سائر المسلمين، و لغرض بيان الأمر نقول:

آمن الذهبي بمبادئ معينه- وفاقا لبعض السلف- و جعل من هذه المبادئ معايير لتقييم أى تفسير، فمن سلّم بها فهو مسلم، و من اختلف معه فهو من الفرق المبتدعه و أهل الرأى و الهوى، و من الضرورى هنا أن نعرض لبعض عقائده، و موارد نقده.

[عقائد الذهبى]

١- رؤيه الله:

اعتقد الذهبى برؤيه الله تعالى يوم القيامه، و ذلك لأخذه بظاهر بعض الآيات الوارده بهذا الشأن كقوله تعالى: **وَجُودٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ** * إلى رَبِّهَا نَاضِرَةٌ (القيامه/ ٢٢-٢٣)، و استنادا إلى بعض الروايات من أنّ الله- تعالى عن ذلك- يظهر للناس يوم القيامه كما يظهر البدر ليله تمامه، فيرونه بأعين رءوسهم «١».

لذا فإنّ الذهبى اعتبر كلّ من أوّل الآيات القرآنيه- خلافا لما يعتقد في الرؤيه- قد فسّر القرآن برأيه متعصّبا لمذهبه، حتّى لو كانت هذه التأويلات ممّا تحتمله اللغه و تستند إلى آيات محكمه أخرى.

فهو أولا يبيّن أنّ التوحيد أساس عقيدته الاعتزال- و الشيعه بحسب رأيه أخذوا من المعتزله- فيقول فى بيان اصول المعتزله: «أمّا التوحيد فهو لبّ مذهبهم و اسّ نحلّتهم، و قد بنوا على هذا الأصل: استحاله رؤيه الله سبحانه و تعالى يوم القيامه، و أنّ الصفات ليست شيئا غير الذات، و أنّ القرآن مخلوق لله تعالى» «٢».

ثمّ راح الذهبى يتابع مفسرى المعتزله

و الشيعة .. مفسراً مفسراً، فمن لا يقول برؤيه الله- و كلهم لا يقولون بذلك- فقد فسّر الآيات تفسيراً مذهبيّاً (مبتدعاً) «٣».

(١)- الدرّ المشثور/ ج ٨ ص ٣٥٠-٣٦٠، و سنأتي على دراستها في موضوع: الوضع في التفسير.

(٢)- التفسير و المفسرون/ ج ١ ص ٣٦٩.

(٣)- م. ن/ ص ٣٧٥، ٤٠٤، ٤٤٥، ٤٥٥ و ٤٦٧ ج ٢ ص ١٤١، ١٩٧، ٢١٢ و ٢٤٨.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٤٨

ففي معرض نقده العام لاعتماد المعتزلة على التفسير اللغوي، في صرف ظاهر الآيات عن المعاني المشتبهه- كالرؤيه-، يقول الذهبي: «فمثلاً- الآيات التي تدلّ على رؤيه الله تعالى ... نجد المعتزلة ينظرون إليها بعين غير العين التي ينظر بها أهل السنّه، و يحاولون بكل ما يستطيعون أن يطبقوا مبدأهم اللغوي، حتّى يتخلّصوا من الورطه التي أوقعهم فيها ظاهر اللفظ الكريم، فإذا بهم يقولون: إنّ النظر إلى الله معناه الرجاء و التوقّع للنعمه و الكرامه، و استدلّوا على ذلك بأنّ النظر إلى الشىء في العريه ليس مختصاً بالرؤيه الماديّه...» «١».

ثمّ يتابع هذا الموضوع كأول المعايير لتقييم التفاسير، فهو عند ما يدرس (تنزيه القرآن عن المطاعن للقاضي عبد الجبار)، يقول: «و لما كان المعتزلة لا يجوّزون وقوع رؤيه الله في الآخره، فإنّ صاحبنا قد تخلّص من كلّ آيه تجوّز وقوع الرؤيه» «٢».

و عند ما يدرس (أمالى الشيخ المرتضى) يضرب من قول المرتضى بنفى الرؤيه مثالا على التعصّب المذهبي عنده، إذ إنّ «يقف من الآيات التي تعارضه موقفاً يلتزم فيه مخالفه ظاهر القرآن، و يفصل فيه التفاسير الملتويه لبعض الألفاظ على ما يتبادر منها إرضاء لعقيده و تمشياً مع مذهبه» «٣».

و كذلك فعل مع

الزمخشري، فهو يقول: «و كذلك نرى الزمخشري ... إذا مرّ بلفظ يشته عليه ظاهره و لا يتفق مع مذهبه، يحاول بكل جهوده أن يبطل هذا المعنى الظاهر و أن يثبت للفظ معنى آخر موجودا فى اللغه، فمثلا نراه عند ما تعرّض لتفسير قوله فى الآيتين (٢٢، ٢٣) من سورة القيامة: «وَجُودٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ» يتخلّص من المعنى الظاهر لكلمه ناظره؛ لأنّه لا يتفق مع مذهبه الذى لا يقول برؤيه الله تعالى ...» (٤).

(١) - م. ن / ص ٣٧٥.

(٢) - م. ن / ص ٣٩٧.

(٣) - م. ن / ص ٤٠٤.

(٤) - م. ن / ج ٢ / ص ٤٤٥.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٤٩

فيستنكر الذهبى أى تفسير آخر - غير الرؤيه بالعين الباصره - حتّى و لو كان هذا التفسير موجودا فى اللغه، و كذلك لم يرتض حمل الآيات المتشابهه على الآيات المحكمه، كحمل تلك الآيات على قوله تعالى: «لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَ هُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ (الأنعام / ١٠٣)» (١).

و تابع الذهبى هذا الموضوع مع مفسّرى الشيعة واحدا واحدا، فعند دراسته لتفسير (مجمع البيان) للشيخ الطبرسى قال: «كذلك يقول الطبرسى بما يقول به المعتزله من عدم جواز رؤيه الله و وقوعها فى الآخرة، و لهذا نراه يفسّر قوله تعالى فى الآيتين (٢٢، ٢٣) من سورة القيامة ... بما يتفق و مذهبه ...» (٢).

و تابع الأمر مع بقية المفسّرين الشيعة كالفيض الكاشانى و السيد عبد الله شبر و كذلك بيان السعاده الصوفى (٣).

٢- الكرسي:

و لما كان الله يرى - حسب عقيدة الذهبى - فلا يمنع أن يكون له عرش و كرسي (و سرير)، و هكذا فإنّ الذهبى حمل و تبنى رأى من حمل على المعتزله و كذا الشيعة؛ لأنهم

أولوا الكرسي بالعلم و القدره ... إذ عدّ الذهبي ذلك ميلا بالعبارات القرآنيه إلى ناحيه المذهب و العقيده، فينقل عن ابن قتيبه رأيه في ذلك: «و فسّروا- أى المعتزله- القرآن بأعجب تفسير، يريدون أن يردّوه إلى مذهبهم، و يملوا التأويل على نحلهم، فقال فريق منهم فى قوله تعالى: وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ (البقره/ ٥٥)، أى علمه ... يستوحشون أن يجعلوا لله تعالى كرسيًا أو سريرا!! و يجعلون العرش شيئًا آخر، و العرب لا تعرف من العرش إلّا السرير ...» «٤».

(١)- م. ن / ص ٤٥٥.

(٢)- م. ن / ص ١٤١.

(٣)- م. ن / ص ١٩٧، ٢١٢ و ٢٤٨.

(٤)- م. ن / ج ١ / ص ٣٧٨.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٥٠

و هكذا تابع الذهبي موضوع الكرسي، و موقف المفسرين (المبتدعه) منه: هل يقولون بالمعاني الظاهره للعرش و الكرسي - حسبما يراها-، أم يؤولون هذه المعاني؟

لذا تابع هذا الموضوع مع الزمخشري و غيره من المفسرين «١».

٣- سحر النبى (ص):

يعتقد الذهبي أنّ رسول الله (ص) قد سحر و أثر فيه السّحر بما لا يחדش جانب نبوته، و أنّ تأثير السّحر عليه لا يعدو أن يكون مرضا بدنيا كالعقد عن النساء!! كما إنّه يعتقد أنّ شيطانا من الجنّ عرض للنبى (ص) و هو فى الصلاه يريد أن يشغله عنها، فأمكنه الله منه!!

و يعتمد فى ذلك على بعض الأحاديث التى أخرجها البخارى. و لكنّه يبالغ فى عقيدته تلك حتى يجعل منها ركنا هامًا يحاكم بها غيره ممّن ينفى وقوع السّحر على النبى (ص)، و ذلك من باب التنزيه و حفظ الله له.

و يعتبر من ينكر ذلك من الذين يفسرون القرآن «على ضوء ما أنكروه من الحقائق الدينيه الثابته

«... مع اعترافه بأن بعض أهل السنّة ينكر أنّ رسول الله (ص) قد سحر «٢».

و راح الذهبى - كسابق عهده - يتابع هذا الأمر مع مختلف المفسّرين (بالرأى المذموم) أو (تفسير الفرق المبتدعه)، و يجد أنّ من مبتدعات هؤلاء إنكارهم وقوع السّحر على النّبىّ (ص). فهذا هو يقول عن الطبرسى: «و الطبرسى ينكر حقيقه السّحر و لا يقول به، و يخالف جمهور أهل السنّة فى ذلك، و يردّ أدلّتهم و ينكر حديث البخارى فى سحر رسول الله (ص) ...» على أنّ الطبرسى لم ينكر حقيقه السّحر و لا أثبتته، و نقل الأقوال فيه بعنوان (و قيل ... و قيل)، و لكنّه يردّ الأخبار فى وقوع السّحر على النّبىّ (ص) مستندا إلى أنّ وقوع السّحر عليه كان من مدعيات الكفّار، و قد حكى الله تعالى

(١) - م. ن / ص ٤٥٠.

(٢) - م. ن / ص ٣٨٢.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٥١

على لسانهم قولهم إِنَّ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا (الفرقان / ٨)، منزها النّبىّ (ص) عن كل صفة نقص تنفر عن قبول قوله، فإنّه حجّه الله على خلقه و صفوته على بريّته ... «١».

و تابع الأمر مع بقيه المفسّرين، حيثما كان لأحدهم نظر فى هذا الموضوع، فتحت عنوان: (تأثر الجصاص بمذهب المعتزله)، ذكر أنّ الجصاص - الحنفى - ينكر حديث البخارى فى سحر رسول الله (ص)، و يقزّر أنّه من وضع الملاحده «٢».

و تحت عنوان: (إنكاره لبعض الأحاديث الصحيحه) عند دراسته لتفسير الاستاذ الإمام محمّد عبده، قال: «ثم راح الشيخ - رحمه الله - يردّ ما جاء من الروايات فى سحر الرسول (ص) ...».

ثمّ أورد رأى الشيخ عبده فى هذه الروايات، التى تصرّح بأنّ النّبىّ (ص) سحره لبيد بن الأعصم

و أثر سحره فيه، حتّى كان يخيل له أنّه يفعل الشىء و هو لا يفعله، أو يأتى شيئاً و هو لا يأتيه، إذ قال عبده: «... و لا يخفى أنّ تأثير السّحر فى نفسه (ع) حتى يصل به الأمر إلى أن يظنّ أنّه يفعل شيئاً و هو لا يفعله، ليس من قبيل تأثير الأمراض فى البدن، و لا من قبيل عروض السّيهو و النسيان فى بعض الامور العاديّه، بل هو ماس بالعقل آخذ بالروح، و هو ممّا يصدق قول المشركين فيه إنّ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا (الفرقان/ ٨)، و ليس المسحور عندهم إلّا من خولط فى عقله و خيل له أنّ شيئاً يقع و هو لا يقع، فيخيل إليه أنّه يوحى إليه، و لا يوحى إليه.

و قد قال كثير من المقلّدين الذين لا يعقلون ما هى النبوه، و لا ما يجب لها: إنّ السّحر فى النفس الشريفه قد صحّ، فيلزم الاعتقاد به، و عدم التصديق به من بدع المبتدعين؛ لأنّه ضرب من إنكار السّحر، و قد جاء القرآن بصحّه السّحر.

(١) - م. ن / ج ٢ / ص ١٤٤.

(٢) - م. ن / ص ٤٨٣.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٥٢

فانظر كيف ينقلب الدّين الصحيح و الحق الصريح فى نظر المقلّد بدعه، و نعوذ باللّهِ، يحتجّ بالقرآن على ثبوت السّحر و يعرض عن القرآن فى نفيه السّحر عنه (ص) و عدّه من افتراء المشركين عليه، و يؤوّل فى هذه و لا يؤوّل فى تلك، مع أنّ الذى قصده المشركون ظاهر؛ لأنّهم كانوا يقولون إنّ الشيطان يلبسه عليه الصلاه و السلام، و ملبسه الشيطان تعرف بالسّحر عندهم، و ضرب من ضرّوبه، و هو بعينه أثر السّحر

الذى نسب إلى لبيد، فإنه خولط في عقله و إدراكه في زعمهم».

لكنّ الذهبى و رغم كل هذه الدلائل و البينات، يصرّ على وقوع السّحر؛ لأنّ هذا الحديث الذى يرده الاستاذ الامام- محمّد عبده- رواه البخارى و غيره من أصحاب الكتب الصحيحه- و إن تعارض مع القرآن-، ثمّ يحاول الذهبى توجيه الحديث توجيها أبشع منه، فيتحدّث عن أنّ السّحر كان له تأثير فى المسائل الجنسيّه للرسول (ص)- و العياذ بالله-، فيقول: «فإنّ السحر الذى اصيب به (ع) كان من قبيل الأمراض التى تعرض للبدن بدون أن تؤثر على شىء من العقل، و قد قالوا إنّ ما فعله لبيد بن الأعصم بالنبي (ص) من السحر لا يعدو أن يكون نوعا من أنواع العقد عن النساء، و هو الذى يسمّونه (رباطا)، فكان يخيّل إليه أنّ عنده قدره على إتيان إحدى نساءه، فإذا ما همّ بحاجته عجز عن ذلك...».

فمن الذين قالوا ذلك، و كيف عرفوه، و كيف تجرّءوا فى الروايه عن مثل هذه المسائل الخاصّه؟ و الواقع أنّ ذلك يدعونا إلى إعادة النّظر فى مثل هذه المرويّات «الجنسيّه»، و التى استند إليها الملعون «سلمان رشدى» فى كتابه، و من قبله بعض المستشرقين.

٤- منهج الذهبى فى دراسه التفاسير الشيعيه:

أطلعنا فيما سبق على منهجيّه الذهبى فى تقييم التفاسير المختلفه- عن مذهبه-، و لكنّه كان له موقف و تعامل خاص مع الشيعه، تميّز به كتابه ابتداء من أوّله حتّى الصفحات الأخيره منه، و لأنّ لهذا الموقف أثره السّلبى فى دراسه التفسير بالمأثور عند

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعه، ص: ٥٣

الشيعه، حيث أنّه يعكّر الجوّ العلمى فضلا عن الأخلاقى، و الذى يتطلّبه عصرنا بما يحمل من سمات العلم و الموضوعيه و التسامح و الحوار بين

الحضارات و الثقافات المختلفه، لذا كان من الضروري تشخيص نقاط الخطأ و الاشتباه عند الذهبي لتجنبها في دراساتنا و بحوثنا بهذا الشأن، و من أهمها:

١- اعتمد الذهبي في تعريفه بعقائد الشيعة و تعاليمهم على كتب قامت أساسا على العداة للشيعة، و لم يعتمد على مصادر شيعيه سوى مصدر واحد- أعيان الشيعة، و هو موسوعه ذات طابع تاريخي- مع توفر العديد من المصادر الشيعيه في المكتبات المصريه، و مع أنّ بعض كتب التفسير التي راجعها- كمجمع البيان للطبرسي- قد تعرّض لهذه الموضوعات، و لكنّه لم يعتمد عليها بهذا الشأن.

فمن المصادر التي اعتمدها:

- التبصير في الدين للاسفراييني.

- الفرق بين الفرق للبغدادى.

- ضحى الاسلام لأحمد أمين.

- الوشيعة في نقد عقائد الشيعة لموسى جار الله.

و هي جميعا امتازت بالهجوم الشديد على الشيعة و التشنيع بعقائدهم، علما بأنّ بعض هذه الكتب هي أيضا ممّا أغفلت الرجوع إلى المصادر الشيعيه المعتمده.

٢- خلط الذهبي بشكل مقصود بين الشيعة الإماميه و طوائف الغلاة- ممّن كفرهم الشيعة و تبرّءوا منهم-، و حاكم الشيعة على أساس عقائد الغلاة و الباطنيه المفترقين عن الشيعة «١».

فقد جعل من الشيعة «الغلاة الذين رفعوا علينا إلى مرتبه الآلهه، فكفروا».

(١)- كذلك فعل المستشرق جولد تسيهر في كتابه: العقيدة و الشريعه في الاسلام/ ط دار الرائد العربي / ص ١٧٤.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٥٤

ثمّ- لغرض ما- قام الذهبي بسرد مفصل لآراء فرق الغلاة المنقرضه و المتقاطعه مع الشيعة؛ كالسبئيّه و المغيريه و المنصوريه و الخطايبه و العبيديه، و رغم اعترافه بأنّ هذه الطوائف قد باد معظمها «١»، إلّا أنّه لم يفته أن يدسّ في الوسط رأيه، و الذي يكشف به عن نيّاته، فيقول: «فأنت ترى أنّ

هؤلاء الغلاة الذين كفروا بما يعتقدون، يجدون في صرف اللفظ القرآني عن معناه الذي سيق له إلى معنى يتفق مع عقيدتهم و يتناسب مع أهوائهم و نزعاتهم ... كذلك نجد الإماميه الاثنى عشرية يميلون بالقرآن نحو عقائدهم و يلوونه حسب أهوائهم و مذاهبهم ...» (٢).

و قد سبق أن تعرّفنا على نماذج من التفسير المذهبي الذي يقصده، و منه تنزيه الله تعالى عن الجسميه و الرؤيه ...

جدير ذكره أنّ اسم الشيعة يطلق اليوم على الإماميه، و هي ثاني الطوائف الاسلاميه في العالم، و عددهم يقارب المائتي مليون، و لا- يشمل بأى حال فرق الغلاة، على أنّ الغلاة ظهروا في مختلف طوائف المسلمين، و هذا ما أكّده ابن حزم، الذي قال: «و قد تسمّى باسم الاسلام من أجمع جميع فرق الاسلام على أنّه ليس مسلماً، مثل طوائف من الخوارج غلوا ... و طوائف من المرجئه ... و آخرون كانوا من أهل السنّه ... و طوائف كانوا من الشيعة ...» (٣).

و قد ذكر الشهرستاني في معرض حديثه عن الفرق الغاليه، عددا من غلاة أهل السنّه القائلين بالتناسخ و التشبيه و التجسيم.

٣- كذلك نسب المذهبي إلى الشيعة القول بالتفويض، و أنّهم يرون أنّ الله يفوض تعيين بعض الامور إلى رأى النبي و رأى الإمام، مثل الزيادة في عدد الركعات.

(١)- التفسير و المفسّرون/ ج ٢/ ص ٢٤.

(٢)- م. ن/ ص ١٨.

(٣)- الغلوّ و الفرق الغاليه في الحضاره الاسلاميه/ د. عبد السلام سلّوم السامرائي/ ص ٨٢.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٥٥

و لكننا في المقابل نجد أنّ الشيعة تبرّءوا من المفوضه، فهذا شيخهم المفيد يقول:

«و المفوضه صنف من الغلاة، و قولهم الذي فارقوا به

من سواهم من الغلاة، اعترفهم بحدوث الأئمة، وخلقهم ونفى القدم عنهم، وإضافه الخلق والرّزق مع ذلك إليهم، ودعواهم أنّ الله سبحانه وتعالى تفرّد بخلقهم خاصّه، وأنّه فوّض إليهم خلق العالم بما فيه وجميع الأفعال».

و الغلاة قال عنهم من قبل إنهم: «ضلال كفّار» (١).

٤- ثمّ حاول الذهبي الرّبط بين الشيعة والمعتزلة، وأنّ الاماميه الاثني عشرية تأثروا بأراء المعتزلة، وأوعز ذلك إلى تتلمذ الكثير من شيوخ الشيعة و علمائهم على بعض شيوخ المعتزلة (٢).

و يلاحظ على ذلك أنّه سبق وأن اعتبر الذهبي المذهب الشيعي من أقدم المذاهب الاسلاميه، وأنّ مبدأ ظهوره كان في آخر عهد عثمان، ثمّ نما واتسع على عهد عليّ (٣).

و أمّا المعتزلة فإنّ ظهورهم كان على يد واصل بن عطاء المتوفى سنة ١٣١ هـ، أي بعد مائه عام تقريبا من بدايات التشيع بحسب رأيه.

وقد نقل الشهرستاني أنّ الامام الباقر: محمّد بن علي بن الحسين (ت ١١٧ هـ)، قد جرت بينه وبين أخيه زيد بن علي مناظرات من حيث أنّ زيدا كان يتلمذ لواصل بن عطاء، و يقتبس العلم ممّن يجوّز الخطأ على جدّه في قتال الناكثين و القاسطين و المارقين، و من حيث يتكلّم في القدر على غير ما ذهب إليه أهل البيت... (٤).

كما ذكر أيضا أنّ الصادق (ع) برئ من الاعتزال و القدر (٥).

(١)- شرح عقائد الصدوق/ الشيخ المفيد/ في الغلوّ و التفويض.

(٢)- التفسير و المفسّرون/ ج ٢/ ص ٢٩.

(٣)- م. ن/ ص ٥.

(٤)- الملل و النحل/ ج ١/ ص ١٣٩.

(٥)- م. ن/ ص ١٤٧.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة،

و الواقع أنّ الناظر إلى عقائد الفريقين قد يجد بعض التقارب و التوافق في بعض مسائل التوحيد و نفى الرؤيه و تنزيه الله تعالى عن التشبيه، إلّا أنّ هناك الكثير من المسائل التي يختلف فيها الشيعة عنهم.

و قد أَلَّفَ الشيخ المفيد، و هو استاذ المرتضى- الذي صنّفَ الذهبى كتابه ضمن تفاسير المعتزله- أَلْفَ كتابا للتمييز بين عقائد الشيعة و المعتزله أولاً، ثم سائر الفرق، قال: «... فإنّي بتوفيق الله و مشيئته مثبت في هذا الكتاب ما آثرت اثباته من فرق ما بين الشيعة و المعتزله، و فصل ما بين العدليه من الشيعة و من ذهب إلى العدل من المعتزله، و الفرق ما بينهم من بعد، و ما بين الاماميه فيما اتفقوا عليه من خلافهم فيه من الاصول...» (١).

ثمّ يبيّن بأنّ محور عقيدته التشيع قائم على أساس الولاء و الاتّباع لأمر المؤمنين على (ع)، و الاعتقاد بإمامته بعد الرسول (ص) بلا فصل... و هذا ما لا- تقول به المعتزله التي و سمت بالاعتزال عند ما قالت بالمنزله بين المنزلتين (أنّ الفاسق من هذه الامّه لا مؤمن و لا- كافر)، و هو ما لا تقول به الشيعة، فهم يقولون إنّ المعتزله تفرّدوا «بما ذهبوا إليه في هذه المسأله من جميع الامّه و سائر العلماء» (٢).

ثمّ تابع المفيد عرض عقائد الشيعة و آرائها في مختلف المسائل، مبينا أوجه الاتفاق أو الافتراق مع الفرق الاخرى، و من المسائل التي ذكر فيها اختلاف الشيعة مع المعتزله هي: القول في الوعيد، الشفاعة، مرتكب الكبائر، الفرق بين الاسلام و الايمان، التوبه، المفاضله بين الأنبياء و الملائكه، و عصمه الأنبياء... فيما اتفق قولهم في التوحيد و الصفات، و

(١) - أوائل المقالات / الشيخ المفيد / ص ٤٠.

(٢) - م. ن / ص ٤٥.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٥٧

٥- مصادر موهومه:

ادعى الذهبي أن هناك مصادر معينه يرجع إليها الشيعة في تفسيرهم، قال:

«يعتمد الشيعة الإماميه الاثنا عشرية في تفسيرهم للقرآن الكريم و نظراتهم إليه، على أشياء لا تعدو أن تكون من قبيل الأوهام و الخرافات التي لا توجد إلّا في عقول أصحابها، فمن ذلك الذي يعتمدون عليه ما يأتي:

١- جمع القرآن الكريم و تأويله، و هو كتاب جمع فيه على (رض) القرآن على ترتيب النزول ...».

ثم عدّ الذهبي الثاني كتابا من إملاء على في علوم القرآن ...، و الثالث الجامعه من إملاء رسول الله (ص) و خط على (ع) في الحلال و الحرام، و الرابع الجفر ... من العلوم النبويه، و الخامس مصحف فاطمه ...

ثم قال معقبا: «هذه هي أهم الأشياء التي يستند إليها الإماميه الاثنا عشرية في تفسيرهم لكتاب الله تعالى، و هي كلّها أوهام و أباطيل لا ثبوت لها إلّا في عقول الشيعة ...» «١».

أمّا ما ذكره من اعتماد المفسّرين الشيعة على هذه المراجع في تفسيرهم، فهو ادعاء واه لا يقوم عليه دليل و لا حجّه، يفنّده أنّ الذهبي نفسه قد راجع بعضا من تفاسيرهم و ليس فيها دليل واحد على رجوعهم إلى هذه الكتب، و لا نعلم من أين جاء الذهبي بهذا الأمر.

و أمّا وجود هذه الكتب من حيث الأصل، فلا يمنع من وجودها شرع و لا عقل، و قد دلّ على وجودها روايات و أخبار من كتب الفريقين، أشرنا إلى بعضها في الفصل الخاص بأهل البيت (ع).

فقد اتّفقت الروايات على

(١)- التفسير و المفسرون/ ج ٢/ ص ١٩- ٢١.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٥٨

اليوم بالتفسير، قال عنه ابن سيرين: «فلو اصيب ذلك الكتاب كان فيه علم» «١»، إلّا أنّ هذا الكتاب- و كذا غيره- لا يوجد في أيدي الناس، و لا ادعى أحد الروايه عنه، و لكنّه وردت روايات عديده بوجود الكتب عند الأئمه (ع) دون غيرهم.

٦- مصادر تفسير الشيعة عند الذهبي:

اختار الذهبي مصادر لدراسه التفسير عند الشيعة، كان منها ما هو مجهول و متروك عند الشيعة و غيرهم، و منها ما عدّها الشيعة أنفسهم من الموضوعات، و أخرى من تفاسير الصوفيه لا الشيعة، و هي:

أولاً: «مرآه الأنوار و مشكاه الأسرار» للمولى عبد اللطيف الكازراني، الذي ابتدأ به الذهبي دراسته للتفاسير الشيعيه و وصفه بأنه: «يعدّ مرجعاً مهمّاً من مراجع التفسير عند الاماميه الاثني عشرية، و أصلاً لا بدّ من قراءته لمن يريد أن يقف على مدى تأثير عقيدته و من على شاكلته في فهمه لكتاب الله، و تنزيله لنصوصه على وفق ميوله المذهبيه و هواه الشيعي...» «٢».

هذا المرجع المهم الذي اختاره الذهبي، عرّفه بأنه: الكازراني مولداً، النجفي مسكناً، و علّق في الهامش بقوله: «لم نقف له على ترجمه أكثر من هذا!!»

كما إنّ الذهبي اعترف بأنّه لم يظفر بالكتاب و لم يطلع عليه، و إنّما وجد مقدّمته فقط، فوجد فيها ضالّته المنشوده في التشهير بأرائه و إلصاقها بالشيعة، فأغنته عن التحقّق من وضع الكتاب و مؤلّفه.

(١)- تاريخ القرآن/ ص ١٨٥، و روايات جمع على (ع) للقرآن في: تاريخ الخلفاء/ ص ١٦٥، الصواعق المحرقة/ ص ١٢٦، طبقات ابن سعد/ ج ٢/ ص

٣٣٨، كنز العمال/ ج ٢/ ص ٣٧٣، أنساب الأشراف/ ج ١/ ص ٥٨٧، و راجع للمزيد: القرآن الكريم و روايات المدرستين/ ج ٢/ ص ٤٠٢.

(٢)- التفسير و المفسرون/ ج ٢/ ص ٥٠.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٥٩

فقد ذكر العلّامة الطهراني - في موسوعته - اسم الكتاب على أنه للمولى الشريف العدل أبي الحسن الفتونى النباطى العاملى الاصفهانى الغروى.

و هذا التفسير من المتروكات، و لم يرجع إليه أى من المفسرين الشيعة، و لعدم شهره الكتاب و مجهوليته، فإنه طبع فى ايران سنه ١٣٠٣ هـ، و نسب فى الطبع إلى الشيخ عبد اللطيف الكازرونى لعدم اطلاع مباشر الطبع «١».

هذا الكتاب المجهول الهويّه، اختاره الذهبى ليكون «خير مرجع يصوّر لنا معالم التفسير عند الاماميه الاثنى عشرية...» «٢»، مع أنّ الناظر إلى مقدّمته يجده أقرب إلى تفاسير الباطنيه منه إلى الإماميه، و لا نعلم لم ابتدأ به الذهبى مع أنّه من تفاسير القرن الثالث عشر الهجرى، و حاله كما علمت.

و على نهج الذهبى سار الزرقانى الذى عدّ أوّلا الغلاه و السبئيه من الشيعة، ثمّ قدّم ثانيا: «مرآه الأنوار و مشكاه الأسرار» للمولى الكازرونى كنموذج و حيد لتفاسير الشيعة !!.. «٣»

ثانيا: تفسير (الإمام الحسن العسكرى)، و الذى وصفه الذهبى بأنّه: «يمثّل لنا تفسير إمام من أئمّتهم المعصومين الذين عندهم علم الكتاب كلّّه، ظاهره و باطنه» «٤».

هذا الكتاب، و رغم أنّ البعض ربّما نقل منه بعض الروايات، إلّا أنّ أعلام الشيعة و منذ القدم عدّوه من الموضوعات، و نفوا نسبته إلى الإمام العسكرى (ع).

فقد قال عنه و عن راويه، ابن الغضائرى، و هو من أعلام الرجال عندهم: «محمّد ابن القاسم المفسّر الاسترآبادى: روى عنه أبو جعفر بن بابويه،

ضعيف كذاب، روى عنه تفسيراً يرويه عن رجلين مجهولين أحدهما يعرف بيوسف بن محمد بن زياد،

(١) - الذريعة إلى تصانيف الشيعة / الشيخ آغا بزرك الطهراني / ج ٢٠ / ص ٢٦٤.

(٢) - التفسير و المفسرون / ج ٢ / ص ٨١.

(٣) - مناهل العرفان في علوم القرآن / الشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني / ج ٢ / ص ٨٥.

(٤) - م. ن / ص ٤٩.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٦٠

و الآخر على بن محمد بن يسار، عن أبيهما، عن أبي الحسن الثالث عليه السلام.

و التفسير موضوع عن سهل الديباجي عن أبيه بأحاديث من هذه المناكير «١».

و قال الامام الخوئي: «التفسير المنسوب إلى الامام العسكري، إنما بروايه هذا الرجل - على بن محمد بن يسار - و زميله يوسف بن محمد بن زياد، و كلاهما مجهول الحال ... هذا مع أنّ الناظر في هذا التفسير لا يشكّ في أنّه موضوع، و جلّ مقام عالم محقق أن يكتب مثل هذا التفسير، فكيف بالإمام عليه السلام» «٢».

و قد عقد العلامة التستري - و هو من الأعلام المعاصرين - فصلاً عن الأحاديث الموضوعه في «أخبار التفسير الذي نسبوه إلى العسكري (ع) بهتاناً»، و قال عنها:

«يشهد لافتراءها عليه و بطلان نسبتها إليه، أولاً: شهادة خربت الصنائه و نقاد الآثار أحمد بن الحسين الغضائري، استاذ النجاشي، أحد أئمة الرجال ... و ثانيهما: بسير أخباره، فراها واضحه البطلان مختلفه بالعيان» «٣».

ثم إنّ العلامة البلاغي صاحب (تفسير آلاء الرحمن)، و الذي كان عند الذهبي نسخه منه، قال عن هذا التفسير المنسوب للعسكري (ع) في مقدمه تفسيره: «و أما التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري (ع) فقد أوضحنا في رساله منفرده في شأنه أنّه مكذوب موضوع، و ممّا يدلّ على ذلك نفس

ما فى التفسىر من التناقض و التهافت فى كلام الراوىىن، و ما يزعمان أنه روايه، و ما فىه من مخالفه للكتاب المجىد و معلوم التاريخ، كما أشار إله العلامه فى الخلاصه و غيرهه «٤».

و لا نعلم لما ذا اختار الذهبى هذا التفسىر، و هذا شأنه؟ و لما ذا لم يخر الذهبى تفسىر (آلاء الرحمن) المذكور و قد كان عنده، و هو من أفضل التفسىر، و اختار تفسىر

(١) - معجم رجال الحديث / ج ١٨ / ص ١٦٢.

(٢) - م. ن / ج ١٣ / ص ١٥٥.

(٣) - مستدرک الأخبار الدخيله / التسترى / ج ١ / ص ١٥٢.

(٤) - آلاء الرحمن / ج ١ / ص ٤٩.

التفسىر بالمأثور و تطويره عند الشيعه، ص: ٦١

الكازرونى دونه!!

ثالثا: كتاب (بيان السعاده فى مقامات العباده): و الذى عرّف الذهبى مؤلفه بأنه:

«هو سلطان محمّد بن حيدر الجنازى الخراسانى، أحد متطرّفى الإماميه الاثنى عشرىه فى القرن الرابع عشر الهجرى». و قال فى هامشه: «لم نقف على ترجمته أكثر من هذا» «١».

و هو من تفاسير الصوفيه، فقد قال عنه الطهرانى: «طبع بطهران فى مجلد كبير سنة ١٣١٤ هـ على نفقه أصحاب العارف المعاصر المولى سلطان محمّد بن حيدر الكنازى (الجنازى) الخراسانى المتوفى حدود ١٣٢٠ معتقدين أنه تصنيف شيخهم المذكور ... و لكن تبهنى العالم البارع المعاصر السيد حسين القزوينى الحائرى بانتحال وقع فى هذا التفسىر يكشف عن كونه لغيره و لو فى الجملة، فإنّ ما أورده فى أوله من تشقيق وجوه إعراب فواتح السور من الحروف المقطّعات و إنهاء تلك الشقوق إلى ما يبهر منه العقل، توجد بتمام تفاصيلها و عين عباراتها فى رساله الشيخ على بن أحمد المهائى الكوكنى النوائى المولود سنة ٧٧٦ و المتوفى سنة

٨٣٥ المشهور ب (مخدوم على المهائمي) و قد ذكر ألفاظ رساله السيد غلام على آزاد البلكرامي في كتابه (سيحه المرجان) المؤلف سنه ١١٧٧ و المطبوع سنه ١٣٠٣ ... قال: وله (التفسير الرحمانى) و الزوارف فى شرح عوارف المعارف، و شرح الفصوص لمحبي الدين ... (أقول) و تفسيره الموسوم ب (تبصير الرّحمن و تيسير المّنان) طبع فى دهلى سنه ١٢٨٦ و فى بولاق سنه ١٢٩٥ ...، و بالجمله المقدار المذكور من رساله المهائمي فى هذا التفسير ليس هو جمله و جملتين أو سطرا و سطرين حتى يحتمل فيه توارد الخاطرين، و توافق النظرين، فهذا الانتحال ثبطنا عن الإذعان بصدق النسبه إلى من اشتهر بأنّه له، و الله العالم» (٢).

فالتفسير المذكور من تفاسير الفرق الصوفيه، و ليس من تفاسير الشيعة الإماميه، و واقع نسبته إلى مؤلفه مختلف فيه، كما إنّ الذهبى لم يقف على ترجمه له، و وصفه بأنّه:

(١) - الذهبى / ج ٢ / ص ٢١٤.

(٢) - الذريعه / ج ٣ / ص ١٨١.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٦٢

«أحد متطرّفى الإماميه الاثنى عشرية فى القرن الرابع عشر الهجرى» (١).

فإذا كان الذهبى أخطأ فى انتخاب ثلاثه من نماذجه السّته التى عرضها للتفسير عند الشيعة، و بنى عليها الكثير من استنتاجاته و آرائه ... إذا كان قد أخطأ فى كلّ هذه المقدمات، فإنّ النتيجة تتبع أحسن المقدمات، و بذات يظنّ فى الكثير ممّا رآه و رواه.

و ممّا يدلّ على تأثر الكثيرين بالذهبى و تقليدهم له، من غير تثبت، قول بعضهم:

«و أقدم تفسير شيعى للقرآن كان فى القرن الثانى الهجرى، و هو تفسير جابر الجعفى المتوفّى سنه ثمان و عشرين و مائه، و هو غير موجود

بين أيدينا، ثم يجيء تفسير (بيان السعاده فى مقام العباده) للسلطان محمد بن حجر البجختى، و قد انتهى منه سنه إحدى عشره و ثلاثمائه ...».

و قد علمنا حال «بيان السعاده» المزعوم و تاريخ كتابته المتأخر و المختلف فيه.

و قد عقد هذا المؤلف فصلا بعنوان (انحراف الغلاه و المتعصيين فى تفسيرهم) ...

و تحدّث فيه عن الخوارج و الجبريه و المعتزله و الرافضه، و عن الأخيرين - و يقصد بهم الشيعة - ضرب لتفسيرهم مثلا: كتاب (مرآه الأنوار و مشكاه الأسرار) و نسبه للمولى الكازرانى، و قد علمنا حاله أيضا، فهو مجهول النسبه و من المتروكات.

و قد راجعنا مصادر كتابه البالغه مائه و ثمانيه و عشرين مصدرا، فلم نجد فيها كتابا واحدا من كتب الشيعة، فيما كان كتاب الذهبى (التفسير و المفسرون) من ضمنها «٢».

و ما سبق يعطينا تصوّرا واضحا عن قلّه الموضوعيه فيما يكتب عن المذاهب الاخرى التى لا تتفق مع رأى الكاتب و عقيدته، و هو من أهم الأسباب التى أضرتّ ببحوثنا العلميه و سبّبت تأخرنا و تخلفنا الحضارى، إذ حلّت العواطف و الأحاسيس محلّ العقل و أحكامه.

(١) - التفسير و المفسرون / ج ٢ / ص ٢١٤.

(٢) - انظر الكتاب المذكور: اصول التفسير و قواعده / الشيخ خالد عبد الرحمن العك / ص ٢٤٧ و ٢٥٠.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٦٣

الفصل الثانى مصادر التفسير بالمأثور

اشاره

القرآن الكريم، السنّه النبويه، أهل البيت (ع)، الصحابه، التابعون.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٦٥

١- القرآن الكريم

اشاره

أنزل الله تعالى القرآن لكافه الناس، فقال جلّ و علا: هذا بيان للناس (آل عمران / ١٣٨)، و تكفّل هو بيان القرآن قائلا: ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ (القيامه / ١٩)، و بين أنّ ما جاء به فى القرآن هو أفضل البيان و أحسنه، فقال: وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَ

أَحْسَنَ تَفْسِيرًا (الفرقان / ٣٣).

و لما كان القرآن تَبَيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ (النحل / ٨٩)، كان من الطبيعي أيضا أن يكون مَبِينًا لِنَفْسِهِ، إذ لا يعقل أن يكون المَبِينُ لغيره يحتاج إلى الغير في بيان نفسه، إذ إنه «ينطق بعضه ببعض، و يشهد بعضه على بعض، و لا- يختلف في الله و لا- يخالف بصاحبه عن الله» (١).

و لما كانت القاعده في الرسالات أن الله تعالى إذا خاطب أمه خاطبها بلغتها، و ما أُرْسِلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ (إبراهيم / ٤)، لذا أنزل الله تعالى القرآن بلسان عربي، و لحكمه بالغه جعل كتاب الله الخالد لكافة الشعوب و الأزمان بهذه اللغه العظيمة ذات القدرات الهائلة في البلاغه و التعبير و استيعاب المعاني الحاضره و المستقبله.

و إذ نزل القرآن بلسان عربي مَبِينٍ في زمن أفصح العرب و على أساليب بلاغتهم، فإنهم كانوا يفهمونه و يعلمون ظواهره و أحكامه (٢).

(١)- نهج البلاغه / الإمام عليّ (ع) / الخطبه ١٣٣.

(٢)- مقدمه ابن خلدون / ص ٤٨٩، البرهان في علوم القرآن / ج ١ / ص ١٤.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٦٦

«فالواجب أن تكون معاني كتاب الله المنزل على نبينا محمد (ص)، لمعاني كلام العرب موافقه، و ظاهره لظاهر كلامها ملائما، و

إن بآينه كتاب الله بالفضيله، التي فضل بها سائر الكلام و البيان ...» (١).

فإن القرآن الكريم يخاطب الكل و يرشدهم إلى مقاصده، و قد تحدى في كثير من آياته الاتيان بمثله و احتج بذلك على الناس و وصف نفسه بأنه النور و الضياء لكل شىء، فلا يكون مثل هذا الكتاب محتاجا إلى شىء آخر (٢).

و يتفق المفسرون في «أن أحسن طريق التفسير أن يفسر القرآن بالقرآن، فما اجمل في مكان فقد فضل في موضع آخر، و ما اختصر في مكان فإنه بسط في آخر» (٣)، إذ «القرآن يفسر بعضه بعضا» كما قال الزمخشري (٤).

لذا فمن «أراد تفسير الكتاب العزيز طلبه أولا من القرآن» (٥).

و قال الطبرى: «إن أبين البيان بيانه، و أفضل الكلام كلامه، و إن قدر فضل بيانه- جل ذكره- على بيان جميع خلقه كفضله على جميع عباده» (٦).

و اعتبره آخرون أصح الطرق، قال ابن كثير: «إن أصح الطريق في ذلك- التفسير- أن يفسر القرآن بالقرآن، فما اجمل في مكان فإنه قد بسط في موضع آخر» (٧).

(١)- تفسير الطبرى / ج ١ / ص ٧ / خطبه الكتاب.

(٢)- القرآن فى الاسلام / العلامة الطباطبائى / ص ٨٠.

(٣)- البرهان / ج ٢ / ص ١٧٥.

(٤)- الكشاف / ج ١ / ص ٤٠٦.

(٥)- الإتقان / السيوطى / ج ٢ / ص ١١٩٧.

(٦)- تفسير الطبرى / ج ١ / ص ٧.

(٧)- تفسير ابن كثير / ج ١ / ص ٧.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٦٧

و هو مقدم على غيره، قال الكلبي: «إذا دلّ موضع من القرآن على المراد بموضع آخر حملناه عليه و رجحنا القول بذلك على غيره من الأقوال» (١).

نعم، قد ذهب بعض الباحثين إلى أن نزول القرآن بلغه العرب لا

يقتضى أنّ العرب- المخاطبين به- كلّهم كانوا يفهمونه في مفرداته و تراكيبه، و استدلال على ذلك بكثرة الكتب المؤلّفه في اختلاف اللّغات، و عجز كثير من أبناء هذه اللّغات عن فهم كثير ممّا جاء فيها بلغتهم، إذ الفهم لا يتوقّف على معرفه اللّغه وحدها، بل لا بدّ لمن يفتش عن المعاني و يبحث عنها من أن يكون له موهبه عقليه خاصّه، تتناسب مع درجه الكتاب و قوّه تأليفه «٢».

فيما ذهب آخرون إلى أنّ العرب المعاصرين لنزول القرآن كانوا يفهمون القرآن فهما إجماليا، و لكن هذا الفهم لا يستوعب كل معاني القرآن و تفسيره و تأويله، فهم لم يكونوا على وجه العموم يفهمونه بصوره تلقائيه، فهما تفصيليا يستوعب مفرداته و تراكيبه «٣».

على أنّ أقوى الأدلّه على توقّف الفهم الاجمالي العام لألفاظ القرآن و معانيها اللّغويه و عدم وجود الإبهام و الغموض فيها، هو أنّ الله تعالى تحدّى العرب- و هم البلغاء آنذاك و المشهورون في اللّغه و البيان- على أن يأتوا بمثل القرآن، و لو كان هناك غموض أو إبهام في ألفاظه و معانيه اللّغويه عليهم لكان ذلك من أقرب السبل إليهم للردّ عليه و الطعن فيه، و قد بذلوا الأموال و الأنفس في مواجهته، و مع ذلك فلم يجدوا سبيلا للتعرض له و الطعن فيه.

كما إنّنا من خلال نظره عامه في مجمل ما روى من التفسير عن رسول الله (ص)

(١)- التسهيل لعلوم التنزيل / الكلبي / ج ١ / ص ٩.

(٢)- التفسير و المفسّرون / الذهبي / ج ١ / ص ٣٦.

(٣)- علوم القرآن / الشهيد الصدر / ص ٢٤٨.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٦٨

قلّما نجد فيه من التفسير اللّغوي «١»، و الذي اشتدّت الحاجه إليه

بعد ما اختلط العرب المسلمون بغيرهم و ازدحمت الأفكار و الآراء عندهم.

و على أى حال، فإنّ الامّة بجميع طوائفها قد اجتمعت على أنّ أوّل مصادر التفسير هو القرآن الكريم، إذ يرجع إليه أولاً فى فهم الآيات، و يقدّم تفسيره على سائر المصادر الاخرى.

هل يجوز تفسير القرآن بغير المأثور؟

للإجابة عن هذا السؤال، يتوجب علينا البحث أولاً فيما اختلف فيه العلماء فى أنّ تفسير القرآن هل يتوقف على السماع و النقل، من المأثور المروى عن رسول الله (ص) و عن الصحابه و التابعين؟ أم أنّه يمكن تفسير القرآن دون الرجوع إلى ذلك؟

و يمكن إجمال الآراء فى ذلك بما يلى:

١- الرأى المشهور لدى الجمهور من أنّ تفسير القرآن لا بدّ من الرجوع فيه إلى المأثور عن رسول الله (ص) و الصحابه عموماً، و اختلف فى التابعين إذ أضاف بعضهم ما اثر عنهم إلى الصحابه و عدّ بعضهم ذلك من الرأى و الاستنباط،- و سيأتى بيان ذلك بتفصيل لاحقاً.-

قال السيوطى: «و قال بعضهم: اختلف الناس فى تفسير القرآن: هل يجوز لكل أحد الخوض فيه؟

فقال قوم: لا- يجوز لأحد أن يتعاطى تفسير شىء من القرآن و إن كان عالماً أو أدبياً متّسعاً فى معرفه الأدلّه و الفقه و النحو و الأخبار و الآثار، و ليس له إلّا أن ينتهى إلى ما روى عن النبى (ص) فى ذلك.

(١)- راجع الإتقان/ السيوطى/ ج ٢/ ص ١٢٣٦ فما بعد.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٦٩

و منهم من قال: يجوز تفسيره لمن كان جامعاً للعلوم التى يحتاج المفسّر إليها» «١».

٢- الرأى المشهور لدى الشيعة من أنّ تفسير القرآن لا- بدّ فيه من الرجوع إلى المأثور عن رسول الله (ص) و أهل البيت (ع) باعتبارهم

خزنه علمه و حفظه و حيه.

قال البحراني: «و لا- ريب أنّ محل ذلك من كتاب الله جلّ جلاله تحتاج معرفته إلى العلم به من أهل التنزيل و التأويل- و هم أهل البيت (ع)- الذين علمهم الله سبحانه و تعالى، فلا- ينبغي معرفه ذلك إلّا منهم، و من تعاطى معرفته من غيرهم ركب متن عمياء، و خبط خبط عشواء، فما ذا بعد الحقّ إلّا الضلال فأنتى تصرفون» «٢».

٣- الرأى الآخر لدى الفريقين من أنّه يمكن تفسير القرآن بغير المأثور، بالتدبر في آيات القرآن نفسها و بالاستعانه بأدوات اللغه، و استنباط المفاهيم الدلاله منها، و بالاستعانه بآيات القرآن بعضها في تفسير البعض الآخر.

أسباب الاختلاف:

و منشأ النهى عن التفسير بغير المأثور هو ما نقله الفريقان عن النبى (ص) بروايات متعدده تتفق معنى و تختلف لفظا تؤكد على النهى عن التفسير بالرأى، و هى ممّا استدللّ به الكثيرون على عدم جواز التفسير بغير المأثور المروى، و من هذه الروايات أنّ النبى (ص) قال:

- (من تكلم في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ)، أخرجه أبو داود و الترمذى و النسائى.

- (من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار)، أخرجه أبو داود «٣».

(١)- الإتيان/ ج ٢/ ص ١٢٠٩.

(٢)- البرهان في تفسير القرآن/ ج ١/ مقدّمه التفسير.

(٣)- الاتقان/ ج ٢/ ص ١٢٠٦.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٧٠

و ورد عن أهل البيت (ع) أيضا: (من فسّر القرآن برأيه إن أصاب لم يؤجر، و إن أخطأ فهو بعد من السماء)، كما في تفسير العياشى «١».

و قد اختلف في المراد بالتفسير بالرأى المنهى عنه «٢»، و قد صنّف الطباطبائى ما ذكر فيه من آراء إلى عشره أقوال «٣»،

إلّا أنّ أكثر ما دارت عليه الأقوال هو عدم جواز تفسير القرآن إلّا بالنقل، بما اثر عن المعصوم، فكانت هذه الروايات سبباً لامتناع البعض عن استنباط معاني القرآن باجتهاده حتّى مع توفر الشواهد و عدم معارضتها لنص صريح «٤»، بل الدعوه إلى ذم من لم يرجع في تفسيره إلى المأثور «٥».

و لعلّ تناقل تلك الروايات و التوقّف على ظواهرها كان أحد الأسباب الرئيسة وراء اقتصار التفسير على المأثور لقرون عديده منذ صدر الاسلام، و اعتبر بعض العلماء الالتزام بظاهر الحديث سداً لباب العلم في القرآن، إذ لو صحّ ما ذهب إليه لم يعلم شىء بالاستنباط و لما فهم الأكثر من كتاب الله شيئاً «٦».

كما نجد بعض علماء الشيعة أيضاً يوعز إلى نفس هذا السبب عدم تطوّر حركه التفسير عند الشيعة بما يناسب تطوّر العلوم الاخرى كالفقه و الحديث و الاصول «٧».

لذا لجأ معظم العلماء الى تأويل هذه الروايات، كما نجد ذلك عند الطبرى الذى «حمل أو أوّل كافّه الأخبار و الأحاديث الوارده

بـ_____النهى عن إعمال الرأى فى القرآن

(١) - الصافى / ج ١ / ص ٣٥، الميزان / ج ٣ / ص ٨٧.

(٢) - راجع الإيقان / ج ٢ / ص ١٢٠٧ و ١٢١٥.

(٣) - الميزان / ج ٣ / ص ٧٧.

(٤) - البرهان / ج ٢ / ص ١٦٢.

(٥) - مقدّمه تفسير البرهان / ص ٦.

(٦) - البرهان / ج ٢ / ص ١٦٣.

(٧) - علوم القرآن / الحكيم / ص ٢٣٧.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٧١

على معنى تقديمه على ما اختصّ الله به نبيّه بيانه «١»، أو الطبرسى الذى ذهب إلى القول بترك العمل بظاهر الروايات لتعارضها مع آيات القرآن الحاثّه على التدبّر و الاستنباط و تأويلها بأن «من حمل القرآن على رأيه

و لم يعمل بشواهد ألفاظه فأصاب الحق فقد أخطأ الدليل» (٢).

كما لا بدّ من الإشارة إلى أنّ منشأ الاختلاف في جواز التفسير بغير المأثور و عدمه يعود أيضا إلى الخلط بين تفسير القرآن و تأويله، فقال من قال بالمنع من إمكانيه تفسير القرآن دون المأثور، اعتمادا على الآيه الكريمة ... وَ مَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ.

و قال بالجواز- عاده- من فرق بين التفسير و التأويل، فجعل التفسير متيسرا لعموم القرآن، و خصّ التأويل بالله و الراسخين في العلم على تفصيل فيمن يعلم التأويل، و بهذا الرأي يمكن الجمع بين الآيات القرآنيه و الدلائل العقلية التي تفيد تيسير القرآن للتدبر و بيانه للناس، و بين حصر العلم بتأويله و اختصاصه بالله على رأى، و الراسخين بالعلم على رأى المشهور، و الروايات الناهيه عن تأويله أو تفسيره إلا لمن آتاه الله العلم و خصّه به.

و منشأ الاختلاف الآخر ناتج عن قبول وجود مراتب للتفسير أو نفيها، فإنّ البعض ربّما يرى وجود مستوى واحد من التفسير و هو التفسير الظاهري أو وجود تفسير واحد للآيه سواء كان تفسيرا ظاهريا أو باطنيا، و بالتالى فإنّه يرى انحصار ذلك التفسير بالرسول (ص) و أصحابه عند السنّه، أو الرسول (ص) و أهل بيته عند الشيعة.

و الرأى الآخر يقبل وجود مستويات متعدّده من الفهم و التفسير، كما هو الحال في

(١)- دراسات و بحوث من الفكر الاسلامى المعاصر/ الدريني / ص ٢٣٣.

(٢)- مجمع البيان/ ج ١ / مقدمه المفسّر.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٧٢

تعدّد التفاسير، و لا يوجب التعدّد تعارض التفاسير، بل يمكن أن تكون متوازيه فى المعانى، فإنّ بعض الناس يفهم من الآيات

معنى اعتيادياً بحدود معانى الألفاظ، فيما يفهم العلماء مستوى أعمق من حيث ربط المعانى بعضها ببعض، و معرفه مناسبات الآيات و شأن نزولها ... و غيرها من المباحث، و يكون عندئذ للرسول (ص) و القرييين منه- الأولى فالأولى- فهم أعلى للآيات المباركه.

القائلون بجواز تفسيره بغير المأثور:

قال الشيخ الطوسى فى تفسير قوله تعالى: أَمْ فَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَ لَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا (النساء / ٨٢).

«هذه الآيه تدل على أربعة أشياء:

أحدها: على بطلان التقليد، و صحه الاستدلال فى اصول الدين، لأنه حثّ و دعا إلى التدبّر، و ذلك لا يكون إلا بالفكر و النظر.

و الثانى: يدل على فساد مذهب من زعم أنّ القرآن لا يفهم معناه إلا بتفسير الرسول له، من الحشويّه و المجبره، لأنه تعالى حثّ على تدبّره ليعلموا به ...» (١).

و قد ناقش أبو حيان الأندلسى مقوله الاحتياج إلى النقل فى التفسير، محتجاً باختلاف الصحابه و التابعين فى تفاسيرهم، و بأنّ التفسير متيسّر بفهم أدوات اللغه، فقال: «... و من أحاط بمعرفه مدلول الكلمه و أحكامها قبل التركيب، و علم كيفيه تركيبها فى تلك اللغه و ارتقى إلى تمييز حسن تركيبها و قبجه، فلن يحتاج فى فهم ما تركّب من تلك الألفاظ إلى مفهّم و لا معلّم، و إنّما تفاوت الناس فى إدراك هذا الذى ذكرناه، فلذلك اختلفت أفهامهم و تباينت أقوالهم.

و قد جرّبنا الكلام يوماً مع بعض من عاصرنا فكان يزعم أنّ علم التفسير مضطرّ

(١)- التبيان فى تفسير القرآن/ ج ٥/ ص ٢٧٠.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٧٣

إلى النقل فى فهم معانى تراكيبه بالإسناد إلى مجاهد و طاوس و عكرمه و أضرابهم و أنّ فهم الآيات

متوقّف على ذلك.

و العجب له أنّه يرى أقوال هؤلاء كثيره الاختلاف، متباينه الأوصاف، متعارضه ينقض بعضها بعضا ...

و كان هذا المعاصر يزعم أنّ كل آيه نقل فيها التفسير خلف عن سلف بالسند إلى أن وصل ذلك إلى الصحابه، و من كلامه أنّ الصحابه سألوا رسول الله (ص) عن تفسيرها، هذا و هم العرب الفصحاء الذين نزل القرآن بلسانهم.

و قد روى عن علي كرم الله وجهه و قد سئل: هل خصّكم رسول الله (ص) بشيء؟

فقال: ما عندنا غير ما في الصحيفه أو فهم يؤتاه الرجل في كتابه.

و قول هذا المعاصر يخالف قول علي، رضى الله عنه، و على قول هذا المعاصر يكون ما استخرجه الناس بعد التابعين من علوم التفسير و معانيه و دقائقه، و إظهار ما احتوى عليه من علم الفصاحه و البيان و الإعجاز لا يكون تفسيراً حتى ينقل بالسند إلى مجاهد و نحوه، و هذا كلام ساقط» (١).

و أضاف الغزالي أدلّه جديده على جواز التفسير بغير المأثور، و فى مقدّماتها قلّه ما روى عن الرسول (ص) فى التفسير، فقال: «تحریم التكلّم بغير المسموع باطل إذ لا- يصادف السماع من رسول الله (ص) إلّا فى بعض الآيات. و الصحابه (رض) و من بعدهم اختلفوا اختلافا كثيرا لا يمكن فيه الجمع، و يمتنع سماع الجميع من رسول الله (ص). و الأخبار و الآثار تدلّ على اتساع معانيه.

قال (ع) لابن عباس: اللهم فقهه فى الدين و علّمه التأويل.

فلو كان مسموعا فلا وجه للتخصيص. قال عزّ و جلّ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ (النساء / ٨٣).

(١)- البحر المحيط فى التفسير/ خطبه الكتاب/ ص ١٣-١٤.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٧٤

و قال أبو الدرداء: لا يفقه

الرَّجُلِ حَتَّى يَجْعَلَ لِلْقُرْآنِ وَجُوهًا.

و قال عليّ (رض): لو شئت لأوقرت سبعين بعيرا من تفسير فاتحه الكتاب «(١)».

و أمّا القرطبي فقد اعتبر اختلاف الصحابه في تفسيره دليلا على أنّ ما قالوه لم يكن كلّ سماعا من النبيّ (ص)، و بالتالي فإنّه دليل أيضا على جواز الاستنباط منه، فهو يقول: «و قال بعض العلماء أنّ التفسير موقوف على السماع لقوله تعالى: فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ (النساء / ٥٩)».

و هذا فاسد لأنّ النهي عن تفسير القرآن لا يخلو: إمّا أن يكون المراد به الاقتصار على النقل و المسموع و ترك الاستنباط، أو المراد به أمرا آخر.

و باطل أن يكون المراد به أن لا يتكلّم أحد في القرآن إلّا بما سمعه، فإنّ الصحابه (رض) قد قرءوا القرآن و اختلفوا في تفسيره على وجوه، و ليس كل ما قالوه سمعوه من النبيّ (ص) «(٢)».

و أشار بعض الباحثين إلى أنّه قد سبق القرطبي في رأيه هذا، ابن عطية و الطبري و الغزالي و غيرهم، و أنّ بعض المحدثين كالظاهر بن عاشور قد استند في تفسيره إلى رأى القرطبي و الغزالي على جواز التفسير بالرأى «(٣)».

أمّا العلامة الطباطبائي فإنّه أعطى المأثور دور التعليم و المثال في تفسير القرآن، و دعا إلى فتح باب التدبّر في القرآن بالاستعانة به، فقال: «قد مرّ فيما تقدّم أنّ الآيات التي تدعو الناس عامّة من كافر أو مؤمن ممّن شاهد عصر النزول أو غاب عنه إلى تعقل القرآن و تأمله و التدبّر فيه و خاصّه قوله تعالى: أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَ لَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا (النساء / ٨٢)»، تدلّ دلاله واضحه على

(١) - مقدّمه تفسير

مجاهد، نقلا عن (تبصير الرحمن و تيسير المنان) للعلامة المهائمي. و هو ملخص ما كتبه الغزالي في إحياء علوم الدين: ج ١ / ص ٢٠٧.

(٢)- القرطبي و منهجه في التفسير / د. القصبى محمود زلط / ص ١٨٩.

(٣)- القرطبي و منهجه في التفسير / د. القصبى محمود زلط / ص ١٨٩.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٧٥

أن المعارف القرآنية يمكن أن ينالها الباحث بالتدبر و البحث، و يرتفع ما يترأى من الاختلاف بين الآيات، و الآية في مقام التحدى، و لا معنى لإرجاع فهم معانى الآيات- و المقام هذا المقام- إلى فهم الصحابه و تلامذتهم من التابعين، حتى إلى بيان النبى (ص).

فإن ما بينه إيماء أن يكون معنى يوافق ظاهر الكلام، فهو مما يؤدى إليه اللفظ و لو بعد التدبر و التأمل و البحث، و إما أن يكون معنى لا يوافق الظاهر، و لا أن الكلام يؤدى إليه فهو مما لا يلائم التحدى، و لا تتم به الحجّة و هو ظاهر.

نعم، تفاصيل الأحكام مما لا سبيل إلى تلقيه من غير بيان النبى (ص) كما أرجعها إليه القرآن فى قوله تعالى: وَ مَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَ مَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا (الحشر / ٧). و ما فى معناه من الآيات، و كذا تفصيل القصص و المعاد مثلا.

و من هنا يظهر أن شأن النبى (ص) فى هذا المقام هو التعليم فحسب، و التعليم إنما هو هداية المعلم الخبير ذهن المتعلم و إرشاده إلى ما يصعب عليه العلم به و الحصول عليه، لا ما يمتنع فهمه من غير تعليم ...

على أن هذا الطريق و هو الاقتصار على ما نقل من مفسرى صدر الاسلام من الصحابه و التابعين فى معانى

الآيات القرآنية يوجب توقّف العلم في سيره و بطلان البحث في أثره ...

فالحق أنّ الطريق إلى فهم القرآن الكريم غير مسدود، و أنّ البيان الإلهي و الذّكر الحكيم بنفسه هو الطريق الهادي إلى نفسه، أي أنّه لا يحتاج في تبين مقاصده إلى طريق، فكيف يتصوّر أن يكون الكتاب الذي عزّفه الله تعالى بأنّه هدى و أنّه نور، و أنّه تبيان لكل شيء؛ مفتقرا إلى هاد غيره، و مستنيرا بنور غيره و مبينا بأمر غيره» (١).

ثمّ ذكر الطباطبائي حديث الثقلين المروى عن رسول الله (ص) في الأمر بالتمسك

(١) - تفسير الميزان / ج ٣ / ص ٩٧ - ١٠١.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٧٦

بالقرآن و العتره من أهل بيته (ع)، و دلالة الحديث على حجّيه قول أهل البيت (ع) في تفسير القرآن، إلّا أنّه عاد مؤكّدا أنّ ذلك لا يعنى الاقتصار في تفسيره على أحاديثهم، فقال: «ما ذكرناه في معنى أتباع بيان النبي (ص) أنفا جارها هنا بعينه، و الحديث غير مسوق لإبطال حجّيه ظاهر القرآن و قصر الحجّيه على ظاهر أهل البيت (ع)» (١).

و اعتبر الآلوسى قلّه المروى عن الرسول (ص) دليلا على فتح باب التفسير و عدم الاقتصار عليه - المأثور - فقال: «و العجب كلّ العجب ممّن يزعم أنّ علم التفسير مضطرّ إلى النقل في فهم معانى التركيب، و لم ينظر إلى اختلاف التفاسير و تنوعها، و لم يعلم أنّ ما ورد عنه (ص) كالكبريت الأحمر» (٢).

أهميّة التفسير بالمأثور:

بقي أمر مهم، و هو أنّ من قال بجواز التفسير دون النقل أو السماع لم ينف أهميّة المأثور من السنّه، و لكنّه لم يقصر التفسير عليه.

فقد أكّد القرطبي على أهميّة المأثور في فهم ظاهر القرآن، خصوصا

غرائب اللغويه، التي لا بدّ فيها من الرجوع إلى الروايات لفهم الآيات القرآنيه، معتبرا أنّ روايات النهى عن القول بالتفسير تختصّ بهذه الموارد، فقال: «و النقل و السّماع لا- بدّ منه فى ظاهر التفسير، أوّلا- ليتقى به مواضع الغلط. ثمّ بعد ذلك ليتسع الفهم و الاستنباط.

و الغرائب التى لا تفهم إلّا بالسمع كثيره و لا مطمع فى الوصول إلى الباطن قبل إحكام الظاهر.
أ لا ترى قوله تعالى: وَ آتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا معناه آيه مبصره، فظلموا أنفسهم بقتلها.

(١)- م. ن.

(٢)- روح المعانى للآلوسى / ج ١ / ص ٦.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٧٧

فالناظر إلى ظاهر العربيّه يظن أنّ المراد به أنّ الناقه كانت مبصره و لا يدرى بما ذا ظلموا و أنّهم ظلموا غيرهم أو أنفسهم. فهذا من الحذف و الإضمار و أمثال هذا فى القرآن كثير. و ما عدا هذين الوجهين فلا يتطرّق النهى إليه، و الله أعلم» (١).

إلّا أنّنا نجد العلّامه الطباطبائى يؤكّد على أنّ أهميه الروايات الوارده فى التفسير تتركز فى إرساء نهج صحيح و تهينه فهم سليم للغور فى القرآن و استنباط معانيه، لا حصر التفسير بها و الاقتصار عليها، و بالتالى فإنّ المفسّر بعد ما يهضم هذا التراث التفسيري العظيم تكون أبواب التدبّر و التأمل مفتّحه أمامه ليدخل منها بسلام و على بصيره، فهو يقول: «قد تبين من البحوث السابقه أنّ واجب المفسّر هو ملاحظه الأحاديث الوارده فى التفسير عن النبىّ (ص) و أمّمه أهل البيت (ع) و الغور فيها ليعرف طريقتهم، ثمّ يفسّر القرآن الكريم بالمنهج الذى يستفاد من الكتاب و السنّه و يأخذ بالأحاديث التى توافق الكتاب و يطرح ما عداها»

و قال أيضا: «و قد تبين أن المتعين في التفسير الاستمداد بالقرآن على فهمه و تفسير الآيه بالآيه، و ذلك بالتدبر بالآثار المنقوله عن النبي (ص) و أهل بيته (ع) و تهيئه ذوق مكتسب منها ثم الورود، و الله الهادي» «٣».

(١) - القرطبي و منهجه في التفسير / د. القصبى محمود زلط / ص ١٨٩.

(٢) - القرآن في الاسلام / ص ٨٦.

(٣) - الميزان / ج ٣ / ص ١٠١.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٧٨

٢- السنه النبويه

اشاره

قال الله تعالى: وَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذُّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (النحل / ٤٤).

و قال جل شأنه: وَ النَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ مَا ضَلَّٰ صَاحِبُكُمْ وَ مَا غَوَىٰ وَ مَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ (النجم / ١ - ٥).

كانت مهمه الأنبياء (ع) تعليم الناس حلال الله و حرامه و حدوده و أحكامه و بيان الذكر الذى نزل إليهم، و كذلك كان نبينا محمد (ص) الذى عصمه الله تعالى عن الخطأ و الخطيئه، فكانت أقواله و أفعاله مطابقه للقرآن و مبينه له.

قال الإمام على (ع): «و اقتدوا بهدى نبيكم فإنه أفضل الهدى، و استنوا بسنته فإنها أهدى السنن» «١».

و قد اتفقت الامه بجميع مذاهبها على أن السنه النبويه هى المصدر الثانى للتشريع - بعد القرآن الكريم - كما اتفقت على الرجوع إلى ما صح منها فى تفسير القرآن الكريم.

قال الزركشى: «لطالب التفسير مآخذ كثيره امهاتها أربعه. الأول: النقل عن رسول الله (ص). و هذا هو الطراز الأول» «٢».

و قال بعد أن عدّ تفسير القرآن بالقرآن من أحسن طرق التفسير: «فإن أعياك ذلك فعليك بالسنه، فإنها شارحه للقرآن و موضحة له. قال تعالى: وَ

ما أُنزِلنا عَلَيْكَ الْكِتابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (النحل / ٦٤).

(١) - نهج البلاغه / الخطبه ١١٠.

(٢) - البرهان / ج ٢ / ص ١٥٧.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٧٩

و لهذا قال (ص): (ألا إني اوتيت القرآن و مثله معه)، يعنى السنه «١».

مسائل السنه النبويه

كما سبق فإن الامه مجتمعه على مبدأ التمسك بالسنه النبويه إلا أن هناك مسائل تفصيليه تتعلق بالسنه هي منشأ الاختلاف بين العلماء، أو طوائف الامه. فقد اتفقوا على وجوب تدقيق الحديث من حيث السند و من حيث المتن، إلا أنهم اختلفوا في تصحيح رجال الحديث من حيث التوثيق و التضعيف فكان منهم:

١- من يرى عداله جميع الصحابه و صحه ما صدر عنهم، حتى من لقي الرسول (ص) و لو لفته قصيره.

٢- من يرى عداله جميع الصحابه ممن صحب الرسول (ص) لفته معتد بها.

٣- من يرى عداله من حسنت صحبته للرسول (ص) لا مطلق الصحابه و أن فيهم الضعيف و الكذاب و المنافق، و سنأتى على ذلك مفصلاً في بحث الصحابه.

و اختلف أيضا في غير الصحابه من رواه الحديث، فلربما ذهبت كل فرقه إلى تصحيح رجالها و تضعيف غيرهم، حتى ورد الطعن من بعضهم في البعض الآخر كالتجريح الوارد في أئمه المذاهب الأربعة و غيرهم.

بل اختلف أيضا مؤلفو الجرح و التعديل في الرجل الواحد فوثقه بعضهم و طعن فيه البعض الآخر.

و إذ يتفقون في حججه الأحاديث قطعيه الصدور، إلا أنه يختلف في الأحاديث غير قطعيه الصي دور (المسماه بأخبار الآحاد التي اختلف المسلمون في حجيتها و عدم حجيتها)، فأمرها يرجع إلى المفسر نفسه. إذ أن أهل السنه يعملون مطلقا بالخبر الواحد الصحيح، و أما الشيعة فالذى

(١)- م. ن. / ص ١٧٦.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٨٠

فى الأحكام الشرعية و لا يعتبر فى غيرها «١».

و على أى حال، ففى المنقول عن النبى (ص) الكثير من الضعيف و الموضوع، لهذا قال أحمد بن حنبل: ثلاث كتب لا أصل لها: المغازى و الملاحم و التفسير. قيل: مراده أنّ الغالب أنّه ليس لها أسانيد صحاح متصله، و إلّا فقد صحّ من ذلك كثير.

و علق السيوطى على هذا بأنّ الذى صحّ من ذلك قليل جدا، بل أصل المرفوع منه فى غايه القله «٢».

و لذا كانت إحدى المشكلات الرئيسة فى التفسير بالسنة هى قله المروى فى ذلك، و ضعف الاسناد و إرساله، و كذلك الوضع و منه الإسرائيليات التى ادخلت فى التفسير و وضعت كروايات منسوبة إلى الرسول (ص) أو على لسان الصحابه و التابعين.

من جهة اخرى، كان الاختلاف أيضا فى فهم الحديث من حيث المتن، و دلالاته المطابقيه و الالتزاميه و عمومه و خصوصه و إطلاقه و تقييده، و غير ذلك من المباحث التى تضمّنتها بحوث السنة النبويه.

دور السنة النبويه فى التفسير

كانت إحدى المهام الأساسيه لرسول الله (ص) هى تعليم القرآن الكريم و بيانه للناس، قال تعالى: كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَ الْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ (البقره / ١٥١).

و مع ذلك فقد اختلف فى حدود التفسير الذى مارسه الرسول (ص)، فهل شمل القرآن كله أم أنّه فسّر بعض الآيات التى صعب على الصحابه فهمها، أو سألوا عنها؟

و كانت الآراء فى ذلك كما يلى:

(١)- القرآن فى الاسلام / الطبائى / ص ٩٣.

(٢)- الإتقان / ج

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٨١

الأول: نسبة إلى ما روى عن عائشه أنها قالت: «ما كان النبي (ص) يفسر شيئاً من القرآن إلّا آيا بعدد علمهنّ إياه جبريل» (١).

فإنّه قد يستفاد من ذلك أنّ رسول الله (ص) لم يبيّن و يفسّر جميع الآيات، و إنّما فسّر آيات معدوده.

و طعن ابن كثير في الحديث و قال إنّّه منكر، و أوله ابن جرير و غيره على أنّها إشارات إلى آيات مشكلات أشكلن عليه، فسأل الله علمهنّ فأنزل إليه على لسان جبريل (٢).

و حمله القرطبي على مغيبات القرآن و تفسيره لمجمله و نحو ذلك ممّا لا سبيل إليه إلّا بتوقيف من الله تعالى. على أنّ راوى الحديث: محمّد بن جعفر الزبيرى مطعون فيه، فقد قال البخارى في حقه: لا يتابع فى حديثه، و قال عنه الطبرى: إنّهُ ممّن لا يعرف فى أهل الآثار (٣).

الثانى: أنّ رسول الله (ص) قد فسّر جميع القرآن.

قال ابن تيميه: «يجب أن يعلم أنّ النبي (ص) بيّن لأصحابه معانى القرآن، كما بيّن لهم ألفاظه؛ فقلوه تعالى: لُتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ (النحل / ٤٤)، يتناول هذا و هذا، و قد قال أبو عبد الرحمن السيلمي: حدّثنا الذين كانوا يقرءون القرآن كعثمان بن عفّان و عبد الله بن مسعود و غيرهما: أنّهم كانوا إذا تعلّموا من النبي (ص) عشر آيات لم يتجاوزوها حتى يعلموا ما فيها من العلم و العمل، قالوا: فتعلّمنا القرآن و العلم و العمل جميعاً، و لهذا كانوا يبقون مدّه فى حفظ السوره».

و عقّب السيوطى قائلاً: «فالعاده تمنع أن يقرأ قوم كتاباً فى فن من العلم كالطب

(١) - أسنده الطبرى إلى هشام بن عروه عن أبيه

عن جدّه عن عائشه.

(٢) - الإِتقان/ ج ٢ / ص ١٢٨٩.

(٣) - القرطبي و منهجه فى التفسير/ ص ١٨٧.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٨٢

و الحساب و لا يستشرحونه، فكيف بكلام الله الذى هو عصمتهم و به نجاتهم و سعادتهم و قيام دينهم و دنياهم، و لهذا كان النزاع بين الصحابه فى تفسير القرآن قليلا جدّا «١».

الثالث: أنّ النبيّ (ص) فسّر القرآن الكريم على مستويين: فقد كان يفسّره على المستوى العام فى حدود الحاجه و متطلّبات الموقف الفعلى، و لهذا لم يستوعب القرآن كلّه.

و كان يفسّره على مستوى خاص تفسيراً شاملاً كاملاً بقصد إيجاد من يحمل تراث القرآن و يندمج به اندماجا مطلقاً بالدرجه التى تتيح له أن يكون مرجعاً بعد ذلك فى فهم الآمه للقرآن «٢».

و سنأتى على تفصيل هذا الرأى فى الفصل الخاص بأهل البيت (ع).

علاقه السنّه بالقرآن

قد اتّضح أنّ العلاقه بين القرآن و السنّه - من حيث الأصل - علاقته بيان، لقوله تعالى: وَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ، فالقرآن هو بمثابة الدستور الذى يحدّد الخط العام للاسلام، و مسيرته فى حياه الفرد و الجماعه، و السنّه إنّما تكون لتشرح أبعاد هذا الدين فى حياه الناس جملة و تفصيلاً.

١- و لذا كان بيان السنّه للقرآن قبل كلّ شىء، هو بيان مجمله، و توضيح مشكله و تخصيص عامّه و تقييد مطلقه.

و من ذلك بيانه (ص) لسائر الأحكام ممّا ورد عليها الاشاره مجمله، أو عامّه و كليّه فى القرآن، كأحكام الصلاه، و الزّكاه و مناسك الحج و غيرها.

٢- و كان بيان الرسول (ص) لآى القرآن الكريم، بيان تفسير لمعانى ألفاظه و ما

(١) - الإِتقان/ ج ٢ / ص ١١٩٩.

(٢) - علوم القرآن/ الشهيد

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٨٣

يتعلق بها من شروح، كبيان المغضوب عليهم باليهود و الضالّين بالنصارى، أو بيان ما ورد في القصص القرآني من تفاصيل تفسر الآيات و تقرّبها إلى الناس «١».

٣- و هذه من الامور المتفق عليها- سنّه و شيعة- إلّا أنّه اختلف في جواز نسخ الكتاب بالسنّه.

قال الزركشي: «اختلف في ذلك، قال ابن عطية: حدّاق الامّه على الجواز، و ذلك موجود في قوله (ص): (لا وصيه لوارث) و أبي الشافعي ذلك. و الحججه عليه من قوله في إسقاط الجلد في حدّ الزنا عن الثيب الذي رجم، فإنّه لا مسقط لذلك إلّا السنّه فعل النبي (ص)» «٢».

و قال الذهبي بعد ذكر شواهد لذلك: «و غير ذلك كثير» «٣».

إلّا أنّ الزركشي ناقش في ذلك بأن آيه الوصيه ناسخها القرآن ...

و اختلف الشيعة أيضا في ذلك؛ فمنهم من يرى أنّ الحكم الثابت بالقرآن ينسخ بالسنّه المتواتره، أو الاجماع القطعي الكاشف عن صدور النسخ عن المعصوم، فلا إشكال فيه عقلا و نقلا «٤»، فيما يذهب آخرون إلى عدم جواز نسخ الكتاب بالسنّه، إذ أنّه مخالف للأخبار المتواتره الأمره بعرض الأخبار على الكتاب و طرح ما خالفه و الرجوع إلى الكتاب «٥».

(١)- التفسير و المفسرون/ ج ١/ ص ٥٩، تفسير القاسمي/ ج ١/ ص ١٣١.

(٢)- البرهان/ ج ٢/ ص ٣٢.

(٣)- التفسير و المفسرون/ ج ٢/ ص ٩٠.

(٤)- البيان/ الخوئي/ ص ٢٨٦.

(٥)- الميزان/ ج ٤/ ص ٢٨٢.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٨٤

٣- أهل البيت (ع)

قد سبق الحديث في أنّ رسول الله (ص) كان بنص القرآن الكريم هو المتكفّل ببيان القرآن للناس، قال تعالى: ... وَ أَنْزَلْنَا

إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِيُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (النحل / ٤٤). كما سبق أن علمنا أن رسول الله (ص) كان يعلم أصحابه العشر آيات فلا يتجاوزونها حتى يعلموا ما فيهنّ من العلم والعمل «١».

إلّا أننا ومع هذا الدور الرائد لرسول الله (ص) في بيان القرآن الكريم و تفسيره نجد أنّ الأحاديث التفسيرية عن الرسول (ص) محدوده لا تتجاوز المائتين و الخمسين حديثاً و التي أوردتها السيوطي في خاتمه الإتقان. كما نجد أنّ بعض كبار الصحابه قد وردت عنهم روايات يتوقفون فيها في تفسير بعض الآيات، بل بعض المفردات اللغويه للآيات القرآنيه.

و الروايات في هذا الأمر كثيره، منها:

١- ما روى عن الحاكم في المستدرک أن أنس قال: بينا عمر جالس في أصحابه إذ تلا هذه الآيات: فَأَنْبِئْنَا فِيهَا حَبًّا* وَ عِنَبًا وَ قَضْبًا* وَ زَيْتُونًا وَ نَخْلًا* وَ حَدَائِقَ غُلْبًا* وَ فَاكِهَةً وَ أَبًّا (عبس / ٢٧-٣١). ثم قال: هذا كلّه عرفناه فما الأب؟ قال:

و في يده عصيه يضرب بها الأرض. فقال: هذا لعمر الله التكأف، فخذوا أيها الناس

(١)- الإتقان / ج ٢ / ص ١١٩٩.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٨٥

بما بين لكم فاعملوا به، و ما لم تعرفوه فكلوه إلى الله.

٢- و روى أيضا أن عمر كان على المنبر فقرأ: أَوْ يَأْخُذْهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ ...

(النحل / ٤٧). فسأل عن معنى التَخَوُّف فقال له رجل من هذيل: التَخَوُّف عندنا التنقص.

٣- و جاء عن ابن عباس أنه قال: كنت لا أدري ما فاطر السماوات حتى أتاني إعرابيان في بئر فقال أحدهما: أنا فطرتها، يقول أنا ابتدأتها.

٤- و جاء في تفسير الطبري أن عمر سأل الناس عن هذه الآية أ يَوَدُّ

أَحَدِكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ ... (البقره/ ۲۶۶)، فما وجد أحد يشفيه، حتّى قال ابن عباس و هو خلفه: يا أمير المؤمنين! إننى أجد فى نفسى منها شيئاً، فتلفت إليه فقال: تحول ها هنا لم تحقر نفسك؟ قال: هذا مثل ضربه الله عزّ و جلّ فقال: أ يودّ أحدكم أن يعمل عمره بعمل أهل الخير و أهل السعادة حتّى إذا كان أحوج ما يكون إلى أن يختمه بخير حين فى عمره و اقترب أجله ختم ذلك بعمل من عمل أهل الشقاء فأفسده فحرقه، و هو أحوج ما يكون إليه.

۵- و روى أن عمر استعمل قدامه بن مظعون على البحرين، فقدم الجارود على عمر فقال: إن قدامه شرب فسكر، فقال عمر: من يشهد على ما تقول؟ قال الجارود: أبو هريره يشهد على ما أقول. فقال عمر: يا قدامه! إننى جالذك.

قال: و الله لو شربت كما يقولون ما كان لك أن تجلدى، قال عمر: و لم؟ قال: لأنّ الله يقول: لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا. فأنا من العدين آمنوا و عملوا الصالحات ثم اتقوا و آمنوا و أحسنوا، شهدت مع رسول الله بدرا و أحدا و الخندق و المشاهد.

فقال عمر: ألا تردّون عليه قوله؟

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ۸۶

فقال ابن عباس: إنّ هذه الآيات أنزلت عذرا للماضين و حجّه على الباقيين، لأنّ الله يقول: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَ الْأَنْصَابُ وَ الْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ.

فقال عمر: صدقت.

و الشواهد فى كتب الحديث و التفسير

على هذا الأمر كثيره، و هي تدل على أن بعض الصحابه كثيرا ما كانوا لا يفهمون القرآن بصوره تلقائيه و يحتاجون في فهمه إلى السؤال و البحث، إمّا لعدم الاطلاع على المدلول اللغوي للكلمه كما في القسم الأول، أو لعدم الارتفاع فكريا إلى مستوى أغراض القرآن و معانيه كما في القسم الثاني، أو للنظره التجزيئيه التي ورطت قدامه بن مضعون في فهم خاطئ للآيه الكريمه كما في القسم الثالث «١».

من جهه ثانيه فإنّ الدور العظيم للقرآن الكريم في بناء الامه على مستوى الفرد و الاسره و المجتمع لا يمكن أن يؤدّى بصوره كامله شامله ما لم يفهم فهما كاملا شاملا، ممّا يتطلب أن يكون النبيّ (ص) قد قام ببيانه و تفسيره بما يضمن مستقبل الرساله و استمراريه النهج القرآني في الامه.

و هذا يدل على أن الرسول (ص) كان يفسّر القرآن بمستويين:

- ١- مستوى عام في حدود الحاجه.
- ٢- مستوى خاص بقصد إيجاد من يحمل تراث القرآن و يكون مرجعا بعد ذلك في فهم الامه للقرآن «٢».

و كان أهل البيت (ع) هم موضع عنايه النبيّ (ص) بهذا الشأن، كما سيأتي.

و هناك روايات تدلّ من جهه اخرى على أنّ الصحابه أنفسهم لم يكونوا جميعا

(١)- علوم القرآن/ الموضوع: ممّا كتبه الشهيد الصدر/ ط ٣/ ص ٢٥٤.

(٢)- بتصرّف عن نفس المصدر.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعه، ص: ٨٧

على مستوى واحد من الاهتمام بمصادر الفكر الاسلامي كتابا و سنّه، فلقد كان رسول الله (ص) بالمدينه و أصحابه كما يقول ابن حزم «مشاغل في المعاش، و تعدّر القوت عليهم لجهد العيش بالحجاز، و أنّه كان يفتي الفتوى و يحكم بالحكم بحضره من حضره من أصحابه فقط، و أنّه إنّما

قامت الحجّه على سائر من لم يحضره (ص) بنقل من حضره، وهم واحد أو اثنان» (١).

وقال عليّ (ع): «و ليس كل أصحاب رسول الله (ص) كان يسأله فيفهم، و كان منهم من يسأله و لا يستفهم...» (٢).

فهم، كما قال مسروق بن الأجدع: «جالست أصحاب محمّد (ص) فوجدتهم كإخاذ- يعنى الغدير-، فالإخاذ يروى الرجل، و الإخاذ يروى الرجلين، و الإخاذ يروى العشره، و الإخاذ يروى المائه، و الإخاذ لو نزل به أهل الأرض لأصدرهم» (٣).

الرعايه النبويه الخاصه بعليّ (ع)

اشاره

لم يحظ شخص بالقرب من رسول الله (ص) و الرعايه منه مثلما حظى عليّ (ع) بذلك حتّى صحّ أن يقال عنه أنه ربيب رسول الله (ص).

فقد تكفل رسول الله (ص) عليا و كان عمره يومئذ سنّه أعوام، و ذلك إثر أزمه اقتصاديه مرّت بقريش و أثرت على أبي طالب و كان عميد بنى هاشم آنذاك و صاحب اسره كبيره «٤».

(١)- تمهيد لتاريخ الفلسفه الإسلاميه: ص ١٢٣. راجع: سنّه أهل البيت (ع)/ السيد محمّد تقى الحكيم/ ص ٣٢.

(٢)- كتاب سليم/ ص ١٠٦.

(٣)- التفسير و المفسّرون للذهبي/ ج ١/ ص ٣٩.

(٤)- شرح نهج البلاغه لابن أبي الحديد/ ج ١/ ص ١٥.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعه، ص: ٨٨

و هكذا انتقل عليّ (ع) و هو صغير إلى بيت النبيّ (ص) لينشأ في رعايته و يكبر على عينه، و في دفء وجوده المبارك يغدّيه من حنانه و مودّته و يلهمه من أخلاقه و أفكاره.

وقد أشار الإمام عليّ (ع) إلى ما حظى به من رعايه رسول الله (ص) له في خطبته المعروفه بالقاصعه، قائلا: (و لقد علمتم موضعي من رسول الله- ص- بالقرابه القريبه و المنزله

الخصيصة: و وضعنى فى حجره و أنا ولد، يضمّنى إلى صدره، و يكنفنى فى فراشه، و يمسّنى جسده، و يشمّنى عرفه، و كان يمضغ الشىء ثمّ يلقمنيه، و ما وجد لى كذبه فى قول، و لا خطله فى فعل).

و قال أيضا مشيرا إلى عناية الرسول (ص) بتربيته: (و لقد قرن الله به - ص - من لدن أن كان فطيما، أعظم ملك من ملائكته، يسلك به طريق المكارم و محاسن أخلاق العالم، ليله و نهاره، و لقد كنت أتبعه أتباع الفصيل أثر أمه، يرفع لى فى كلّ يوم من أخلاقه علما و يأمرنى بالاعتداء معه).

و بعد أن بلغ رسول الله (ص) بوحى الرسالة، فإنّ خديجه و علىّ كانا أوّل من بادر إلى الايمان بدعوته، فشكّلا بذلك أوّل بيت فى الاسلام تنعقد أركانه على الإيمان، و بذلك يقول على (ع): (و لقد كان يجاور فى كلّ سنه بحراء، فأراه و لا يراه غيرى، و لم يجمع بيت واحد فى الاسلام غير رسول الله - ص - و خديجه و أنا ثالثهما، أرى نور الوحي و الرسالة و أشمّ ريح النبوه) «١».

أهداف الرعاية النبويّه

و لم تكن هذه العناية الخاصّه بدافع القرابه أو العاطفه و رسول الله (ص) رسول الله العذّى «لا ينطق عن الهوى» و لا ينطلق فى تصرّفاته و مواقفه إلّا من وحي الرسالة، لذا فإنّ الرعاية الشخصيه الخاصّه لعلى من لدن الرسول، كانت لتهيئه الأجواء الفكرية

(١) - نهج البلاغه/ تبويب د. صبحى الصالح / ص ٣٠٠.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٨٩

و التركيز على بناء الشخصيه الرساليه لعلى (ع) فى فهم القرآن و وعيه و استيعابه بما يؤهله لاستخلاف النبىّ (ص) فى أمّته. فإنّ وجود الواعين للرسالة هو

الضمانه من عدم الانحراف؛ و استمرار وجود الفهم الصحيح للدين بعيدا عن الغلو و البدع و الأهواء و المصالح، و لذا شبه رسول الله (ص) أهل بيته بسفينه نوح التي من ركبها نجا و من تخلف عنها غرق.

و هكذا هتياً رسول الله (ص) لعلى الأ-جواء و فتح أمامه الأبواب لتلقى العلم القرآنى، و هو يقول: (و كنت أدخل عليه كل يوم دخله فيخلىنى فيها أدور معه حيث دار. و قد علم أصحاب رسول الله أنه لم يكن يصنع ذلك بأحد غيرى ... إذا أسأله أجبانى، و إذا سكت أو نفدت مسائلى ابتدأنى، فما نزلت عليه آيه من القرآن إلما أقرأنيها و أملاها على، فكتبتها بخطى، و دعا الله أن يفهمنى إياها و يحفظنى، فما نسيت آيه من كتاب الله منذ حفظتها، و علمنى تأويلها، فحفظته و أملاه على فكتبته ... ثم وضع يده على صدرى، و دعا الله أن يملأ- قلبى علما و فهما و فقها و حكما و نورا، و أن يعلمنى فلا أجهل و أن يحفظنى فلا أنسى ...).^(١)

و أخرج النسائى عنه، قال: «كنت إذا سألت رسول الله (ص) أعطانى و إذا سكت ابتدأنى»^(٢).

و كانت عنايه الرسول (ص) بعلى، من عنايه الله و لطفه به، إذ روى الطبرى بسنده عن بريده، يقول: سمعت رسول الله (ص) يقول لعلى (ع): يا على! إن الله أمرنى أن ادنيك فلا اقصيئك، و أن اعلمك و أن تعى، و حق على الله أن تعى، قال: فنزلت: وَ تَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ^(٣).

(١)- كتاب سليم: ص ١٠٦، راجع: دور أهل البيت (ع) فى القرآن، للاستاذ الشيخ محمد هادى معرفه/ رساله القرآن/ ج ٩٤/ ص ٧٢.

(٢)- النسائى /

(٣) - تفسير الطبري / ج ٢٩ / ص ٣٥، تفسير الآيه و رواه بطريق آخر، و ذكره قريبا من ذلك التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٩٠

كما روى الطبري بسنده عن مكحول يقول: «قرأ رسول الله (ص): وَ تَعِيَهَا أُذُنٌ وَاَعِيَّتْ ثُمَّ التفت إلى علي (ع) فقال: سألت الله أن يجعلها اذنك. قال علي (ع): فما سمعت شيئا من رسول الله (ص) فنسيتها» «١».

و أخرج النسائي عن ابن عباس عن علي (ع) أنه قال: «كانت لي ساعه من الفجر، أدخل فيها علي رسول الله (ص)، فإن كان في صلاته سبّح، فكان ذلك إذنه لي، و إن لم يكن في صلاته أذن لي» «٢».

نتائج الرعايه النبويه

و هكذا نشأ علي (ع) كما أراده الله و رسوله، فكان (ع) أعلم الامه بالقرآن تنزيله و تأويله.

«و قد روى معمر عن وهب بن عبد الله عن أبي الطفيل، قال: شهدت عليا يخطب و هو يقول: سلوني، فو الله لا تسألونني عن شيء إلا أخبرتكم، و سلوني عن كتاب الله، فو الله ما من آيه إلا و أنا أعلم: أ بليل نزلت أم بنهار، أم في سهل أم في جبل» «٣».

- الهيثمي في مجمعهم / ج ١ / ص ١٣١. المتقى في كنز العمال / ج ٦ / ص ٣٩٨. السيوطي في الدر المنثور، تفسير الآيه. الواحدى في أسباب النزول. راجع: فضائل الخمسه من الصحاح الستة / الفيروز آبادى / ج ١ / ص ٣٢٠.

(١) - م. ن، و كذلك الزمخشري في الكشاف. السيوطي في الدر المنثور / تفسير الآيه. و كنز العمال / ج ٦ / ص ٤٠٨.

(٢) - النسائي / السنن الكبرى / الخصائص / ج ٥ / ص ١٤١ / باب ٣٦ / ح ٨٥٠٠.

حليه الأولياء/ ج ١/ ص ٦٧. طبقات ابن سعد/ ج ٢/ القسم ٢/ ص ١٠١. تهذيب التهذيب لابن حجر/ ج ٧/ ص ٣٣٧. الإصابه لابن حجر/ القسم الأول/ ص ٢٧٠. الاستيعاب لابن عبد البر/ ج ٢/ ص ٤٦٣. كنز العمال/ ج ١/ ص ٢٢٨. راجع: فضائل الخمسه/ ج ٢/ ص ٢٦٧. و النص للسيوطي/ الإتيقان/ ج ٢/ ص ١٢٢٧.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٩١

«و أخرج أبو نعيم فى الحليه عن ابن مسعود، قال: إنّ القرآن انزل على سبعة أحرف، ما منها حرف إلّا و له ظهر و بطن، و إن على بن أبى طالب عنده منه الظاهر و الباطن.

و أخرج أيضا عن علىّ قال: و الله ما نزلت آيه إلّا و قد علمت فيم أنزلت و أين أنزلت، إن ربّى و هب لى قلبا عقولا- و لسانا سؤلّا» (١).

و قد عقد ابن عساكر بابا ذكر فيه أنه لم يقل أحد على المنبر: سلونى عمّا بين اللوحين ... إلّا علىّ بن أبى طالب «٢».

«و روى ابن سعد بسنده عن جبله بن المصنف عن أبيه، قال: قال لى على (ع): يا أخا بنى عامر! سلنى عمّا قال الله و رسوله فإنّا أهل البيت أعلم بما قال الله و رسوله» (٣).

و قد كان هذا الأمر مفروغا منه تاريخيا و متّفقا عليه بين المسلمين، قال الشهرستاني:

«و لقد كانت الصحابه (رضى الله عنهم) متفقين على أن علم القرآن مخصوص بأهل البيت (ع) إذ كانوا يسألون علىّ بن أبى طالب: هل خصصتم أهل البيت دوننا بشىء سوى القرآن؟ و كان يقول: لا و الّذى خلق الحّبّه و برأ النسّمه إلّا بما فى قراب سيفى هذا

... الخبير.

فاستثناء القرآن بالتخصيص دليل على إجماعهم بأن القرآن و علمه: تنزيله و تأويله مخصوص بهم» (٤).

و قال الإمام الغزالي: «قد علم الأولون و الآخرون أن فهم كتاب الله منحصر إلى

(١) - الإتيان / ج ٢ / ص ١٢٢٧.

(٢) - تاريخ دمشق / ترجمه الإمام أمير المؤمنين / ج ٣ / ص ٢٢ - ٢٥. راجع مقال الشيخ الاستاذ معرفه.

(٣) - طبقات ابن سعد / ج ٦ / ص ١٦٧، فضائل الخمسه / ج ٢ / ص ٢٧٤.

(٤) - مفاتيح الأسرار و مصابيح الأبرار / ج ١ / ص ٨٤.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٩٢

علي، و من جهل ذلك فقد ضلّ عن الباب الذي من ورائه يرفع الله عن القلوب الحجاب، حتى يتحقق اليقين الذي لا يتغير بكشف الغطاء» (١).

«و قال ابن عطيه: فأما صدر المفسرين و المؤيد فيهم فعلي بن أبي طالب» (٢).

علي (ع) إمام المفسرين

ذكر السيوطي في مقام حديثه عن وجوه المفسرين: «اشتهر بالتفسير من الصحابه عشره: الخلفاء الأربعة، و ابن مسعود، و ابن عباس، و أبي بن كعب، و زيد بن ثابت، و أبو موسى الأشعري، و عبد الله بن الزبير.

أمّا الخلفاء فأكثر من روى عنه منهم علي بن أبي طالب، و الروايه عن الثلاثه نزره جدّا، و كأنّ السبب في ذلك تقدّم و فاتهم، كما إنّ ذلك هو السبب في قلّه روايه أبي بكر (رض) للحديث، و لا أحفظ عن أبي بكر (رض) في التفسير إلّا آثارا قليله جدّا لا تجاوز العشره.

و أمّا علي: فروى عنه كثير...» (٣).

و قال الذهبي: «كما إنّ العشره الذين اشتهروا بالتفسير، تفاوتوا قلّه و كثره، فأبو بكر و عمر و عثمان لم يرد عنهم في التفسير إلّا النزر اليسير... أمّا علي بن

أبي طالب (رض) فهو أكثر الخلفاء الراشدين روايه عنه في التفسير ... وكذلك كثرت الروايه في التفسير عن عبد الله بن عباس و عبد الله بن مسعود و أبي بن كعب ...

أما باقي العشره و هم: زيد بن ثابت و أبو موسى الأشعري و عبد الله بن الزبير، فهم و إن اشتهروا بالتفسير إلا أنهم قلت عنهم الروايه و لم يصلوا إلى ما وصل إليه هؤلاء

(١) - فيض القدير للمناوي / ج ٣ / ص ٤٦. فضائل الخمسه / ج ٢ / ص ٢٦٩.

(٢) - البرهان / الزركشى / ج ١ / ص ٨.

(٣) - الإتيقان / ج ٢ / ص ٢٢٧١.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٩٣

الأربعة المكثرون.

لهذا نرى الإمساك عن الكلام في شأن أبي بكر و عمر و عثمان، و زيد بن ثابت و أبي موسى الأشعري و عبد الله بن الزبير، و نتكلم عن علي و ابن عباس و ابن مسعود و أبي بن كعب نظرا لكثرة الروايه عنهم في التفسير كثره غدت مدارس الأمصار على اختلافها و كثرتها» (١).

و ما ذكره السيوطي و تبعه الذهبي فيه تسامح و مجامله كبيره، و إلا فكيف يشتهر بالتفسير من لا تتجاوز رواياته فيه العشر «٢»، أو من يخفى عليه بعض المعاني اللغويه للقرآن «٣»، و كذا عثمان الذي لم نقرأ له تفسيرا، و كذا الآخرون سوى الأربعة - علي و ابن عباس و ابن مسعود و أبي بن كعب - ممن قلّ التفسير عنهم.

و لذا فإنّ الزركشى - و هو الإمام في فنه - كان أكثر دقه عند ما قال: «و صدور المفسرين من الصحابه: علي، ثم ابن عباس - و هو تجرد لهذا الشأن و المحفوظ عنه أكثر من المحفوظ عن علي، إلا

أن ابن عباس كان أخذ عن علي - و يتلوه عبد الله بن عمرو بن العاص. و كل ما ورد عن غيرهم من الصحابه فحسن مقدّم «٤».

و قال أيضا: «و قد كانت الصحابه (رضى الله عنهم) علماء كل منهم مخصوص بنوع من العلم ... فلم يسم أحد منهم بحرا إلّا عبد الله بن عباس لاختصاصه دونهم بالتفسير و علم التأويل ... نعم، كان لعلي فيه اليد السابقه قبل ابن عباس، و هو القائل: لو أردت أن أملى وقر بعير على الفاتحه لفعلت.

(١)- التفسير و المفسرون/ ج ١/ ص ٦٨.

(٢)- السيوطي / م. ن.

(٣)- قال الذهبي: فإذا كان عمر بن الخطاب يخفى عليه معنى الأيب و معنى التخوف و يسأل عنهما غيره، و ابن عباس - و هو ترجمان القرآن - لا يظهر له معنى فاطر إلّا بعد سماعها فكيف شأن غيرهما من الصحابه؟. التفسير و المفسرون/ ج ١/ ص ٣٧.

(٤)- البرهان/ ج ٢/ ص ١٥٧.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٩٤

و قال ابن عطيه: فأما صدر المفسرين و المؤيد فيهم فعلي بن أبي طالب و يتلوه ابن عباس (رض)، و هو تجرد للأمر [و كمله و تتبعه العلماء عليه كمجاهد و سعيد بن جبير و غيرهما] «١».

مرجعيه أهل البيت (ع) في فهم القرآن الكريم:

تظافت الروايات التي تؤكّد على مكانه أهل البيت (ع) و اختصاصهم بفهم القرآن ..

تنزيله و تأويله، و يمكن لنا أن نستخلص من خلال تلك الروايات النتائج التاليه:

أولاً: أنّ الروايات توافرت على حاجه الصحابه، من اشتهر بالتفسير منهم كابن عباس أو من ندرت عنهم الروايه كبعض الخلفاء إلى السؤال عن بعض معاني التفسير لغياب المعنى عنهم «٢».

أمّا عليّ بن أبي طالب فإنّ الروايات توافرت على

أنه كان المرجع في قضايا التفسير، فكان أعلم الصحابه بمواقع التنزيل و معرفه التأويل ... إضافة إلى كثير من الآثار التي تشهد له بأنه كان صدر المفسرين و المؤيد فيهم «٣».

فقد أخرج ابن عساكر بإسناده إلى مسروق بن الأجدع قال: انتهى العلم إلى ثلاثة:

عالم بالمدينه و عالم بالشام و عالم بالعراق، فعالم المدينه علي بن أبي طالب، و عالم الكوفه عبد الله بن مسعود، و عالم الشام أبو الدرداء ... قال: فإذا التقوا ساءل عالم الشام و عالم العراق عالم المدينه و هو لم يسألهم «٤».

ثانيا: و في الوقت الذي جاءت فيه روايات عن إجماع أبي بكر عن التفسير، و كذا بعض المشهورين بالتفسير كسعید بن جبیر و غيره، فقد تواترت الروايات على أن

(١) - البرهان/ ج ١ / ص ٨.

(٢) - التفسير و المفسرون/ ج ١ / ص ٣٧.

(٣) - م. ن / ص ٩٣، و البرهان/ ج ٢ / ص ٨ و ١٥٧.

(٤) - تاريخ دمشق/ ترجمه الإمام أمير المؤمنين/ ج ٣ / ص ٤٥ و ٤٦.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٩٥

عليًا (ع) كان يتصدى للتفسير، و لم يدع أحد غيره من الصحابه العلم بالقرآن، كما ورد في روايه أبي الطفيل و غيره، قال: «شهدت عليًا يخطب و هو يقول: سلونى، فوالله لا تسألوننى عن شىء إلا أخبرتكم، و سلونى عن كتاب الله، فوالله ما من آيه إلا و أنا أعلم أبليل نزلت أم بنهار أم فى سهل أم فى جبل» «١».

و كان علم على بالقرآن أمرا مسلما به عند الصحابه إذ يقول ابن مسعود: «إن القرآن أنزل عن سبعة أحرف ما منها حرف إلا و له ظهر و بطن

و إن عليّ بن أبي طالب عنده منه الظاهر و الباطن « ٢ ».

ثالثا: و كما كان عليّ الأعلّم بكتاب الله، كان (ع) الأعلّم في القضاء، كما عن ابن مسعود قال: كُنّا نتحدث أن أفضى أهل المدينة عليّ بن أبي طالب، و ... بل إنّه الأعلّم في سائر مسائل الشريعة مطلقا، كما أجاب عطاء إذ قيل له: أ كان في أصحاب محمّد أعلّم من عليّ؟ قال: لا، و الله لا أعلّمه، و روى سعيد بن جبیر عن ابن عباس قال:

إذا ثبت لنا شيء عن علي لم نعدل إلى غيره « ٣ ».

رابعا: و لذا فإن « كثيرا ما كان يرجع الصحابه إليه في فهم ما خفي، و استجلاء ما أشكل ... حتّى ضرب به المثل فقيل: (فضيّه و لا أبا حسن لها) و لا عجب، فقد تربّى في بيت النبوّ و تغدّى بلبان معارفها و عمته مشكاه أنوارها « ٤ ».

و روى البخارى بسنده عن ابن عباس، قال: قال عمر: (و أقضانا علي) « ٥ »، و هذا يعنى علمه بآيات الأحكام.

كما وردت روايات كثيره في رجوع الخلفاء الثلاثة إلى علي في حلّ مشاكل

(١) - م. ن / ج ١ / ص ٩٣، و البرهان / ج ٢ / ص ٨ و ١٥٧.

(٢) - م. ن / ج ١ / ص ٩٣، و البرهان / ج ٢ / ص ٨ و ١٥٧.

(٣) - التفسير و المفسرون / ج ٢ / ص ٩٢.

(٤) - م. ن.

(٥) - صحيح البخارى / كتاب التفسير / راجع فضائل الخمسه / ج ٢.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٩٦

واجهوها « ١ »، و منها مسائل فقهيه و تفسيريه، حتّى اشتهر عن عمر قوله: لو لا عليّ لهلك عمر، و أنّه كان عمر يتعوّذ من معضله ليس لها أبو حسن « ٢ ».

و كذا عثمان في موارد كان يتشبت فيها برأى عليّ (ع) «٣».

و قد أخرج ابن عساكر في تأريخه بالاسناد إلى أبي الطفيل قال: سمعت علياً (ع) و هو يخطب الناس: (أيها الناس! سلوني فأنكم لا تجدون أحداً بعدى هو أعلم بما تسألونه مني، و لا تجدون أحداً أعلم بما بين اللوحين مني فسلوني ...) «٤».

خامساً- و هكذا فان من اشتهر من المفسرين، كابن عباس و ابن مسعود قد أخذ علمه من عليّ، فقد روى عن ابن عباس أنه قال: «ما أخذت من تفسير القرآن فعن عليّ بن أبي طالب» «٥».

و يتبين من ذلك أنّ ترجمان القرآن، و حبر الامّة، ابن عباس كان قد أخذ العلم من عليّ «٦».

(١)- كنز العمال/ ج ٣/ ص ٩٩ و ٣٠١. الرياض النضرة/ ج ٢/ ص ١٩٥ و ٢٢٤.

(٢)- صحيح أبي داود/ ج ٢٨/ باب المجنون يسرق أو يصيب حدّاً، البخارى/ نفس الباب.

مسند أحمد/ ج ١/ ص ١٤٠ و ١٥٤. و ذكره المناوى في فيض القدير/ ج ٤/ ص ٣٥٦. موطأ مالك/ كتاب الأشربة. مستدرک الصحيحين/ ج ٤/ ص ٣٧٥ نفس المورد. مستدرک الصحيحين/ ج ١/ ص ٤٥٧ بسنده عن أبي سعيد الخدرى، قال: حججنا مع عمر ... الحديث، سنن البيهقى/ ج ٧/ ص ٤٤٢ و غيرها، طبقات ابن سعد/ ج ٣/ القسم ١/ ص ٢٢، و القسم الثانى/ ص ١٠، راجع للمزيد: فضائل الخمسة/ ج ٢/ ص ٢٠٩-٣٣٤.

(٣)- موطأ مالك/ فى طلاق المريض، كتاب الحدود، الدر المنثور للسيوطى فى تفسير قوله تعالى: وَصَيَّنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا، تفسير الطبرى/ ج ٢٥/ ص ٦١. مسند أحمد/ ج ١/ ص ١٠٠ و ١٠٤، راجع فضائل الخمسة/ ج

(٤) - دور أهل البيت في القرآن / للشيخ محمد هادي معرفه / رساله القرآن / العدد ٩.

(٥) - التفسير و المفسرون / ج ١ / ص ٩٢.

(٦) - البرهان / ج ٢ / ص ١٥٧.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٩٧

و أخرج ابن عساكر عن الضحاک عن ابن عباس قال: قَسَمَ علم الناس خمسہ أجزاء، فكان لعلی منها أربعة أجزاء و لسائر الناس جزء، و شاركهم علی فی الجزء، فكان أعلم به منهم.

كما أخذ عبد الله بن مسعود أيضا من علی (ع) و هو يقول: لو أعلم أحدا أعلم بكتاب الله مني تبلغه المطايا ... فقال له رجل: فأين أنت عن علی؟ قال: به بدأت، إنني قرأت عليه.

و قال أيضا: قرأت علی رسول الله (ص) تسعين سورة و ختمت علی خير الناس بعده. فقيل له: من هو؟ قال: علی بن أبي طالب.

و عن عبد الرحمن السلمی، قال: ما رأيت أحدا أقرأ لكتاب الله من علی بن أبي طالب «١».

سادسا- أن هذا العلم عند علی (ع) لم يكن علما شخصيا بحتا، بل هو من العلم الإلهي و العليّ جاء من عنايه رسول الله (ص) الخاصه به، فإنّ الله سبحانه بمقتضى قوله: إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ و قوله: ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ جمع القرآن في صدر الرسول (ص) و ثبته له، و الرسول (ص) بمقتضى رسالته بلغ من حضره ما احتاجوه منه، و أمر وصيه العليّ كان قد أعدّه لذلك بجمعه في مصحف بعد وفاته «٢».

فعن الإمام الصادق (ع): «إِنَّ اللَّهَ عَلَّمَ نَبِيَّهٖ (ص) التَّنزِيلَ وَ التَّأْوِيلَ، فَعَلَّمَهُ رَسُولُ اللَّهِ (ص) عَلِيًّا، وَ لِهَذَا قَالَ عَلِيٌّ (ع): مَا نَزَلَتْ آيَةٌ إِلَّا وَ أَنَا عَلِمْتُ فِيمَنْ أَنْزَلَتْ،

و أين نزلت و على من نزلت، إن ربّي و هب لي قلبا عقولا و لسانا طلقا» (٣).

(١) - أخرجها ابن عساكر/ تاريخ دمشق/ ترجمه الإمام على (ع).

(٢) - القرآن الكريم و روايات المدرستين/ ج ٢/ ص ٤٠٨. و راجع فيه للمزيد روايات جمع عليّ للقرآن، و ما فيه من التفسير: فهرست ابن النديم/ ص ٤١. حليه الأولياء لأبي نعيم. السيوطي في الإتيان ج ١/ ص ٥٩. طبقات ابن سعد عن ابن سيرين/ ج ٢/ ص ٣٣٨.

(٣) - البحار/ ج ١٩/ ص ٢٩.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٩٨

و كان ذلك العلم، هو الأمانة التي أودعها رسول الله (ص) عند علي، و أهل بيته (ع)، ليحملوا للأجيال القادمة علم الكتاب و السنّة.

سابعاً- إن ما كان عند عليّ (ع) من علم، لم يكن مختصّاً به فقط، بل كان ذلك شاملاً لأهل البيت (ع) الذين أذهب الله عنهم الرجس و طهرهم تطهيراً.

لذا فهو يقول: «تالله لقد علّمت تبليغ الرسالات، و إتمام العدات، و تمام الكلمات، و عندنا أهل البيت أبواب الحكم، و ضياء الأمر» (١).

و كان الأئمّة من أهل البيت (ع) حملوا علمه و ورثوا موضعه من الكتاب و السنّة، فها هو الإمام الصادق (ع) يقول: «كان على (ع) صاحب حلال و حرام و علم بالقرآن و نحن على منهاجه» (٢).

و عنه (ع): «إنّ الله علّم نبيّه التنزيل و التأويل، فعلم رسول الله (ص) عليّنا (ع) و علمنا و الله» (٣).

و عنه أيضاً: «إنّا أهل بيت لم يزل الله يبعث فينا من يعلم كتابه من أوله إلى آخره» (٤).

لذا قال (ع): «نحن الراسخون في العلم فنحن نعلم تأويله» (٥).

ثامناً- و من هنا يعلم كنه

تأكيد الرسول (ص) على أهل البيت (ع) و مرجعيتهم في الجوانب الفكرية للرسالة في نصوص كثيرة «٦»، و جعلهم المرجع و الميزان عند

(١)- نهج البلاغه / ك ١٢٠.

(٢)- البحار/ ج ١٩ / ص ٢٥. البرهان: ج ١ / ص ٧.

(٣)- البحار/ ج ٢٦ / باب ١٢ / ح ٤٣.

(٤)- تفسير الصافي/ ج ١ / ص ١٢، و راجع للمزيد: تفسير القرآن بالقرآن عند أهل البيت، د. خضير جعفر/ رساله القرآن/ العدد ٩ / ص ١١٣.

(٥)- البحار/ ج ٤٣ / ح ٤٩.

(٦)- راجع للتفصيل: علوم القرآن / السيد الحكيم / ص ٢٥٥ و ما بعدها.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٩٩

اختلاف الآراء و تباين المواقف، منها:

- حديث الثقلين: إذ قال رسول الله (ص): «إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدى، أحدهما أعظم من الآخر: كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض و عترتي: أهل بيتي، و لن يفترقا حتى يردا الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيها» «١».

- حديث الأمان: قال رسول الله (ص): «النجوم أمان لأهل الأرض من الغرق و أهل بيتي أمان لأمتي من الاختلاف، فإذا خالفتها قبيله من العرب اختلفوا فصاروا حزب إبليس» «٢».

- حديث السفينه: و هو قول رسول الله (ص): «مثل أهل بيتي مثل سفينه نوح من ركبها نجا و من تخلف عنها غرق» «٣».

- حديث الحق: و هو ما رواه الترمذى فى صحيحه عن النبى (ص) أنه قال: «رحم الله علياً اللهم أدر الحق معه حيث دار» «٤»، كما روى: «على مع الحق و الحق مع على و لن يفترقا حتى يردا على الحوض يوم القيامة» «٥».

- حديث القرآن: و هو قول النبى (ص): «على مع القرآن و القرآن

مع عليّ و لن يفترقا حتّى يردا على الحوض» «٦».

(١) - صحيح الترمذى ج ٢ / ص ٣٠٨، و الحديث متواتر و طرقه كثيره. راجع فضائل الخمسه / ج ٢ / ص ٥٢.

(٢) - مستدرک الصحيحين / ج ٣ / ص ١٤٩، و قال الحاكم: هذا حديث صحيح الاسناد كما ذكره ابن حجر فى صواعقه.

(٣) - م. ن / ج ٢ / ص ٣٤٣، و صحّحه على شرط مسلم، و رواه بطريق آخر / ج ٣ / ص ١٦.

و ذكره كذلك المتقى فى كنز العمال، و ابن جرير و الهيثمى و الطبرانى فى الكبير و الأوسط و الصغير، و أبو نعيم فى الحليه، و أحمد فى مسنده و غيرهم.

(٤) - الترمذى / ج ٢ / ص ٢٩٨.

(٥) - الخطيب البغدادى، تاريخ بغداد / ج ١٤ / ص ٣٢١.

(٦) - مستدرک الصحيحين / ج ٣ / ص ١٢٣.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ١٠٠

- حديث المدينه: عن ابن عباس أنّ النبىّ (ص) قال: «أنا مدينه العلم و عليّ بابها فمن أراد المدينه فليأت الباب» «١».

- حديث الاختلاف: كما رواه الحاكم أنّ النبىّ (ص) قال لعليّ: «أنت تبين لامّتى ما اختلفوا فيه بعدى» «٢».

و غير ذلك من النصوص الّتى كانت توجه الامّه إلى أهل البيت (ع) عموما و إلى على بوجه خاص حيث كان يمثل قطب أهل البيت فى زمانه، و لم يكن هذا التأكيد إلّا لما اقتصوا به من علم و معرفه بالاسلام و ما بلغوه من مرتبه ساميه فى الدين، فكانوا أئمّه الهدى و مقتدى الامّه و مرجعها الفكرى و الدينى.

الظروف الّتى منعت الامّه من الاستفادة من علم عليّ (ع)؟

على الرغم من التأكيد الكبير من لدن رسول الله (ص) على علم على (ع) و موقعه من الرساله و اختصاصه و أهل البيت (ع) بالقرآن و

«أنهما لن يفترقا» حتى يردا عليه الحوض؛ على الرغم من كل ذلك، فإنه لم ينقل الصحابه عن عليّ (ع) شيئا كثيرا، و أما التابعون فلا- يبلغ ما نقلوا عنه المائه روايه في تمام القرآن، و أما الحسن (ع) فلعلّ المنقول عنه لا يبلغ عشرا، و أما الحسين (ع) فلم ينقل عنه شيء يذكر «(٣)».

و بذلك فقدت الامّه كنوزا عظيمه من المعرفه القرآنيه و السنّه النبويه المتوارثه عند أهل البيت (ع)، و لأجل التعرف على الأسباب الكامنه وراء ذلك لا بدّ من الرجوع إلى الظروف التاريخيه التي مرّت على أهل البيت (ع)، فإن من المسلم به أنّ الناس قد

(١)- م. ن/ ص ١٢٦، و قال الحاكم: هذا حديث صحيح الاسناد.

(٢)- م. ن/ ص ١٢٢، و قال: حديث صحيح على شرط الشيخين. و يراجع للمزيد فضائل الخمسه/ ج ٢، و علوم القرآن/ السيد الحكيم/ ص ٢٥٧-٢٥٨.

(٣)- الميزان/ ج ٥/ ص ٢٧٤، راجع: تفسير القرآن بالقرآن عند العلماءه الطباطبائي/ د.

خضير جعفر/ ص ٧٩.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ١٠١

انزوا بعد وفاه الرسول (ص) عن أهل بيته، و أنه مرّت عليهم ظروف صعبه انشغل الناس فيها بغيرهم، كما إنّ السياسه العامه كانت أيام أبي بكر و عمر قائمه على تجريد القرآن من حديث الرسول (ص) و الذي كان في أغلبه بيانا للقرآن و تفسيره له «(١)».

حتى بلغ الأمر إلى معاقبه من يسأل عن تفسير القرآن «(٢)»، و من ثمّ منع تداول الحديث النبوي و إحراق ما كتب منه «(٣)»، و روى الذهبي أنّ الخليفه الثاني حبس ثلاثه- من أئمّه الحديث- ابن مسعود و أبا الدرداء و أبا مسعود الأنصاري، و قال لهم:

أكثرتم

من الحديث عن رسول الله «٤».

و من ثمّ كان ما كان إذ روى ابن كثير في تاريخه عن أبي هريره، قال: ما كُنّا نستطيع أن نقول: قال رسول الله (ص) حتّى قبض عمر «٥».

ثمّ كانت أيّام الفتنه في زمن الخليفه عثمان و اضطراب البلاد الاسلاميه حتّى تسلّم الإمام على (ع) الخلافه، فعمل جهده على إرساء دعائم العلوم الاسلاميه، فدعا دعوه عامه للسؤال عن تفسير القرآن و إحياء سنّه الرسول (ص) في إقراء القرآن و إكرام القراء، و أملى على تلميذه أبي الأسود الدؤلي أسسس علم النحو لصيانته اللسان العربى

(١) - راجع تاريخ الطبرى / ج ٤ / ص ٢٠٤٢ ط. دار المعارف بمصر، جامع بيان العلم للخطيب البغدادي / ج ٢ / ص ١٤٧، تذكره الحفاظ / ج ١ / ص ٧، سنن الدارمي / ج ١ / ص ٨٥، مستدرک الحاكم / ج ١ / ص ١٠٢. و طبقات ابن سعد / ج ٦ / ص ٧، كنز العمال / ج ٢ / ص ١٨٣، و للمزيد: القرآن الكريم و روايات المدرستين / ج ٢ / ص ٤١٣.

(٢) - سنن الدارمي / ج ١ / ص ٥٤ - ٥٦، تفسير ابن كثير / ج ٤ / ص ٢٣١ و ٢٣٢، تفسير الدر المنثور / ج ٦ / ص ١١١، تفسير القرطبي / ج ١٧ / ص ٢٩.

(٣) - طبقات ابن سعد / ج ٥٠ / ص ١٤٠ ط. بيروت، بترجمه القاسم بن محمّد بن أبي بكر.

(٤) - تذكره الحفاظ للذهبي / ج ١ / ص ٧. تاريخ مدينه دمشق / ابن عساكر / تحقيق سكينه الشهابي / ج ٣١ / ص ٢٨٠، شرف أصحاب الحديث للخطيب البغدادي ص ٨٧.

(٥) - تاريخ ابن كثير / ج ٨ / ص ١٠٧.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ١٠٢

و بالتالى حفظ تلاوه القرآن «١»، إلّا أنّ ذلك، و ما

لازمه من إحياء سنّه رسول الله (ص) بالسويه فى العطاء و الحقوق بين المسلمين و عدم التمييز بينهم، و محاسبه الولاه و عزل الفاسقين منهم؛ دفع البعض ممّن تضرّروا بسياساته العادله إلى إثارة الفتن فكانت واقعه الجمل و حرب صفين و حرب النهروان خلال السنوات الأربع الّتى كانت مدّه خلافته حتّى امتدّت يد الفتنه و البغى إليه ليستشهد و هو فى محراب صلّاته.

ثمّ كانت أيّام معاويه الّذى كتب إلى عمّاله بقتل من كان على دين علىّ و رأيه و التمثيل به «٢».

و كتب إليهم: أن برئت الذمّه ممّن روى شيئا من فضل أبى تراب و أهل بيته «٣».

و أمرهم بشتم علىّ و ذمّه ... و العيب لأصحاب علىّ و الاقصاء لهم «٤».

بل لعنه على المنبر و كتب إلى عمّاله أن يلعنوه على المنابر ففعلوا، فكتبت أم سلمه زوجة النبىّ (ص) إلى معاويه: أنكم تلعنون الله و رسوله على منابركم، و ذلك أنكم تلعنون على بن أبى طالب و من أحبه، و أنا اشهد الله أنّ الله أحبه و رسوله، فلم يلتفت إلى كلامها.

و روى أبو عثمان الجاحظ أن قوما من بنى اميه قالوا لمعاويه: يا أمير المؤمنين! إنك قد بلغت ما أمّلت فلو كفت عن لعن الرجل. فقال: لا و الله، حتّى يربو عليه الصغير و يهرم عليه الكبير و لا يذكر له ذاكر فضلا «٥».

(١) - راجع للتفصيل البحث القيم للاستاذ العلّامه العسكريّ / القرآن الكريم و روايات المدرستين / ج ٢ / ص ٥٤٧ - ٥٦٢.

(٢) - م. ن / ص ٥٧٨.

(٣) - فجر الإسلام / أحمد أمين / ص ٢٧٥.

(٤) - تاريخ الطبرى / ج ٦ / ص ١٠٨ / حوادث سنه ٥١ هـ، ابن الأثير / ج ٣ / ص ٢٠٢.

(٥) - شرح

الخطبه ٥٧ من شرح نهج البلاغه لابن أبي الحديد.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ١٠٣

و على هذه السياسه كانت سياسه الخلفاء الأمويين، من بعده، ابتداء بانه يزيد الذى قتل الحسين بن على سيد شباب أهل الجنه، و من ثم سائر الخلفاء سوى عمر ابن عبد العزيز.

فكيف يمكن نشر علوم على و أهل بيت الرسول (ص) و هم ما بين قتيل و شريد، و كذا أصحابهم الذين صبّت عليهم المصائب و المحن «١»؟

و لم تكن أيام العباسيين بأفضل من أيام الأمويين إن لم يكونوا قد تعدّوهم فى الظلم و تشديد الخناق على أهل البيت (ع)، و محاوله منع علومهم، حتّى أنّه ذكر أنّ الخليفه العباسى أبا جعفر المنصور عند ما طلب من الإمام مالك كتابه «الموطأ» طلب منه أن يقلّ الروايه عن على «٢».

و كل هذه الظروف كانت لابعاد الناس عن أهل البيت (ع) و بالتالى حرمانهم من معارفهم: و هم حمله علوم القرآن و حفظه السنّه النبويه.

و لم تتوفر ظروف مناسبه نسبيا إلّا للإمامين الباقر (ع) (ت ١١٤ هـ) و الصادق (ع) (ت ١٤٨ هـ)، إبان انحطاط الدوله الأمويه و قيام الدوله العباسيه، فقاما بتجديد العلوم الإسلاميه و نشر الحديث و تفسير كتاب الله، و هو ما تدلّ عليه كثره الروايات نسبيا عنهما.

و كان طبيعيا أن يحرص كل إمام، ابتداء من على (ع) و فى مقابل تلك الظروف الصعبه على إيصال ما بلغه من علوم القرآن و السنّه إلى الإمام الذى بعده سواء بالتعليم المباشر كما مرّ فى قول الصادق (ع): «إنّ الله علّم نبيه التنزيل و التأويل فعلم رسول الله (ص) علينا (ع) و علمنا و الله» «٣».

(١)- راجع: مقاتل

الطالبين لأبي الفرج الاصفهاني لمعرفة حال العلويين و بعض ما مرّ عليهم أيام الأمويين و العباسيين.

(٢)- الإمام الصادق و المذاهب الأربعة/ أسد حيدر/ ج ٢/ ص ٥٥٥.

(٣)- البحار/ ج ٢٦/ باب ١٢/ ح ٤٣.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ١٠٤

أو بواسطة التراث المذى تركه، فكان من ذلك القرآن المذى جمعه (ع)، و الذى يعتقد شموله على أسباب النزول و التفسير، و «الجامعه» و هى من املاء رسول الله (ص) على أمير المؤمنين (ع)، و قد تضمّن ما يحتاج إليه الناس من حلال و حرام و جاء مفضّلا كل ما جاء فى كتاب الله من أحكام و أوامر و نواه، و قد ورث الأئمّه من أهل البيت هذا الكتاب كابرا عن كابر، و كانوا يطلقون عليه اسم الجامعه، و تاره الصحيفه و اخرى كتاب على و رابعه الصحيفه العتيقه «١».

و قد وردت الروايات عن الإمام الصادق (ع) لتؤكد أهميّة هذه الصحيفه، إذ روى عنه (ع) أنه قال:

«إن عندنا ما لا- نحتاج معه إلى الناس، و إنّ الناس ليحتاجون إلينا، و إن عندنا كتابا أملاه رسول الله (ص) و خطّه على (ع) صحيفه فيها كل حلال و حرام» «٢».

كما وردت روايات اخرى بوجود كتب اخرى ورثها الأئمّه (ع) عن الإمام على (ع) و فاطمه الزهراء (ع)، و لا شكّ بأنّ علوم القرآن و تفسيره كانت من أهم ما تضمّنته هذه الكتب، إذ روى عن الباقر (ع): «إنّ من علم ما أوتينا تفسير القرآن و أحكامه» «٣».

جدير ذكره أنّ هذه الكتب مختصّه بالأئمّه و لا- توجد بين أيدي الناس، و لم يرجع إليها المفسّرون الشيعة، خلافا لما توهمه الدكتور الذهبى «٤».

أهل البيت (ع) حملة العلوم النبويّه:

لم

يكن أهل البيت (ع) كسائر الناس يعملون بالرأى أو يأخذون حظهم من العلم بالاجتهاد، لذا فإن أهل البيت (ع) ما كانوا مجتهدين ولا عاملين بالرأى، بل كانوا

(١) - سيره الرسول (ص) و أهل بيته (ع) / مؤسسه البلاغ / ج ١ / ص ٦٦٢.

(٢) - الكافي / الكليني / ج ١ / باب ذكر الصحيفه و الجفر و الجامعه و مصحف فاطمه.

(٣) - تفسير العياشى فى تفسير قوله تعالى: هَلْ يَشْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ.

(٤) - التفسير و المفسرون / ج ٢ / ص ١٩.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ١٠٥

يحملون العلوم النبويّه، إماما عن آخر حتّى ينتهوا بذلك إلى رسول الله (ص).

و فى ذلك يقول الإمام الباقر خامس ائمه أهل البيت (ع):

«لو أنّا حدّثنا برأينا ضللنا، كما ضلّ من كان قبلنا، و لكن حدّثنا ببيّنه من ربّنا بيّنها لبيّنه فيّنها لنا» (١).

و قال الإمام الصادق (ع) مؤكّدا أنّ العلم الذى يحمله أهل البيت (ع) قد توارثوه عن رسول الله (ص):

«إنّا لو كتّنا نفتى الناس برأينا و هوانا لكتّنا من الهالكين، و لكنّها آثار من رسول الله (ص) أصل علم نتوارثها كابرا عن كابر، نكتنّزها كما يكتنّز الناس ذهبهم و فضّتهم» (٢).

و قد سأل رجل أبا عبد الله الصادق عن مسأله فأجابه فيها، فقال الرجل: أ رأيت إن كان كذا و كذا ما يكون القول فيها؟ فقال (ع) له: مه ما أجبتك فيه من شىء فهو عن رسول الله (ص)، لسنا من «أ رأيت» فى شىء (٣).

و هو أيضا يقول: «حدیثی حدیث أبی، و حدیث أبی حدیث جدی، و حدیث جدی حدیث أبیه، و حدیث أبیه حدیث علی بن أبی طالب و حدیث علی حدیث

رسول الله (ص)، و حديث رسول الله (ص) قول الله عزّ و جلّ «٤».

و لهذا السبب كان أهل البيت (ع) مرجعا في الروايه و التفسير لأنهم ينهلون من رسول الله (ص) علومهم و معارفهم، و يهتدون بهديه و يقتدون بسيرته، فهم الراسخون في العلم و الامناء على الرساله. فعن سماعه عن الإمام الرضا (ع)، قال: «قلت له: كل شىء تقول به في كتاب الله و سنّه نبيّه أو تقولون فيه برأيكم؟ قال: بل كل شىء نقوله

(١) - بصائر الدرجات / الصّفّار / ط. بيروت، ص ٢٩٩.

(٢) - م. ن.

(٣) - الكافي / ج ١ / ص ٥٨.

(٤) - أعيان الشيعة / السيّد محسن الأمين / ج ٣ / ص ٣٤.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ١٠٦

في كتاب الله و سنّه نبيّه» (١).

و هذه النصوص و غيرها تؤكّد أنّهم لا يعتمدون الرأى فيما يصدر عنهم و إنّما يستندون في ذلك إلى رسول الله (ص) (٢).

(١) - بصائر الدرجات / ص ٣٠١.

(٢) - التشيع / عبد الله الغريفي / ص ٥٠٥.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ١٠٧

٤- الصّابه

اشاره

قال الزركشى في معرض حديثه عن «امّهات مآخذ التفسير» بعد ما ذكر التّقل عن رسول الله (ص): «الثانى: الأخذ بقول الصحابى، فإنّ تفسيره عندهم بمنزله المرفوع إلى النّبىّ (ص)، كما قاله الحاكم في تفسيره.

و قال أبو الخطّاب من الحنابله: يحتمل ألا يرجع إليه إذا قلنا إنّ قوله ليس بحجّه.

و الصّواب الأوّل لأنّه من باب الروايه لا الرأى» (١).

وقال أيضا: «فإن لم يوجد- التفسير- في السنه يرجع إلى أقوال الصحابه، فإنهم أدري بذلك لما شاهدوه من القرائن و لما أعطاهم الله من الفهم العجيب، فإن لم يوجد ذلك يرجع إلى النظر و الاستنباط

بالشرط السابق» (٢).

وقال السيوطي: «و في الجملة: من عدل عن مذاهب الصحابه و التابعين و تفسيرهم إلى ما يخالف ذلك كان مخطئا في ذلك، بل مبتدعا، لأنهم كانوا أعلم بتفسيره و معانيه، كما أنهم أعلم بالحق الذي بعث الله به رسوله» (٣).

إلا أنه عاد و قال بعد ما ذكر ما قاله الزركشى عن الحاكم و أبي الخطاب: «قلت: ما قاله الحاكم نازعه فيه ابن الصلاح و غيره من المتأخرين، بأن ذلك مخصوص بما فيه سبب النزول أو نحوه، مما لا مدخل للرأى فيه. ثم رأيت الحاكم نفسه صرح به في علوم الحديث فقال: و من الموقوفات تفسير الصحابه، و أما من يقول: إن تفسير

(١) - البرهان / ج ٢ / ص ١٥٧.

(٢) - م. ن. / ص ١٧٦.

(٣) - الإيقان / ج ٢ / ص ١٢٠٤.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ١٠٨

الصحابه مسند فإنما يقول فيما فيه سبب النزول.

و قد خصص هنا و عمم في المستدرك فاعتمد الأول و الله أعلم» (١).

لذا فإن الجمهور اعتبروا تفسير الصحابه من مصادر التفسير بعد القرآن و السنه، و ان اختلفوا في قيمته و حجيته، و ذلك ما سنينه من خلال المطالب التاليه:

(١) الموقوف و المرفوع:

قال ابن الصلاح: «الموقوف: و هو ما يروى عن الصحابه (رض) من أقوالهم و أفعالهم و نحوها، فيوقف عليهم و لا يتجاوز به إلى رسول الله (ص).

و المرفوع: و هو ما اضيف إلى رسول الله (ص) - من حديث أو روايه - خاصه، و لا يقع مطلقه على غير ذلك نحو الموقوف على الصحابه و غيرهم» (٢).

لذا فإن الاختلاف في قيمه تفسير الصحابي من جهه أنه هل يعامل معاملة المرفوع، أى كحديث الرسول (ص) باعتباره روايه لا رأيا، و

هو ما ذهب إليه الزركشى، و الحاكم من قبله فى المستدرک، أم أنه يعامل معاملة الموقوف، المروى عن الصحابه و الذى لا ينسب إلى الرسول (ص)، كما هو رأى ابن الصلاح و المتأخرين و الحاكم فى علوم الحديث، فىكون تفسير الصحابى قابلا للمناقشه و الرد؛ لأنه يحمل فى ذاته أن يكون من قبيل الرأى و الاجتهاد الذى ذهب إليه الصحابى، لا أنه سمعه من النبى (ص) و رواه عنه.

(٢) فى معنى الصحابى و الصاحب:

الصاحب فى اللغه، و جمعه صحب و أصحاب و صحاب و صحابه: المعاشر، الملازم،

(١) - م. ن / ص ١٢٠٥. و فى هامشه: انظر علوم الحديث للحاكم (النوع الخامس)، و مقدمه ابن الصلاح فى علوم الحديث.

(٢) - مقدمه ابن الصلاح / النوع السادس و السابع.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ١٠٩

و لا يقال إلا لمن كثرت ملازمته، فالمصاحبه تقتضى طول لبثه.

و بما أن الصيحه تكون بين اثنين، فقد لزم إضافه (صاحب) و جمعه إلى اسم آخر فى الكلام، قال تعالى: قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى (الشعراء / ٦١).

و استعمال الكلمه فى الكتاب و السنه مطابق لما ورد فى اللغه، و لكن الجمهور درجوا على تسميه أصحاب رسول الله (ص) بالصحابه و الأصحاب، و توسّعوا فى ذلك حتى قالوا: «إِنَّ كُلَّ مَنْ رَأَى النَّبِيَّ وَ هُوَ مُؤْمِنٌ بِهِ وَ لَوْ سَاعَهُ مِنْ نَهَارٍ، وَ لَمْ يَظْهَرِ الْإِرْتِدَادُ بَعْدَ الرَّسُولِ (ص) فَهُوَ صَحَابِيٌّ» «١».

و بناء على هذا فإنّ هذا المصطلح عند الجمهور يشمل آلاف الناس، بل كل المسلمين الذين لقوا رسول الله (ص) و لم يرتدوا.

هذا هو المشهور، إلا أنّ حقيقه آراء العلماء فى حدود الصيحه و مسمى الصحابى مختلفه، فنجد بين الأخباريين و المحدثين من جهه، و الاصوليين من

جبهه ثانيه تباينا كبيرا:

قال ابن الصيلاح: «اختلف أهل العلم في أنّ الصحابي من هو؟ فالمعروف من طريقه أهل الحديث، أنّ كلّ مسلم رأى رسول الله (ص) فهو من الصحابه.

قال البخارى فى صحيحه: من صحب النبى (ص) أو رآه من المسلمين فهو من أصحابه».

وقال: «قلت: وقد روينا عن سعيد بن المسيب أنه كان لا يعدّ الصحابي إلّا من أقام مع رسول الله (ص) سنة أو سنتين، و غزا معه غزوه أو غزوتين، و كأنّ المراد بهذا- إن صحّ عنه-، راجع إلى المحكى عن الاصوليين- من أنّ الصحابي من حيث اللغه و الظاهر يقع على من طالت صحبته للنبي (ص) و كثرت مجالسته له على طريق التتبع

(١)- قيام الأئمة بإحياء السنّه/ العلامه العسكري/ ج ١/ ص ٩٢، و راجع مادّه صحب فى مفردات الراغب و لسان العرب.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ١١٠

له و الأخذ عنه-، و لكن فى عبارته ضيق يوجب أن لا يعدّ من الصحابه: جرير بن عبد الله البجليّ، و من شاركه فى فقد ظاهر ما اشترطه فيهم، ممّن لا نعرف خلافا فى عدّه من الصحابه» (١).

و قال: «و روينا عن شعبه عن موسى السيلاني- و اثني عليه خيرا- قال: أتيت أنس بن مالك، فقلت: هل بقى من أصحاب رسول الله (ص) أحد غيرك؟ قال: بقى ناس من الأعراب قد رأوه، فأما من صحبه فلا. إسناده جيّد حدّث به مسلم بحضره أبى زرعه» (٢).

أمّا الأمدى، الاصولى، فقد حصر الآراء فى مسمى الصحابي بثلاثه: قال: «اختلفوا فى مسمى الصحابيّ:

١- فذهب أكثر أصحابنا و أحمد بن حنبل إلى أنّ الصحابي من رأى النبى (ص) و إن لم يختص به

اختصاص المصحوب ولا روى عنه ولا طالت مدته.

٢- و ذهب آخرون إلى أنّ الصحابيَّ إنّما يطلق على من رأى النبيّ (ص) و اختصّ به اختصاص المصحوب و طالت مدّه صحبته و إن لم يرو عنه.

٣- و ذهب عمرو بن يحيى إلى أنّ الاسم إنّما يسمّى به من طالت صحبته للنبيّ (ص) و أخذ العلم عنه. و الخلاف في هذه المسألة و إن كان آثلاً إلى النزاع في الإطلاق اللفظي، فالأشبه إنّما هو الأوّل... «٣».

و لخصّ الطيبي الآراء ناسبها إلى قائلها بثلاثة أيضاً:

«١- الصحابيّ عند المحدّثين: هو كل مسلم رأى رسول الله (ص).

(١)- مقدّمه ابن الصّلاح / ص ٤٢٤.

(٢)- م. ن. / ص ٤٢٦.

(٣)- الإحكام في اصول الأحكام / الأمدى / ج ٢ / ص ١٠٢.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ١١١

٢- و عند بعض الاصوليين: من طالت مجالسته على طريق التتبع و الأخذ عنه.

٣- و عند سعيد بن المسيب: هو من صحب سنه أو سنتين أو غزا غزوه... «١».

و يناقش ابن حزم الآراء المختلفه حول الصحابه، خصوصاً التي تعمّم و توسّع دائره الصحبه، و ذلك في ضوء واقع بعض من عاصر الرسول (ص)، فيذهب إلى التأكيد على الصفات الإيمانيه للفرد «الصحابي» بدلا من الصفات الحسيّه كرؤيه النبيّ (ص) أو لقياه و مصاحبته، فهو يقول: «اعلم أنّه ليس كلّ من أدرك النبيّ (ص) و رآه صحابياً، و لو كان ذلك لكان أبو جهل صحابياً لأنّه قد رأى النبيّ (ص) و حادثه و جالسه و سمع منه، و ليس كل من أدركه (ص) و لم يقله ثمّ أسلم بعد موته (ص) أو في حياته إلّا أنّه لم يره معدوداً من الصحابه، و

لو كان كذلك لكان كل من كان في عصره (ص) صحابياً، ولا خلاف في أن علقمه والأسود ليسا صحابيين، و هما من الفضل والعلم والبر، وقد كانا عالَمين جليلين أيام عمر و أسلما في أيام النبي (ص)، وإنما الصحابه الذين قال الله فيهم مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَ الَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ... الآية. و من سمع النبي (ص) يحدث بشىء و السامع كافر ثم أسلم فحدث به و هو عدل، و إنما شرط العدالة في حين النذاره و المجبىء بالخبر لا في حين مشاهدته ما أخبر به، و قد كان في المدينة في عصره (ص) منافقون بنص القرآن، و كان بها أيضا من لا ترضى حاله كهيئ المَخْتِث الذي أمر (ص) بنفيه، و الحكم الطريد و غيرهما، فليس هؤلاء ممن يقع عليه اسم الصحابه» (٢).

و هكذا نجد اختلافا كبيرا في مسَمَى الصحابى بين من وسع حتى جعل كل مسلم رأى النبي (ص) و لو لساعه صحابياً، ليشمل المصطلح حتى المنافقين و من طردهم النبي (ص) و لعنهم ممن عاصروه، و بين من اشترط الصَّحْبَه لمدَّه معقوله يصحَّ معها

(١) - الخلاصه في اصول الحديث / الطيبي / ص ١٢٣.

(٢) - الاحكام لابن حزم، نقلا عن الاحكام للآمدى / ج ٢ / ص ١٠٢ / هامش ١.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ١١٢

اطلاق اللفظ عليه وفاقا مع المعنى اللغوى الذى تضمّن المباشره و طول الملازمه، و أخيرا رأى ابن حزم الواضح فى خروج كثير من المعاصرين للنبي (ص) عن دائره الصحابه.

و يمكن تلخيص الآراء السابقه بما يلى:

١- الصحابى: هو كل مسلم رأى الرسول (ص)، و هو المشهور، و المنقول عن

البخارى و أحمد بن حنبل وغيرهما.

٢- الصحابي: هو من أقام مع رسول الله (ص) سنة أو سنتين و غزا معه غزوه أو غزوتين، و هو المحكى عن سعيد بن المسيب.

٣- الصحابي: هو من رأى النبي (ص) و اختص به اختصاص المصحب و طالت مده صحبته و إن لم يرو عنه، ذكره الأمدى.

٤- الصحابي: من طالت صحبته و أخذ العلم عنه، و هو مذهب عمرو بن يحيى و المحكى عن الاصوليين اذا اشترطوا كثره مجالسته له على طريق التبع و الأخذ عنه.

٥- الصحابي: من ينطبق عليه قوله تعالى: مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَ الَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ...، و يشترط فيه العدالة حين الانذار و المجيء بالخبر... و هو رأى ابن حزم.

و من الواضح هنا أن مصطلح الصحابه فى صدر الاسلام لم يكن يشمل كل من رأى الرسول (ص) من المسلمين، و منهم مسلمه الفتح و غيرهم من الأعراب، و إلا كيف يمكن الاطلاق بأن «للصحابه بأسرهم خصيصه، و هى أنه لا يسأل عن عداله أحد منهم، بل ذلك أمر مفروغ منه، لكونهم معدلين بنصوص الكتاب و السنه و إجماع من يعتد به فى الاجماع من الامه» (١)، و قد قال تعالى شأنه فى وصف بعض المعاصرين للنبي (ص): قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَ لَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَ لَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَ إِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَ رَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ * إِنَّمَا

(١) - مقدمه ابن الصلاح / ص ٤٢٧.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ١١٣

الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَزْتَابُوا وَ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَ أَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ

أَوْلَيْكَ هُمُ الصَّادِقُونَ (الحجرات / ١٤-١٥).

و قال تعالى فى وصف بعض من كانوا حول النبى (ص) أو مَمَّنْ جاوروه فى المدينه:

وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَيُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ (التوبه / ١٠١).

و هذه الآيات تدعو إلى أمرين: الأول: عدم إطلاق لفظ الصحابى، و الثانى: عدم إطلاق العداله على كل صحابى.

و قد روى عن ابن زرعه أنّ رسول الله (ص) قبض عن مائه ألف و أربعه عشر ألفا من الصحابه مَمَّنْ روى عنه و سمع منه. و قيل له: يا أبا زرعه هؤلاء أين كانوا و أين سمعوا منه؟ قال: «أهل المدينه و أهل مكّه و من بينهما و الأعراب و من شهد معه حجّه الوداع، كلّ رآه و سمع منه بعرفه» (١).

فهل تحوّل كل من قاتل الرسول (ص) و دخل الاسلام عنوه فى فتح مكّه و غيرها إلى صاحب للرسول (ص) فتشمله العداله و الصّحه لكل ما يحدث به!!

(٣) عداله الصحابى:

اشاره

و كما اختلف فى مسمى الصحابى، فقد اختلف أيضا فى إطلاق العداله عليه، قال الأمدى:

«١- اتفق الجمهور من الأئمه على عداله الصحابى (٢)».

(١)- م. ن. / ص ٤٣٢.

(٢)- من الأعلام القائلين بذلك: الحافظ أبو حاتم الرازى / الجرح و التعديل / ج ١ / ص ٧، ابن عبد البر / الاستيعاب فى معرفه الأصحاب / المقدمه، ابن الأثير / أسد الغابه فى معرفه الصحابه / ج ١ / ص ٣، ابن حجر العسقلانى / الإصابه فى تمييز الصحابه / ج ١ / ص ١٧، ابن حجر المكي / الصواعق المحرقة / ص ١٩٤. راجع: مناظره علميه، للشيخ محمّد صادق النجمى / ص ١١١.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ١١٤

٢- و قال

قوم إنّ حكمهم فى العدالة حكم من بعدهم فى لزوم البحث عن عدالتهم عند الروايه «١».

٣- و منهم من قال إنّهم لم يزلوا عدولا إلى حين وقع الاختلاف و الفتن فيما بينهم، فلا بدّ من البحث فى العدالة عن الراوى أو الشاهد منهم إذا لم يكن ظاهر العدالة.

٤- و منهم من قال بأنّ كل من قاتل عليّا عالما منهم، فهو فاسق مردود الروايه و الشهاده لخروجهم عن الإمام الحق.

٥- و منهم من قال برّد روايه الكل و شهادتهم لأنّ أحد الفريقين فاسق فهو غير معلوم و لا معين.

٦- و منهم من قال بقبول روايه كل واحد منهم و شهادته، إذا انفرد، لأنّ الأصل فيه العدالة، و قد شككنا فى فسقه، لا يقبل ذلك منه مع مخالفه غيره لتحقق فسق أحدهما من غير تعيين... «٢».

و هكذا نجد أيضا تباينا واسعا فى الآراء، إلّا أنّ رأى الجمهور الشائع أنّ «الصحابه كلّهم عدول سواء لابسوا الفتن أم لا فإجماع من يعتدّ به» «٣». و أنّ هؤلاء العدول من الكثره بحيث «قبض رسول الله (ص) عن مائه ألف و أربعة عشر ألفا من الصحابه ممّن سمع منه و روى عنه من أهل المدينه و أهل مكّه و من بينهما و الأعراب و من شهد معه حجّه الوداع» «٤».

و لذلك قال ابن كثير: «و الصّحابه كلّهم عدول عند أهل السنّه و الجماعه ... و أمّا ما شجر بينهم بعده (ص) فمنه ما وقع عن غير قصص كثيره من الجموع!!، و منتهى ما كان عن

(١) - قد سبق قول ابن حزم بهذا الرأى.

(٢) - الإحكام / الأمدى / ج ٢ / ص ١٠٢.

(٣) - الخلاصه فى اصول الحديث / الطيبي / ص ١٢٣.

(٤) - م.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ١١٥

اجتهاد كيوم صفين ..!! و الاجتهاد يخطئ و يصيب و لكن صاحبه معذور و إن أخطأ و مأجور أيضا!!» (١).

و مع هذا التباين في الآراء ألا يكون غريبا أن يرى البعض أن: «من انتقص أحدا من الصحابه- على كثرتهم- فهو من الزنادقه» (٢).

الأدلة على عداله الصحابه:

قال الآمدي: «و المختار إنما هو مذهب الجمهور من الأئمة، ذلك بما تحقّق من الأدلة الدالة على عدالتهم و نزاهتهم و تخيرهم على من بعدهم.

فمن ذلك قوله تعالى: وَ كَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا أَى عدولا. و قوله تعالى:

كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ و هو خطاب مع الصحابه الموجودين فى زمن النبى (ص) (٣).

(١)- الباحث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث / ص ١٧٧.

و من قول ابن كثير هذا يتبين لنا خلفيه التأكيد على عداله الصحابه مطلقا من أصاب و من أخطأ و لو كان باغيا خارجا على إمام زمانه و تسبب فى إراقه دماء آلاف المسلمين، يتضح الهدف من ذلك فى الدفاع عن بنى اميه و معاويه بالخصوص إذا قرأنا ابن كثير يقول: «و قال بعضهم فى معاويه و عمر بن عبد العزيز: ليوم شهده معاويه مع رسول الله (ص) خير من عمر بن عبد العزيز و أهل بيته» / نفس المصدر / ص ١٧٦.

جدير ذكره أنّ معاويه كان مّمن شارك قومه فى حربه لرسول الله (ص) فى بدر و تحت رايه أبيه فى أحد و الخندق، و أسلم بعد فتح مكّه و أعطاه الرسول (ص) من غنائم حنين سهم المؤلّفه قلوبهم على الاسلام. راجع ترجمته فى أسد الغابه / ج ١٤ / ص ٤٣-٤٧، و الطبرى / ج ٣ / ص ٢٣١٥-٢٣١٧ ط أوروبا، و للمزيد قيام

(٢)- الإصابه/ ابن حجر العسقلاني/ ج ١/ ص ١٠-١٨. راجع أحاديث ام المؤمنين عائشه/ ج ٢/ ص ٢٧.

(٣)- ذهب جمع من المفسرين إلى أنّ الآية لا تختص بالامه التي عاصرت الرسول (ص)، بل التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ١١٦

و منها قوله (ص): «أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم» (١). و الاهتداء بغير عدل محال.

و قوله (ص): «إنّ الله اختار لى أصحابا و أصهارا و أنصارا» (٢). و اختيار الله تعالى لا يكون لمن ليس بعدل.

و منها ما ظهر و اشتهر بالنقل المتواتر الذى لا مرأ فيه من مناصرتهم للرسول، و الهجره إليه و الجهاد معه (٣) «...» (٤).

رأى الغزالي

اعتبر الغزالي القول بحجّيه قول الصحابه إطلاقا للعصمه عليهم، و هو أمر لا يتم مع تواتر اختلافهم فى القول و العمل، فقال: «فإنّ من يجوز عليه الغلط و السهو و لم تثبت عصمته عنه فلا- حجّه فى قوله، فكيف يحتجّ بقولهم مع جواز الخطأ؟ و كيف تدعى عصمتهم من غير حجّه متواتره؟ و كيف يتصوّر عصمه قوم يجوز عليهم الاختلاف؟ و كيف يختلف المعصومان؟ كيف، و قد اتّفقت الصحابه على جواز مخالفه الصحابه، فلم ينكر أبو بكر و عمر على من خالفهما بالاجتهاد، بل أوجبوا فى مسائل الاجتهاد على كل مجتهد أن يتبع اجتهاد نفسه، فانتفاء الدليل على العصمه و وقوع

- هى تصف امه الاسلام بخصائصها اللّازمه لها من الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر و الإيمان بالله، فهى متعلقه بالامه المؤمنه عامّه دون اختصاصها بزمان أو مكان.

(١)- قال ابن حزم عن هذا الحديث: «حديث موضوع مكذوب باطل»، و قال أحمد: «حديث لا يصحّ».

راجع: السنّه فى الشريعة الاسلاميه / الحكيم / ص ٢٤. و عدّه الألبانى فى الموضوعات، سلسله الأحاديث الضعيفه و الموضوعه / محمد ناصر الألبانى / ج ١ / ص ٥٨.

(٢)- و فى هامش الإحكام: الحديث، و قد قال ابن حبان عنه أنه حديث باطل لا أصل له.

و كذلك ورد فى تذكره الموضوعات للمقدسى أنّ هذا الحديث فيه ابن عبيد.

(٣)- واضح أنّ المناصره و الهجره و الجهاد تمت للمهاجرين و الأنصار لا عموم من كان مسلما و رأى النبى (ص).

(٤)- الإحكام فى اصول الأحكام / الآمدى / ج ٢ / ص ١٠٢.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ١١٧

الاختلاف بينهم و تصريحهم بجواز مخالفتهم فيه ثلاثة أدلّه قاطعه «١».

و هكذا نجد أنّ علماء الجمهور كما اختلفوا فى مسمى الصحابى، اختلفوا أيضا فى عدالته إضافه إلى الاختلاف فى حجيه قوله، على تفصيل قد مرّ ذكره.

(٤) رأى الشيعة فى الصحابه و عدالتهم

إشاره

لم نكن بحاجة إلى التوسّع فى هذا الموضوع لو لا أنّنا وجدنا باحثين كالكتور الذهبى «٢» و الدكتور فهد الرومى «٣» و غيرهما ممن سبقهما أو لحق بهما، وجدناهم يتخذون من موقف الشيعة من الصحابه و تفسيرهم بابا للطعن فى الشيعة و تفاسيرهم و سدّا أمام الاستفاده ممّا ورد فيها من آراء علميّة.

فالعجب كلّ العجب ممن يرى تفسير الميزان «من أحسن التفاسير فى العصر الحديث» يرى أنّ «اصولهم فى التفسير، بل فى العقيدة كلّها لا يقوم لها أصل و لا تقوم لها قائمه ما دام عمودها منهّدا و ركنها الأساس ساقطا»، و هذا العمود و الأساس هو أنّها «أعلنت أنّها لا تتفق بهذا المروى عن الصحابه (رض)» «٤».

لذا كان من الحق و الإنصاف و ضروره البحث العلمى أن نقف عند هذه النقطة قليلا لكى لا

يظلم بعضنا بعضا ولا نبخس طائفه كبيره من المسلمين حقهم.

و لغرض بيان الأمر نقسمه إلى المباحث الآتية:

(أ) رأيهم في مسمى الصحابي:

قالوا: «ترى مدرسه أهل البيت (ع) أن لفظ الصحابي ليس مصطلحا شرعيا و إنما

(١) - المستصفى / ج ١ / ص ١٣٥، راجع السنّه في الشريعة الاسلاميه / السيد محمّد تقى الحكيم / ص ٢٥.

(٢) - التفسير و المفسرون / ج ٢ / ص ٤١ و ١٦٥.

(٣) - اتجاهات التفسير فى القرن الرابع عشر / ج ١ / ص ٢٥٠.

(٤) - م. ن. / ص ٢٥٠ - ٢٥٢.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ١١٨

شأنه شأن سائر مفردات اللّغه العربيه، و (الصاحب) فى لغه العرب بمعنى الملازم و المعاشر و لا يقال إلّا لمن كثرت ملازمته» «١».

و بمراجعته ما سبق من آراء، نجد أنّ رأى الشيعة هذا يتفق مع بعض الآراء السالفه الذّكر؛ كالرأى الثانى عند الآمدى، و الرأى الثانى أيضا عند الطيّبى و المنسوب إلى الاصوليين - من أهل السنّه -، و كذلك الرأى الثالث عند الأخير المنسوب إلى سعيد ابن المسيّب، و التى كانت تذهب جميعا إلى اشتراط طول الصحبه و كثره المجالسه فى الشخص حتى يكون صحابيا، و إن اختلفت فى بعض التفاصيل كإضافه أخذ العلم عن الرسول (ص) أو تحديد المدّه بسنه أو سنتين عند بعضهم.

نعم، هو يختلف عن الرأى المشهور عند الجمهور من أنّ الصحابي هو «كل مسلم رأى رسول الله (ص)» «٢».

هذا و قد ورد عند بعض الشيعة أيضا، آراء تخالف المشهور الذى ذكرناه عنهم، و تقارب الرأى المشهور عند السنّه، من ذلك تعريف بعضهم للصحابي بأنّه: «من لقي النّبى (ص) مؤمنا به و مات على الاسلام، و إن تخلّلت ردّته بين لقيه مؤمنا به و بين موته مسلما على الأظهر»

و ورد أيضا عند آخرين منهم أنّ الصحابي: «مشتق من الصّحبه، و يوصف بها كل من صحب غيره طالت المدّه أو قصرت» «٤».

(ب) الموقف العام من الصحابه:

يتداول الشيعة كتابين بشكل واسع، و قد جاء فيهما ذكر الصحابه مدحا و دعاء،

(١) - أحاديث أمّ المؤمنين عائشه / ج ٢ / ص ٢٨.

(٢) - الخلاصه فى اصول الحديث / ص ١٢٣.

(٣) - الرعايه فى علم الدرايه / الشهيد الثانى / ص ٣٣٩.

(٤) - دراسات فى الحديث و المحدثين / هاشم معروف الحسنى / ص ٦٧.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ١١٩

و هما:

١- نهج البلاغه للإمام علىّ (ع)، و ممّا جاء فيه أنّه (ع) قال:

«لقد رأيت أصحاب محمّد (ص) فما أرى أحدا منكم يشبههم. لقد كانوا يصبحون شعثا غربا، و قد باتوا سجّدا و قياما، يراوون بين جباههم و خدودهم، و يقفون على مثل الجمر من ذكر معادهم، كأنّ بين أعينهم ركب المغزى من طول سجودهم.

إذا ذكر الله هملت أعينهم حتى تبلّ جيوبهم، و مادوا كما يמיד الشجر يوم الريح العاصف خوفا من العقاب و رجاء للثواب» «١».

٢- الصحيفه السجديه، و هو كتاب مجموع فى الدّعاء للإمام علىّ بن الحسين (ع)، و من أدعيته:

«اللهمّ و أصحاب محمّد خاصّه الذين أحسنوا الصّحابه، و الذين أبلوا البلاء الحسن فى نصره، و كانفوه و أسرعوا إلى وفادته، و سابقوا إلى دعوته، و استجابوا له حيث أسمعهم حجّه رسالاته، و فارقوا الأزواج و الأولاد فى إظهار كلمته، و قاتلوا الآباء و الأبناء فى تثبيت نبوّته، و انتصروا به و من كانوا منطوين على محبّته يرجون تجاره لن تبور فى موّدته، و الذين هجرتهم العشائر إذ تعلقوا بعروته و انتفت منهم القربات إذ سكنوا فى ظلّ قرابته، فلا

تنس لهم اللهم ما تركوا لك وفيك و أرضهم من رضوانك، و بما حاشوا الخلق عليك و كانوا مع رسولك دعاه لك إليك، و اشكرهم على هجرهم فيك ديار قومهم، و خروجهم من سعه المعاش إلى ضيقه، و من كثرت في إعزاز دينك من مظلومهم.

اللهم و أوصل إلى التابعين لهم بإحسان الذين يقولون رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَ لِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ خَيْرَ جزائك، الذين قصدوا سمتهم، و تحروا وجهتهم، و مضوا على شاكلتهم، لم يشتمهم ريب في بصيرتهم، و لم يختلجهم شك في قفو آثارهم و الائتمام

(١) - نهج البلاغه / الخطبه ٩٦.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ١٢٠

بهدايه منارهم مكانفين و موازين لهم، يدينون بدينهم، و يهتدون بهديهم، يتفقون عليهم، و لا يتهمونهم فيما أدوا إليهم.

اللهم و صل على التابعين من يومنا هذا إلى يوم الدين، و على أزواجهم، و على ذرياتهم، و على من أطاعك منهم صلاه تعصمهم بها من معصيتك، و تفسح لهم في رياض جنتك ... «١».

(ج) رأيهم في عداله الصحابه:

لخص الشهيد الثاني - زين الدين العاملي - رأى الشيعة في عداله الصحابه في قوله:

«و حكمهم عندنا في العداله حكم غيرهم» «٢».

و قال المامقاني - شارحا و مبينا ذلك الرأى -: «فمجرد كون الرجل صحابيا لا يدل على عدالته، بل لا بد من إحرازها. نعم، ثبوت كونه صحابيا مغن عن الفحص عن إسلامه، إلا أن يكون ممن ارتد بعد وفاه النبي (ص).

فما عليه جمع من العامه من الحكم بعداله الصحابه كلهم، حتى من قاتل أمير المؤمنين عناد محض يرده واضح الدليل» «٣».

و كما سبق، فإن الجمهور أيضا اختلفوا في إطلاق العداله على الصحابه، نعم رأى الشيعة هو أن الصيحه - مجرد رؤيه النبي (ص) -

لا- تجعل الانسان عادلا- حتى نهايه حياته، وقد سبق أن ذكرنا رأى ابن حزم من اشتراطه العداله حين التحديث و نفيه صفه الصحبه عن كثير ممن كانوا فى المدينه أيام النبى (ص)، و لذا فإن رأى الشيعة فى هذا المقام ليس بركا، كما إن الاجماع المزعوم على عداله الصحابه ليس بمنعقد.

و من المفيد أن نعرف تعريف العداله عندهم، فهى: «عبارة عن ملكه نفسانيه

(١)- الصحيفه السجاديه / الدعاء الرابع.

(٢)- الرعايه فى علم الدرايه / العاملى / ص ٤٤٣.

(٣)- م. ن، نقلا عن تلخيص مقباس الهدايه / ص ٢٠٧.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ١٢١

راسخه باعته على ملازمه التقوى و ترك ارتكاب الكبائر و الاصرار على الصغائر، و ترك ارتكاب منفيات المروءه الكاشف ارتكابها عن قلبه المبالاه بالدين بحيث لا يوثق منه التحرز عن الذنوب» (١).

و تعريف العداله هذا مشابه لتعريفه عند الجمهور. فالرازى (فى المحصول) عرّفها بأنها: هى هيئه راسخه فى النفس تحمل على ملازمه التقوى و المروءه جميعا حتى يحصل ثقه النفس، و قريبا من ذلك عرفها ابن الحاجب و الكافيجى و عرّفها الشوكانى بأنها التمسك بآداب الشرع (٢).

و قال الشافعى فى وصف من يحتج بحديثه: «و لا تقوم الحجّه بخبر الخاصه حتى يجمع امورا: منها أن يكون من حدّث به ثقه فى دينه، معروفا بالصدق فى حديثه، عاقلا بما يحدّث به، عالما بما يحيل معانى الحديث من اللفظ ... حافظا إن حدّث من حفظه ... بريئا من أن يكون مدلسا ...، و يكون هكذا من فوفه ممن حدّثه حتى ينتهى الحديث موصولا إلى النبى (ص) ... فلا يستغنى فى كل واحد منهم عمّا وصفت» (٣).

و قال شرف الدين، و هو من

أعلام الشيعة المعاصرين: «إن من وقف على رأينا في الصحابه علم أنه أوسط الآراء، إذ لم نفرط فيه تفريط الغلاة الذين كفروهم جميعا، و لا- أفرطنا إفراط الجمهور الذين وثقوهم جميعا... فَإِنَّ الصَّيْحَبَةَ وَ إِنْ كَانَتْ عِنْدَنَا فَضِيلَةٌ جَلِيلَةٌ، لَكِنَّهَا- بِمَا هِيَ وَ مِنْ حَيْثُ هِيَ - غَيْرُ عَاصِمَةٍ.

فالصحابه كغيرهم من الرجال فيهم العدول و فيهم أهل الجرائم من المنافقين، و فيهم مجهول الحال. فنحن نحتج بعدولهم و نتولاهم في الدنيا و الآخرة، أمّا البغاه على الوصى و أخى النبى، و سائر أهل الجرائم و العظائم كابن هند و ابن النابغه و ابن الزرقاء و ابن عقبه و ابن أوطاه و أمثالهم فلا- كرامه لهم و لا- وزن لحديثهم. و مجهول الحال نتوقف

(١)- تلخيص مقباس الهدايه/ ص ٨٠.

(٢)- معجم مصطلحات توثيق الحديث/ د. على زوين/ ص ٥٢.

(٣)- كتاب الكفايه فى علم الروايه/ الخطيب البغدادي/ ص ٢٣-٢٤.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ١٢٢

فيه حتى نتبين أمره.

هذا رأينا فى حملة الحديث من الصحابه و غيرهم، و الكتاب و السنه بينتنا على هذا الرأى... «١».

لذا فَإِنَّ الشيعة ترى أَنَّ من الصحابه مؤمنين أثنى الله عليهم فى كتابه و الرسول (ص) فى أحاديثه، و أنهم المقصودون فى ما ورد من الثناء فى القرآن و الحديث، و أن منهم منافقين مَرَدُّوا عَلَى النَّفَاقِ (التوبه/ ١٥١)، و رموا فراش رسول الله (ص) بالإفك إِنْ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لا- تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَ الَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ* ...

يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (النور/

١١-١٧)، و حاولوا اغتيال رسول الله «٢»، و أخبر عنهم الرسول (ص) أنهم يوم القيامة يختلجون دون رسول الله (ص) فينادى: اصحابي اصحابي، فيقال له: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم «٣».

و لأنّ النبيّ (ص) جعل حبّ عليّ من الإيمان و بغضه من علامات التّفاق «٤»، لذا

(١) - أجوبه مسائل جار الله/ السيد عبد الحسين شرف الدين/ ص ١٥.

(٢) - مسند أحمد/ ج ٥/ ص ٤٥٣، مجمع الزوائد/ ج ١/ ص ١١٠، مغازى الواقدي/ ج ٣/ ص ١٠٤٢، امتاع الأسماع للمقريزي/ ص ٤٧٧، تفسير الدر المنثور للسيوطي/ ج ٣/ ص ٢٥٨-٢٥٩، بحار الأنوار/ ج ٢٨/ ص ٩٧.

(٣) - صحيح البخاري/ كتاب التفسير/ تفسير سورة المائدة/ باب: وَ كُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي/ ج ٣/ ص ٨٦. و صحيح مسلم/ كتاب الفضائل/ باب إثبات حوض نبيّنا/ ج ٤/ ص ١٨٠٠ ح ٤٠ و غيرهما.

(٤) - مسند أحمد/ ج ١/ ص ٦١/ باب: الدليل على أنّ حبّ الأنصار و عليّ من الإيمان و بغضهم من التّفاق. و صحيح الترمذي/ ج ١٣/ ص ١٧٧/ باب مناقب عليّ. سنن ابن ماجه/ الباب الحادي-

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ١٢٣

فإنهم لا يلتزمون بروايه من قاتل الإمام علياً أو الأئمة من أهل البيت (ع) و من عاداهم صحابياً كان أو غير صحابي «١».

(٥) تفسير الصحابي:

قد تقدّم الاختلاف في الصحابي، و كذلك في عدالته، و سيأتي أنّ من قال بعداله الصحابه كلّهم أو توقّف في ذلك، ذهب إلى أنّ تفسير الصحابه من الموقوفات عليهم، إلّا إذا أخبر الصحابي عن سبب نزول آيه، و هذا أيضاً فيه كلام مختلف

مما نقرأه في آراء أعلام الجمهور التاليه:

قال ابن الصّلاح: «و ما قيل من أنّ تفسير الصحابي حديث مسند، فإنّ ذلك في تفسير يتعلّق بسبب نزول آيه يخبر به الصحابي أو نحو ذلك كقول جابر (رض):

(كانت اليهود تقول: من أتى امرأته من دبرها في قبلها، جاء الولد أحول، فأنزل الله عزّ و جلّ: نِسْأُكُمْ حَزْتُ لَكُمْ ... الآية- البقره (٢٢٣).

فأما سائر تفاسير الصحابه التي لا تشمل على إضافه شيء إلى رسول الله (ص)، فمعدود في الموقوفات، و الله أعلم» (٢).

و قال النواوي: «و أما قول من قال: تفسير الصحابي مرفوع، فذاك في تفسير يتعلّق بسبب نزول آيه و نحوه، و غيره موقوف» (٣).

و قال السيوطي في شرحه على النواوي: «ما ذكره من أنّ سبب النزول مرفوع.

- عشر من مقدّمته. سنن النسائي/ ج ٢ / ص ٢٧١/ باب علامه المؤمن و باب علامه المنافق/ كتاب الايمان و شرائعه. و حليه الأولياء لأبي نعيم/ ج ٤ / ص ١٨٥، و قال: حديث صحيح متفق عليه، و غير ذلك من المصادر.

(١)- للمزيد راجع: أحاديث أمّ المؤمنين عائشه/ العلامه العسكري/ ج ٢ / ص ٢٩.

(٢)- مقدّمه ابن الصّلاح/ النوع الثامن/ ص ١٢٨.

(٣)- تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي/ ط. دار الفكر/ ص ١٢٢-١٢٣.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ١٢٤

قال شيخ الاسلام: يعكّر على اطلاقه ما إذا أسقط الراوي السبب، كما في حديث زيد ابن ثابت أنّ الوسطى الظّهر، نقلته من خطّه» (١).

لذا قال بعض المتأخّرين: «بيد أنّ اطلاق بعضهم أنّ تفسير الصحابه له حكم المرفوع إطلاق غير جيّد، لأنّ الصحابه اجتهدوا في تفسير القرآن، و اختلفوا في بعض المسائل و الفروع، كما رأينا بعضهم يروي

و أرجع بعضهم عدم حجّيته تفسير الصحابه إلى الاختلاف بين العلماء فى أصل حجّيته رأى الصحابى و سنّته، فإنّ «هذا التعميم و الإطلاق ليس هو الراجح المعتمد و المستقر عند جمهور العلماء من الاصوليين و الفقهاء الذين فصّلوا فيما يصدر عن الصحابه و التابعين من مأثورات، بين ما هو صادر عنها للنبيّ (ص)، و ما هو صادر عن آرائهم الذاتيه و اجتهادهم الخاص، و هذا مقول أيضا فى علماء الامّه من بعدهم من التابعين و تابعيهم من باب أولى، فلا يصحّ فى نظرنا اعتماد ذلك على إطلاقه أصلا فى المنهج العلمى للتفسير لما قدّمنا أنّ مسأله و جوب الالتزام و الأخذ بآراء الصحابه الاجتهاديه أو عدم الخروج عليها جملة أمر مختلف فيه منذ القدم و ليس متّفقا عليه، ما دام مستندا الاجتهاد بالرأى ...» (٣).

(٦) مصادر الصحابه فى التفسير:

هل أخذ الصحابه تفسيرهم من رسول الله (ص) حتى ينزل بذلك منزله الحديث المرفوع عنه (ص)؟ أم أنّه كان باجتهادهم و ما فهموه من كتاب الله و استنبطوه منه؟

(١) - م. ن.

(٢) - علوم الحديث و مصطلحه / د. صبحى الصالح / ص ٢٢٠.

(٣) - دراسات و بحوث فى الفكر الاسلامى المعاصر / د. فتحى الدينى / ص ١٨٤. و فى هامشه:

إرشاد الفحول / ص ٢٤٣ - ٢٤٤ / ط. اولى: و جمهور العلماء على أنّ رأى الصحابى ليس بحجّه، من متأخري الحنفية و الشافعية و المالكية و الحنابلة، راجع سائر كتب الاصول.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ١٢٥

ذهب جمع من العلماء و المفسّرين قديما و حديثا إلى أنّ تفسير الصحابه ليس قول الرسول (ص)، و إنّما هو ما فهموه من كتاب الله باستنباطهم و اجتهادهم، من هذه الآراء:

قال القرطبي: «فإنّ

الصحابه (رض)، قرءوا القرآن، و اختلفوا فى تفسيره على وجوه، و ليس كل ما قالوه سمعوه من النبى (ص). فإن النبى (ص) دعا لابن عباس و قال: (اللهم فقهه فى الدين و علمه التأويل)، فإن كان التأويل مسموعا كالتنزيل فما فائده تخصّصه بذلك» (١).

و قال الإمام الغزالى: «و الصحابه (رض) و من بعدهم اختلفوا اختلافا كثيرا لا يمكن فيه الجمع، و يمنع سماع الجميع من رسول الله (ص)» (٢).

و قال علاء الدين البغدادى: «فإن الصحابه (رض) قد فسروا القرآن و اختلفوا فى تفسيره على وجوه، و ليس كل ما قالوه سمعوه من النبى (ص)، و لكن على قدر ما فهموا من القرآن تكلموا فى معانيه» (٣).

و لم يقتصر الرأى على السابقين من العلماء، بل نجد المعاصرين أيضا يرون نفس الرأى، مع سعه فى التحليل العلمى المكتسب مع مرور الزمن و تقادم العلم، فمنهم من يرى أنّ «كثيرا من التفسير المنقول كان فى أوّل الأمر من آراء العلماء و نتيجة اجتهادهم و تدبرهم و خلاصه علمهم و فهمهم و زيده عقلهم و فقههم. فمن الممكن أن نقول أنّ التفسير منقول من جهه و معقول من جهه. و لو قلنا أنّ كل تفسير قديم كان فى البدء مبيّنا على الرأى و الاجتهاد حسب ما كان عند المتقدّمين من العلم و الفقه لما قلنا شططا، و اختلاف آرائهم و آثارهم حجّه لنا. ثمّ إنّ تفسير الأقدمين صار لمن بعدهم منقولا، و حبّ القدامه ألبسها شعار القداسه. و ما دام هذا من عادة الناس،

(١) - تفسير القرطبي / ج ٣ / ص ٣٣.

(٢) - تبصير الرّحمن و تيسير المّنان للعلّامه المهائمي.

(٣) - تفسير الخازن / مقدّمه المفسّر / ص ٦.

التفسير بالمأثور و

فلننظر اليوم الذى تصير فيه آراؤنا لمن جاء بعدنا من قوله. وقال المغفور له الشيخ العلامة رشيد رضا: إن أكثر ما روى فى التفسير المأثور أو كثيره، حجاب على القرآن و شاغل لتاليه عن مقاصده العاليه المزكيه للأنفس المنوره للعقول» (١).

و يرى الدكتور الدريني أن التباين الواسع بين الصحابه أنفسهم دليل على عدم حجّيه رأيهم فيقول:

«فإنه لا يستقيم بالنسبه إلى المأثور من مجتهدات الصحابه و من بعدهم - عدا ما ليس للرأى فيه مجال - أن يعتبر فى حكم السنّه الثابته المرفوعه إلى النبىّ (ص) لما بيّننا من أنّهما مختلفان مصدرا، فيتفاوتان حجّيه بالضروره، لأنّ السنّه الصحيحه الثابته من آثار النبوه المعصومه الصادره عن الوحى، الواجبه الاتباع، بخلاف غيرها من المجتهدات المأثوره، أيّا كان مصدرها، بما هي مجال واسع للاحتتمالات، بدليل اختلاف الصحابه أنفسهم فى المسأله الواحده، بل و فى النص الواحد مفردات و جملا - تفهّما و استنباطا أو تطبيقا - أيما اختلاف» (٢).

(٧) موقف الشيعة من تفسير الصحابه

قد علم ممّا سبق أنّ العلماء قالوا إنّ «سائر تفاسير الصحابه التى لا تشتمل على إضافه شىء إلى رسول الله (ص) فمعدود فى الموقوفات»، و «الموقوف هو ما يروى عن الصحابه فيوقف عنهم و لا يتجاوز به إلى رسول الله» و استثنوا من ذلك التفسير الذى «يتعلّق بسبب نزول آيه يخبر به الصحابى و نحو ذلك» (٣).

كما علم من أقوال القرطبى و الغزالى و البغدادى صاحب تفسير الخازن و رشيد

(١) - تفسير المنار / ج ١ / ص ١٠. راجع المقدمه القيمه للاستاذ عبد الرحمن السورتى لتفسير مجاهد / ط المنشورات العلميه / بيروت.

(٢) - دراسات و بحوث فى الفكر الاسلامى المعاصر / د. فتحى الدريني / ص ١٩٤.

(٣) - العبارات من مقدمه ابن

رضا صاحب تفسير المنار و غيرهم، أنّ الصحابه «اختلفوا اختلافا كثيرا لا يمكن فيه الجمع و يمتنع سماع الجميع من رسول الله (ص)» (١).

و حتى أسباب النزول لم تسلم من الاختلاف فإنّ «كثيرا ما يذكر المفسرون لنزول الآيه أسبابا متعدده» (٢).

و بناء على ذلك فإنّ الخلاف بهذه الآراء فى تفسير الصحابه بين السنّه و الشيعة يكاد يكون معدوما، لأنّ أصل الخلاف فى إنزال تفسيرهم منزله تفسير النبى (ص) و إعطائه الحجّيه بذلك، و أمّا بلا- ذاك فإنّ الشيعة استعانوا بأقوال الصحابه و التابعين و استفادوا منها فى بيان الآيات إلّا أنّ هذه الأقوال لم تكن حجّه بذاتها و تبقى خاضعه للمناقشه، و لكنّهم أخذوا بها و قدّموها على غيرها من نصوص المفسرين؛ لمعاصره الصحابه زمان نزول الوحي و معاشتهم ظروفه و معرفتهم باللغه و غير ذلك.

و كانت طريقتهم مناقشه الروايات فى ضوء متونها، كما أنّهم استعملوا نفس الطريقه فى مناقشه روايات وارده عن أهل البيت (ع)، فأخذوا ببعضها و لم يأخذوا بالبعض الآخر إمّا لعدم تأييد القرآن لمضامينها أو لاضطراب فى متونها أو فى معانيها (٣).

و الواقع أنّنا بنظره عابره فى التفاسير الأساسيه للشيعة كتفسير التبيان للشيخ الطوسى و مجمع البيان للطبرسى و من المعاصرين تفسير الميزان للعلّامه الطباطبائى، نجد أنّ هذه التفاسير مشحونه بالمأثور من تفاسير الصحابه و التابعين و الرجوع إليها فى الكثير من الآراء.

و قد عدّنا فى فهرس تفسير الميزان، الموارد التى رجع فيها إلى الدر المنثور للسيوطى

(١) - عبارة الإمام الغزالي.

(٢) - الإتيقان/ السيوطى/ ج ١/ ص ١٠١.

(٣) - انظر مجمع البيان فى استفادته من تفسير الصحابه/ ج ١/ ص ٢٤٦،

٢٩٠ و ٣٨١، على سبيل المثال. وانظر الميزان ج ٤ / ص ٨١، ٢٥٣ و ٢٥٩، ج ١١ / ص ٨٥، ج ١٨ / ص ١٦ و ٢٦٠. راجع: الطبائبي و منهجه في تفسير القرآن/ د. على الأوسى / ص ١٦٥.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ١٢٨

فكانت تزيد عن ثمانمائه مورد، كما أورد فيه آراء معظم الصحابة و التابعين من المفسرين كعبد الله بن عباس (أكثر من ٥٠٠ مورد)، و عبد الله بن عمر بن الخطاب (١٠٩ مورد)، و عبد الله بن مسعود (١٢٦ مورد)، و آخرين كثيرين ممن وردت عنهم الآثار، مما يدل على أنّ الشيعة تعاملوا مع الروايات التفسيرية كما هي، و ناقشوها بناء على توافق معانيها مع القرآن، لا على أساس الرواه أو موقفهم منهم من حيث الجرح و التعديل.

لذا لم يكن من الانصاف القول بأنّ الشيعة «تجاوزوا فرفضوا ما رواه الصحابة عن رسول الله (ص) و ردّوا رواياتهم كلّها إلّا ما صحّ من طرق أهل البيت ...» «١»، كما لم يكن من الانصاف إطلاق هذا الرأى على تفسير الميزان لأنّه لا يثق بالمروى عن طريق الصحابة «٢»، و قد رأينا كم وثقّ و كم روى من طريقهم.

كما لم يكن الذهبي مصيبا في رأيه، إذ قال بأنّ العدى عليه الشيعة إلى اليوم «أنّهم لا يأخذون الحديث إلّا ممن كان شيعيا و لا يقبلون تفسيراً إلّا ممن كان شيعيا و لا يثقون بشيء مطلقاً إلّا إذا وصل لهم من طريق شيعي ... لا يقبلون أقوال الصّحابة و لا يثقون بروايتهم ...» «٣».

و لقد نقم الدكتور الرومى على الطبائبي قوله: «... و أمّا الروايات الواردة عن مفسرى الصحابة و التابعين - لا عن النبى (ص) -

فإنها على ما فيها من الخلط و التناقض لا حججه فيها على مسلم...» (٤)، لأنه شيعي مع أن أئمة السنه قالوا: «اتفق الكل على أن مذهب الصحابي - رأيه - في مسائل الاجتهاد لا يكون حججه على غيره من الصحابه المجتهدين ... و اختلفوا في كونه حججه على التابعين و من بعدهم من المجتهدين، و المختار أنه ليس بحججه مطلقا» (٥).

(١) - الاتجاهات الحديثه في التفسير / ج ١ / ص ١٩٣.

(٢) - م. ن. / ص ٢٥٠.

(٣) - التفسير و المفسرون / ج ٢ / ص ٤٢.

(٤) - الميزان / ج ١ / المقدمه / ص ١٣ - ١٤.

(٥) - الاحكام / الامدى / ج ٤ / ص ٢٠١ - ٢٠٨.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ١٢٩

و قالوا أيضا: «و على هذا فالمأثور عن الصحابي ميمًا للرأى فيه مجال لا يرقى إلى مرتبه السنه المرفوعه إلى النبى (ص) حتى يكون ملزما، ذلك لأن مقام النبوه لا يدانيه مقام، و مأثور السنه نقل عن معصوم مؤيد بالوحى، و مجتهدات الصحابه و التابعين و من بعدهم، من المأثور، هى مواطن لا- تزيلها الاحتمالات، لقصور الطاقه البشريه عن إصابه وجه الحق فى الواقع و نفس الأمر» (١).

و هكذا نجد أن آراء المحققين من علماء الامه - سنه و شيعة - متقاربه فى الموقف من المأثور عن الصحابه و تفاسيرهم.

أهميه تفسير الصحابي:

رغم الاختلاف فى القول بحججه قول الصحابي، و ما وجدنا من آراء متعدده تعارض انزاله منزله المرفوع المنسوب إلى النبى (ص)، إلا أنه تبقى للتفسير المروى عن الصحابه أهميته الخاصه، و ذلك:

١- ليس كل ما رواه الصحابه كان اجتهادا شخصيا، بل ربما كان بعضه قد سمعوه من النبى (ص) أو ممن سمعه من النبى (ص)، و إذا كان ابن عباس أكثر

من روى عنه من الصحابه فى التفسير، فقد علمنا- من الزركشى وغيره- أنه كان قد أخذ عن عليّ (ع)، وعلّي بدوره قد أخذ من النبيّ (ص) «٢».

فقد روى عن ابن عباس أنه قال: «ما أخذت من تفسير القرآن، فعن عليّ بن أبى طالب» «٣».

(١)- دراسات و بحوث فى الفكر الاسلامى المعاصر / د. فتحى الدينى / عميد كلية الشريعة بدمشق / ص ١٨٥-١٨٦.

(٢)- البرهان / ج ٢ / ص ١٥٧.

(٣)- التفسير و المفسرون / ج ١ / ص ١٩٢.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ١٣٠

و كذلك كان غيره من الصحابه ممن اشتهروا بالتفسير؛ كابن مسعود «١» الذى أخذ من عليّ (ع) أيضا. و من هؤلاء أخذ التابعون، حيث يأخذ من ابن عباس مجاهد و سعيد بن جبير وغيرهما.

و قد يكون ابن عباس و غيره، قد ذكروا سندهم فى الروايه، فأسقطها الرواه أو أنهم لم يذكروا عمّن أخذوا، لظروف سياسيه غير مناسبه، أو غير ذلك من الأسباب، لذا لا يمكن إطلاق القول بأنّ ما روى عن الصحابه كان كلّ رأى و اجتهاد، فإنّ من الممكن أن يكون فيه من التفسير المنقول عن المعصوم (ع)، خصوصا و أنّنا نجد فيما روى عن الصحابه الدلائل على الكثير من العقائد الحقه و المعارف الصحيحه ممّا لا يمكن إهماله أو غضّ النظر عن أهميته.

٢- عاصر الصحابه كثيرا من أحداث الرساله الأولى، و ظروف الدعوه و ملابساتها، و بالتالى فإنّهم عايشوا الأجواء التى نزل فيها الوحى، و عرفوا أسباب نزول الآيات، و ممّا يروى عنهم فى ذلك- و رغم كثره الضعيف فيه- فيه بيان و تفصيل لما فى الآيات، و منه ما يتعلّق بالأحكام، و منه ما يتّصل

بالسيره النبويه و تاريخ الكفاح و الجهاد الإسلامى، و غير ذلك ممّا لا غنى عنه لمن يريد الإحاطه بتفاصيل الأحداث و ظروف الدعوه التى مرّت بها فى صدر الاسلام.

٣- عاش الصحابه فتره من تاريخ صدر الاسلام لم يكن العرب قد اختلطوا بغيرهم كما تمّ فى الفتره اللاحقه بعد الفتوحات و دخول القوميات المختلفه الاسلام، لذا فإنّ الصحابه- فى الأعمّ الأغلب-، كانوا يفهمون لغه القرآن التى نزل بها. كيف لا، و هم المخاطبون به، و لذا كان يرجع إليهم كثيرا فى فهم معانى القرآن و التفسير اللغوى له، و هو الذى يشكّل مساحه واسعه ممّا روى عنهم من تفسير.

٤- ليس كلّ اجتهاد أو رأى كان مرفوضا أو أنّه من التفسير بالرأى، فلربّما كان

(١)- تاريخ دمشق لابن عساكر / ترجمه الإمام عليّ (ع).

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ١٣١

اجتهادا فى فهم الآيات، من خلال المعايير الصحيحه و أدوات اللغه، و بالرّجوع إلى القرآن و السنّه أيضا، ممّا يمكن أن يكون تفسيراً دلاليا مقبولا، خصوصا إذا علمنا أنّ فهم معانى القرآن يمكن أن يكون بمستويات و درجات متفاوتة، و لا يتعارض بعضه مع بعض، بل يمكن أن يوازى بعضه بعضا، فيكون هذا فهما بحدود الظاهر، و المعنى اللغوى، و الآخر فهما يغوص إلى باطن الآيات ليستجلى أبعادها الكبيره فى الحياه.

و لذا كانت سيره المفسّرين المحقّقين مراجعه المروى عن الصحابه- و كذا التابعين-، و دراسته فى ضوء القرآن و قواعد قبول الروايات أو ردّها، فلا-القبول المطلق صحيح مع وجود التعارض و التناقض فى روايات الصحابه فضلا عن كثره الضعيف و الموضوع و الاسرائيليات فيها، و لا الرّفص المطلق لما يتّناه من أسباب.

إفراط و تفريط:

١- يرجع

كثير من الكتاب المعترضين على موقف الشيعة من الصحابه، إلى ما نقله الأسفرايينى عنهم إذ يقول: «و اعلم أنّ جميع من ذكرنا من فرق الاماميه متفقون على تكفير الصحابه، و يدعون أنّ القرآن قد غير عمّا كان، و وقع فيه الزيادة و النقصان من قبل الصحابه، و يزعمون أنّه قد كان فيه النص على إمامه عليّ فأسقطه الصحابه عنه، و يزعمون أنّ لا اعتماد على الشريعة التي في أيدي المسلمين ... و لا مزيد على هذا من الكفر إذ لا بقاء فيه على شىء من الدين» (١).

و ما أطلقه واضح البطلان، فإذا قال بذلك بعض فرق الغلاة، فإنّ الشيعة قد تبرّءوا منهم، و معظم فرق الغلاة قد بادت، أما إذا اعتبر نقد الشيعة لبعض الصحابه تكفيرا لجميع الصحابه، فقد انتقد الصحابه بعضهم بعضا، و ما عساه يقول في الصحابه المعترضين على سياسته عثمان؟ و ما يقول في وصف ابن كثير لهم بأنهم مفسدون في

(١)- التبصير/ ص ٢٤. أورد رأيه الذهبي، التفسير و المفسرون/ ج ٢/ ص ١٣.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ١٣٢

ظالمون باغون معتدون (١)؟ و قد أجمعت كتب التاريخ على أنّ منهم طلحة بن الزبير و الزبير بن العوّام (٢) و هما من العشرة المبشّرة بالجنة عند الجمهور، و ما يقول في إعلان الصحابي معاوية شتم عليّ بن أبي طالب و جعله سنّه في خطب الجمعة و ملاحقه أنصاره من الصحابه و التابعين؟ أم يقال: إنّ معاوية مجتهد متأول.

٢- لا تخلو جميع فرق المسلمين من الإفراط و التفريط في المواقف، قال المرعشي:

«إني نظرت في كتب القوم و صحاحهم و مستنداتهم الفقهيّة و مسانيدهم، فرأيتهم بين مفرط و

مفّرط.

مفّرط: ترك أحاديث عتره الرسول (ص) التي جعلها الله عدل الكتاب - كما في حديث الثقلين - و أعرض عنها كل اعراض، فلم يرو عن باب مدينه العلم - على - فقها و لا علما، و لم يحدث عن باقر العلوم أو الامام الصادق و لا عن أحد من أئمّه العتره (ع) حديثا و لا قولاً.

و مفّرط: اقتصر على أحاديث العتره، فلم يرو عن الصحابه شيئاً يكون دليلاً مستنداً في الأحكام الشرعيه، حتى كأنّ رسول الله منع طريقهم، أو لم يسنّ لنا سنّه نستنّ بها عن طريقهم، و لا سيره نسير عليها.

و هذا ربّما كان غافلاً - على أنّ معظم تأريخ الرسول (ص) و معجزاته و كراماته و سيرته التي نستدلّ بها في اصول ديننا و معتقداتنا تثبت عن طريقهم، و أنّ كثيراً منها و إن روى عنهم عن طريق الآحاد لكن قزرتها العتره الطاهره فجرى مجرى الضروره و المسلّمات ...» (٣).

(١) - تاريخ ابن كثير/ ج ١/ ص ١٧٦، منهاج السنّه/ ج ٣/ ص ١٩١-٢٠٦. انظر: الصحابه في نظر الشيعة الإماميه/ أسد حيدر/ ص ٧٢.

(٢) - الكامل في التاريخ لابن الأثير/ ج ٣/ ص ١٧٤.

(٣) - إجماعات فقه الشيعة و أحوط الأقوال من أحكام الشريعه/ الفقيه المحدّث اسماعيل الحسيني المرعشي/ ج ١/ ص ١٥ و ١٦.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ١٣٣

٥- التابعون

اشاره

عرّف الخطيب الحافظ التابعى بأنّه: من صحب الصحابي.

و قال ابن الصلاح: و مطلقه مخصوص بالتابع يا حسان (١).

و قد اشتهر جمع من التابعين بالتفسير، و كانت مصادرهم في ذلك هو فهمهم لكتاب الله على ما جاء فيه و ما ورثوه من الحديث المأثور عن رسول الله (ص)، و هو القليل كما مرّ، و على

ما تلقوه من الصحابه من تفسيرهم، و ما أخذوه من أهل الكتاب، و من ثم على اجتهادهم الشخصى الذى يتضح فى الكثير من أقوال التابعين «٢».

حجّيه تفسير التابعى:

اختلف الجمهور فى حجّيه قول التابعى، فنقل عن أحمد بن حنبل روايتان إحداهما بالقبول و الاخرى بعدم القبول. فيما ذهب آخرون كابن عقيل و ابن شعبه إلى المنع «٣».

و قد نقل عن أبى حنيفه أنه قال: ما جاء عن رسول الله (ص) فعلى الرأس و العين، و ما جاء عن الصحابه تخيرنا، و ما جاء عن التابعين فهم رجال و نحن رجال «٤».

(١) - استنادا إلى قوله تعالى: وَ السَّابِقُونَ السَّابِقُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَ الْأَنْصَارِ وَ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ (التوبه/ ١٠٠). مقدّمه ابن الصلاح/ ص ٤٤٤.

(٢) - التفسير و المفسرون/ ج ١/ ص ١٠٥.

(٣) - م. ن. / ص ١٣١، و البرهان/ ج ٢/ ص ١٥٨.

(٤) - التفسير و المفسرون/ ج ١/ ص ١٣١.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ١٣٤

و مصدر الخلاف فى قبول تفسير التابعى يعود إلى عدّه أمور:

الأول: قد سبق أنّهم اختلفوا فى حجّيه قول الصحابى و تفسيره، فكيف بالتابعى؟

الثانى: أنّ الشائع لديهم هو أنّ أقوال التابعين فى الفروع ليست بحجّه، فكيف تكون حجّه فى التفسير؟ «١»

الثالث: أنّ تفسير التابعين كان فى كثير منه يصدر عن رأى و اجتهاد، فهذا مجاهد، و هو أشهر التابعين فى التفسير، و الذى ينقل عنه البخارى كثيرا، حتّى عدّوه أعلمهم بالتفسير، و أخرج ابن جرير فى تفسيره عن أبى بكر الحنفى، قال: سمعت سفيان الثورى يقول: إذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبك به «٢»، كان من أكثر التابعين إعمالا- لرأيه و كان يقول: أفضل العباده الرأى الحسن «٣».

الرابع: اختلافهم

فى التفسىر، كما مرّ فى الصحابه، فإِنَّ هذا الاختلاف اتسع فى عهد التابعىن، و قال الغزالى: «و الصحابه (رض) و من بعدهم اختلفوا اختلافا كثيرا لا- يمكن فىه الجمع و يمتنع سماع الجميع من رسول الله (ص) ...» بل إِنَّه لربّما روى عن أحدهم تفسير لآيه، و روى عنه نفسه خلافة، ممّا يكون قد بدا له فىما بعد «٤».

الخامس: كثره الوضع على التابعىن، كما كثر على الصحابه من أمثال ابن عبّاس و غيره، و بهذا فسّر قول أحمد بن حنبل: ثلاثه أمور ليس لها إسناد، التفسىر و الملاحم و المغازى «٥».

(١)- مقدّمه تفسير مجاهد، نقلنا عن: تاريخ التفسىر للشيخ قاسم القيسى / ص ١٣٦.

(٢)- التفسىر و المفسّرون/ ج ٢/ ص ١١٠.

(٣)- تأويل مختلف الحديث لابن قتبيّه/ ص ٦٩، نقلناه عن مقدّمه تفسير مجاهد.

(٤)- مقدّمه تفسير مجاهد/ ج ١٠/ ص ٢٣.

(٥)- م. ن.

التفسىر بالمأثور و تطويره عند الشيعه، ص: ١٣٥

السادس: رجوع التابعىن إلى أهل الكتاب و أخذهم منهم، فقد روى أَنه سئل الأعمش: ما لهم يتقون تفسير مجاهد؟ فقال: كانوا يرون أَنه يسأل أهل الكتاب، و لذا فإنّ ما روى عنه فى تفسير الطبرى و الدرّ المنثور يشتمل على كثير من الاسرائيليات.

و أمّا ما قاله الذهبى من أنّ أكثر المفسّرين ذهب إلى أَنه يؤخذ بقول التابعى فى التفسىر لأنّ التابعىن تلقّوا غالب تفسيراتهم عن الصحابه، فمجاهد مثلا يقول: عرضت المصحف على ابن عباس ثلاث عرضات من فاتحته إلى خاتمته أوقفه عند كل آيه منه و أسأله عنها ... «١». فيردّه أمران، أمّا فى كبراه فإنّه اختلف فى قبول تفسير الصحابى، فضلا عن التابعى، قال ابن الصلاح: «... فأما سائر تفاسير

الصحابه التي لا تشتمل على إضافه شىء إلى رسول الله (ص) فمعدود في الموقوفات، و الله أعلم» (٢).

و أضاف: «أنّ إطلاق بعضهم أنّ تفسير الصحابه له حكم المرفوع إطلاق غير جيّد لأنّ الصحابه اجتهدوا في تفسير القرآن، و اختلفوا في بعض المسائل و الفروع، كما رأينا بعضهم يروى الاسرائيليات عن أهل الكتاب» (٣).

و قد تقدّم في الفصل السابق تفصيله.

و أمّا في صغراه، فإنّ «من يطالع تفسير الطبرى يجد روايات كثيره رواها ابن عباس أو مجاهد عن ابن عباس، ثم يرى أنّ كثيرا من روايات مجاهد تختلف عن روايات ابن عباس لفظا و معنى» (٤).

(١)- التفسير و المفسرون/ ج ١/ ص ١٣١.

(٢)- مقدّمه ابن الصلاح/ النوع الثامن/ ص ١٢٨.

(٣)- علوم القرآن و مصطلحه/ د. صبحى الصالح/ ص ٢٢٠.

(٤)- مقدّمه تفسير مجاهد/ ص ٢٥.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ١٣٦

موقف المفسرين من تفسير التابعى:

ذكر الزركشى أنّ «عمل المفسرين على خلافه- المنع من الأخذ به- و قد حكوا في كتبهم أقوالهم...» (١)، و نجد في سيره المفسرين العمليه، أنّهم و إن أوردوا في كتبهم أقوال التابعين، إلّا أنّهم لم يقفوا عليها دون نقد و تحليل، بل و ردّ لبعض الآراء، كما نجد ذلك عند الطبرى الذى يروى عن مجاهد- مثلا- ثم يردّ عليه، و بقوّه أحيانا، ففى تفسير قوله تعالى نَافِلَةٌ لِّكَ (بنى إسرائيل / ٧٩)، علّق الطبرى على قول مجاهد:

«أما ما ذكر عن مجاهد فى ذلك فنقول لا معنى له ... و الشواهد فى ذلك كثيره» (٢).

موقف المفسرين الشيعة منه:

نستطيع القول من الناحيه العمليه أنّ موقف المفسرين الشيعة من التفسير المروى عن التابعين، كان مشابها للموقف العملى للمفسرين من جمهور السنّه، إذ أنّهم استشهدوا بأرائهم، و قبلوا الكثير منها، و سكتوا عن بعضها الآخر، و رجّحوا بعضها على البعض الآخر، كما ردّوا قسما منها، حيث لم تكن لديهم مقبوله لمعارضتها النص القرآنى، أو عدم توافقها مع السّياق أو غير ذلك.

فقد أكثر الطوسي في تفسيره التبيان من ذكر آراء التابعين، ناسبا الأقوال إلى قائلها.

و نجد استشهاد الشيخ الطوسي بأقوال الصحابه و التابعين من أول تفسيره، بل من مقدمه تفسيره، إذ ذكر فيها تحت عنوان: فصل في ذكر أسامي القرآن و تسميه السور و الآيات، رأيين في تسميته بالقرآن: أحدهما: ما روى عن ابن عباس أنه قال (هو مصدر قرأت قرآنا) أي تلوته ... الثاني: ما حكى عن قتاده، أنه قال (هو مصدر

(١)- البرهان/ ج ٢/ ص ١٥٨.

(٢)- مقدمه تفسير مجاهد/ ص ٢٦.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ١٣٧

قرأت الشئ ء إذا جمعت بعضه إلى بعض ...،

ثم رَجِحَ الرَّأْيَ الْأَوَّلَ بِنَاءِ عَلِيٍّ تَوَافُقِهِ مَعَ مَا وَرَدَ فِي الْقُرْآنِ، فَقَالَ: «و تَفْسِيرُ ابْنِ عَبَّاسٍ أَوْلَى لِأَنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى: إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ (القيامة / ١٧-١٨)» (١).

ثم في نفس الفصل، وفي بحثه عن معنى الآية ذكر أقوالا عن سعيد بن جبير، وابن عباس، والحسن البصري، وابن عباس في قول آخر.

و بالسير في جميع أجزاء التفسير، في أبواب المعنى للآيات، يكاد لا يخلو باب فيه من ذكر آراء الصحابة والتابعين فيها، حتى شككت تلك الآراء مادّة أساسية ينطلق منها المفسّر - إضافة إلى ما ورد عن أهل البيت (ع) - للبحث والتأمل والتدبر واستنباط المعاني من الآيات (٢).

و كذلك نجد الطبرسي فإنه يذكر في كلّ آية الأقوال المختلفة فيها مصنّفا إياها على أساس الرأي، ناسبا إياها إلى قائلها من الصحابة والتابعين، وما جاء عن أهل البيت (ع).

و كمثل على ذلك، فإنه ذكر في الحروف المعجمه المفتحة بها السور ابتداء ثلاثة أقوال، عن الأئمة (ع) و عن عليّ (ع) بروايه العامه، و عن الشعبي، ثم أضاف عشره وجوه فسرت بها:

الأول: عن الحسن و زيد بن أسلم.

الثاني: عن ابن عباس، و عن جعفر بن محمد الصادق (ع).

الثالث: عن سعيد بن جبير.

الرابع: عن قتاده.

الخامس: عن ابن عباس و عكرمه.

(١) - التبيان / ج ١ / مقدّمه المؤلف / ص ١٨.

(٢) - على سبيل المثال، راجع ج ١ / ص ٢٣، ٢٩، ٣٢، ٤٢، ٤٧ ... الخ.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ١٣٨

السادس: عن أبي العالیه، و بعض أخبار الشيعة.

السابع: عن مقاتل بن سليمان.

الثامن: قول لغوى.

التاسع: قول تفسيري مطلق.

العاشر: عن قطرب و اختاره أبو مسلم الاصفهاني.

و

نجده يعقب بالقول فى باب اللغة: أجد هذه الأقوال القول الأول المحكى عن الحسن ... «١».

و سار على هذا النهج حتى الجزء الأخير من تفسيره؛ إذ قال فى تفسير قوله تعالى:

إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ: «اختلفوا فى تفسير الكوثر:

ف قيل: هو نهر فى الجنة ... عن عائشه و ابن عمر ... و ابن عباس.

و روى عن أبى عبد الله - الصادق - (ع) أنه قال: نهر فى الجنة أعطاه الله نبيه عوضاً من ابنه.

و قيل: هو حوض النبى (ص) الذى يكثر الناس عليه يوم القيامة. عن عطاء و أنس.

و قيل: الكوثر الخير الكثير. عن ابن عباس و ابن جبير و مجاهد.

و قيل: هو النبوه و الكتاب. عن عكرمه.

و قيل: هو القرآن. عن الحسن.

و قيل: هو كثره الأصحاب و الأشياع. عن أبى بكر بن عياش.

و قيل: هو كثره النسل و الذريه، و قد ظهرت الكثره فى نسله من ولد فاطمه (ع) حتى لا يحصى عددهم و اتصل إلى يوم القيامة مددهم.

(١) - مجمع البيان / ج ١ / ص ٤٥ - ٤٦.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ١٣٩

و قيل: هو الشفاعة. روه عن الصادق (ع).

ثم قال معقبا: «و اللفظ يحتمل للكلى فيجب أن يحمل على جميع ما ذكر من الأقوال، فقد أعطاه الله سبحانه و تعالى الخير الكثير فى الدنيا و وعده الخير الكثير فى الآخرة، و جميع هذه الأقوال تفصيل للجمله التى هى الخير الكثير فى الدارين» «١».

و كمثل على ترجيحه بعض أقوال التابعين و رده لبعض الأقوال الاخرى، مما لم يتقبله، فإنه فى تفسير قوله تعالى: وَجُودٌ يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ، إلى رَبِّهَا نَاصِرَةٌ (القيامة / ٢٢ - ٢٣)، قال: «اختلف فيه على وجهين، أحدهما: أن معناه نظر العين، و الثانى:

أنه الانتظار.

فى حملة على نظر العين على قولين:

أحدهما: أنّ المراد إلى ثواب ربّها ناظره، أى هى ناظره إلى نعيم الجنّة حالا بعد حال فيزداد بذلك سرورها ... روى ذلك عن جماعة من علماء المفسّرين من الصحابة و التابعين لهم و غيرهم.

و الآخر: أنّ النظر بمعنى الرّؤية، و المعنى تنظر إلى الله معانيه. رووا ذلك عن الكلبي و مقاتل و عطاء و غيرهم. و هذا لا يجوز لأنّ كل منظور بالعين مشار إليه بالحدقة و اللّحاظ، و الله يتعالى عن أن يشار إليه بالعين، كما يجلّ الله عن أن يشار إليه بالأصابع ...» (٢).

و على هذه السيره أيضا، نجد الطباطبائي - من أعلام الشيعة المعاصرين - ينقل فى تفسيره إضافه إلى أقوال الصحابه، أقوال التابعين كسعيد بن جبير (٥٧ موردا) و الحسن البصرى (٧٣ موردا) و عكرمه (٦٩ موردا) و قتاده (٩٠ موردا) و مجاهد (٨٣ موردا) (٣).

(١) - م. ن. / ج ١٠ / ص ٣٦٦.

(٢) - م. ن. / ص ١٥٥.

(٣) - الفهارس فى تفسير الميزان / مؤسسه الأعلمي.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ١٤٠

و رغم أن علماء الإماميه قد اهتموا بأقوال الصحابه و التابعين، و التزموا الكثير منها، و رجّحوا بعضها على البعض، إلّا أنّهم لم يلتزموها من باب أنّها تحمل الحجّيه لكونها صادرة عن صحابى أو تابعى، و إنّما لأنّها من باب الآراء المعتره الوارده فى التفسير، فيترجّح منها ما ترجّح بقوّه الدليل و البرهان، لا بسلطه القائل و حجّيته الذاتيه «١»، و هو موقف مشابه لرأى بعض علماء أهل السنّه، كما سبق.

فإنّ الموقف لم يكن ينطلق من كون الرجل صحابيا أم تابعيا أم غير ذلك، و إنّما من خلال ما روى و نقل عنه، «لأنّ

من المفسرين من حمدت طرائقه و مدحت مذهبه كابن عباس و الحسن و قتاده و مجاهد و غيرهم، و منهم من ذمت مذهبه كأبي صالح و السدي و الكلبي و غيرهم»، فهم يتتبعون الدليل، و ينظرون إلى ما قال لا من قال إذ «لا ينبغي أن يقلد أحدا من المفسرين، بل ينبغي أن يرجع إلى الأدله الصحيحه: إما العقليه، أو الشرعيه، من إجماع عليه، أو نقل متواتر به عمّن يجب اتباع قوله...» (٢).

لذا كان منهجهم هو مناقشه الآراء و تضعيف الروايات في ضوء متونها، و قد ضعّفوا- إضافة إلى بعض آراء الصحابه و التابعين- روايات وردت عن أهل البيت (ع)، إمّا لعدم تأييد القرآن لمضامينها أو لاضطراب في متونها أو في معانيها (٣).

و من خلال ما ذكرناه يتّضح بطلان قول من قال بأنّ الإماميه لا يلتفتون إلى الروايات الوارده في التفسير عن غير أئمّتهم، بما في ذلك الصحابه و التابعين مهما علا مصدر هذه الروايات (٤).

(١)- الميزان/ ج ١/ المقدمه/ ص ٩.

(٢)- التبيان للطوسي/ المقدمه/ ص ٢/ ص ٦.

(٣)- انظر الميزان/ ج ١/ ص ٦٥، ج ٤/ ص ٨١، ٢٥٣ و ٢٥٩، ج ١١/ ص ٨٥، ج ١٨/ ص ١٦٢ و ٢٦٠.

(٤)- التفسير و المفسرون/ ج ٢/ ص ٤١-٤٢.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ١٤١

الفصل الثالث مسائل التفسير بالمأثور

اشاره

الوضع، الإسرائيليات، الغلو، الظاهره السبئيه، التأويل التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ١٤٣

١- الوضع

اشاره

الموضوع من الحديث هو المخلوق المصنوع (١) و قد يعبر عنه بأنّه المكذوب المخلوق المصنوع، بمعنى أنّ واضعه اختلقه، لا مطلق حديث الكذوب فإنّ الكذوب قد يصدق.

و الموضوع هنا من الوضع بمعنى الجعل (٢).

و يعرف الوضع بإقرار واضعه أو معنى إقراره أو قرينه في الراوى أو المروى إذ وضعت أحاديث يشهد بوضعها ركاكه لفظها و

معانيها.

وقال ابن الجوزى: ما أحسن قول القائل: إذا رأيت الحديث يباين المعقول أو يخالف المنقول أو يناقض الاصول فاعلم أنه موضوع «٣».

وقد اتفق العلماء على أنه لا تحل روايته لأحد علم حاله فى أى معنى كان، إلّا مقرونا ببيان وضعه، إذ أنه شرّ أقسام الضعيف «٤». إذ روى عن رسول الله (ص) متواترا و بطرق كثيرة قوله: «من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار» «٥».

(١) - مقدمه ابن الصلاح / ص ٢١٣. تدريب الراوى / ص ١٧٩. الدرايه للشهيد الثانى / ص ١٧.

(٢) - الرعايه فى علم الدرايه / ص ١٥٢، تلخيص مقباس الهدايه للمامقانى / ص ٧٢.

(٣) - تدريب الراوى بشرح تقريب النواوى / ص ١٨٠.

(٤) - م. ن.

(٥) - لمعرفة طرق الحديث العديده، راجع الموضوعات لابن الجوزى / ج ١ / ص ٢٨.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ١٤٤

وقد حاول البعض تضعيف الروايه أو حرفها عن موضوع الكذب فى الروايه عن الرسول (ص) «١»، إذ ادّعوا بأنّ الروايه قد وردت فى رجل ادّعى بأنّ رسول الله (ص) قد أرسله إلى قوم و أمره أن يحكم فيهم برأيه و فى أموالهم، فهى بحسب قولهم قد وردت فى مقام الكذب على الرسول (ص) لا مقام الكذب

فى الروايه عنه، إلاً أنّ جملة من استشهد بها ذكرها فى مقام النهى عن الكذب فى الحديث و الروايه، من ذلك ما روى عن عمر أنّه قال:

«أقلّوا الحديث عن رسول الله (ص) و أنا شريككم، قال: سمعت رسول الله يقول:

من كذب علىّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار» (٢).

متى ابتداء الوضع؟

اختلف الباحثون فى تحديد الزمن الذى بدأ فيه الوضع، فذهب بعضهم كأحمد أمين و غيره إلى أنّ الحديث المذكور يدلّ على وقوع الوضع زمن رسول الله (ص).

فيما ذهب آخرون إلى نفي وقوع الوضع زمن النبى (ص): «لأن صحابه رسول الله (ص) كلهم عدول و ثقات، و لا يمكن أن يكذبوا على رسول الله (ص)، بل لا يفكروا فى ذلك بحال من الأحوال ... و كذلك لم يحصل الوضع فى أحاديث الرسول (ص) زمن أبى بكر و لا زمن عمر ...» إنّما الوضع بدأ فى عهد عثمان بسبب سياسته «التي جعلت أهل الأهواء و البدع ينشطون فيما يرومون» (٣).

و بين يدينا نص صريح من الإمام على (ع) على وقوع الكذب فى حياه رسول الله (ص)؛ إذ سأله سائل عن أحاديث البدع و عمّا فى أيدي الناس من اختلاف الخبر،

(١) - السنّة و مكانتها فى التشريع / السباعى / ص ٢١٥، و عنه الجبورى: مباحث فى تدوين السنّة المطهّره / ص ١٠.

(٢) - الموضوعات لابن الجوزى / ص ٣٠.

(٣) - مباحث فى تدوين السنّة / ص ١٠ - ١٣.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ١٤٥

فأجاب ببيان عظيم و وصف فيه حال الرّواه و أصنافهم، و أفاد فيه أنّ الصّحبه لا تمنع من النفاق و الكذب على رسول الله (ص)، كما أوضح فيه أسباب اختلاف الروايات، و أنواع الوضع الذى تعرّضت له، قال

(ع): «إِنَّ فِي أَيْدِي النَّاسِ حَقًّا وَبَاطِلًا وَصِدْقًا وَكُذْبًا وَنَاسِخًا مَنسُوحًا، وَعَامًّا وَخَاصًّا، وَمَحْكَمًا وَمُتَشَابِهًا، وَحِفْظًا وَوَهْمًا، وَ لَقَدْ كَذَبَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ (ص) عَلَيَّ عَهْدَهُ حَتَّى قَامَ خَطِيْبًا فَقَالَ: (مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ)، وَ إِنَّمَا أَتَاكَ بِالْحَدِيثِ أَرْبَعَةَ رِجَالٍ لَيْسَ لَهُمْ خَامِسٌ:

رَجُلٌ مَنَافِقٌ مَظْهَرٌ لِلْإِيمَانِ، مُتَصَنِّعٌ بِالْإِسْلَامِ، لَا يَتَأْتَمُّ وَلَا يَتَحَرَّجُ، يَكْذِبُ عَلَيَّ رَسُولَ اللَّهِ مُتَعَمِّدًا، فَلَوْ عَلِمَ النَّاسُ أَنَّهُ مَنَافِقٌ كَاذِبٌ لَمْ يَقْبَلُوا مِنْهُ، وَ لَمْ يَصَدِّقُوا قَوْلَهُ، وَ لَكِنَّهُمْ قَالُوا: صَاحِبُ رَسُولِ اللَّهِ (ص) رَأَاهُ وَ سَمِعَ مِنْهُ، وَ لَقِفَ عَنْهُ فَيَأْخُذُونَ بِقَوْلِهِ.

وَ قَدْ أَخْبَرَكَ اللَّهُ عَنِ الْمَنَافِقِينَ بِمَا أَخْبَرَكَ، وَ وَصَفَهُمْ بِهِ لَكَ، ثُمَّ بَقُوا بَعْدَهُ، فَتَقَرَّبُوا إِلَى أُمَّةِ الضَّلَالِ، وَ الدَّعَاةِ إِلَى النَّارِ بِالزُّورِ وَ الْبُهْتَانِ، فَوَلَّوْهُمُ الْأَعْمَالَ، وَ جَعَلُوهُمْ حُكَّامًا عَلَى رِقَابِ النَّاسِ فَأَكَلُوا بِهِمُ الدُّنْيَا، وَ إِنَّمَا النَّاسُ مَعَ الْمَلُوكِ وَ الدُّنْيَا، إِلَّا مِنْ عَصَمِ اللَّهِ، فَهَذَا أَحَدُ الْأَرْبَعَةِ.

وَ رَجُلٌ سَمِعَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ (ص) شَيْئًا لَمْ يَحْفَظْهُ عَلَى وَجْهِهِ فَوَهَمَ فِيهِ، وَ لَمْ يَتَعَمَّدْ كُذْبًا، فَهُوَ فِي يَدَيْهِ، وَ يَرُويهِ وَ يَعْمَلُ بِهِ، وَ يَقُولُ: أَنَا سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ (ص)، فَلَوْ عَلِمَ الْمُسْلِمُونَ أَنَّهُ وَهَمَ فِيهِ لَمْ يَقْبَلُوهُ مِنْهُ، وَ لَوْ عَلِمَ هُوَ أَنَّهُ كَذَلِكَ لَرَفَضَهُ.

وَ رَجُلٌ ثَالِثٌ، سَمِعَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ شَيْئًا يَأْمُرُ بِهِ، ثُمَّ إِنَّهُ نَهَى عَنْهُ، وَ هُوَ لَا يَعْلَمُ، أَوْ سَمِعَهُ يَنْهَى عَنْ شَيْءٍ، ثُمَّ أَمَرَ بِهِ وَ هُوَ لَا يَعْلَمُ، فَحَفِظَ الْمَنسُوحَ وَ لَمْ يَحْفَظِ النَّاسِخَ، فَلَوْ عَلِمَ أَنَّهُ مَنسُوحٌ لَرَفَضَهُ، وَ لَوْ عَلِمَ الْمُسْلِمُونَ إِذْ سَمِعُوهُ مِنْهُ أَنَّهُ مَنسُوحٌ لَرَفَضُوهُ.

وَ آخِرُ رَابِعٍ، لَمْ يَكْذِبْ عَلَيَّ

اللّٰه، و لا على رسوله، مبغض للكذب خوفا من اللّٰه، و تعظيما لرسول اللّٰه (ص)، و لم يهيم، بل حفظ ما سمع على وجهه، فجاء به على ما سمعه، لم يزد فيه و لم ينقص منه، فهو حفظ الناسخ فعمل به، و حفظ المنسوخ فتجنّب عنه، و عرف الخاصّ و العام، و المحكم و المتشابه، فوضع كلّ شىء موضعه ..

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ١٤٦

و قد كان يكون من رسول اللّٰه (ص) الكلام له وجهان: فكلام خاصّ و كلام عام، فيسمعه من لا يعرف ما عنى اللّٰه - سبحانه - به، و لا ما عنى رسول اللّٰه (ص)، فيحمله السامع و يوجهه على غير معرفه بمعناه و ما قصد به، و ما خرج من أجله.

و ليس كل أصحاب رسول اللّٰه (ص) من كان يسأله و يستفهمه، حتّى إن كانوا ليحبّون أن يجيىء الأعرابي و الطارئ، فيسأله (ع) حتّى يسمعوا، و كان لا يمرّ بي من ذلك شىء إلا سألته عنه و حفظته.

فهذه وجوه ما عليه الناس فى اختلافهم و عللهم فى رواياتهم» (١).

و هذا ينفى ما ذهب إليه البعض من أنّ «الحدّ الفاصل بين نقاء الشريعة و ظهور الوضع فى الحديث، هو سنه إحدى و أربعين فما بعدها، حيث انتشر الوضع و ازداد و تجرّأ الناس عليه فوضع أهل العراق أحاديث فى ذمّ معاويه، و كذلك فعل جهال الشام حيث وضعوا أحاديث ذموا فيها أهل العراق ...» (٢).

نعم، ربّما كانت حركة الوضع أقلّ ظهورا فيما قبل ظهور التحزّب الأموى فى الشام، ثمّ إنّه نشطت هذه الحركة و نمت و اتّسعت بفعل السياسة الأمويه عموما و على يد معاويه بشكل خاص، كما سيأتى تفصيله.

كان من الأسباب التي هيأت الأجواء للوضع في الحديث، سياسه المنع من تدوينه، والتي سار عليها الخلفاء بعد رسول الله (ص) واستمرت إلى أن رجعت الخلافه إلى علي (ع)؛ إذ كان يحث كثيرا على الكتابه و تدوين العلم، و كان هو السباق إلى ذلك، إذ صنّف كتباً عدّه، بعضها من إملاء رسول الله (ص)، ومنها ممّا علمه في علوم القرآن، و مختلف أبواب العلم و فقه الشريعة «٣».

(١) - نهج البلاغه / الكتاب / ٢١٠.

(٢) - مباحث في تدوين السنّه / ص ١٥.

(٣) - راجع للمزيد: تدوين السنّه النبويّه / السيّد محمّد رضا الجلالى / ص ١٣٤ فما بعدها.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ١٤٧

فقد ذهب عدد من الباحثين إلى أنّ المنع من تدوين الحديث الصحيح، قد فتح الأبواب أمام الدس و الوضع في الحديث، إذ لو كان الحديث قد دوّن بعد وفاه الرسول (ص) مباشرة و عمل على تدقيقه و تحقيقه و ضبطه، فإنّ ذلك كان سيسدّ الأبواب أمام المنحرفين، كما هو الحال بالنسبه للقرآن الكريم.

قال أبو ريه: «كان من آثار تأخير تدوين الحديث، و ربط ألفاظه بالكتابه إلى ما بعد المائة الاولى من الهجره و صدر كبير من المائة الثانيه أن اتّسعت أبواب الروايه، و فاضت أنهار الوضع بغير ما ضابط و لا قيد» «١».

سياسه معاويه في وضع الحديث:

إذا كان الوضع قد بدأ من قبل، و ذلك أمر بديهي أن يحدث لطبيعه البشر المنطويه ابتداء على نجدى الخير و الشر، الصدق و الكذب، إلّا أن هذا الوضع كان بشكل فردى لا- كتيار اجتماعى منظم، كما ظهر أيام معاويه، إذ قامت سياسه الدوله الأمويه آنذاك بخلق تيار إعلامى لصالحها في قبال الإمام عليّ (ع) و أنصاره،

فقد روى ابن أبي الحديد عن أبي جعفر الاسكافي، أنّ معاويه وضع قوما من الصحابه و قوما من التابعين على روايه أخبار قبيحه فى على (ع) تقتضى الطعن فيه و البراءه منه، و جعل لهم على ذلك جعلا- يرغب فى مثله «٢»، فاختلفوا ما أرضاه؛ منهم: أبو هريره، و عمرو ابن العاص، و المغيره بن شعبه، و من التابعين عروه بين الزبير.

فقد روى الزهرى أنّ عروه بن الزبير حدّثه، قال: حدّثنى عائشه، قالت: كنت عند رسول الله (ص) إذ أقبل العباس و علىّ، فقال: يا عائشه إنّ هذين يموتان على غير ملتى - أو قال - على غير دينى ..

و روى أبو جعفر عن الأعمش، قال: لمّا أقدم أبو هريره العراق مع معاويه عام

(١)- م. ن/ ص ٤٩٥، نقلا عن: أضواء على السنّه المحمّديه/ ص ١٨٨، ٢٦٨ و ٢٨٥.

(٢)- شرح النهج/ ج ١/ ص ٣٥٨/ ط. مصر الاولى.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ١٤٨

الجماعه- ٤١هـ- جاء إلى مسجد الكوفه، فلمّا رأى كثره من استقبله من الناس جثا على ركبتيه، ثمّ ضرب صلعته مرارا، و قال: يا أهل العراق، أتزعمون أنّى أكذب على الله و رسوله و احرق نفسى بالنار!! و الله لقد سمعت رسول الله (ص) يقول: (إنّ لكلّ نبيّ حرما، و إنّ حرما بالمدينه ما بين عير الى ثور، فمن أحدث فيها حدثا فعليه لعنه الله و الملائكه و الناس أجمعين)، و أشهد أنّ عليّا أحدث فيها، فلمّا بلغ معاويه قوله أجازاه و أكرمه و ولّاه إماره المدينه «١».

و لم يكتف معاويه بذلك، بل إنّه لعن عليّا على المنبر، و كتب إلى عمّاله أن يلعنوه على المنابر،

ففعّلوا، فكتب أم سلمة زوجة النبيّ (ص) إلى معاوية: إنكم تلعون الله ورسوله على منابركم، و ذلك أنكم تلعون عليّ بين أبي طالب و من أحبّه، و أنا أشهد الله أنّ الله أحبّه، و رسوله، فلم يلتفت إلى كلامها «٢».

و في المقابل كتب معاوية إلى عمّاله يأمرهم بالرواية أولاً في فضائل عثمان و مناقبه، و تقريب من يروى في ذلك، ففعّلوا حتّى أكثروا منه، و معاوية يبعث إليهم من الصّيلات و الكساء و الجباء و القطائع ... فكثرت ذلك في كل مصر و تنافسوا في المنازل و الدّنيا ... ثمّ كتب معاوية إلى عمّاله: أنّ الحديث في عثمان قد كثر و فشا في كل مصر، و في كل وجه و ناحيه، فإذا جاءكم كتابي هذا فادعوا الناس إلى الرواية في فضائل الصحابه و الخلفاء الأوّلين، و لا تتركوا خبرا يرويه أحد من المسلمين في فضل أبي تراب - عليّ (ع) - إلّا و أتوني بمناقض له في الصحابه، فإنّ هذا أحبّ إليّ و أقرّ إلى عيني، و أدحض لحجّه أبي تراب و شيعته، و أشدّ عليهم من مناقب عثمان و فضله، فقرئت كتبه على النّاس، فرويت أخبار كثيره في مناقب الصحابه مفتعله لا حقيقه لها، و جرى الناس في روايه ما يجري هذا المجرى، حتى أشادوا بذلك على المنابر، و ألقى إلى معلّمي الكتاتيب، فعلموا صبيانهم و غلمانهم من ذلك الكثير الواسع، حتّى رووه و تعلّموه كما يتعلّمون

(١) - شرح النهج / ابن أبي الحديد / ج ٤ / ص ٦٨.

(٢) - القرآن و روايات المدرستين / ج ٢ / ص ٥٨١، عن العقد الفريد / ج ٣ / ص ١٢٧.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ١٤٩

القرآن، و

عَلِّمُوا بَنَاتِهِمْ وَنِسَاءَهُمْ وَخُدَمَهُمْ وَحَشَمَهُمْ، فَلَبِثُوا بِذَلِكَ إِلَى مَا شَاءَ اللَّهُ ...

فظهرت أحاديث كثيرة موضوعه، و بهتان منتشر، و مضى على ذلك الفقهاء و القضاة و الولاه ... «١».

و نجد تأثير هذه الأجواء فى إيجاد اتجاه فى الوضع، يسعى لقلب الحقائق من تغيير و تحريف لأحاديث الرسول (ص)، أو وضع روايات أخرى مضادّة و مناقضة للأحاديث الواردة فى عليّ (ع) و أهل بيته.

فهذا حريز بن عثمان- و هو من المحدثين- كان يصلّى فى المسجد و لا يخرج منه حتّى يلعن عليّاً سبعين لعنه كلّ يوم- على سنّه الأمويين-، قال اسماعيل بن عتيّاش:

رافقت حريزا من مصر إلى مكّة فجعل يسبّ عليّاً و يلعنه، و قال لى: هذا الذى يرويه الناس أنّ النبىّ (ص) قال لعلّى: (أنت منىّ بمنزله هارون من موسى) حقّ، و لكن أخطأ السّامع. قلت: فما هو؟ قال: إنّما هو: أنت منىّ بمكان قارون من موسى، قلت:

عمّن ترويه؟ قال: سمعت الوليد بن عبد الملك يقوله على المنبر «٢».

و بلغت حركة الوضع هذه حدّاً حتّى أنّ ابن عرفه المعروف بنفطويه و هو من أكابر المحدثين و أعلامهم قال فى تاريخه: «إن أكثر الأحاديث الموضوعه فى فضائل الصحابه افتعلت فى أيام بنى اميه تقرّبا إليهم بما يظنون أنّهم يرغمون به انوف بنى هاشم» «٣».

و ذكر الواقدي تلك الظروف و قال: «فظهر حديث كثير موضوع و بهتان منتشر» «٤».

(١)- م. ن/ ج ٣/ ص ١٥، فى شرح (من كلام له: و قد سأله عن أحاديث البدعه).

(٢)- الوضّاعون و أحاديثهم الموضوعه/ ص ٣٤٦، عن: تاريخ ابن عساكر/ ج ١٢/ ص ٣٣٦ برقم ١٢٥٤، تاريخ الخطيب/ ج ٨/ ص ٢٦٨ برقم ٤٣٦٥.

(٣)- شرح

النهج/ ج ١/ ص ٣٥٨ ط. مصر الاولى. القرآن الكريم و روايات المدرستين/ ج ٢/ ص ٥٧٤.

(٤)- شرح نهج البلاغه لابن أبي الحديد ١١/ ٤٤-٤٦.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ١٥٠

أسباب وضع الحديث و أنواع الوضع

١- الأسباب السياسيّة:

كما مرّ ذكره فإنّ أوّل من بدأ بهذا النوع من الوضع معاويه، و سار على نهجه الأمويون من بعده، و الذين جنّدوا لذلك الكثيرين من علماء السوء و وعاظ السلاطين؛ فمما رووا في ذلك عن أبي هريره مرفوعا- إلى رسول الله (ص)-: الامناء عند الله ثلاثه: أنا و جبريل و معاويه.

قال الخطيب و النسائي و ابن حبان: هذا الحديث باطل موضوع، و قال ابن عدى:

باطل من كلّ وجه، و زيف الحاكم طرقة و فيها جمع من الكذابين و الوضّاعين «١».

و ابتدع الوضّاعون طريقه في الفضائل، و هي ذكر روايات على لسان عليّ (ع) في مدح غيره، و منهم خصومه، فرووا عن يزيد بن محمّد المروزي عن أبيه عن جدّه، قال: سمعت أمير المؤمنين عليّا- رضی الله عنه- يقول: ... بينا أنا جالس بين يدي رسول الله (ص) إذ جاء معاويه، فأخذ رسول الله (ص) القلم من يدي فدفعه إلى معاويه، فما وجدت في نفسي إذ علمت أنّ الله أمره بذلك.

و عدّه ابن حجر في موضوعات مسرّه بن عبد الله الخادم، فقال: هذا متن باطل، و إسناد مختلف «٢».

ثمّ إنهم قد يختاروا لما يضعوه أسانيد معتبره عند المحدّثين ليأخذ ما يضعوه طريقه إلى الكتب و الصّحاح، من ذلك ما رووه عن عبد الله بن عمر مرفوعا: الآن يطلع عليكم رجل من أهل الجنّه، فطلع معاويه، فقال: أنت معاويه منّي و أنا منك، لتزاحمني على باب الجنّه كهاتين- و أشار بإصبعيه-.

(١) - كتاب المجروحين/ ج ١/ ص ١٤٦، الكامل في ضعفاء الرجال/ ج ١/ ص ١٩٢ رقم ٣١، اللآلئ المصنوعة/ ج ١/ ص ٤١٧.

(٢) - لسان الميزان/ ج ٣/ ص ٥٠١ برقم ٤٩٨٤.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ١٥١

قال الذهبي عن راويه: الحسن بن شبيب: الحسن هذا حدّث بالبواطيل عن الثقات، و قال في ترجمه عبد الله بن يحيى عن هذا الخبر: خبر باطل لا يدري من ذا. «١»

و ركّز الإعلام الأموى على موضوع كتابه الوحي، و جعلوا منه أمّ الفضائل لمعاويه، فرووا عن سعد: إنّ النبيّ (ص) قال لمعاويه: إنّّه يحشر و عليه حلّه من نور ظاهرها من الرحمه و باطنها من الرضا يفتخر بها في الجمع لكتابه الوحي.

ذكره الذهبي من أباطيل محمّد بن الحسن الكذاب الدجال «٢».

و وضع بعضهم جزءا كاملا في «مناقب معاويه»، قال ابن النجّار: كان أبو عمر الزاهد قد جمع جزءا في فضل معاويه و أكثره مناكير و موضوعات «٣».

و قال الحاكم: سمعت أبا العباس محمد بن يعقوب بن يوسف يقول: سمعت أبي يقول: سمعت إسحاق بن إبراهيم الحنظلي يقول: لا يصحّ في فضل معاويه حديث «٤».

و قال ابن تيميّه: طائفه وضعوا لمعاويه فضائل، و رووا أحاديث عن النبيّ في ذلك، كلّها كذب «٥».

و قد ذهب النسائي - صاحب السنن - إلى دمشق فسألوه عن معاويه و ما روى في فضائله، فقال: لا أعرف له فضيله إلّا (لا أشبع الله بطنه)، فما زالوا يدفعون في حضنه، و في روايه: في خصييه، و داسوه حتّى حمل إلى الرّملة و مات هناك «٦».

(١) - ميزان الاعتدال/ ج ١/ ص ٤٩٥ برقم ١٨٦٤ و ج ٢/ ص ٥٢٤ برقم ٤٦٨٤.

(٢) - ميزان الاعتدال/

(٣)- تاريخ بغداد/ ج ٢ / ص ٣٥٧، لسان الميزان/ ج ٥ / ص ٤٨٥ برقم ٨١٨٦.

(٤)- اللآلئ المصنوعه/ ج ١ / ص ٤٢٤.

(٥)- منهاج السنه/ ج ٢ / ص ٢٠٧، و راجع للمزيد: الوضاعون و أحاديثهم الموضوعه/ ص ٤١٧.

(٦)- وفيات الأعيان لابن خلكان/ ج ١ / ص ٧٧. وقوله: (لا- أعرف فضيله إلّا لا أشبع الله بطنه)، إشاره إلى ما ورد في صحيح مسلم، عن ابن عباس، قال: كنت ألعب مع الصبيان، فجاء-

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ١٥٢

و من وضع الأمويين فى التفسير ما رواه ابن أبى الحديد عن شيخه أبى جعفر الإسكافى: أنّ معاويه بذل لسمره بن جندب مائه ألف درهم حتى يروى أنّ هاتين الآيتين نزلتا فى على، و هما: وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ يُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَ هُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ* وَ إِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَ يُهْلِكَ الْحَرْثَ وَ النَّسْلَ وَ اللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ (البقره/ ٢٠٤-٢٠٥)، و أنّ الآيه الأخرى نزلت فى ابن ملجم، و هى قوله تعالى: وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرَى نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَ اللَّهُ رَؤُفٌ بِالْعِبَادِ (البقره/ ٢٠٧)، فلم يقبل سمره بذلك، فبذل معاويه له مائتى ألف درهم فلم يقبل، فبذل له ثلاثمائه ألف فلم يقبل، فبذل له أربعمائه ألف فقبل، و روى ذلك «١».

و قد أخرج ابن الجوزى من طريق أحمد بن حنبل، قال: سألت أبى: ما تقول فى على و معاويه؟ فأطرق ثم قال: أيش أقول فيهما، إنّ عليا كان كثير الأعداء ففتش أعداؤه له عيبا، فلم يجدوا، فعمدوا إلى رجل-

يريد معاويه - قد حاربه و قاتله، فأطروه كيدا منهم لعلّى «٢».

و على هذه السيره كان العباسيون، إذ وضع لهم المترلفه الحديث للتقرب إليهم «٣».

- رسول الله (ص) فتواريت خلف باب، قال: فجاء فحطأنى حطأه و قال: اذهب و ادع لى معاويه، قال: فجئت فقلت: هو يأكل، قال: ثم قال لى: اذهب فادع لى معاويه، فجئت فقلت هو يأكل، فقال: لا أشبع الله بطنه. (كتاب البرّ و الصّيدقه و الآداب / مج ٨ / ص ١٥٥ / من صحيح مسلم بشرح النووى).

(١)- شرح النهج لابن أبى الحديد/ ج ٤ / ص ٧٣. راجع التفسير و المفسرون فى ثوبه القشيب / الشيخ معرفه / ج ٢ / ص ٤٧.

(٢)- الموضوعات / ج ٢ / ص ٢٤.

(٣)- انظر: الحديث و المحدثون / ص ٢٦٢، مباحث تدوين السنّه / ص ٢٦، مقباس الهدايه / ص ٧٤.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ١٥٣

٢- الأسباب المذهبيّه:

و نعى به وضع أتباع بعض الفرق الدينيه الحديث نصره لمذهبهم، و خلافا لما ذهب إليه بعض الباحثين «١» من أنّ هذا النوع من الوضع كان من الأمويين فى مقابل وضع الشيعة، فإنّ لدينا نصّا عن الإمام الباقر (ع) يؤكّد فيه أنّ هذا النوع من الوضع على أهل البيت (ع) كان من فعل الأمويين لتشويه صورتهم لدى الناس، و هو بالتالى يبيّن أنّ الوضع فى زمن الأمويين بصورتيه المعاديه لأهل البيت (ع) و المغاليه فيهم كانت وراءه أصابع السلطه الأمويه، قال الباقر (ع):

«لم نزل أهل البيت نستدلّ و نستضام و نقصى و نمتهن و نحرم و نقتل و نخاف و لا- نأمن على دماننا و دماء أوليائنا، و وجد الكاذبون الجاحدون بكذبهم و جحودهم موضعا يتقربون به إلى أوليائهم و قضاه السوء

و عمّال السوء فى كل بلد، فحدّثوهم بالأحاديث الموضوعه المكذوبه، و رووا عنا ما لم نقله و ما لم نفعله ليغضونا إلى الناس، و كان أعظم ذلك و أكبره زمن معاويه بعد موت الحسن (ع) فقتلت شيعتنا بكل بلده و قطعت الأيدي و الأرجل على الظنّه و التّهمه، و كل من يذكر بحبنا و الانقطاع إلينا سجن و هدمت داره...» (٢).

و الغريب أنّ هؤلاء الباحثين ذهبوا إلى أنّ الوضع ظهر بعد ٤١ هـ، أى بعد شهاده الإمام على (ع) على يد الشيعة فى العراق و نقلوا توقف المحدّثين و تحرّجهم من الروايه عن أهل العراق بسبب ذلك، إلّا أنّ الظروف الّتى كان يمرّ بها العراق - آنذاك - من ظلم و ارباب و كبت و قمع بسبب ولائهم لأهل البيت (ع)، لم تكن توفر أدنى فرصه

(١) - السنّه و مكانتها/ السباعى / ص ٩٣، مباحث فى تدوين السنّه/ الجبورى / ص ١٧، بحوث فى تاريخ السنّه المشرّفه / أكرم ضياء العمرى / ص ١٩، السنّه قبل التدوين / محمّد عجاج الخطيب / ص ١٩٥.

(٢) - شرح نهج البلاغه لابن أبى الحديد، شرح الخطبه ٥٧ / راجع للمزيد: القرآن الكريم و روايات المدرستين: ج ٢ / ص ٥٧٣.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ١٥٤

لنشر الحديث - صحيحا أو موضوعا - عن أهل البيت (ع)، إذ أنّ معاويه كان قد كتب إلى عمّاله فى نفس السنه: أن برئت الذمّه ممّن روى شيئا من فضل أبى تراب - على - و أهل بيته ... قال المدائنى: و كان أشدّ البلاء حينئذ أهل الكوفه «١».

و قد أخذ الوضع المذهبى طريقه إلى أكثر الفرق الّتى استعان أنصارها بوضع الحديث لنصره آرائهم و اعتقاداتهم المذهبيه، حتّى أنا نجد فى تاريخ الصراع

بين الطوائف أحاديث موضوعه في ذم الرافضة «٢» و القدرية و قدم القرآن و ... «٣».

و بلغ الأمر حدًا أنّ بعض الفرق كانت ترى جواز الوضع في الحديث نصره لمذهبهم و معتقدهم، كالكراميه «٤» و الخوارج الذين نسب إلى أحد شيوخهم القول من أنّهم إذا رأوا رأيا صيروه أو جعلوا له حديثا «٥».

«و حكى القرطبي عن بعض أهل الرأي: ما وافق القياس الجليّ جاز أن يعزى و ينسب إلى النبيّ (ص)» «٦».

و من نماذج الوضع المذهبي، ما ذكره الذهبي عن نعيم بن حماد بن معاوية المتوفى سنة ٢٢٧ هـ، قال: و كان يضع الحديث في تقوية السنّه و حكايات في ثلب أبي حنيفة و كان صلبا في السنّه.

و منهم أحمد بن عمرو بن مصعب بن بشر، كان من الوضّاعين، و وضع كتباً في

(١) - م. ن.

(٢) - كحديث جابر بن سمره، تنزيه الاعراق لابن عراف/ ج ١/ ص ٣٩٥، نقلا عن الجوزي/ ص ٢٥.

(٣) - الموضوعات لابن الجوزي/ ص ٦٥.

(٤) - و هم المنتسبون لابن محمد بن كرام السجستاني.

(٥) - الموضوعات/ ص ١٦. مقياس الهداية/ ص ٧٦.

(٦) - تلخيص مقياس الهداية/ ص ٧٦.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ١٥٥

تقوية السنّه كلّها موضوعه و منتشره عند الخراسانيين في عصره «١».

و قد ذكر ابن الجوزي في الموضوعات، أحاديث في ذم و مدح أئمّه المذاهب منها:

يكون في امّتي رجل يقال له محمّد بن إدريس أضّرّ على امّتي من إبليس، و يكون في امّتي رجل يقال له أبو حنيفة هو سراج امّتي «٢».

٣- الأسباب التعبدية:

و ربّما أطلقنا تلك التسميه تجوّزا، لأنّ الوضّاعين من هذا القسم يضعون الحديث تعبدًا و تقربًا إلى الله، بحسب ظنّهم، فقد

ذهب بعض المتصوّفه إلى جواز وضع الحديث للترغيب و الترهيب، ترغيباً للناس في الطاعة و زجراً لهم عن المعصية، و استدّلوا بما روى في بعض طرق الحديث: من كذب عليّ معتمداً ليضلّ به الناس فليتبوأ مقعده من النار «٣». فإنّ هؤلاء قيّدوا الكذب- في الرواية أعلاه- بقيد قصد إضلال الناس، لا مطلق الكذب.

و يبدو أنّ وضع الحديث انتشر عند هؤلاء و أمثالهم، حتّى روى عن عبيد الله النواريزي، قال: سمعت يحيى بن سعيد القطان يقول: ما رأيت الكذب في أحد أكثر منه في من ينسب إلى الخير و الزّهد.

كما يبدو أنّ بعضهم كان مقتنعاً تماماً بفعله في وضعه الحديث، ليحث الناس على الخير، حتّى روى أنّ أبا الحسين الرهاوي قال: سألت عبد الجبار بن محمّد عن أبي داود النخعي، فقال: كان أطول الناس قيماً بليلاً و أكثرهم صياماً بنهار و كان يضع الحديث وضعاً «٤».

(١)- تاريخ بغداد/ ج ٥/ ص ٧٣. الإمام الصادق و المذاهب الأربعة/ ج ١/ ص ٢٦٦.

(٢)- تدريب الراوي/ ص ١٨٢.

(٣)- مقباس الهدايه/ ص ٧٦.

(٤)- الموضوعات/ ص ١٨.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ١٥٦

و من هذا الباب ما رووا في فضائل القرآن سورة سورة، و سنأتى على تفصيله لاحقاً.

٤- حركة الزنادقة:

و الزنديق مصطلح اطلق على كل شاكّ أو ضالّ أو ملحد «١»، إلّا أنّ الزنادقة غالباً ما يراد بهم الذين قصدوا إفساد الشريعة و إيقاع الشكّ فيها في قلوب العوام و التلاعب بالدين «٢».

و من أشهرهم: عبد الكريم بن أبي العوجاء الّهمذاني كان يدسّ الأحاديث في كتب حماد- بن سلمه-، فلمّا أخذ ابن أبي العوجاء أتى به محمّد بن سليمان بن عليّ فأمر بضرب عنقه، فلمّا

أيقن بالقتل، قال: و الله لقد وضعت فيكم أربعة آلاف حديث احرم فيها الحلال و احل فيها الحرام، و لقد فطرتكم في يوم صومكم و صومتمكم في يوم فطركم «٣».

و كان عبد الكريم بن أبي العوجاء من تلامذه الحسن البصرى ثم انحرف، فكان يذهب إلى مكه للاجتماع بالحجاج و إضلالهم، و كان الإمام الصادق يناظره و يكشف أباطيله، و كان بالبصره يفسد الأحداث فهده عمرو بن عبيد فلحق بالكوفه و دل عليه محمد بن سليمان والى الكوفه فقتله «٤».

و روى ابن الجوزى بسنده عن الحكم بن مبارك، قال: سمعت حماد بن زيد يقول:

(١) - المعجم الوسيط: مادّه الزندقه.

(٢) - الموضوعات لابن الجوزى/ ج ١/ ص ١٥.

(٣) - م. ن/ ص ١٥.

(٤) - القرآن الكريم و روايات المدرستين/ ج ٢/ ص ٦٢٧، و ترجمته فى: الطبرى/ ج ٣/ ص ٣٧٦ ط. أوربا. ابن الأثير ٦/ ٣. ابن كثير ج ١٠/ ص ١١٣، و الذهبى فى ميزان الاعتدال ج ٢/ ص ٦٤٤.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ١٥٧

وضعت الزنادقه على رسول الله (ص) أربعة عشر ألف حديث.

و قال: قد كان فى هؤلاء الزنادقه من يأخذ من شيخ مغفل كتابه فيدسّ فى كتابه ما ليس من حديثه فيرويه ذلك الشيخ ظنا منه أنّ ذلك من حديثه «١».

و من الزنادقه سيف بن عمر الذى كان متخصصا فى الدسّ فى السيره و كتب التاريخ، قال عنه يحيى بن معين: «ضعيف الحديث فلس خير منه».

و قال عنه ابن حبان: يروى الموضوعات عن الأثبات، اتهم بالزندقه، ... قالوا:

كان يضع الحديث «٢».

و مع ذلك فقد روى عنه الطبرى فى تاريخه كثيرا، و من الطبرى أخذ الكثيرون من أرباب السير و

التاريخ رواياته، و منها مخترعاته و موضوعاته.

و كان ممن يدسّ الأحاديث من الزنادقة، الغلاة كالمغيره بن سعيد، الذي دسّ في كتب أصحاب الباقر (ع) أحاديث لم يحدث بها، و كذلك أصحاب أبي الخطاب الذين دسّوا الأحاديث في كتب أصحاب الصادق (ع).

فقد روى عن هشام بن الحكم أنّه سمع أبا عبد الله الصادق (ع) يقول: (كان المغيره ابن سعيد يتعمد الكذب على أبي و يأخذ كتب أصحابه، و كان أصحابه المستترون بأصحاب أبي يأخذون الكتب من أصحاب أبي فيدفعونها إلى المغيره فكان يدسّ فيها الكفر و الزندقة و يسندها إلى أبي، ثم يدفعها إلى أصحابه و يأمرهم أن يثبتوها في الشيعة، فكلّ ما كان في كتب أصحاب أبي من الغلو فذاك ما دسّه المغيره بن سعيد في كتبهم) «٣».

(١) - الموضوعات / ١ / ١٥.

(٢) - عبد الله بن سبأ و أساطير اخرى / العلامة العسكري / ج ١ / ص ٧٤ و ٧٥، و فيه المزيد عن أساطيره و موضوعاته.

(٣) - رجال الكشي / ج ٢ / ص ٤٩١.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ١٥٨

و في حديث آخر، عنه، عن أبي عبد الله - الصادق عليه السلام - قال: «لا تقبلوا علينا حديثاً إلّا ما وافق القرآن و السنّه، أو تجدون معه شاهداً من أحاديثنا المتقدّمه، فإنّ المغيره بن سعيد - لعنه الله - دسّ في كتب أصحاب أبي أحاديث لم يحدث بها أبي، فاتّقوا الله و لا تقبلوا علينا ما خالف قول ربّنا تعالى و سنّه نبينا (ص)، فإنّا إذا حدّثنا قلنا قال الله عزّ و جلّ، و قال رسول الله (ص)» «١».

٥- الوضع القصصى:

و هو من أساليب و أسباب الوضع القديمه، فربّما كان التحريف في التوراه المتداوله الآن من هذا القبيل، إذ

«نجد العهد القديم يتجلى أثرا أدبيا لقوميه اليهود يحتوى على تاريخ حياتهم منذ البدء فإلى عصر ظهور المسيح (ع) كتبت هذه المجموعه...» (٢).

و كذلك الأناجيل التي كانت فى الأصل قصصا عن المسيح (٣) كتبت حتى قيل أنها بلغت: ثيفا و مائه إنجيل، ثم اختارت الكنيسة من بينها القصص التي لا تتعارض مع نزعتها.

و القصص كانوا منذ القديم و عبر التاريخ، إلا أنهم مع ظهور الاسلام، كانوا يقصون على الناس و يكون من علمهم التفسير و الأثر و الخبر عن الامم البائده و غيرهم للتعليم و الموعظه، و لم يكن ذلك فى القرن الأول مردولا لأن فنونه ترجع إلى القرآن و الحديث، إلا ما كان يشوبه مما كانوا يسمونه بالعلم الأول، و هو ما يتعلّق بأخبار الامم السالفه و أكثره يأخذونه من أهل الكتاب من اليهود و النصارى، و من أسلم منهم كعبد الله بن سلام و كعب الأحبار و وهب بن منبه (٤).

(١) - م. ن.

(٢) - د. بوكاى / العهدان و القرآن و العلم / ص ٢٥ - ٢٨.

(٣) - قصص الأنبياء للنجار / ص ٣٩٩، و للمزيد: صيانه القرآن من التحريف، للشيخ محمّد هادى معرفه / ص ١٣٥ - ١٥٠.

(٤) - تاريخ آداب العرب / الرافعى / ج ١ / ص ٣٨٠.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ١٥٩

على أنّ القصّه تحوّلت إلى أداه سياسيه فى زمن معاويه، إذ اعتمد القصاصين فى مجلسه، كما اعتمدهم الأمويون فى تعبئه جيوشهم، خصوصا الحجاج الثقفى أمير العراقين لبنى اميّه (١).

و كان تبني معاويه للقصاصين، إضافة إلى استغلالهم سياسيا، هو ردّ فعل ضدّ الإمام على (ع)، الذى طرد القصاصين من المساجد، و الذين كانوا قد انتشروا فيها منذ أواخر عهد عمر، حين استجازه

تميم الدارى أن يقصّ قائماً فى مسجد المدينة، فأجازه «٢»، و كان يذكر الناس فى يوم الجمعة قبل أن يخرج عمر، ثم استأذن عثمان فأذن له أن يذكر يومين فى الجمعة.

قال أحمد أمين: وقد نما القصص بسرعه؛ لأنه يتفق و ميول العامه، و أكثر القصص اص من الكذب حتى رووا أنّ الإمام أمير المؤمنين (ع) طردهم من المساجد، و استثنى الحسن البصرىّ لتحريه الصدق «٣».

و قد استفاد معاويه من كعب الأحبار- كما ذكر ابن حجر العسقلانى-، إذ أمره معاويه بأن يقصّ فى الشام، و هو الذى بثّ أحاديث تفضيل الشام و أهلها «٤».

و تطوّر الأمر فى القرن الثانى إذ انتشر القصص اصون و كان همّ أحدهم أن يجىء بالغرائب و يكثر من الرقائق، و إذا كان القصص اصون آنفاً من أهل العلم و الحديث فإنّ الأمر انتهى فى القرن الثالث إلى أن «اسم القاص أصبح لقباً عامياً مبتدلاً، و أكثر المتصدرين فى الوعظ أنّما يكونون من أهل الحديث و المتسعين فى العلوم، و لا حاجه إلى الكلام عنهم، و لم يزد المتصوّفه فى الأخبار إلّا ما يزعمون أنّهم احتسبوه بعلم

(١)- م. ن / ص ٣٧٩.

(٢)- سير أعلام النبلاء/ ج ٢ / ص ٤٤٧.

(٣)- فجر الاسلام / ص ١٥٩.

(٤)- الإصابه / ج ٣ / ص ٣١٦. راجع: التفسير و المفسرون / ج ٢ / ص ٥٦.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ١٦٠

خاص، و الله أعلم بغيبه «١».

و قد سار العباسيون بسيره الأمويين فى تبنى القصاصين، فقد استجلب الرشيد إسحاق المعروف بأبى حذيفه المتوفى سنة ٢٠٠ هـ، و هو معروف بالكذب و مشهور بالوضع، فأمره الرشيد أن يجلس فى مسجد ابن رغبان و يحدث الناس، فأخذ إسحاق يحدث

بالأكاذيب و يروى عن خلق من الثقات أكثرهم ماتوا قبل أن يولد «٢».

كما استقدم المهدي أبا معشر السندی، و أشخصه إلى بغداد و قال: تكون بحضرتنا تفقه من حولنا. و كان أبو معشر ماهرا بوضع الأحاديث و القصص. قال ابن جزره:

أبو معشر أكذب من تحت السماء و صنّف كتاب المغازي و روى عنه الواقدي و ابن سعد، و منه استمد الطبري معلومات تاريخيه كثيره «٣».

و يبدو أنّ الوضع قد اتّخذ من القصّه سبيلا-واسعا لتمرير أكاذيبه و خيالاته، خصوصا و أنّ للقصّه تأثيرها الواسع في الناس و جمهورها العريض، حتّى أنّ ابن الجوزي قال: «القصاص و معظم البلاء منهم يجرى لأنّهم يزيدون أحاديث تثقف و ترقق و الصّاح يقل فيها، هذا ثم إنّ الحفظ يشقّ عليهم و يتفق عدم الدين و من يحضرهم جهال فيقولون ...» «٤».

و قال: «و قد ذكرت في كتاب القصاص عنهم طرفا من هذه الأشياء و ما أكثر ما يعرض علىّ أحاديث في مجلس الوعظ قد ذكرها قصاص الزمان فأردّها عليهم و ابين أنّها محال فيعتدون علىّ حين ابين عيوب شغلهم ...» «٥».

و من هذا الطریق، دخل كثير من الموضوعات، خصوصا في السيره و قصص

(١)- تاريخ آداب العرب/ الرافعي/ ج ١/ ص ٣٨٣.

(٢)- تاريخ بغداد/ ج ٦/ ص ٣٤٦.

(٣)- م. ن/ ج ٤/ ص ٤٣١. و راجع للمزيد: الإمام الصادق و المذاهب الأربعة/ ج ١/ ص ٢٦٥.

(٤)- الموضوعات/ ص ٢٠.

(٥)- م. ن/ ص ٢١.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ١٦١

الأنبياء، و المعاجز، و الفضائل فامتألت الكتب بالأساطير و تناقلوها واحدا عن آخر، حتّى أصبحت عند الكثيرين من الحقائق المسلّمه «١».

هذا و قد

ذكرت أسباب اخرى للوضع، و لكنّها أضعف تأثيراً، كوضع الشّحاذين الذين يضعون أحاديث يكتسبون بذلك و يرتزقون به «٢»، أو آخرون لم يتعمّدوا الوضع كأن أخطئوا و رووا عن كذاب، أو لم يدقّقوا فى النقل أو اختلطت عقولهم فى آخر أعمارهم فخلطوا ... «٣».

و من معرفه أسباب الوضع تعرف المنافذ التي يدخلها الوضّاعون، كما يعرف كنه حديثهم، و يحذر منه فى مواطنه، خصوصاً إذا علمنا أن مساحه الوضع ليست بقليله و قد ألّفت مؤلّفات كثيره فى الوضّاعين، عدّت المئات منهم «٤»، كما ألّفت كتب كثيره فى الأحاديث الموضوعه، منها كتاب «الموضوعات» لابن الجوزى، و «الدرّ الملتقط فى تبين الغلط» للضاغانى، و «الفوائد المجموعه فى الأحاديث الموضوعه للشوكانى» الذى ذكر فيه ألفاً و أربعمائه و أربعه أحاديث «٥»، و غيرها من الكتب.

و قد ذكر العلّامه الأمينى، من خلال تتبعه لأمهات الكتب فى الرجال عند الجمهور:

كميزان الاعتدال، و لسان الميزان، و الجرح و التعديل، و تاريخ الشام، و مجمع الزوائد، و اللآلئ المصنوعه، و تذكره الموضوعات، و تاريخ بغداد، و المنتظم (لابن الجوزى)،

(١) - تصدّى استاذنا العلّامه العسكرى فى كتبه لتمحيص السنّه النبويّه من تلك الأساطير.

راجع: أحاديث أمّ المؤمنين عائشه بجزءيه، عبد الله بن سبأ و أساطير اخرى: بجزءيه، خمسون و مائه صحابى مختلف بجزءيه أيضاً، و كتبه القيمه الاخرى.

(٢) - الموضوعات / ص ٢١.

(٣) - م. ن / ص ٢١.

(٤) - الكشف الحثيث عمّن رمى بوضع الحديث / برهان الدين الحلبي. و فيه أورد أسماء ثمانمائه و ثمانين شخصاً رموا بالوضع.

(٥) - الفوائد المجموعه فى الأحاديث الموضوعه / تحقيق محمّد عبد الرحمن عوض.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ١٦٢

و تهذيب التهذيب، و شذرات الذهب ... و غيرها،

ذكر نحو سبعمائه من أسماء الوضّاعين و ذكر حالهم، ثمّ أحصى ما ذكره أعلام الرجال عن وضع واحد و أربعين منهم، فكان ٤٠٨٦٨٤ روايه!! هذا غير ما ذكر في ترجمه آخرين من غير هؤلاء من وضعهم لمئات النسخ و الكتب مثل: لاحق بن الحسين المقدسى، الذى قال الادريسي عنه:

كان كذابا أفاكا يضع الحديث عن الثقات و يسند المراسيل و يحدث عمّن لم يسمع منهم، و وضع نسخا لاناس لا تعرف أساميهم فى جمله رواه الحديث، مثل: طرثمال و طربال و كركدن و شعوب. و مثل هذا شىء غير قليل، و لا نعلم و لا رأينا فى عصرنا مثله فى الكذب و الوقاحه مع قلّه الدرايه، و كتب لى بخطه زياده على خمسين جزءا من حديثه ... «١».

و منهم: محمّد بن يوسف بن يعقوب الرازى: شيخ دجيل كذاب، كان يضع الأحاديث و القراءات و النسخ، وضع كثيرا فى القرآن، قال الدار قطنى: وضع نحو من ستين نسخه قراءات ليس شىء منها أصل، و وضع من الأحاديث ما لا يضبط، قدم بغداد قبل الثلاثمائه «٢».

الوضع على أهل البيت (ع)

لم يكن أهل البيت (ع) مستثنى منّا جرى على حديث الرسول (ص)، فقد ابتلوا (ع) بناس من الزنادقه و الغلاه، و كذلك بعض الجهله الذين كانوا يضعون الحديث لغرض الدعوه إليهم، أو الدفاع عن حقهم و الردّ على أعدائهم «٣».

(١) - تاريخ بغداد/ ج ٢/ ص ٢٤٤، ج ١٤/ ص ١٠٠، اللالكى المصنوعه/ ج ١/ ص ١١٣، ج ٢/ ص ٢٩٧، المنتظم/ ج ١٥/ ص ١٥٠ رقم ٣١٥٠.

(٢) - ميزان الاعتدال/ ج ٤/ ص ٧١ رقم ٨٣٤٤، تاريخ بغداد/ ج ٣/ ص ٣٩٧، عن:

الغدير/ ج ٥/ ص ٤٤٥، الوضّاعون و أحاديثهم الموضوعه/

(٣) - الموضوعات في الآثار و الأخبار / الحسنی / ص ١٢٢.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ١٦٣

روى الكشي بسنده عن محمد بن عيسى أنه قال: يا أبا محمد! ما أشدك في الحديث و أكثر إنكارك لما يرويه أصحابنا، فما الذي يحملك على رد الأحاديث؟

فقال: حدّثني هشام بن الحكم أنه سمع أبا عبد الله - الصادق (ع) - يقول: لا تقبلوا علينا حديثنا إلّا ما وافق القرآن و السنّه، أو تجدون معه شاهدا في أحاديثنا المتقدّمه، فإنّ المغيره بن سعيد - لعنه الله - قد دسّ في كتب أصحاب أبي أحاديث لم يحدث بها أبي، فاتقوا الله و لا تقبلوا علينا ما خالف قول ربنا تعالى و سنّه نبينا (ص) ... قال يونس: فأخذت كتبهم فعرضتها من بعد على أبي الحسن الرضا (ع) فأنكر منها أحاديث كثيره أن تكون من أحاديث أبي عبد الله (ع) و قال لي: إن أبا الخطاب كذب على أبي عبد الله (ع)، لعن الله أبا الخطاب، و كذلك أصحاب أبي الخطاب يدسّون إلى يومنا هذا في كتب أصحاب أبي عبد الله (ع) «١».

و قد انبرى أصحاب كتب الرجال من الشيعة للتصدّي لفضح الكذّابين الوضّاعين و الزنادقة و الغلاة لتمحيص الحديث، فكتبوا المعاجم الرجاليه في ذلك، كرجال النجاشي و الكشي و ابن الغضائري و فهرست الشيخ الطوسي و رجاله، و آخرون ساروا على نهجهم من المتأخّرين، و نجد في كتبهم في ترجمه بعض الرجال عبارات في الجرح و التضعيف، مثل: وضّاع كثير المناكير، ضعيف متهافت مرتفع القول و حمل الغلاة في حديثه حملا عظيما، لا يجوز أن يكتب حديثه ... الخ «٢».

(١) - الكشي / ص ١٤٦، قواعد الحديث / الغريفي / ص ١٣٦.

(٢) - معرفه

الوضع فى التفسير

مقدمه

تعهد البارى تعالى بحفظ القرآن الكريم بعيدا عن متناول أيدي التحريف و التغيير و التبديل، فقال جلّ شأنه: إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (الحجر / ٩).

لذا فإنّ القرآن كان بمنأى عن أن تناله أيدي المغرضين و المتلاعبين بالشريعة و الدين، إلّا أنّ هؤلاء وجدوا ضالتهم - كما سبق - بالوضع فى السنّه، و هى شارحه للقرآن و موضّحه له «١»، و عليه فإنّ الوضع نشأ فى التفسير مع نشأته فى الحديث لأنهما كانا أوّل الأمر مزيجا لا يستقل أحدهما عن الآخر «٢».

و نستطيع أن نعرف حجم الوضع فى التفسير و خطورته، من دعوه البعض إلى التوقّف فيه، من ذلك ما روى عن أحمد بن حنبل أنّه قال: ثلاثه كتب ليس لها اصول:

المغازى و الملاحم و التفسير «٣».

و ما روى أيضا عن الإمام الشافعى من أنّه: لم يثبت عن ابن عباس فى التفسير إلّا شبيهه بمائه حديث «٤»، مع أنّ ابن عباس ممّن كثرت الروايه عنه.

و الروايتان كما يمكن حملهما على ضعف الاسناد فى تلك الأحاديث، كذلك يمكن حملهما على كثره الوضع فى التفسير، كما استفاد ذلك الذهبى «٥».

(١) - الإتيقان / ج ٢ / ص ١١٩٧.

(٢) - التفسير و المفسّرون / ج ١ / ص ١٦١.

(٣) - البرهان / ج ٢ / ص ١٥٦.

(٤) - الإتيقان / ج ٢ / ص ١٢٣٣.

(٥) - التفسير و المفسّرون / ج ١ / ص ٨٦.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ١٦٥

و قد حاول الذهبي إضفاء قيمه على التفسير الموضوع من حيث أنه «في كثير من الأحيان نتيجة اجتهاد علمي له قيمته ... و كثيرا ما يكون صحيحا» و رجع في

ذلك إلى أحمد أمين «١»، إلما أنّ التفسير الموضوع مهما كانت قيمته فهو يحمل معه صفه الوضع، و هي الكذب و الاختلاق، سواء كان ذلك في قيمته الأخلاقية و أثره المعنوي، أو في نسبه الباطله و محاوله تمريره على الناس بهذه النسبه، أو في وضع المعنى، و منه الكثير الفاسد، و في جميع هذه الأحوال فلا حجه لكتاب الله العزيز إلى توهم الباطلين، و قد قال تعالى: إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ* فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ* لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ (الواقعه / ٧٧ - ٧٩).

نماذج من الوضع في التفسير

أولاً- أحاديث فضائل السور:

على الرغم من أن أحاديث فضائل السور لا تدخل في التفسير، إذ هي ليست من معاني الآيات و لا من تأويلها، إلّا أنّه جرت عاده المفسرين أن يذكروها في أوائل تفسيرهم للسور المختلفه، و يبدو أنّ الكثير من هذه الأحاديث هي من الموضوعات، و وضعها البعض ظناً منهم أنّهم يرغبون الناس بها في قراءة القرآن.

فقد روى ابن الجوزي بسنده عن أبي عمار المروزي، قال: قيل لأبي عصمه نوح ابن أبي مريم المروزي: من أين لك عن عكرمه عن ابن عباس في فضائل القرآن سوره سوره و ليس عند أصحاب عكرمه هذا فقال: إنني رأيت الناس أعرضوا عن القرآن و اشتغلوا بفقّه أبي حنيفه و مغازي ابن إسحاق فوضعت هذا الحديث حسبه «٢».

كما ذكر في أبواب تتعلق بالقرآن، باب في فضائل السور، الروايه عن أبي بن كعب في ذكر فضائل السور؛ سوره سوره، بعدّه طرق ثم روى بسنده عن مؤمل قال:

(١)- المصدر السابق/ ص ١٦٧، فجر الاسلام/ ص ٢٥١، ضحى الاسلام/ ج ٢/ ص ١٤٣.

(٢)- الموضوعات/ ج ١/ ص ١٨.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ١٦٦

حدّثني شيخ بفضائل سور القرآن الذي يروي

عن أبي بن كعب، فقلت للشيخ: من حدّثك؟ فقال: حدّثني رجل بالمدائن و هو حى فصرت إليه فقلت: من حدّثك؟

فقال: حدّثني شيخ بواسط و هو حى فصرت إليه، فقال: حدّثني شيخ بالبصره فصرت إليه، فقال: حدّثني شيخ بعبادان، فصرت إليه فأخذ بيدي فأدخلني بيتا فإذا فيه قوم من المتصوفه و معهم شيخ، فقال: هذا الشيخ حدّثني، فقلت: يا شيخ! من حدّثك؟ فقال: لم يحدّثني أحد و لكنّا رأينا الناس قد رغبوا عن القرآن فوضعنا لهم هذا الحديث ليصرفوا وجوههم إلى القرآن «١».

و مع ذلك فإنّ هذه الأحاديث قد أخذت طريقها إلى كتب المفسّرين، كالواحدى، و الثعلبى، و الطبرى و الزمخشرى و الطبرسى و غيرهم.

ثانيا- الوضع فى تفسير الآيات:

اشاره

و هو كثير، و متفق على وجوده عند الباحثين «٢»، إلما أنّه اختلف فى مصاديقه بحسب رأى الباحث و موقفه المذهبى؛ و كمثال على ذلك فإننا نجد من يجهد نفسه فى تأويل الأحاديث الظاهره فى تجسيم الله تعالى و التى تدعى ثبوت الرؤيه له يوم القيامه «٣»، و لا يعتقد بوضعها، فى نفس الوقت نجد آخرين كالطبرسى و الزمخشرى ينفون هذه الأحاديث و يؤوّلون الآيات بموجب آيات اخرى و يحملونها على المجاز، فأخذ عليهم الذهبي ذلك- و هو يرى جواز الرؤيه- معتبرا أنّ ذلك من ألوان «التفسير بالرأى أو تفسير الفرق المبتدعه» «٤».

و ممّا ذكرناه يتبيّن لنا خطوره الأحاديث الموضوعه، إذ أنّها غالبا ما تتعرّض إلى

(١)- م. ن / ص ١٧٤. الإتيقان / ج ٢ / ١٤٣٠.

(٢)- الإتيقان / ج ٢ / ص ١٢٣٣ و ١٣٣٥، التفسير و المفسّرون / ج ١ / ص ٤٩.

(٣)- مشكل تأويل الحديث و بيانه / للحافظ أبى بكر بن فورك.

(٤)- التفسير و المفسّرون / ج ١ / ص ٣٦٢ و

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ١٦٧

مسائل عقيدته تتعلّق بالتوحيد و عصمه الأنبياء و رساله النبيّ الخاتم محمّد (ص)، و إن كانت بحسب الظاهر تلبّست بلباس القصص الماضيه أو الإخبار عن أحداث المستقبل و يوم الحساب.

و نستعرض فيما يلي نماذج من الوضع فى التفسير بحسب تصنيفها الموضوعى:

١- مسائل التوحيد:

إشاره

ذهب قسم من المسلمين - و هم المعطله - إلى استحاله معرفه الله تعالى على العقول و إلى تعطيل العقول عن معرفه إله بقدر ما يظهر من النصوص. سئل مالك عن قوله سبحانه: **ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ (الأعراف / ٥٤)**. قال: الاستواء معلوم و الكيف مجهول و الإيمان به واجب و السؤال عنه بدعه «١».

و ذهب قسم آخر، و هم المشبّهه، إلى أنّ الذات الإلهية تشبه الانسان، قالوا:

معبودهم على صورته ذات أعضاء و أبعاض، إمّا روحانيه، و إمّا جسمانيه، و يجوز عليه الانتقال و النزول و الصعود و الاستواء و التمكن «٢».

قال الشهرستاني: «و أمّا مشبّهه الحشويه، فحكى الأشعري عن محمّد بن عيسى أنّه حكى عن: نصر، و كهمس، و أحمد الهجيمي: أنّهم أجازوا على ربّهم: الملامسه، و المصافحه، و أنّ المسلمين المخلصين يعانقونه فى الدنيا و الآخرة ... و أمّا ما ورد فى التنزيل من: الاستواء، و الوجه، و اليدين، و الجنب، و المجىء و الاثيان و الفوقيه ...

و غير ذلك، فأجروها على ظاهرها، أعنى ما يفهم عند الاطلاق على الأجسام، و كذلك ما ورد فى الأخبار من الصوره [و غيرها] ... «٣».

(١) - الملل و النحل ج ١ / ص ٩٣. مقدّمه البرهان للأصفى / ص ٢١.

(٢) - الملل و النحل / الشهرستاني / ج ١ / ص ٩٦.

(٣) - م. ن / ص ٩٧.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص:

و هذه الصورة الثانية فى التشبيه نجدها فى بعض كتب التفسير بالمأثور- عند الجمهور- من خلال أحاديث موضوعه منسوبة إلى النبى (ص) و اخرى إلى الصحابه، حاولت تفسير الآيات وفق هذه العقيدة. و منها:

أ) إمكان الرؤيه:

إشاره

ذهب أهل الحديث و الأشاعره، إلى إمكان رؤيه الله تعالى، و أنه يظهر للناس يوم القيامه، كما يظهر البدر ليله تمامه، فيرونه بأعين رءوسهم «١»، و ادعى أبو شامه إجماع الصحابه على ذلك «٢»، كما ادعى البغدادى إجماع أهل السنّه على أن الله تعالى يكون مرثيا للمؤمنين فى الآخره و القول بجواز رؤيته فى كل حال «٣».

بل نسب الأجرى إلى أحمد بن حنبل القول: «من قال: إنَّ الله عزَّ و جلَّ لا يرى فى الآخره فقد كفر، عليه لعنه الله و غضبه» «٤».

و على هذا الرأى، ابن تيميه الّذى قال: «و ثبت فى الصحيحين من حديث أبى سعيد فى حديث طويل، الّذى يتجلّى الله تعالى لعباده يوم القيامه و أنه يحتجب ثمَّ يتجلّى، قال: (فكشف عن ساقه فينظرون إليه)» «٥».

و على أساس هذه العقيدة فسّرت العديد من الآيات القرآنيه، اعتمادا على المأثور من الأحاديث المؤيّده لذلك، منها:

(١)- النابلسى / العقيدة الصحيحه / ص ٢٩. راجع للمزيد الأقوال حول الرّؤيه و التجسيم و الحركه: عقائد الشيعه و أهل السنّه فى اصول الدّين / د. علاء الدين القزوينى / ص ٥٦ فما بعدها.

(٢)- أبو شامه / ضوء السارى / ص ٩٨.

(٣)- الفرق بين الفرق / ص ٣٣٥ و ٣٣٦.

(٤)- الأجرى / الشريعه / ص ٢٥٤.

(٥)- الدرّ المنثور / ج ٨ / ص ٣٥٠.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعه، ص: ١٦٩

فى تفسير قوله تعالى: وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (القيامه / ٢٢، ٢٣).

أخرج السيوطى عن عبد الرزاق

و أحمد و عبد بن حميد و البخارى و مسلم و النسائى و الدار قطنى فى الرؤيه و البيهقى فى الأسماء و الصفات عن أبى هريره، قال:

«قال الناس: يا رسول الله! هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال: هل تضارون فى الشمس ليس دونها سحاب؟ قالوا: لا، يا رسول الله! قال: فإنكم ترونه يوم القيامة كذلك، يجمع الله الناس فيقول من كان يعبد شيئا فليتبعه، فيتبع من كان يعبد الشمس بالشمس، و يتبع من كان يعبد القمر بالقمر، و يتبع من كان يعبد الطواغيت، و تبقى هذه الامه فيها منافقوها، فيأتيهم الله فى غير الصورة التى يعرفون، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: نعوذ بالله منك هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا، فإذا أتانا ربنا عرفناه فيأتيهم الله فى الصورة التى يعرفون، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: أنت ربنا فيتبعونه...» (١).

و فى روايه اخرى عن أبى هريره أيضا: «فتجلى لهم عزّ و جلّ فيضحك فى وجوههم فيخرون له سجدا»، و «سترون ربكم عزّ و جلّ حتى أن أحدكم ليحاضر ربه محاضره» «كما ترون القمر ليله البدر أو كما ترون الشمس ليس دونها سحاب»، و عن جابر عن النبى (ص): «أنّ الله ليتجلى للناس عامه و يتجلى لأبى بكر خاصه»، و عن أنس: «إذا كان يوم القيامة رأى المؤمنون ربهم عزّ و جلّ، فأحدثهم بالنظر إليه فى كل جمعه و يراه المؤمنات يوم الفطر و يوم النحر»، و روايات اخرى كثيره فى هذا المعنى (٢).

و أخرج الطبرى بسنده عن ابن عباس فى قول الله وَ لَقَدْ رَأَوْهُ نَزَّلَهُ أُخْرَى عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى قَالَ: دَنَا رَبَّهُ فَتَدَلَّى، فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى، فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى، قَالَ: قَالَ ابْن

(١) - مختصر الفتاوى المصريه لابن تيميه/ بدر الدين الحنبلي / ص ٢٠١.

(٢) - الدرّ المنثور/ ج ٨ / ص ٣٥٠ - ٣٦٠.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ١٧٠

و الروايات التفسيريه فى الرؤيه منتشره فى مواضع مختلفه من التفسير، كما روى الطبرى فى تفسير قوله تعالى: وَ كَذَلِكَ نُرَى إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ لِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ (الأنعام/ ٧٥).

فقد روى بسنده عن عبد الرحمن بن عياش يقول: صَلَّى بنا رسول الله (ص) ذات غداه، فقال له قائل: ما رأيت أسعد منك الغداه، قال: و ما لى و قد أتانى ربى فى أحسن صورته، فقال: فقيم يختصم الملائه الأعلى يا محمد؟ قلت: أنت أعلم. فوضع يده بين كفتى فعلمت ما فى السموات و الأرض، ثم تلا هذه الآيه: وَ كَذَلِكَ نُرَى إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ ... «١».

مصدر القول بالرؤيه

و يبدو أن روايات الرؤيه مصدرها كعب الأخبار «٢»، و منه أخذ أبو هريره، و ما حكى عن ابن عباس و غيره، فقد روى الطبرى بسنده عن عبد الله بن الحارث بن نوفل، عن كعب، أنه أخبره أنّ الله تبارك و تعالى قَسَمَ رؤيته و كلامه بين موسى و محمد، فكلّمه موسى مرّتين، و رآه محمد مرّتين «٣».

و كان الصحابه ربّما سمع بعضهم الحديث عن بعض ثمّ يسنده إلى رسول الله (ص).

أخرج أحمد فى مسنده، أنّ أبا أمامه قال: قال رسول الله (ص): «لا يستمتع بالحرير من يرجو أيام الله» فقال له خالد: يا أبا أمامه! أنت سمعت هذا من رسول الله (ص)؟

فقال: اللهم عفوا، أنت سمعت هذا من رسول الله (ص)! بل كنّا فى قوم ما كذبونا و لا كذبنا «٤».

(٢)- الكاهن اليهودى الذى أسلم فى خلافه عمر.

(٣)- تفسير الطبرى / ج ٢٧ / ص ٥١.

(٤)- مسند أحمد / ج ٥ / ص ٢٤٧. أحاديث أم المؤمنين عائشه / ج ٢ / ص ٣٦.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ١٧١

و كان أبو هريره- و هو أكثر من روى عنه فى الرؤيه- أكثر الصحابه روايه عن كعب، قال ابن كثير بعد ما روى حديث أبى هريره فى ياجوج و مأجوج، كما رواه أحمد عنه، و رواه أيضا عن كعب، قال: «لعل أبا هريره تلقاه من كعب فإنه كان كثيرا ما كان يجالسه و يحدثه»، و بين فى مواضع كثيره من تفسيره ما أخذه أبو هريره من كعب «١».

و ذهب البعض إلى أن ابن عباس كان يرجع إلى أهل الكتاب، و كان من مراجعه كعب الأخبار «٢». إلا أنه ربما كانت الأحاديث فى الرؤيه موضوعه عليه؛ فقد روى عنه أنه قال: إن رسول الله (ص) رأى ربه بقلبه «٣». كما روى عنه أنه قال لسائل سأله: ادع ربك باصبعك اليمنى، و اسأل بكفك اليسرى، و اغضض بصرك و كف يدك، فإنك لن تراه و لن تناله، فقال الرجل: و لا فى الآخره؟ فقال: و لا فى الآخره «٤».

و كانت التوراه أو قصص الإسرائيليات، هى مصدر كعب، و بالتالى أبى هريره و غيره فى هذه الامور، ففى الصحيحين من حديث أبى هريره: ان الله خلق آدم على صورته، و قد جاء فى الاصحاح الأول من التوراه بنصه: و خلق الله الانسان على صورته «٥».

و قد انتبه الشهرستانى لهذا الأمر فقال: «... و زادوا فى الأخبار أكاذيب وضعوها و نسبوها إلى النبى (ص)، و أكثرها مقتبسه

(١) - أضواء على السنّة المحمّديه / محمود أبو ريه / ص ٢٠٧.

(٢) - فجر الاسلام / أحمد أمين / ص ٢٤٨. التفسير و المفسرون / ج ١ / ص ٧٦.

(٣) - الطبرى / ج ٢٧ / ص ٥٢.

(٤) - الجامع الصحيح / الإمام الربيع بن حبيب / ج ٣ / ص ٢٦.

(٥) - أضواء / ص ٢٠٨.

(٦) - الممل و النحل / ج ١ / ص ٩٧.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ١٧٢

الرأى الصحيح فى الرؤيه:

تصدى الأئمة من أهل البيت (ع) للدفاع عن حريم الاسلام و الحفاظ على عقيدته التوحيد الخالصة و سائر العقائد الحقّه من أن تشوبها الأهواء و الآراء المنحرفه، فكانوا يصحّحون الرؤى و يقومون الأفكار و ينفون عن الإيمان بالله أوهام التشبيه، ففى مقابل الروايات أعلاه، وردت روايات اخرى عن أهل البيت (ع) فى استحاله الرؤيه و تأويل الآيات الظاهره فى ذلك بما يناسب عقيدته التوحيد، و تنزيه الله تعالى، فقد روى عن الإمام على (ع) فى قوله تعالى: «وَجُودٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ...»، قال: تنضر وجوههم و هو الاشراق، إلى ربّها ناضرة، قال: تنتظر متى يأذن لهم ربهم فى دخول الجنّه، و لا يعنى الرؤيه بالأبصار، لأنّ الأبصار لا تدركه كما قال: لا تدركه الأبصار و هو يدرك الأبصار و هو اللطيف الخبير» «١».

و فى نفس المعنى جاءت الأحاديث عن أئمة أهل البيت (ع)، فقال ابن حجر الهيثمى: «قال رجل للباقر - محمّد بن على بن الحسين - و هو بفناء الكعبه: هل رأيت الله حيث عبدته؟ فقال: ما كنت أعبد شيئاً لم أره. قال: و كيف رأيتة؟ قال: لم تره الأبصار بمشاهده العيان، لكن رأته القلوب بحقائق الإيمان، و زاد على ذلك ما أبهر السامعين، فقال الرجل: الله

أعلم حيث يجعل رسالته...» (٢).

كما وردت روايات عن الصحابة في نفس الاتجاه بنفى رؤيته سبحانه و تعالى؛ فقد روى الطبري بسنده عن «مسروق، عن عائشه (رض) قالت له: يا أبا عائشه! من زعم أن محمّدا رأى ربّه فقد أعظم الفريه على الله، و أنّه يقول: لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَ هُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ... وَ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ.

قال: و كنت متكننا فجلست و قلت: يا أمّ المؤمنين! انتظري و لا تعجلي أ لم يقل الله وَ لَقَدْ رَأَاهُ نَزَلَهُ أُخْرَى... وَ لَقَدْ رَأَاهُ بِالْأَفْقِ الثَّمِينِ؟ فقالت: أنى أول هذه الا...مه س...ألت

(١)- الجامع الصحيح / ج ٣ / ص ٢٦.

(٢)- الصواعق المحرقة / ص ٢٣٨. عقائد الشيعة و أهل السنّه / ص ٥٣.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ١٧٣

رسول الله (ص) عن ذلك فقال: لم أر جبريل على صورته إلّا هاتين المرتين منهبطا من السماء سادا عظم خلقه ما بين السماء و الأرض» (١).

و روى السيوطي عن أبي صالح و مجاهد في قوله إلى ربّها ناظرة قال: تنتظر الثواب من ربّها (٢).

رأى المفسرين الشيعة في موضوع الرؤيه:

لم تكن التفاسير الشيعيه بمنأى عن آثار حركه الوضع في التاريخ الاسلامي، و لكن الملاحظ في كتب التفسير الشيعيه حساسيتها المفرطه تجاه الموضوعات التي تمس عقيدته التوحيد أو تخدش عصمه الأنبياء عموما و رساله الرسول الخاتم محمّد (ص) خصوصا؛ فيما نجد تسامحا في روايه ما عدا ذلك ممّا لا يمس باصول العقيدته.

و سنأتى فيما يلي على ذكر نماذج من موقف المفسرين الشيعة من هذه الموضوعات:

الطوسي: ناقش الشيخ الطوسي مقوله الرؤيه المستنده إلى تلك الآيات و الروايات بشدّه، خصوصا من الجهات اللغويه و

أم لا؟ و دخول «إلى» فى الآيه لا يدلّ على أنّ المراد بالنظر الرؤيه، و لا تعليقه بالوجه يدلّ على ذلك، لأننا أنشدنا البيت، و فيه تعليق النظر بالوجه و تعديه بحرف (إلى) و المراد به الانتظار، و قال الطريح بن اسماعيل:

و إذا نظرت إليك من ملك و البحر دونك جرتنى نعماء «٣»

و المراد به الانتظار و التأميل.

و أيضا، فأنه فى مقابله قوله فى صفه أهل النار تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ فالمؤمنون يؤمنون بتجديد الكرامه و ينتظرون الثواب، و الكفار يظنون الفاقره، و كَلَّه

(١) - آل عمران / ٧٧.

(٢) - التبيان فى تفسير القرآن / الطوسى / ج ١٠ / ص ١٩٧.

(٣) - التبيان / ج ١٠ / ص ١٩٨.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ١٧٥

راجع إلى فعل القلب، و لو سلمنا أنّ النظر يعد الرؤيه لجاز أن يكون المراد أنّها رؤيه ثواب ربّها؛ لأنّ الثواب المذى هو أنواع اللذات من المأكول و المشروب و المنكوح تصحّ رؤيته.

و يجوز أيضا أن يكون (إلى) واحد الآلاء و فى واحدها لغات (ألا) مثل قفا، و (ألى) مثل معى و (ألى) مثل حدى و (إلى) مثل حسى، فإذا اضيف إلى غيره سقط التنوين، و لا يكون (إلى) حرفا فى الآيه.

و كل ذلك يبطل قوله من أجاز الرؤيه على الله تعالى.

و ليس لأحد أن يقول: إنّ الوجه الأخير يخالف الاجماع، أعنى اجماع المفسرين، و ذلك لأننا لا نسلم لهم ذلك، بل قد قال مجاهد و أبو صالح و الحسن و سعيد بن جبیر و الضحّاك: إنّ المراد نظر الثواب. و روى مثله عن عليّ (ع).

و قد فرّق أهل اللغه بين نظر الغضببان و نظر الراضى، يقولون: نظر غضبان،

و نظر راض، و نظر عداوه، و نظر موّده، قال الشاعر:

تخبرني العينان ما الصدر كاتم و لاحن بالبغضاء و النظر الشزر

و الرؤيه ليست كذلك فانّهم لا يضيفونها، فدَلَّ على أنّ النظر غير الرؤيه، و المرئى هو المدرك، و الرؤيه هي الإدراك بالبصر، و الرائي هو المدرك، و لا تصحّ الرؤيه و هي الادراك إلّا على الأجسام أو الجوهر أو الألوان. و من شرط المرئى أن يكون هو أو محلّه مقابلا أو فى حكم المقابل، و ذلك يستحيل عليه تعالى، فكيف نجيز الرؤيه عليه تعالى؟! «(١)».

الطبرسى: و على نفس المنهج سار الطبرسى فى تفسير الآيه، مصنّفا الأقوال إلى ثلاثه، إذ قال: «إلى ربّها ناظره، اختلف فيه على وجهين: أحدهما: أن معناه نظر العين. الثانى: أنه الانتظار.

(١)- التبيان/ ج ٢/ ص ١٩٩.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ١٧٦

و اختلف من حملة على نظر العين على قولين:

أحدهما: أنّ المراد إلى ثواب ربّها ناظره، أى هي ناظره إلى نعيم الجنّه حالا بعد حال فيزداد بذلك سرورها ...

و الآخر: أنّ النظر بمعنى الرؤيه، و المعنى تنظر إلى الله معانيه. رووا ذلك عن الكلبى و مقاتل و عطاء و غيرهم. و هذا لا يجوز لأن كل منظور إليه بالعين مشار إليه بالحدقه و اللحاظ، و الله يتعالى عن أن يشار إليه بالعين، كما يجلّ الله سبحانه عن أن يشار إليه بالأصابع.

و أيضا فإنّ الرؤيه بالحاسه لا تتم إلّا بالمقابله و التوجّه و الله يتعالى عن ذلك بالاتفاق.

و أيضا فإنّ رؤيه الحاسه لا تتم إلّا باتصال الشعاع بالمرئى و الله منزّه عن اتصال الشعاع به.

على أنّ النظر لا يفيد الرؤيه فى اللغه، فإنّه إذا علق بالعين

أفاد طلب الرؤيه، كما إنه إذا علق بالقلب أفاد طلب المعرفه، بدلاله قولهم: نظرت إلى الهلال فلم أراه. فلو أفاد النظر الرؤيه لكان هذا القول ساقطاً متناقضاً، وقولهم: ما زلت أنظر إليه حتى رأيت، والشئ لا يجعل غايه لنفسه فلا يقال: ما زلت أراه حتى رأيت. ولأننا نعلم الناظر ناظراً بالضروره ولا نعلمه رائياً بالضروره بدلاله إننا نسأله هل رأيت أم لا» (١).

الطبائبي: وفسّر العلامه الطبائبي الآيه تفسيراً عرفانياً، إذ اعتبر النظر - هنا - هو رؤيه القلب المفعم بالإيمان، الذي لا يرى شيئاً إلّا و يراه أنه آيه من آيات الله، فهو يقول في تفسير الآيه:

«و المراد بالنظر إليه تعالى ليس هو النظر الحسى المتعلّق بالعين الجسمانيه الماديّه التي قامت البراهين القاطعه على استحاله في حقه تعالى، بل المراد النظر القلبي و رؤيه القلب بحقيقه الإيمان على ما يسوق إليه البرهان، و تدلّ عليه الأخبار المأثوره عن

(١) - مجمع البيان/ ج ١٠ / ص ١٥٥.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ١٧٧

أهل العصمه (ع)، و قد أوردنا شطراً منها في ذيل تفسير قوله تعالى: قَالَ رَبِّ ارْنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ (الأعراف / ٤٣)، و قوله تعالى: مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى (النجم / ١١).

فهؤلاء قلوبهم متوجّهه إلى ربّهم لا يشغلهم عنه سبحانه شاغل من الأسباب لتقطع الأسباب يومئذ، و لا يقف موقفاً من مواقف اليوم و لا يقطعون مرحله من مراحلها إلّا و الرحمه الإلهيه شامله لهم و هم من فزع يَوْمئِذٍ آمِنُونَ (النمل / ٨٩)، و لا يشهدون مشهداً من مشاهد الجنّه و لا يتنعمون بشئ من نعيمها إلّا و هم يشاهدون ربّهم به، لأنهم لا ينظرون إلى شئ من و لا

يرون شيئاً إلّا من حيث إنّه آيه لله سبحانه، و النظر إلى الآيه من حيث إنّها آيه و رؤيتها نظر إلى ذى الآيه و رؤيه له « (١) ».

و فى بحثه الروائى ذيل تفسير الآيات، أورد بعض الروايات فى المقام، و وجه بعضها بما يفيد الرؤيه، توجيهها يتطابق مع الرؤيه القلبيه التى أشار إليها، قال:

«و فى تفسير القمى ... وُجُوهُ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ أَيْ مَشْرُقَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ قَالَ: يَنْظُرُونَ إِلَى وَجْهِ اللَّهِ أَى إِلَى رَحْمَةِ اللَّهِ وَ نِعْمَتِهِ.

و فى العيون ... بإسناده إلى إبراهيم بن أبى محمود قال: قال على بن موسى الرضا (ع) فى قوله تعالى: وُجُوهُ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ* إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ يعنى مشرقه تنتظر ثواب ربّها.

و فى الدر المنثور: عن ابن عمر ... ثم قرأ رسول الله (ص): وُجُوهُ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ قَالَ: البياض و الصفاه إلى ربّها نَاطِرَةٌ قَالَ: ينظر كل يوم فى وجهه.

أقول: الروايه تقبل الانطباق على المعنى الذى أوردناه فى تفسير الآيه، و مع الغض عنه، تقبل الحمل على رحمته و فضله و كرمه تعالى و سائر صفاته الفعلية، فإن وجه الشىء ما يستقبل به الشىء غيره، و ما يستقبل به الله سبحانه خلقه هو صفاته الكريمة، فالنظر إلى رحمه الله و فضله و كرمه و صفاته الكريمة، نظر إلى وجه الله الكريم.

(١) - تفسير الميزان/ ج ٢٠ / ص ١٢٢.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ١٧٨

و فيه أخرج ابن مردويه عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله (ص) فى قول الله: وُجُوهُ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ* إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ قَالَ: ينظرون إلى ربهم بلا كيفيه و لا حد محدود و لا صفه معلومه.

أقول: و الروايه تؤيد ما قدّمنا فى تفسير

الآية أن المراد به النظر القلبي و رؤيه القلب دون العين الحسيه، و هي تفسير ما ورد في عدّه روايات من طرق أهل السنّه ممّا ظاهره التشبيه و أنّ الرؤيه بالعين الحسيه التي لا تفارق المحدوديه» (١).

و في البحث الروائي، ذيل تفسير قوله تعالى: ما كَذَبَ الْفُؤَادُ ما رَأَى (النجم / ١١)، قال الطباطبائي:

«و في التوحيد بإسناده إلى محمّد بن الفضيل، قال: سألت أبا الحسن (ع) هل رأى رسول الله (ص) ربّه عزّ و جلّ؟ فقال: نعم، بقلبه رآه، أما سمعت الله عزّ و جلّ يقول:

ما كَذَبَ الْفُؤَادُ ما رَأَى لم يره بالبصر و لكن رآه بالقلب ...

و في الكافي بإسناده عن صفوان بن يحيى، قال: سألتني أبو قرّه المحدث أن ادخله إلى أبي الحسن الرضا (ع) فاستأذنته في ذلك، فأذن لي، فدخل عليه فسأله عن الحلال و الحرام و الأحكام. إلى قوله: قال أبو قرّه: فإنه يقول: وَ لَقَدْ رَأَاهُ نَزَّلَهُ أُخْرَى فقال أبو الحسن (ع): إن بعد هذه الآية ما يدلّ على ما رأى حيث قال: ما كَذَبَ الْفُؤَادُ ما رَأَى يقول: ما كَذَبَ فؤاد محمّد ما رأت عيناه، ثمّ أخبر بما رأى فقال:

لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى و آيات الله غير الله».

ثمّ علّق على الروايه الأخيره قائلاً: «الظاهر أن كلامه (ع) مسوق لإلزام أبي قرّه حيث كان يريد اثبات رؤيته تعالى بالعين الحسيه فألزمه بأنّ الرؤيه إنّما تعلقت بالآيات، و آيات الله غير الله، و لا ينافي ذلك كون رؤيه الآيات بما هي آياته رؤيته، و إن كانت آياته غيره، و هذه الرؤيه إنّما كانت بالقلب كما مرّت عدّه من الروايات في

(١) - الميزان / ج ٢٠ / ص ١٢٦ - ١٢٨.

هذا المعنى «١».

(ب) روايات التجسيم:

إشارة

قامت عقيدة التوحيد على أساس تنزيه الله تعالى عن صفات المادّة، و هو «واحد أحد صمد لم يلد و لم يولد و لم يكن له كفوا أحد، خالق و ليس بمخلوق، يخلق تبارك و تعالى ما يشاء من الأجسام و غير ذلك و يصوّر ما يشاء و ليس بمصوّر، جلّ ثناؤه و تقدّست أسماؤه و تعالى عن أن يكون له شبيه، هو لا غيره، ليس كمثله شىء و هو السميع البصير» «٢».

إلّا أنّه كما وجدنا في موضوع الرؤية، فقد توافرت الروايات- في كتب التفسير بالمأثور عند الجمهور- الّتي جعلت صفات الجوارح و الأجسام لله سبحانه و تعالى، و هي متفرّعة على مسألة الرؤية «٣»، و شكّلت هذه الروايات أساساً لاثبات الصفات لله- تعالى عن ذلك- و أنّ له يداً و عينا و يدين و أعينا، و عدّ ابن تيمية ذلك «مذهب عامّه السّلف، و مذهب أئمّه الدّين، بل أئمّه المتكلمين بثبوت الصفات الخبرية في الجملة» «٤».

و الأحاديث المرويّه في تلك المعانى كثيره إلّا أننا سنتعرض هنا لبعض الروايات الوارده في التفسير كنماذج لما ذكرناه:

١- في تفسير قوله تعالى: يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ (القلم / ٤٢).

(١)- م. ن / ج ١٩ / ص ٣٥ و ٣٦.

(٢)- عن الإمام العسكري (ع) / التوحيد / ص ١٠١ / ح ١٤.

(٣)- عقائد الشيعة و أهل السنّه / ص ٧٤.

(٤)- نقض المنطق / ابن تيميه / ص ١٢١-١٢٣.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ١٨٠

قال السيوطي: أخرج البخاري و ابن المنذر و ابن مردويه عن أبي سعيد: سمعت النبيّ (ص) يقول: «يكشف ربّنا عن ساقه فيسجد

له كل مؤمن و مؤمنه، و يبقى من كان يسجد فى الدنيا رياء و سمعه فيذهب ليسجد فيعود ظهره طبقا واحدا».

كما روى عن أبى هريره عن رسول الله: «يكشف الله عزّ و جلّ عن ساقه»، و عن ابن مسعود، قال: «عن ساقه تبارك و تعالى»
«١».

و فى مقابل هذه الروايات المشوبه بالوضع، نجد روايات اخرى صحيحه عن ابن عباس، قال: إذا خفى عليكم شىء من القرآن فابتغوه فى الشعر فإنّه ديوان العرب، أما سمعتم قول الشاعر:

أصبر عناق أنّه شرّ باق قد سنّ لى قو مكّ ضرب الأعناق و قامت الحرب ب نا على ساق قال: هذا يوم كرب و شدّه.

و فى روايات اخرى عنه: هو الأمر الشديد المفظع من الهول يوم القيامة.

و عنه: عن شدّه الآخره.

كما روى عن سعيد بن جبير أنّه سئل عن قوله تعالى يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ فغضب غضبا شديدا و قال: إنّ أقواما يزعمون أنّ الله يكشف عن ساقه، و إنّما يكشف عن الأمر الشديد «٢».

٢- فى تفسير قوله تعالى: يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأَتْ وَ تَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ (ق / ٣٠).

(١)- الدرّ المنثور/ ج ٨ / ص ٢٥٤.

(٢)- م. ن / ص ٢٥٥.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ١٨١

قال الطبرى: «و أمّا قوله هَلْ مِنْ مَزِيدٍ فَإِنَّ أَهْلَ التَّأْوِيلِ اختلفوا فى تأويله فقال بعضهم: معناه: ما من مزيد. قالوا: و إنّما يقول الله لها: هل امتلأت بعد أن يضع قدمه فيها فينزوى بعضها إلى بعض و تقول: قط قط من تضايقها...» «١».

و روى بسنده عن ابن عباس أنّه لا يلقى فى جهنم شىء إلا ذهب فيها و لا يملأها شىء، قالت: أ

لست قد أقسمت لتمامي من الجنه والناس أجمعين، فوضع قدمه، فقالت حين وضع قدمه فيها: قد قد، فأني قد امتلأت فليس لي مزيد ...

و في روايه اخرى: أتاها الربّ فوضع قدمه عليها، ثم قال لها: هل امتلأت يا جهنم؟ فتقول: قط قط، قد امتلأت من الجن والانس فليس في مزيد. قال: و لم يكن يملأها شيء حتى وجدت مسّ قدم الله تعالى ذكره فتضايقت فما فيها موضع إبره.

ثم روى عن أنس و أبي هريره روايات اخرى بنفس المعنى «٢». و قد أخرجها البخاري و مسلم في صحيحهما عن أنس و أبي هريره «٣».

و زاد السيوطي - بعد ذكر ما سبق - روايتين عن أبي بن كعب عن رسول الله (ص)، و في إحداهما: و جهنم تسأل المزيد حتى يضع فيها قدمه فيزوي بعضها إلى بعض و تقول: قط قط. و في الاخرى: حتى يضع فيها رب العالمين ما شاء الله أن يضع فتقبض و تغرغر، كما تغرغر المزاده الجديده إذا ملئت و تقول قط قط «٤».

رأى المفسرين الشيعة في روايات التجسيم:

ردّ المفسرين الشيعة الروايات المذكوره لمخالفتها نصّ الكتاب و عقيدته التوحيد القائم على تنزيه الله تعالى عن صفات الماده، فقالوا ما يلي في تفسير قوله تعالى:

(١) - تفسير الطبري / ج ٢٦ / ص ١٦٩.

(٢) - م. ن / ص ١٧٠ و ١٧١.

(٣) - صحيح البخاري / ج ٩ / ص ١١٧، صحيح مسلم / ج ٨ / ص ١٥٢.

(٤) - الدرّ المنثور / ج ٧ / ص ٦٠٣.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ١٨٢

يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ (القلم / ٤٢).

الطوسي: قال: «و قوله يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ قال الزجاج: هو متعلق بقوله فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ ... يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ

وقال ابن عباس والحسن ومجاهد وسعيد بن جبير وقتاده والضحاك: معناه يوم يبدو عن الأمر الشديد كالقطع من هول يوم القيامة. والساق ساق الانسان وساق الشجره لما يقوم عليه بدنها وكل نبت له ساق فهو شجر؛ قال الشاعر:

للفتى عقل يعيش به حيث يهدى ساقه قدمه فالمعنى يوم يشتد الأمر كما يشتد ما يحتاج فيه إلى ان يقوم على ساق، وقد كثر فى كلام العرب حتى صار كالمثل فيقولون: قامت الحرب على ساق وكشفت عن ساق؛ قال [زهير بن جذيمه]:

فإذا شمّرت لك عن ساقها فويها ربيع ولا تسأم وقال جدّ أبى طرفه:

كشفت لهم عن ساقها وبدا من الشرّ الصراح وقال آخر:

قد شمّرت عن ساقها فشدوا وجدّت الحرب بكم فجّدوا

والقوس فيها وتر غرد» (١) قال الطبرسى: «أى فليأتوا بهم فى ذلك اليوم الذى تظهر فيه الأهوال والشدائد.

وقيل: معناه يبدو من الأمر الشديد الفظيع، عن ابن عباس والحسن ومجاهد وقتاده وسعيد بن جبير...» ثمّ أورد ما نقل عن ابن عباس وغيره فى المعنى اللغوى وقال:

«فتأويل الآيه يوم يشتدّ الأمر كما يشتد ما يحتاج فيه إلى أن يكشف عن ساق».

(١) - التبيان/ ج ١٠ / ص ٨٧.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ١٨٣

و فى بحث اللغه قال: «و تقول العرب قامت الحرب على ساق، و كشفت عن ساق يريدون شدتها، و قال جدّ أبى طرفه:

كشفت لكم عن ساقها وبدا من الشرّ الصراح» (١)

و بتبنيه للرأى اللغوى الصحيح فى تفسير

الآية، أعرض صفحا عن الروايات الواردة في تفسير الساق بساق الربّ (تعالى عن ذلك)، فلم يذكرها لعدم اعتقاده بصحتها، فإنه غالبا ما يذكر في تفسيره للآيات مختلف الروايات التي تحمل وجهها من وجوه التفسير المعقوله أو المحتمله.

وقال الطباطبائي بعد ما ذكر روايات الدر المنثور عن البخارى وغيره، عن النبيّ (ص): يكشف ربنا عن ساقه...، قال: «و الروايات الثلاث مبنيه على التشبيه المخالف للبراهين العقلية و نصّ الكتاب العزيز فهي مطروحة أو مؤولة» (٢).

ج) روايات فى الحركة و الانتقال و الجهد:

إشارة

و نجد روايات تفسيرية تجعل لله - تعالى عن ذلك - حركة و انتقالا و صعودا و نزولا، و قد وردت هذه الروايات فى كتب التفسير إضافة إلى كتب الحديث (٣)، و من تلك الروايات:

فى تفسير قوله تعالى: هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَ الْمَلَائِكَةُ وَ قُضِيَ الْأَمْرُ وَ إِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ (البقره/ ٢١٠).

فقد أخرج السيوطى بسنده عن ابن مسعود عن النبيّ (ص) قال: «يجمع الله

(١) - مجمع البيان/ ج ١٠ / ص ٧٤ - ٧٥.

(٢) - الميزان/ ج ١٩ / ص ٤٠٦.

(٣) - جاء فى الصحيحين عن أبى هريره: أنّ رسول الله قال: ينزل ربنا تبارك و تعالى كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر. البخارى/ ج ٢ / ص ٥٣. صحيح مسلم/ ج ٢ / ص ١٧٦.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ١٨٤

الأولين و الآخرين لميقات يوم معلوم قياما، شاخصه أبصارهم إلى السماء ينظرون فصل القضاء، و ينزل الله فى ظل من الغمام من العرش إلى الكرسي».

و عن عبد الله بن عمرو، قال: يهبط بينه و بين خلقه سبعون ألف حجاب، منها النور و الظلمه و الماء، فيصوت الماء فى تلك

الظلمه صوتا تنخلع له القلوب.

و هكذا روى عن ابن عباس و مجاهد و عكرمه و قتاده فى نفس المعنى، إلّا أنّه روى عن أبى العالیه قال: فى قراءه أبى بن كعب هَيْلٌ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ، قال: يأتى الملائكه فى ظلل من الغمام، و هو كقوله: وَ يَوْمَ تَشَقُّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَ نَزَّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا (الفرقان / ٢٥) «١».

رأى المفسرين الشيعة فيها:

قال الطوسى: «المعنى: الظلل: جمع ظله. و معنى الآيه أن يأتيهم عذاب الله، و ما توعدهم به على معصيته، كما قال: فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا» (٢) أى أتاهم خذلانه إيّاهم. و المختار عند أهل اللغه الرفع فى «الملائكه» عطفًا على الله، كأنه قال:

و تأتيهم الملائكه. و من كسر عطف على ظلل، و تقديره فى ظلل من الغمام، و ظلل من الملائكه.

و قوله: وَ قُضِيَ الْأَمْرُ أَى فزع لهم ممّا كانوا يوعدون به.

و قوله: وَ إِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ لا- يدلّ على أن الامور ليست إليه الآن و فى كل وقت. و معنى الآيه الاعلام فى أمر الحساب، و الثواب، و العقاب أى إليه، فيعذب من يشاء، و يرحم من يشاء، فلا- حاكم سواه. و يحتمل أن يكون المراد: أنه لا- أحد ممن يملك فى دار الدنيا إلّا و يزول ملكه ذلك اليوم.

و شبّهت الأهوال بالظلل من الغمام، كما قال: مَوْجٌ كَالظُّلِّ «٣» و معنى الآيه: ما

(١)- الدرّ المنثور/ ج ٢ / ص ٥٨٠.

(٢)- الحشر / ٢.

(٣)- لقمان / ٣٢.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ١٨٥

ينظرون- يعنى المكذبين بآيات الله- محمّدا و ما جاء به من القرآن و الآيات إلّا أن يأتيهم أمر الله و عذابه فى ظللٍ

مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ، فهل بمعنى (ما)، كما يقول القائل: هل يطالب بمثل هذا إلا متعنت؛ أى ما يطالب. و ينتظرون- فى الآيه- بمعنى ينتظرون. وقد يقال: أتى و جاء فيما لا- يجوز عليه المجىء و الذهاب، يقولون أتانى و عيّد فلان، و كلام فلان، و كل ذلك لا يراد به الاتيان الحقيقى، قال الشاعر:

أتانى قول عن نصيب يقوله و ما خفت يا سلام أنك عابى «١»

و قال آخر:

أتانى نصرهم و هم بعيد بلادهم بلاد الخيزران «٢»

فكأنّ المعنى فى الآيه: إنّ الناس فى الدنيا يعتصم بعضهم ببعض، و يفزع بعضهم إلى بعض فى الكفر و العصيان، فإذا كان يوم القيامة انكشف الغطاء، و أيقن الشاك، و أقرّ الجاحد، و علم الجاهل، فلم يعصم أحد من الله أحدا، و لم يكن له من دون الله ناصر، و لا من عذابه دافع، و علم الجميع أنّ الأمر كله لله «٣».

و قال الطبرسى موضّحا معنى الآيه و رادّا على من فسّرها بمجىء الله تعالى و كأنّه أراد توضيح الآيه و الردّ على من فسّرها بمجىء الله تعالى: «ثمّ عقب سبحانه ما تقدّم من الوعيد بوعيد آخر، فقال: هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ أَى: هل ينتظر هؤلاء المكذّبون بآيات الله إلا أن يأتىهم أمر الله، أو عذاب الله، و ما توعدهم به على معصيته فى ستر من السحاب. و قيل: قطع من السحاب، و هذا كما يقال: قتل الأمير فلانا، و ضربه و أعطاه، و إن لم يتولّ شيئا من ذلك بنفسه، بل فعل بأمره، فاسند إليه لأمره به.

(١)- البيت فى نوادر أبى زيد/ ص ٢٣٥، و معانى القرآن

(٢)- البيت للنابعه الجعدى، اللسان (خزر)، فى المطبوعه (بأرض) بدل (بلاد).

(٣)- التبيان/ ج ٢/ ص ١٨٨.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ١٨٦

وقيل: معناه ما ينتظرون إلما أن يأتيهم جلائل آيات الله، غير أنه ذكر نفسه تفخيما للآيات، كما يقال: دخل الأمير البلد، و يراد بذلك جنده. و إنما ذكر الغمام ليكون أهول، فإن الأهوال تشبهه بظلل الغمام، كما قال سبحانه: وَإِذَا عَشِيَهِمْ مَوْجٌ كَالظُّلِّ. و قال الزجاج: معناه يأتيهم الله بما وعدهم من العذاب و الحساب، كما قال:

فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا أَى: أتاهم بخذلانه إياهم. و هذه الأقوال متقاربه المعنى بل المعنى فى الجميع واحد أى: هل ينتظرون إلما يوم القيامة، و هو استفهام يراد به النفى و الإنكار أى: ما ينتظرون، كما يقال: هل يطالب بمثل هذا إلما متعنت، أى: ما يطالب. و مثله فى التنزيل هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرٌ رَبِّكَ... «١».

و قال الطباطبائى فى تفسير الآيه، وفقا لطريقته فى إرجاع المتشابه من الآيات إلى المحكمات منها:

«إن من الضرورى الثابت بالضروره من الكتاب و السنه أن الله سبحانه و تعالى لا يوصف بصفه الأجسام، و لا ينعى بنعوت الممكنات مميا يقضى بالحدوث، و يلازم الفقر و الحاجة و النقص، فقد قال تعالى: لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ (الشورى / ١١)، و قال تعالى: وَ اللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ (فاطر / ١٥)، و قال تعالى: اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ (الزمر / ٦٢)، إلى غير ذلك من الآيات، و هى آيات محكمات ترجع إليها متشابهات القرآن، فما ورد من الآيات و ظاهرها إسناد شىء من الصفات أو الأفعال الحادثه إليه تعالى ينبغى

أن يرجع إليها، و يفهم منها معنى من المعانى لا ينافى صفاته العليا و أسماءه الحسنى تبارك و تعالى، فالآيات المشتمله على نسبه المجرى ء أو الإتيان إليه تعالى كقوله تعالى: وَ جَاءَ رَبُّكَ وَ الْمَلَكُ صِفًّا صِفًّا (الفجر / ٢٢)، و قوله تعالى: فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا (الحشر / ٢)، و قوله تعالى: فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ (النحل / ٢٦)، كل ذلك يراد فيها معنى يلائم ساحه قدسه تقدست أسماؤه؛ كالإحاطه

(١) - مجمع البيان / ج ٢ / ص ٤٦ - ٤٧.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ١٨٧

و نحوها و لو مجازا، و على هذا فالمراد بالإتيان فى قوله تعالى: أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ الْإِحْاطَةَ بِهِمْ للقضاء فى حقهم» (١).

ثم انتقل الطباطبائى إلى بحث المسأله بذوق فلسفى و عرفانى، فقال:

«فالمجرى ء و الإتيان العدى هو عندنا قطع الجسم مسافه بينه و بين جسم آخر بالحركه و اقترابه منه إذا جرد عن خصوصيه الماده كان هو حصول القرب، و ارتفاع المانع و الحاجز بين شيئين من جهه من الجهات، و حينئذ صح إسناده إليه تعالى حقيقه من غير مجاز: فإتيانه تعالى إليهم ارتفاع الموانع بينهم و بين قضائه فيهم، و هذه من الحقائق القرآنيه التى لم توفق الأبحاث البرهانيه لنيله إلا بعد إمعان فى السير، و ركوبها كل سهل و وعر، و إثبات التشكيك فى الحقيقه الوجوديه الأصلية» (٢).

و قال فى البحث الروائى: «و فى التوحيد و المعانى عن الرضا (ع) فى قوله تعالى:

هَيْلٌ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ قَالَ: يقول: هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله بالملائكه فى ظلل من الغمام و هكذا نزلت، و عن قول الله عز و جل: وَ

جاءَ رَبُّكَ وَ الْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا قال: انّ الله عزّ و جلّ لا يوصف بالمجىء و الذهاب، تعالى عن الانتقال، و أنّما يعنى به و جاء أمر ربك و الملك صفا صفا.

أقول: قوله (ع) يقول هل ينظرون، معناه يريد هل ينظرون فهو تفسير للآيه و ليس من قبيل القراءه.

و المعنى الذى ذكره هو بعينه ما قربناه من كون المراد بإتيانه تعالى اتيان أمره « ٣ ».

٢- قضايا النبوه:

اشاره

كما امتدّت يـد الـوضـع إلى تشـويه صورـه التـوحيـد، امتدّت كذلك إلى التشكيك

(١)- الميزان/ ج ٢/ ص ١٠٤ و ١٠٥.

(٢)- م. ن/ ص ١٠٦.

(٣)- م. ن/ ص ١٠٧.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ١٨٨

برساله خاتم الأنبياء (ص)، و كان من ذلك اسطوره «الغرائق»، التى دسّها أعداء الإسلام، و بقيت قرونا حتّى يومنا الحاضر، قصّه يتعلّق بها الأعداء للطعن فى الاسلام و رسوله العظيم، و كان منهم بعض المستشرقين «١» و تلامذتهم أمثال رشدى الملعون فى آياته الشيطانيه.

— اسطوره «الغرائق» و رواياتها:

اشاره

و خلاصه القصّه المفتراه: أنّ رسول الله (ص) لمّا رأى من قومه ما شقّ عليه من مباعده ما جاءهم به من الله، تمّنّى فى نفسه أن يأتيه من الله ما يقارب بينه و بين قومه، و كان يسرّه مع حبه قومه و حرصه عليهم أن يلين له بعض ما قد غلظ عليه من أمرهم، حتّى حدّث بذلك نفسه و تمنّاه و أحبه، فأنزل الله عليه: وَ النَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَ مَا غَوَىٰ وَ مَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ فَلَمَّا انتهى إلى قوله أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَ الْعُزَّىٰ * وَ مَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ ألقى الشيطان على لسانه ما كان يحدث به نفسه و يتمنّى أن يأتى به قومه:

(تلك الغرائق العلى، و أنّ شفاعتهم ترضى، أو ترتجى).

فلما سمعت ذلك قريش فرحوا و سرّهم و أعجبهم ما ذكر به آلهتهم، فأصاخوا له ...

فلما انتهى إلى السجده فيها و ختم السوره سجد فيها، فسجد المسلمون بسجود نبيهم تصديقا لما جاء به و اتباعا لأمره، و سجد من فى المسجد من المشركين من قريش و غيرهم لما سمعوا من ذكر آلهتهم، فلم يبق

فى المسجد من مؤمن ولا كافر إلاً سجد ...

ثم تفرّق الناس و خرجت قريش و قد سرّهم ما سمعوا من ذكر آلهتهم ... «٢».

أمّ الروايات، فقد أوردها الطبرى فى تفسيره بطرق مختلفه عن محمّد بن كعب

(١) - راجع للمزيد: أحاديث أمّ المؤمنين عائشه للعلامة العسكري / ج ٢ / ص ٣٧٩ فى أقوال المستشرقين و استفادتهم من روايات «الغرائيق».

(٢) - م. ن / ص ٣٠٧.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ١٨٩

القرظى و محمّد بن قيس، و أبى العالیه، و سعيد بن جبير، و ابن عباس، و الضحّاك، و أبى بكر بن عبد الرحمن بن الحارث، و أوردها الواقدى و الزمخشرى و البيضاوى و السيوطى و غيرهم فى تفاسيرهم، و نحن نذكر هنا روايه واحده كنص أساس فيها:

روى الطبرى بسنده عن محمّد بن كعب القرظى و محمّد بن قيس قال: جلس رسول الله (ص) فى ناد من أنديه قريش كثير أهله، فتمنى يومئذ أن لا يأتیه من الله شىء فينفروا عنه، فأنزل الله عليه: وَ النَّجْمِ إِذَا هَوَى مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَ مَا غَوَى فقرأها رسول الله (ص) حتّى إذا بلغ أفرأيتُم اللاتَ وَ العزى * وَ مناةَ الثالثة الأخرى ألقى الشيطان عليه كلمتين: تلك الغرائقه العلى و أن شفاعتهنّ لترجى. فتكلّم بها ثم مضى فقرأ السوره كلّها، فسجد فى آخر السوره و سجد القوم جميعا معه و رفع الوليد ابن المغيره ترابا إلى جبهته فسجد عليه، و كان شيخا كبيرا لا يقدر على السجود، فرضوا بما تكلم به و قالوا: قد عرفنا أنّ الله يحيى و يميت، و هو الذى يخلق و يرزق، و لكن آلهتنا هذه تشفع لنا عنده، إذ جعلت

لها نصيبا، فنحن معك.

قالا: فلَمَّا أَمْسَى أَتَاهُ جَبْرَائِيلُ (ع) فَعَرَضَ عَلَيْهِ السُّورَةَ، فَلَمَّا بَلَغَ الْكَلِمَتَيْنِ اللَّتَيْنِ أَلْقَى الشَّيْطَانُ عَلَيْهِ، قَالَ: مَا جِئْتِكَ بِهَاتَيْنِ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ص): افتريت على الله وقلت على الله ما لم يقل. فأوحى الله إليه: وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ إِلَى قَوْلِهِ: ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا. فما زال مغموما مهموما حتى نزلت عليه: وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسِيخُ اللَّهُ مَا يُلْقَى الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ قَالَ: فسمع من كان من المهاجرين بأرض الحبشه أن أهل مكه قد أسلموا كلهم، فرجعوا إلى عشائهم وقالوا: هم أحب إلينا، فوجدوا القوم قد ارتكسوا حين نسخ الله ما ألقى الشيطان «١».

(١) - تفسير الطبري / ج ١٠ / ص ١٨٧.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ١٩٠

دراسة الروايات:

ناقش العلماء العسكري روايات هذه الاسطورة و أثبت زيفها و وضعها من قبل الزنادقة من خلال البحث العلمي في سندها و متنها، و ذلك أن جميع رواياتها لم يدركوا النبي (ص) إلا ابن عباس الذي لم يكن قد ولد في العصر الذي تتحدث عنه الاسطورة، كما إن الجملات الموضوعه في الاسطورة تناقض تسلسل الآيات في سورة النجم و التي تهاجم المشركين و عقائدهم، إضافة إلى عدم الدلالة اللغوية للتمنى على القراءة و التلاوه، و إنما على الرغبة و اشتهاه النفس، ثم بين تعارض تلك الروايات مع الآيات القرآنيه (النحل / ٩٨، الإسراء / ٦٥، ...) التي تثبت صيانه الوحي و التنزيل و حجب سلطه الشيطان عن عباده الصالحين.

و أخيرا أشار إلى نص

ابن الكلبي في كتابه الأصنام، على أن قريشا كانت تطوف بالكعبة و تقول: و اللات و العزى، و مناه الثالثه الاخرى، فإنهن الغرائق العلى و ان شفاعتهن لترتجى. و كانوا يقولون: بنات الله و هن يشفعن إليه.

فلمّا بعث الله رسوله (ص) أنزل عليه: أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَ الْعُزَّىٰ * وَ مَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَ لَهُ الْأُنثَىٰ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ إِنَّ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَ آبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ (النجم / ١٩-٢٣).

ثم ذكر ما روى عن محمد بن إسحاق بن خزيمة من أنه ألف كتابا في هذا الصدد و برهن فيه أن روايات الغرائق وضععتها الزنادقة «١».

— رأى المفسرين الشيعة فى أسطوره الغرائق:

ناقش المفسرون الشيعة هذه الروايات فى تفسير قوله تعالى: وَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَ لَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسِخُ اللَّهُ مَا يُلْقَى الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَ اللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (الحج / ٥٢)، و ذلك من خلال النظر فى معنى

(١) - أحاديث أم المؤمنين عائشه / ج ٢ / ص ٣٠٧ - ٣٢٧.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ١٩١

(التمنى) لغويا، و البحث فى معنى الروايات و توضيحها، و المناقشه فى سندها، و أخيرا محاكمه الروايات على أساس العقيدة الثابته بآيات و روايات أخرى تثبت حفظ الوحي و عصمه النبى (ص)، و فى ما يلى آراءهم:

الطوسى: ذكر الشيخ الطوسى روايه «الغرائق» كأول الآراء الوارده فى تفسير الآيه، و لكنّه بادر بعدها إلى درج بقيه الآراء التى تنفى ذكر النبى (ص) لآلهه المشركين بالخير، و أنّ الروايه التى قالت ذلك «لا أصل لها»، فقال:

قال مجاهد: كان النبى (ص) إذا تأخر

عنه الوحي تمنى أن ينزل عليه فيلقى الشيطان في أمنيته، فينسخ الله ما يلقي الشيطان و يحكم آياته. و قال أبو علي الجبائي:
أما كان يغلط في القراءه سهوا فيها، و ذلك جائز على النبي، لأنه سهو لا يعرى منه بشر، و لا يلبث أن ينبهه الله تعالى عليه.

و قال غيره: إنما قال ذلك في تلاوته بعض المنافقين عن إغواء الشياطين، و أوهم أنه من القرآن.

و قال الحسن: إنما قال: هي عند الله كالغرائق العلى، يعنى الملائكه في قولكم، و إن شفاعتهن لترتجى في اعتقادكم. و التمنى في الآية معناه التلاوه، قال الشاعر كعب بن مالك:

تمنى كتاب الله أول ليله و آخره لاقى حمام المقادر

و قال الجبائي: إنما سها النبي (ص) في القراءه نفسها.

فأما الروايه بأنه قرأ تلك الغرائق العلى، و إن شفاعتهن لترتجى، فلا أصل لها، لأن مثله لا يغلط على طريق السهو، و إنما يغلط في المتشابه «(١)».

الطبرسى: أما الطبرسى فقد تبنى رأى السيد المرتضى في ردّ تلك الروايات بقوّه،

(١) - التبيان في تفسير القرآن/ ج ١/ ص ٣١٩.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ١٩٢

إضافه إلى إيراده بعض آراء المفسّرين في تأويل الروايات بما ينفي عن الرسول (ص) ما ادعته من ذكره آلهه قريش بخير، و تنزيه ساحته عن ذلك، فقال أولاً في باب النزول بعد ما ذكر ما روى عن ابن عباس و غيره:

«فهذا الخبر إن صحّ محمول على أنه كان يتلو القرآن فلما بلغ إلى هذا الموضع و ذكر أسماء آلهتهم و قد علموا من عادته أنه كان يعيها، قال بعض الحاضرين من الكافرين:

تلك الغرائق العلى، و ألقى ذلك في تلاوته توهم أن ذلك من القرآن،

فأضافه الله سبحانه إلى الشيطان لأنه إنما حصل بإغوائه و وسوسته، و هذا ما أورده المرتضى قدس الله روحه في كتاب التنزيه، و هو قول الناصر للحق من أئمة الزيديه، و هو وجه حسن في تأويله» (١).

ثم عاد في باب المعنى للتأكيد على نفي ما نسب إلى ساحه الرسول (ص)، معرضا بصحة سند الأحاديث، مستندا إلى رأى المرتضى أيضا، فقال:

«قال- المرتضى:- و أما الأحاديث في هذا الباب فهي مطعونه و مضعفه عند أصحاب الحديث، و قد تضمنت ما ينزه الرسل (ع) عنه، و كيف يجوز ذلك على النبي (ص)، و قد قال سبحانه: كَذَلِكَ لِنُبِّئَ بِهِ فُقَاذَكَ (الفرقان / ٣٣)، و قال:

سُقِّرُوكَ فَلَا تَنسَى (الأعلى / ٦)، و إن حمل ذلك على السهو فالسأهي لا- يجوز أن يقع منه مثل هذه الألفاظ المطابقه لوزن السوره و نظمها ثم لمعنى ما تقدّمها من الكلام ...» (٢).

الطباطبائي: أما العلامة الطباطبائي، فلم يناقش في سند الروايات، و قد نسب إلى بعضهم تصحيحهم لها، و لكن جزم بتكذيبها من باب المناقشه في متنها، و تعارضه مع أدله عصمه النبي (ص)، و بالتالي فتح هذه الروايات الباب للتشكيك في سائر القرآن

(١)- مجمع البيان/ ج ٧/ ص ١٢٩.

(٢)- م. ن/ ص ١٣٠.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ١٩٣

- و العياذ بالله-، فقال بعد ذكر ما أخرجه السيوطي في الدر المنثور:

«أقول: الروايه مرويه بطرق عديده عن ابن عباس و جمع من التابعين و قد صححها جماعه منهم الحافظ ابن حجر.

لكن الأدله القطعيه على عصمته (ص) تكذب متنها، و إن فرضت صحه سندها فمن الواجب تنزيه ساحته المقدسه عن مثل هذه الخطيئه، مضافا إلى أنّ الروايه تنسب

إليه (ص) أشنع الجهل و أقبحه، فقد تلا (تلك الغرائق العلى و إن شفاعتهنّ لترتجى)، و جهل أنّه ليس من كلام الله و لا نزل به جبريل، و جهل أنّه كفر صريح يوجب الارتداد و دام على جهله حتّى سجد و سجدوا فى آخر السوره و لم يتنبه، ثمّ دام على جهله حتّى نزل عليه جبريل و أمره أن يعرض عليه السوره فقرأها عليه و أعاد الجملتين و هو مصرّ على جهله حتّى أنكره عليه جبريل، ثمّ أنزل عليه آيه تثبت نظير هذا الجهل الشنيع و الخطيئه الفضيحه لجميع الأنبياء و المرسلين و هى قوله: وَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَ لَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانَ فِي أُمِّيَّتِهِ.

و بذلك يظهر بطلان ما ربّما يعتذر دفاعا عن الحديث بأن ذلك كان سبقا من لسان دفعه بتصرف من الشيطان سهوا منه (ص) و غلطا من غير تفتن. فلا متن الحديث على ما فيه من تفصيل الواقعه ينطبق على هذه المعذره، و لا دليل العصمه يجوز مثل هذا السهو و الغلط.

على أنّه لو جاز مثل هذا التصرف من الشيطان فى لسانه (ص) بإلقاء آيه أو آيتين فى القرآن الكريم لارتفع الأمن عن الكلام الإلهى ... و بذلك يرتفع الاعتماد و الوثوق بكتاب الله من كلّ جهه و تلغو الرساله و الدعوه النبويه بالكليه جلت ساحه الحق من ذلك» (١).

(١) - الميزان/ ج ١٤ / ص ٣٩٩.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ١٩٤

الخلاصه: و من خلال النماذج التى مرّت، يتّضح لنا موقف المفسّرين الشيعة من موارد الوضع، التى تمسّ أسس العقيدة، سواء على مستوى التوحيد، أو عصمه الأنبياء (ع)، و أخيرا رساله خاتم

الأنبياء محمّد (ص) و عصمته و تنزيهه عن أى خطأ أو زله، مع أن كثيرا من هذه المرويات ورد ذكرها فى كتب التفسير الشهيره كتفسير الطبرى و السيوطى، و غيرها دون أى ردّ أو تعقيب، بل أحيانا بالتزام لبعض هذه الآراء كما مرّ.

٣- روايات الإسراء و المعراج:

و لعلّها من أكثر الأمثله وضوحا على الوضع لكثرة ما وضع فيها من العجائب و الغرائب، و نظره واحده إلى كتب التفسير بالمأثور كالطبرى و الدرّ المنثور تعطينا شواهد على ذلك، نشير إلى ما ورد فى بعضها، و هو غيض من فيض:

١- فقد وردت روايات تنسب الرؤيه و الحركه إلى الله (تعالى عن ذلك)، و أنّه هو الذى دنا و تدلّى «١» ... و أنّ النبى (ص) رأى ربّه عند صدره المنتهى «٢».

٢- و أنّ جبرئيل و ميكائيل شقّا صدر النبى (ص) و بطنه و غسلا جوفه بماء زمزم، فشرح صدره و نزع ما كان فيه من غلّ و ملاء حلما و علما و إيمانا و يقينا و إسلاما و ختما بين كتفيه بخاتم النبؤه ... «٣».

و كأنّ هذه الامور المعنويه تكون بغسل جوف الانسان بالماء، و النبؤه تكون بالختم على الظهر!

٣- و من العجائب ما أخرجه ابن مردويه عن ابن عباس، قال: قال رسول الله

(١)- الدرّ المنثور/ السيوطى/ ج ٥/ ص ١٨٥.

(٢)- م. ن/ ص ٢٢١.

(٣)- م. ن/ ص ١٩٩.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ١٩٥

(ص): «انّ ممّا خلق الله لأرضا من لؤلؤه بيضاء مسيره ألف عام عليها جبل من ياقوته حمراء محدد بها، فى تلك الأرض ملك قد ملأ شرقها و غربها، له ستمائه رأس، فى كل رأس ستمائه وجه، فى كل

وجه ستون ألف فم، في كل فم ستون ألف لسان، يثنى على الله و يقُدّسه و يهلّله و يكبّره، بكل لسان ستمائة ألف و ستين ألف مرّه، فإذا كان يوم القيامة نظر إلى عظمه الله، فيقول و عزّتك ما عبدتك حقّ عبادتك». فذلك قوله: وَ يَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ «١».

٤- و فيه: أخرج ابن ماجه و ابن مردويه، عن أنس بن مالك (رض)، قال: قال رسول الله (ص): «ما مررت ليله أسرى بى بملاّ من الملائكه إلّا قالوا لى يا محمّد، مرّمتك بالحجامه» «٢».

و أورد السيوطى روايات عديده فى هذا المعنى، و كأنّه ليس هناك للملائكه أمر أهمّ من الحجامه يوصون به هذه الامّه...!!

٤- قصه آدم (ع):

و روى فيها المفسّرون قصصا و كلمات عجيبه ملئوا بها تفاسيرهم، و من أراد الاطلاع عليها مفصّلا فليراجعها فى مظانها «٣»، من ذلك: أنّ آدم (ع) خلقه الله بيده!! و أنّه مكث أربعين ليله، و فى روايه أخرى: أربعين سنه، جسدا ملقى كان إبليس يأتیه يضربه برجله، فيصلصل ثمّ يدخل من فيه و يخرج من دبره، و يدخل من دبره و يخرج من فيه ... «٤».

و عن أبى هريره: أنّ الكعبه خلقت قبل الأرض بألفى عام، و أنّ الله أرسل الملائكه

(١)- م. ن / ص ١١٣.

(٢)- م. ن / ص ٢٢١.

(٣)- انظر مثلا: الدرّ المنثور/ ج ١ / ص ١١٠ و ما بعدها.

(٤)- رواه ابن جرير عن ابن عباس.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ١٩٦

ليأتوا بتراب من الأرض ليخلق منه آدم، فامتنعوا لأنّ الأرض أقسمت عليهم أن لا يأخذوا منها شيئا يكون للنار فيه نصيب، حتى بلغت النوبه لملك الموت- و فى روايه أخرى: إبليس-

فأخذ منها، و أنّ آدم أرى الأنبياء من أولاده فرأى داود فسأل: كم عمره، فقيل: ستون سنه، فطلب أن ينقص من عمره- الألف سنه- أربعون سنه و يزاده فى عمره ... ثمّ جاءته الملائكه لتتوفاه بعد مضى ألف سنه إلّا أربعين، فاعترض بأنّه له أربعون سنه أخرى، فقالوا: أليس قد أعطيتها ابنك داود؟ قال: ما أعطيت أحدا شيئا، قال أبو هريره: جحد آدم، و جحدت ذرّيته، و نسى و نسيّت ذرّيته «١».

و فى أخرى: أنّ آدم لمّا اهبط إلى الأرض هبط بالهند، و إنّ رأسه كان ينال السماء، و أنّ الأرض اشتكت إلى ربّها ثقل آدم، فوضع الجبار تعالى يده على رأسه، فانحطّ منه سبعون ذراعا!! «٢»

و أنّه: أوّل شىء أكله آدم حين اهبط إلى الأرض الكمثرى، و أنّه لمّا أراد أن يتغوّط أخذه من ذلك كما يأخذ المرأه عند الولاده، فذهب شرقا و غربا لا يدرى كيف يصنع! حتّى نزل إليه جبريل فأقعى آدم، فخرج ذلك منه، فلمّا وجد ريحه مكث يبكى سبعين سنه ...!! «٣»

و منه: أخرج ابن عساكر عن ابن عباس، أنّ آدم كان لغته فى الجنّه العربيه، فلمّا عصى سلبه الله العربيه فتكلّم السريانيه، فلمّا تاب ردّ عليه العربيه.

و عن قتاده قال: كان آدم (ع) يشرب من السحاب.

و عن كعب، قال: أوّل من ضرب الدينار و الدرهم آدم (ع).

و عن خالد بن معدان قال: أهبط آدم بالهند و أنّه لمّا توفى حمله خمسون و مائه

(١)- الدر المنثور/ ج ١/ ص ١١٦.

(٢)- م. ن/ ص ١٣٥.

(٣)- م. ن/ ص ١٣٨.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ١٩٧

رجل من بنيه إلى بيت المقدس، و كان طوله ثلاثين

ميلا و دفنوه بها، و جعلوا رأسه عند الصخره و رجليه خارجا من بيت المقدس ثلاثين ميلا «١».

و إنما استطردنا في ذكر هذه الروايات؛ لأنّ أمثالها في كتب التفسير كثيره، و فيها ما فيها من التناقضات و القضايا العجيبه المخالفه للعقل و لحقائق التاريخ، و الروايات تلك بعضها مرفوع إلى النبيّ (ص) و أكثرها عن عدد من الصحابه و التابعين، و هي تدلّ بنفسها على وضعها، كما تدلّ على ضروره التأمل و التدبّر فيما يروى عنهم في التفسير، إذ إنّ فيه الكثير من الموضوع أو المأخوذ من أهل الكتاب.

٥- روايات الفضائل و المناقب:

١- في الدرّ المنثور: أخرج ابن أبي حاتم، عن عبد الله الأزدي، قال: قال رسول الله (ص): «رأيت ليله اسرى بي عمودا أبيض كأنه لؤلؤ تحمله الملائكه، قلت: ما تحملون؟ قالوا: عمود الاسلام أمرنا أن نضعه بالشام».

و الروايات في فضائل الشام كثيره، و لا شك في أنّها من وضع وعاظ سلاطين بني اميّه، و يدلّ على ذلك أنّهم رووا عشرات الروايات في أنّ «الشام» هو الملجأ عند وقوع الفتن، و هو محل الإيمان و معقل المسلمين في الملاحم، و أنّ الله تكفل بالشام و أهله، و أنّ الله عزّ و جلّ يقول: يا شام أنت صفوتي من بلادى، ادخل فيك خيرتى من عبادى ...، و أنّ الله عزّ و جلّ قسم الخير، فجعله عشره أعشار، فجعل تسعه بالشام و بقيته في سائر الأرض - بما فيها الكعبه المشرفه و المسجد الحرام و غيرها-، و قسم الشرّ عشره أعشار، فجعل جزءا بالشام و بقيته في سائر الأرض، و أنّ الأبدال كلّهم من أهل الشام- دون غيره- ... إلخ.

و روايات اخرى قارنت بين الشام و العراق- و هي بيت

(١)- م. ن/ ص ١٥٠.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ١٩٨

سائر البلاد، و تأمر بالالتحاق به عند تعدّد الجند بالشام و العراق و اليمن...!! و أنّ إبليس دخل العراق فقضى حاجته ثم دخل الشام فطردوه...!! و إنّ أهل الشام سوط الله في أرضه، ينتقم بهم ممّن يشاء من عباده...!! «١»- و قد انتقم بنو أمية من آل محمّد (ص) و بنى هاشم و غيرهم-... و هي روايات واهية السيّد خاويه المعنى، و لا- يشكّ عاقل في أنّها من وضع الأمويين ضمن حربهم الاعلامية ضدّ الامام عليّ (ع) و خلافته التي اتّخذت الكوفة بالعراق عاصمه لها.

٢- و فيه: عن أبي هريره، قال: قال رسول الله (ص): «ليله عرج بي إلى السماء ما مررت بسماء إلّا وجدت اسمي فيها مكتوبا: محمّد رسول الله و أبو بكر الصديق خلفي».

و هي من موضوعات عبد الله بن إبراهيم الغفاري، ذكره الذهبي في ميزان الاعتدال، من طريق الخطيب، عن محمد بن عبد الله الهلالي البصري، و قال: خبر باطل. و ذكره السيوطي في الموضوعات «٢».

٣- و فيه عن عليّ (ع)، قال: قال رسول الله (ص): «ليله أسرى بي إلى السماء رأيت على العرش مكتوبا: لا- إله إلّا الله محمّد رسول الله أبو بكر الصديق عمر الفاروق عثمان ذو النورين» «٣».

و رواه ابن الجوزي بلفظ قريب منه، عن أبي بكر عبد الرحمن بن عنان الصوفي، قال: حدّثنا محمد بن مجيب الصائغ، قال: حدّثنا جعفر بن محمد عن أبيه عن جدّه، قال: قال رسول الله (ص): (ليله أسرى بي، رأيت على العرش مكتوبا: لا إله إلّا الله، محمّد رسول

اللّٰه، أبو بكر الصّدّيق عمر الفاروق عثمان ذو النورين يقتل مظلوماً).

(١) - مجمع الزوائد و منبع الفوائد/ الحافظ الهيثمي/ ج ١٠/ باب ما جاء في فضل الشام/ ص ٥٧، و ما جاء فيه من الروايات كان أضعافاً مضاعفة عمّا جاء في فضل الحجاز و جزيره العرب و الطائف التي تتضمّن بيت الله و الكعبه المشرفه.

(٢) - ميزان الاعتدال/ ج ٣/ ص ٦٠٩ برقم ٧٨٠٩، اللالكئ المصنوعه/ ج ١/ ص ٢٩٦.

(٣) - الدرّ المنثور/ ج ٥/ ص ٢١٧ - ٢١٩.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ١٩٩

قال ابن الجوزي: هذا حديث لا يصحّ عن رسول الله (ص)، و أبو بكر الصوفي و محمد بن مجيب كذابان، قاله يحيى بن معين.

و الروايات في باب الفضائل عجيبة، فقد بالغ الوضّاعون فيها دون حد و تصوّر.

و قد ينسبون هذه الروايات إلى عليّ أو غيره من أهل البيت (ع) و وجوه الصحابه ليعطوها قوّه و سنداً، فإنّ من يضع يتفنّن في وضعه، و لكن كان جبل الكذب قصيراً، و سرعان ما ينكشف الموضوع لضعف فيه.

٤- و من وجوه المبالغه في ذلك أنّهم رووا عن عمّار بن ياسر، قال: قال رسول الله (ص): «يا عمّار! أتاني جبريل آنفاً فقلت: يا جبريل! حدّثني بفضائل عمر بن الخطّاب في السماء، فقال: يا محمّد! لو حدّثتك بفضائل عمر مثل ما لبث نوح في قومه ألف سنه إلّا خمسين عاماً ما نفدت فضائل عمر، و إنّ عمر لحسنه من حسنات أبي بكر...!!!».

قال الهيثمي: رواه أبو يعلى و الطبراني في الكبير و الأوسط، و فيه الوليد بن الفضل العنزى، و هو ضعيف جدّاً «١».

و قال أحمد بن حنبل: هذا حديث موضوع، و لا أعرف

اسماعيل - و هو من رواته -.

و قال أبو الفتح الأزدي: هو ضعيف «٢».

٥- و عن عصمه، قال: قال رسول الله (ص): «لو كان بعدى نبى لكان عمر»، قال: رواه الطبرانى و فيه الفضل بن المختار و هو ضعيف «٣».

و مثله عن بلال بن رباح مرفوعا - إلى النبى (ص) -: «لو لم ابعث لبعث عمر»، أورده ابن الجوزى فى الموضوعات «٤».

(١) - مجمع الزوائد و منبع الفوائد / الحافظ الهيثمى / ج ٩ / ص ٦٨.

(٢) - الموضوعات / ج ١ / ص ٢٣٩.

(٣) - م. ن.

(٤) - م. ن.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٢٠٠

موارد الوجود فى التفسير الشيعى

أسباب الوجود:

قد ذكرنا سابقا الظروف التى صنعها الأمويون للنيل من على (ع) و شيعته، حتى أن معاوية بعد عام الجماعة - الذى استتب له فيه الأمر - كتب كتابا إلى جميع عماله جاء فيه: (أن برئت الذمة ممن روى شيئا فى فضل أبى تراب و أهل بيته). و قام الخطباء على كل منبر يلعنون عليا و يبرءون منه و يقعون فيه و فى أهل بيته.

و فى المقابل فإن معاوية قام ببذل الأموال للرواه و المحدثين بفضل عثمان و بنى امية، حتى شاع الحديث فى كل البلدان، فبعث كتابا آخر جاء فيه: أن الحديث قد نشأ فى عثمان و كثر فى جميع الأمصار فإذا جاءكم كتابى هذا فادعوا الناس إلى الرواية فى فضائل الصحابة ... و لا تتركوا خبرا يرويه أحد من المسلمين فى فضل أبى تراب - على - إلا و أتونى بناقض له فى الصحابة فإن هذا أحب إلى و أقر لعينى و أدحض لحججه أبى تراب و شيعته، و أشد عليهم من مناقب عثمان. فقرأ عماله كتابه على الناس فرووا أخبارا كثيرة فى مناقب الصحابة لا حقيقه

لها ولا واقع «١».

وقد شاعت و اتسعت سياسته الوضع الأمويه حتى غدت سنه لأصحاب الفرق والاتجاهات السياسيه والفكرية المختلفه. قال ابن قتيبه مصورا هذه الأوضاع: «إنّ كل طائفه من هذه الطوائف المختلفه فى المبادئ التى تعتمد عليها قد روت الأحاديث المختلفه التى تؤيد مذهبها واتجاهها» «٢».

و استمرّ خلفاء بنى اميه على هذه السيره، و امتدّت أيديهم إلى القرآن ليفسره علماء

(١) - الموضوعات فى الأخبار والآثار / الحسنى / ص ١١٥ و ١١٦.

(٢) - م. ن / ص ١٤٤.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٢٠١

السلطان بما تهوى أنفسهم، حتى أنهم فسروا لسليمان بن عبد الملك أنّ الآية: وَ الَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ قد أنزلت فى على (ع) «١».

و كان شيعه أهل البيت (ع) يقتلون و يشردون و يعانون من الكبت و القمع و الاضطهاد، قال الباقر (ع): «فقتلت شيعتنا بكلّ بلده و قطعت الأيدي و الأرجل على الظنّه و التهمه، و كلّ من يذكر بحبنا و الانقطاع إلينا سجن و نهب ماله و هدمت داره ... حتى بلغ الحال بهم أنّ الرّجل كان يتمنى أن يقال له زنديق أو كافر و لا ينسب إلى التشيع لعليّ» «٢».

و من الطبيعي فإنّ مثل تلك الظروف الإرهابيه، خصوصا على المستوى الثقافى، و تلك الهجمه الاعلاميه الشرسه لتشويه صورته الإمام على (ع) و شيعته، قد خلقت عند البعض نوعا من ردّ الفعل، و عند آخرين بعضا من التعصّب، و ربّما الغلو، خصوصا عند بعض الفرق التى التجأت بفعل المطارده الشرسه إلى بعض البلاد النائية عن سلطتهم، فإنّ أئمّه أهل البيت (ع) كانوا دوما تحت المراقبه الشديده من قبل هؤلاء الحكّام، ممّا

حدّد حركتهم و حرّيه اتصاليهم بأتباعهم، و سمح لبعض هذه الأفكار المتطرفه بالنمو في بعض الأوساط.

و يرجع بعض الباحثين بدء الوضع عند الشيعة إلى ردّ الفعل على الإعلام الأموى، و ذلك و عند ما تخلخل الوضع الأموى و «أحسّ ضعفاء الشيعة بالفرج بعد الشدّه، و كانت أسماعهم قد ملئت بشتم علىّ الذى حاول الأمويون أن يصوّروه و كأنّه من ألدّ أعداء الاسلام و الانسانيه، تطوّع منهم من لا يملك من الدّين و الصّبر ... إلى مقابله الكذب بمثله و الشّتم و السّباب بلونه و لغته و نسبوا أكثره إلى الأئمّه ليكون أقرب إلى التصديق و أكثر شيوعا و انتشارا بين الناس» (٣).

(١)- م. ن / ص ١٣٧.

(٢)- م. ن / ص ١١٤.

(٣)- م. ن / ص ١٢٢.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٢٠٢

و هكذا فإنّ أكثر الموضوعات فى الكتب الشيعيه كانت فى باب الفضائل و المثالب، و لم يكن أهل البيت (ع) بحاجة إلى ذلك، و قد نزل بحقهم القرآن، إذ أذهب الله عنهم الرّجس و طهّهم تطهيراً، و جعلهم الرسول (ص) فى حديث الثقلين قرناء القرآن الذين لا يفترون عنه، و غير ذلك من الآثار الصحيحه.

و نجد فى تحليل هذه الظاهره رأياً آخر، إذ أنّه يرجع حركه الغلو و الوضع فى الفضائل نسبه إلى أئمّه أهل البيت (ع)، يرجع ذلك- إضافه إلى دور الغلاه- إلى المعادين لأهل البيت (ع)، الذين وضعوا روايات منكره لتشويه صورتهم و تضعيف حجّتهم، فهو- و الرأى للعلّامه التستري- بعد أن بيّن وضع عدد من الروايات بهذا الشأن، و قال: «... ليس كل ما نسب إليهم- الأئمّه (ع)- صحيحاً، فقد وضع جمع من الغلاه أخباراً فى معجزاتهم

و فضائلهم و غير ذلك»، و ذكر بعض الآراء و الروايات المؤيِّده، قال: «كما أنه وضع جمع من النصاب و المعاندين أخبارا منكروه في فضائلهم و معجزاتهم بقصد تخريب الدين، و لأن يرى الناس الباطل منه فيكفروا بالحق منه.

قال الباقر (ع): و رووا عَنَّا ما لم نقله و لم نفعله لئبغضونا إلى الناس».

ثم ذكر روايه عن الصدوق في العيون تؤكِّد هذا المعنى، و هي: «إنَّ إبراهيم بن أبي محمود قال للرضا (ع): يا ابن رسول الله! إن عندنا أخبارا في فضائل أمير المؤمنين و فضلكم أهل البيت، و هي من روايه مخالفيكم و لا نعرف مثلها عندكم، أفنديين بها؟

فقال (ع): يا ابن محمود! إنَّ مخالفينا وضعوا أخبارا في فضائلنا، و جعلوها على ثلاثه أقسام: أحدها الغلو، و ثانيها التقصير في أمرنا، و ثالثها التصريح بمثالب أعدائنا، فإذا سمع الناس الغلو فينا كفروا شيعتنا و نسبواهم إلى القول بربوبيتنا، و إذا سمعوا التقصير اعتقدوه فينا، و إذا سمعوا مثالب أعدائنا بأسمائهم ثلبونا بأسمائنا، و قد قال الله عزَّ و جلَّ: وَ لَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ - إلى أن قال: يا ابن أبي محمود! احفظ ما حدَّثتك به فقد جمعت لك فيه خير الدُّنيا و الآخرة» (١).

(١) - مستدرک الأخبار الدخيله / العلامه محمّد تقى التستري / ج ١ / ص ٢١٦.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٢٠٣

أهل البيت (ع) يحذرون من الوضع:

تصدى أئمته أهل البيت (ع) للتحذير من الأحاديث الموضوعه، و حذروا من الدسّ و التحريف الذي قام به الغلاة و تبرّءوا منهم، فقد جاء عن الإمام الصادق (ع):

«لا تقبلوا علينا حديثا إلّا ما وافق القرآن و السنّه، أو تجدون معه

شاهدا في أحاديثنا المتقدمه، فإن المغيره بن سعيد- لعنه الله- قد دسّ في كتب أصحاب أبي أحاديث لم يحدث بها أبي، فاتقوا الله ولا تقبلوا علينا ما خالف قول ربنا تعالى و سنّه نبينا (ص) «(١)».

كما حذر أهل البيت (ع) من رجال مشخّصين بأسمائهم قاموا بالوضع والتزوير، لكي يكون الحذر شاملا لكلّ ما ورد عنهم، قال الإمام الرضا (ع): «إنّ أبا الخطاب كذب على أبي عبد الله (ع)، لعن الله أبا الخطاب و كذلك أصحاب أبي الخطاب يدسون هذه الأحاديث إلى يومنا هذا في كتب أصحاب أبي عبد الله (ع)» «(٢)».

فإنّ هؤلاء الغلاة بما دسّوا في أحاديث أهل البيت (ع)- خصوصا التفسير- قد أضروا بحديثهم و معارفهم ضررا بليغا، لأنّ هذه الأحاديث الموضوعه و المدسوسه تشوش فهم طريقه أهل البيت في التفسير، خصوصا إذا كان الشخص غير ملمّ بطريقتهم و غير عارف بالأسانيد و الرجال و الرواه «(٣)».

و قد ثبت أهل البيت (ع) قاعده يرجع إليها في قبول الأحاديث أو ردّها، و هي الاحتكام إلى كتاب الله تعالى في كل أمر، و إلى كتاب الله و سنّه الرسول (ص) في الحديث الذي يروى عنهم، فقد روى الكليني بسنده عن عبد الله بن أبي يعفور، قال:

و حدّثني حسين بن أبي العلاء أنّه حضر ابن أبي يعفور في هذا المجلس، قال: سألت

(١)- رجال الكشي / ج ٢ / ص ٤٨٩.

(٢)- مستدرک الأخبار الدخيله / التستري / ج ١ / ص ١٤٦.

(٣)- مقدّمه تفسير البرهان / الأصفى / ج ١ / ص ٤٣.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٢٠٤

أبا عبد الله- الصادق (ع)- عن اختلاف الحديث يرويه من نثق به و من لا نثق به، قال: (إذا

ورد عليكم الحديث فوجدتم له شاهدا من كتاب الله أو من قول رسول الله (ص) وإلا فالذى جاءكم به أولى به).

و عن أيوب بن الحرّ قال: سمعت أبا عبد الله (ع) يقول: (كلّ شىء مردود إلى الكتاب والسنة، وكلّ حديث لا يوافق كتاب الله فهو زخرف) «١».

المفسرون الشيعة والوضع:

اتّخذ المحققون من المفسّرين الشيعة موقفا محتاطا من الروايات التفسيرية واشتروا في قبولها- تبعا لأئمة أهل البيت (ع)- موافقتها للقرآن، قال العلامة الطباطبائي: «إن روايات التفسير إذا كانت آحادا لا حجيه لها إلا ما وافق مضامين الآيات بقدر ما يوافقها- على ما بين في فن الاصول- فإن الحجّج الشرعية تدور مدار الآثار الشرعية المترتبة فتتخصر في الأحكام الشرعية، و ما وراءها كالروايات الواردة في القصص و التفسير الخالي من الحكم الشرعي فلا حجيه شرعية فيها.

و أمّا الحجية العقلية فلا مسرح لها بعد توافر الدسّ و الجعل في الأخبار سيما أخبار التفسير و القصص، إلا أن تقوم قرائن قطعية يجوز التعويل عليها على صحّه متنه، و من ذلك موافقه متنه لظواهر الآيات الكريمة.

فألذى يهم الباحث عن الروايات غير الفقهيّة أن يبحث عن موافقتها للكتاب، فإن وافقته فهي الملاك لاعتبارها، و لو كانت مع ذلك صحيحة السند فإنما هي زينة زينت بها، و إن لم توافق فلا قيمة لها في سوق الاعتبار.

و أمّا ترك البحث عن موافقه الكتاب، و التوغّل في البحث عن رجال السند- إلا

(١)- الاصول من الكافي للكلينى / ج ١ / باب الأخذ بالسنة و شواهد الكتاب / الحديث ٢ و ٣.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٢٠٥

ما كان للتوسّل إلى تحصيل القرائن - ثمّ الحكم باعتبار الرواية بصحّه سندها ثمّ تحميل ما

يدلّ عليه متن الروايه على الكتاب، و اتخاذه تبعاً لذلك كما هو دأب كثير منهم فما لا سبيل إليه من جهه الدليل» (١).

و تعامل أعلام المفسّرين الشيعة مع الروايات الوارده في تأويل الآيات في أهل البيت (ع) و في أعدائهم، على أساس أنّها من قبيل «الجرى و التطبيق»، و هو من قبيل تطبيق الآيه على ما ينطبق عليه من الموارد (مدحا أو ذمّا أو غيره)، و إن كان خارجاً عن مورد النزول، و اعتبره الطباطبائي نوعاً من التفسير بالبطن (٢).

و نجد هذا المنهج أيضاً عند غيره من المفسّرين، كالسيد السبزواري، الذي يقول:

«... إني لم اهتمّ بذكر شأن النزول غالباً، لأنّ الآيات المباركه كليات تنطبق على مصاديقها في جميع الأزمنه، فلا وجه لتخصيصها بزمان النزول أو بفرد دون فرد آخر، و كذلك جميع الروايات الوارده عن الأئمّه الهداه في بيان بعض المصاديق لها فهو ليس من باب التخصيص، بل من باب تطبيق الكلى على الفرد، كما ستعرف ذلك كلّ إن شاء الله تعالى» (٣).

جدير ذكره إنّ الباحثين الذين درسوا الموضوعات، وجدوا أنّ غالبها لا تصح من حيث السند حيث يوجد غالباً في سندها مجاهيل أو رواه ضعاف أو متّهمون بالغلوّ (٤)، لذا يمكن من خلال البحث العلمى في تحقيق الأسانيد تمييز و تمحيص الكثير من الأحاديث، و فرز الضعيف منها عن الصحيح و الغثّ عن السمين، و لا- يعنى ذلك بأيّ حال، الغصّ عن دراسته مدى تطابق الحديث- حتى مع قوّه سنده- مع القرآن الكريم و السنّه المتواتره.

(١)- الميزان/ ج ٩/ ص ٢١٨.

(٢)- الميزان/ ج ٥/ ص ٤٥، القرآن في الاسلام/ ص ٥٢.

(٣)- مواهب الرّحمن/ السيد عبد الأعلى السبزواري/ مقدّمه المؤلّف/ ص

(٤)- للمزيد: الموضوعات فى الآثار و الأخبار/ الحسنى/ ص ٢٠٠ فما بعد.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٢٠٦

مصادر الموضوعات:

و رغم سعى كثير من مفسرى الشيعة للحذر من الأحاديث الموضوعه و تأكيدهم على ذلك فى مبدأ عملهم فى التفسير «١» و ردّهم الكثير من الموضوعات، خصوصا التفاسير الباطنيه المنسوبه إلى الجاروديه و الإسماعيليه و غيرهم، إلّا أنّه مع ذلك فقد تسرّبت بعض هذه الموضوعات إلى كتبهم، خصوصا كتب التفسير بالمأثور، و لا سيما التى تتبع نهج جمع الأحاديث و درجها دون دراسه و تحقيق، فقد كان السبب الرئيس وراء ذلك هو الأخذ أساسا من مصادر متهمه بالوضع، نذكر منها:

- التفسير المنسوب إلى الإمام العسكرى (ع) إذ إن راوييه مجهولان و الراوى الثالث عنهما لم تثبت وثاقته، قال عنه ابن الغضائرى: «محمّد بن القاسم المفسّر الاسترابادى: ضعيف كذاب، روى عنه أبو جعفر تفسيراً يرويه عن رجلين مجهولين، و التفسير موضوع عن سهل الديباجى عن أبيه بأحاديث من هذه المناكير» «٢».

و مع ذلك، فقد أخذت روايات هذا التفسير طريقها إلى الكثير من المجاميع التفسيريه بالمأثور، كتفسير البرهان، و نور الثقلين، و الصافى و غيرها.

- كتاب «مشارك الأنوار فى أسرار أمير المؤمنين» للشيخ رجب البرسى و هو متهم بالغلو عند علماء الشيعة و كتابه فاقد للاعتبار العلمى و اعتمد على كتاب «جامع الأخبار» الذى لا يعرف مؤلفه فضلا عن أسانيد رواياته «٣».

و كتابه مشحون بالغلوّ و الأخبار المكذوبه على على و بنيه (ع) و روى فيه الغرائب «٤»، و مع ذلك فقد كان من مصادر البحرانى فى تفسيره «البرهان».

(١)- مقدّمه تفسير الصافى / ص ١٠.

(٢)- صيانه القرآن من التحريف / ص ٢٣٤.

(٣)- مقدّمه تفسير

(٤) - الموضوعات/ الحسنی/ ص ٢٢٢ و ٢٢٣.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٢٠٧

- كتاب «مصباح الشريعة» المنسوب إلى الإمام الصادق (ع)، و لم تثبت نسبته و مؤلفه مجهول، و قد نسبه بعض العلماء إلى هشام بن الحكم، إلا أنها لم تثبت «١».

و رجع إليه البحراني أيضا.

- كتاب الاحتجاج للطبرسي المذى يرجع إليه البحراني و أكثر منه الحويزي في تفسيره نور الثقلين، و الكتاب لا يعلم مؤلفه بدقه إذ احتمل السيد محمّد بحر العلوم في مقدّمته سته من المعاريف يحتمل انتساب الكتاب إليهم، و هو لا يعدو مراسيل لا إسناد لها، أكثرها تلفيقات من روايات نقلية و احتجاجات عقلية كانت العبره بذاتها لا بالأسانيد، لذا رفض العلماء الأخذ بها كروايات معتبره، و في بعض مروياته خبط و تخليط غريب «٢».

و هناك مصادر اخرى مقطوعه السند، و بعضها لا اعتبار لها «٣»، كما أورد بعض المفسّرين طائفه من الروايات الضعيفه من حيث السند، و المضطربه من حيث المتن ...

و مع الأسف لم تجر عمليه تصفيه في الاصول و التفسير، في روايات أهل البيت (ع) كما جرى في حقل الفقه، إذ قام العلماء بتتقيح و تصفيه روايات أهل البيت (ع) بنسبه معقوله في الفقه، إلّا أن أحاديث (الاصول) و (التفسير) و (الفضائل) و (السير) بقيت على حالها، كما في المصادر الروائيه الاولى، لم يتصدّ لها أحد بجهد علمي مناسب للتصفيه و التنقيح «٤».

نماذج من الموضوعات:

١- روى في الوافي عن علي بن الحكم، عن المفضل بن صالح، عن جابر الجعفي

(١) - مقدّمه البرهان/ ج ١/ ص ٤٢.

(٢) - صيانه القرآن/ ص ٢٣٣.

(٣) - م. ن/ ص ٢٢٢.

(٤) - مقدّمه البرهان/ ج

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٢٠٨

عن الإمام الباقر (ع) أَنَّ الْآيَةَ: وَ لَقَدْ عَاهَدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلِ فَنَسِيَ وَ لَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا (طه/ ١١٥)، أَنَّهُ عَاهَدَ إِلَى آدَمَ بَوْلَايَهُ مُحَمَّدٌ وَ الْأُتَمَّهُ مِنْ وَلَدِهِ، فَتَرَكَ وَ لَمْ يَكُنْ لَهُ عَزْمٌ عَلَى ذَلِكَ «١».

و فى سند الحديث: المفضل بن صالح، الذى جاء فى ترجمته: «ضعيف كذاب يضع الحديث» «٢».

«و مع التغاضى عن ذلك، فإنّ آدم من الأنبياء الذين اختارهم الله لرسالته، مع ذلك فكيف يصحّ عليه أن يخالف عهد الله و لا يعزم عليه كما تنص الرواية» «٣».

٢- عقد الشيخ التستري فصلا للأحاديث الموضوعه فى «أخبار التفسير الذى نسبوه إلى العسكري (ع) بهتاناً» فقال:

«يشهد لافترائها عليه (ع) و بطلان نسبتها إليه أولاً- شهادة خزيت الصناعات و نقاد الآثار أحمد بن الحسين الغضائرى، استاذ النجاشى، أحد أئمّه الرجال فقال: إن محمّد ابن أبى القاسم الذى يروى عنه ابن بابويه ضعيف كذاب روى عنه تفسيراً يرويه عن رجلين مجهولين ... و التفسير موضوع عن سهل الديباجى عن أبيه بأحاديث من هذه المناكير.

و ثانيهما بسير أخباره فتراها واضحة البطلان مختلفه بالعيان» «٤».

ثمّ سرد الشيخ بعضاً من موضوعاته التاريخيه فى قصّه صفيين و قصّه المختار و غيرهما و أثبت بطلانها تاريخياً، ثمّ ذكر بعضاً من موضوعاته فى التفسير، خصوصاً فى قصص الآيات و منها:

(١)- الموضوعات للحسنى / ص ٢٣٠.

(٢)- جامع الرواه/ الأردبيلى / ج ٢ / ص ٢٥٦.

(٣)- الموضوعات / نفس الصفحه.

(٤)- مستدرک الأخبار الدخيله/ التستري/ ج ١ / ص ١٥٢.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٢٠٩

أ- ما فيه فى قوله تعالى: فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَ لَنْ تَفْعَلُوا

قال: و أما قلب الله السم على اليهود الذين قصدوه و أهلكهم الله به فإن النبي (ص) لما ظهر بالمدينة اشتد حسد ابن أبي له فذبّر أن يحفر له حفيره ... الخ و ما يوضح جعله- وضعه- أن ابن أبي كان من منافق الأنصار و نزلت سوره (المنافقون) فيه، لا من اليهود.

ب- و منها فى تفسير قوله تعالى: فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتٍ مَا مَكَّرُوا وَ حَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ مِنْ أَنَّ فِرْعَوْنَ انْتَقَمَ مِمَّنْ وَ شَى بِحَزْقِيلٍ لِيَهْلِكَ، إِذْ أَمَرَ أَصْحَابَ أَمْشَاطِ الْحَدِيدِ فَشَقُّوا بِهَا لِحُومَهُمْ مِنْ أَجْدَانِهِمْ، بَدَلُ أَنْ يَنْتَقِمَ مِنْ حَزْقِيلٍ.

قال التستري: «يشهد لوضعه أن الكافي روى فى الصحيح أن الصادق (ع) قال فى قوله تعالى: فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتٍ مَا مَكَّرُوا وَ اللَّهُ لَقَدْ سَطَّوْا عَلَيْهِ وَ قَتَلُوهُ وَ لَكِنْ أَتَدْرُونَ مَا وَقَاهُ، وَقَاهُ أَنْ يَفْتَنُوهُ عَنْ دِينِهِ. وَ رَوَى الْقُمَى عَنْهُ (ع)، قَالَ: (وَ اللَّهُ لَقَدْ قَطَّعُوهُ إِرْبًا وَ لَكِنْ وَقَاهُ أَنْ يَفْتَنُوهُ عَنْ دِينِهِ)» «١».

و بعد ما ذكر نماذج كثيره من الوضع فى تفسير الآيات القرآنيه، قال التستري:

«و بالجمله فى الكتاب أكاذب عجيبه و غفله الأصحاب عنه من الغرائب» «٢».

و ما قصده فى قوله «غفله الأصحاب» هو رجوع بعض العلماء إليه فى التفسير و اعتمادهم عليه كمصدر أخذوا منه فى تفسيرهم للآيات.

و قال فى موضع آخر: «هذا و لو أردنا استقصاء ما فى الكتاب لطال الباب و كان كما قيل بالفارسيه (مثنوى هفتاد من كاغذ شود). و ممّا يشهد لجعله أنه مشتمل على معجزات منكرات ...» «٣».

و ذكر طرفا منها ثم قال: «ثم ما نقلت من الكتاب النموذج منه و لو أردت الاستقصاء

(١)- م. ن / ص ١٦٤.

(٢)- م.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٢١٠

لاحتجت إلى نقل جَلّ الكتاب لو لا كَلّه، فَإِنَّ الصحيح فيه في غايه الدرره» (١).

و قال أيضا مشيرا إلى الوضع الذى حصل فى باب الفضائل من قبل الغلاه و النصاب على السواء و المندرج فى هذا التفسير: «و بالجمله هذا التفسير و إن كان مشتملا على ذكر معجزات كثيره لأمير المؤمنين (ع) كالنبي (ص)، و هو بمنزله نفس النبي (ص) بشهادته القرآن، إلّا أنّه ليس كل ما نسب إليهم (ع) صحيحا، فقد وضع جمع من الغلاه أخبارا فى معجزاتهم و فضائلهم و غير ذلك ...

كما أنّه وضع جمع من النصاب و المعاندين أخبارا منكره فى فضائلهم و معجزاتهم بقصد تخريب الدين و لأن يرى الناس الباطل منه فيكفروا بالحق منه، قال الباقر (ع):

(و رووا عَنّا ما لم نقله و لم نفعله لبيغضونا إلى الناس)» (٢).

ج- و من الموضوعات فى الفضائل ما رواه «البرهان» فى تفسير سوره طه عن قتاده عن أبى العالیه عن ابن عباس، قال: «كُنّا جلوسا مع النبي (ص) إذ هبط الأمين جبرئيل (ع)، و معه جام من البلور الأحمر مملوء مسكا و عنبر، و كان إلى جنب رسول الله (ص) على بن أبى طالب (ع) و ولداه الحسن و الحسين (ع)، فقال له: السلام عليك، الله يقرأ عليك السلام و يحييك بهذه التحية و يأمرك أن تحيى عليّ و ولديه، قال ابن عباس: فلما صارت فى كف النبي (ص) هلل ثلاثا و كبر ثلاثا ثم قال بلسان ذرب طلق- يعنى الجام:- بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، طه* ما أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى فَاشْمَمَهَا النَّبِيُّ (ص) و

حَيَّاهَا عَلَيَّا (ع) فَلَمَّا صَارَتْ فِي كَفِّ عَلِيٍّ (ع) قَالَ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، إِنَّمَا وَثَّقَكُمْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ، فَأَشَمَّهَا عَلِيُّ (ع) وَحَيَّاهَا الْحَسَنُ (ع) فَلَمَّا صَارَتْ فِي كَفِّ الْحَسَنِ (ع) قَالَ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ* عَنِ النَّبِيِّ الْعَظِيمِ الَّذِي هُمْ فِيهِ

(١) - م. ن / ص ٢١٢.

(٢) - م. ن / ص ٢١٦.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٢١١

مُخْتَلِفُونَ ... قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَلَا أَدْرَى إِلَى السَّمَاءِ صَعَدَتْ أَمْ فِي الْأَرْضِ تَوَارَتْ بِقَدْرِهِ اللَّهُ».

و لأنَّ الروايه قد رويت من غير الشيعة، و إن كان بعضهم نقلها عنهم، فقد علق عليها التستري: «فإنه مما وضعه المخالفون ليشينوا أمر الشيعة بأنهم يدعون لأئمتهم امورا منكره و معجزات ركيكه، و رجاله عاميون ... و بالجمله فالعدو يأتي من كل سبيل حتى بوضع المعجزات لهم (ع)، و قد صرح بذلك الرضا (ع)» (١).

(١) - مستدرک الأخبار الدخيله / ج ٤ / ص ٣١٨.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٢١٢

٢- الإسرائيليات

اشاره

الإسرائيليات جمع لمفرده إسرائيلي، و هي: قصه أو حادثه تروى عن مصدر إسرائيلي، و النسبه فيها إلى إسرائيل، و هو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم أبو الأسباط الاثنى عشر، و إليه ينسب اليهود، فيقال: بنو إسرائيل.

و قد ورد ذكرهم في القرآن منسوبين إليه في مواضع كثيره منها قوله تعالى: لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَ كَانُوا يَعْتَدُونَ (المائدة / ٧٨).

و لفظ الإسرائيليات ... يستعمله علماء التفسير و الحديث و يطلقونه على ما هو أوسع و أشمل من القصص اليهوديه، فهو في

اصطلاحهم يدل على كل ما تسلل إلى التفسير و الحديث من أساطير قديمه منسويه فى أصل روايتها إلى مصدر يهودى أو عبرانى.

و إنما أطلق علماء التفسير و الحديث لفظ الإسرائيليات على كل ذلك من باب التغليب للون اليهودى على غيره، لأن غالب ما يروى من هذه الخرافات و الأباطيل يرجع فى أصله إلى مصدر يهودى. و اليهود كانوا أشد أهل الكتاب صله بالمسلمين و ثقافتهم كانت أوسع من ثقافات غيرهم «١» ...

و ربّما كانت الإسرائيليات من باب النسبه إلى كتب بنى إسرائيل المجموعه باسم العهد القديم الذى يأخذ منه اليهود و النصارى على السواء، باعتباره كتابا مقدّسا

(١) - الإسرائيليات فى التفسير / د. الذهبى / ص ٢١.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٢١٣

لديهم «١»، و هو المصدر لهم فيما يرجع إلى قصص الأنبياء و الامم السابقه على المسيح (ع)، و هى تشكل القسم الأساس من الروايات الإسرائيليه فى التفسير و الحديث.

و اطلق على ما نقل عن النصارى الذين دخلوا (الاسلام)، كعبد الله بن سلام، و تميم الدارى و ابن جريج و غيرهم، بالاسرائيليات لأنهم كانوا يرجعون فى أكثر ذلك إلى كتب بنى إسرائيل، و أسفار الأنبياء على وجه الخصوص.

و قد شكّلت الإسرائيليات قسما معتدّا به من الروايات التفسيريه حتّى عدّها بعض الباحثين المصدر الرابع من مصادر الصحابه فى التفسير بالمأثور «٢»، على أساس أن بعض القضايا التى طرحت فى القرآن تتفق مع ما طرح فى التوراه إلا أنّها فى القرآن موجزه و فى التوراه مفصّله، و لما كانت العقول دائما تميل إلى الاستيفاء و الاستقصاء جعل بعض الصحابه (رض) يرجعون فى استيفاء هذه القصص التى لم يتعرّض لها القرآن من جميع نواحيها إلى من

دخل دينهم من أهل الكتاب ... (٣)

و رأى آخرون أنّ من أسباب قبول الإسرائيليات و رواجها فى كتب المفسّرين هو حسن ظنّهم فى رواه تلك الأنبياء و أنّهم لا يروون إلّا الصّحاح، و تعويلا على مـ رواه

(١) - ينقسم (الكتاب المقدّس) إلى قسمين:

١- العهد القديم، و هو الذى وصل إلى اليهود بواسطة الأنبياء الذين كانوا قبل عيسى (ع).

٢- العهد الجديد و هو الذى كتب بعد عيسى (ع).

و العهد القديم هو التسميه العلميه لأسفار اليهود و ليست التوراه إلّا جزءا منه، و يعتقد عامّه اليهود و النصارى أنّ العهد القديم منزل من الله تعالى و هو الركن الأساس لديانتهم، و يشمل العهد القديم التوراه التى تحكى قصّه العبرانيين و شريعتهم، و أسفار الأنبياء، و الكتب و هى أسفار الحكمة التى كثر فيها الشعر و القصص و الأمثال. راجع عبد الرزاق محمّد أسود/ المدخل إلى دراسه الأديان و المذاهب/ ج ١/ ص ١٥٥.

(٢) - التفسير و المفسّرون/ الذهبى/ ج ١/ ص ٦٤.

(٣) - م. ن/ ص ٦٥.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٢١٤

الإمام أحمد و البخارى و الترمذى عن عمرو بن العاص - و هو من رواه الإسرائيليات - عن رسول الله (ص) قال: «بلغوا عنى و لو آيه، و حدّثوا عن بنى إسرائيل و لا - حرج»، و رواه أبو داود أيضا باسناد صحيح عن أبى هريره - و هو من رواه الإسرائيليات أيضا - عن رسول الله (ص) أنّه قال: (حدّثوا عن بنى إسرائيل و لا حرج) فترخصوا فى روايتها كيف كانت ... (١).

جواز نقل الإسرائيليات و عدمه

اختلفت لأقوال فى جواز أو عدم جواز روايه الإسرائيليات، استنادا إلى أحاديث ظاهرها المنع «٢» و اخرى ظاهرها الجواز «٣» و أدلّه

اخرى منها سيره الصحابه، إلّا أنه يلاحظ على بعض الأحاديث القائلة بالجواز أنها مروية عنّ اشتهر بروايه الإسرائيليّات؛ كعبد الله بن عمرو بن العاص أو أبي هريره.

و أجمل القول ابن كثير بقوله: «إذا تقرّر جواز الروايه عنهم فهو محمول على ما يمكن أن يكون صحيحا، فأما ما يعلم أو يظنّ بطلانه بمخالفته الحقّ الذي بأيدينا الذي هو عن المعصوم، فذلك متروك لا يعرج عليه» (٤).

أما ابن تيميه فقد فصل الموقف من الإسرائيليّات بحسب موضوعاتها إلى ثلاثه أقسام محدّدا ذلك في دائره الذكر للاستشهاد لا للاعتقاد، و راجعا في الموقف منها

(١) - محاسن التأويل / تفسير محمّد جمال الدين القاسمي / ج ١ / ص ٤١.

(٢) - فتح الباري / ج ١٧ / ص ٢٠٩، البخاري / كتاب التفسير / ج ١٦ / ص ٢٥، كتاب الشهادات / ج ٣ / ص ٢٧٣.

(٣) - البخاري / كتاب أحاديث الأنبياء في ما روى عنه (ص): «و حدّثوا عن بني إسرائيل و لا حرج»، و الذهبي / تذكرة الحفاظ، ترجمه عبد الله بن سلام. و للمزيد: الإسرائيليّات / د. رمزي نعاغه / ص ٨٦، حكم روايه الإسرائيليّات.

(٤) - م. ن / ص ٩٦.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٢١٥

بمطابقتها أو مخالفتها للروايات الاسلاميه، فقال:

«و لكن هذه الأحاديث الإسرائيليّيه تذكر للاستشهاد، لا للاعتقاد فإنّها على ثلاثه أقسام:

أحدها: ما علمنا صحته ممّا بأيدينا ممّا يشهد له بالصدق فذاك صحيح.

و الثاني: ما علمنا كذبه بما عندنا ممّا يخالفه.

و الثالث: ما هو مسكوت عنه لا من هذا القبيل و لا من هذا القبيل فلا نؤمن به و لا نكذبه، و تجوز حكايته لما تقدّم - من حديث بلغوا عني ... و حدّثوا عن بني إسرائيل و لا حرج -، و غالب ذلك ممّا لا فائده

فيه تعود إلى أمر ديني، ولهذا تختلف أقوال علماء أهل الكتاب في مثل هذا كثيرا، و يأتي عن المفسرين خلاف بسبب ذلك، كما يذكرون في مثل هذا أسماء أصحاب الكهف و لون كلبهم و عدتهم، و عصا موسى من أى الشجر كانت، و أسماء الطيور التى أحيها الله لإبراهيم، و تعيين البعض الذى ضرب به المقتول من البقره، و نوع الشجره التى كلم الله منها موسى (ع) ... إلى غير ذلك مما أبهمه الله فى القرآن مما لا فائده فى تعيينه تعود على المكلفين فى دنياهم و لا دينهم» (١).

و لكن المراجع لكتب التفسير. يجد غالب ما يروونه من الإسرائيليات هو من النوع الثانى و الثالث، فمنه ما فيه مخالفه واضحه لاصول الاسلام كالخدش بعصمه الأنبياء (ع)، كما يأتى، و منه لغو لا حجه فيه.

على أن القرآن الكريم قد بين أن ما أتى به من القصص و أخبار الأنبياء و الامم السابقه هو أحسن القصص (يوسف / ٣) و هو القصص الحق (آل عمران / ٦٣) التى صدرت بعلم (الأعراف / ٧)، و إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (النمل / ٧٦).

(١) - مقدمه فى اصول التفسير / ص ٤٥ - ٤٦، نقلا عن الإسرائيليات / ص ٩٩.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٢١٦

و إذ جاء القرآن لتصحيح الرؤى و تقويم الاعوجاج الذى تعرضت له الشرائع السابقه و بيان الحق فيما حرّف و شوّه من قصصهم، فأبى حجه له بعد هذا إلى أن يستعان على فهمه بمن هم قاصرون عن فهم شريعتهم و معرفه تاريخهم.

قال الإمام على (ع): (و فى القرآن نبأ ما قبلكم، و خبر ما بعدكم، و حكم ما بينكم)

مصادر الإسرائيليات:

أشهر من أخذت أو رويت عنه الإسرائيليات هو: تميم الدارى و عبد الله بن سلام من الأولين و كعب الأحبار و وهب بن منبه من التابعين.

و أكثر من أخذ عنهم أبو هريره، و أخذ عنهم كذلك عبد الله بن عباس - بناء على ما يروى عنه أو ينسب إليه-، و نقل أن عبد الله بن عمرو بن العاص كان يأخذ مباشرة من كتب أهل الكتاب التي غنمها يوم اليرموك كما كان يأخذ من كعب الأحبار «٢».

طرق تسلل الإسرائيليات:

أخذت الإسرائيليات طريقها إلى كتب الحديث و منها التفسير بالمأثور غالبا بطرق ثلاث هي:

١- الروايه عن كتب الإسرائيليات مباشرة، فقد روى الحافظ الذهبي في تذكره الحفاظ، في ترجمه عبد الله بن عمرو بن العاص أنه أصاب جملة من كتب أهل الكتاب و أدمن النظر فيها و رأى فيها عجائب.

و قال السيوطى: و ورد عن عبد الله بن عمرو بن العاص أشياء تتعلق بالقصاص

(١)- نهج البلاغه / ح ٣١٣.

(٢)- الاسرائيليات / الذهبي / ص ٧٢-١١٥.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٢١٧

و أخبار الفتن و ما أشبهها بأن يكون ممّا تحمله عن أهل الكتاب «١».

٢- الأخذ عمّن دخل الاسلام من أهل الكتاب ككعب الأحبار و عبد الله بن سلام و تميم الدارمى و وهب بن منبه، و قد توزعت المرويّات عنهم فى كتب التفسير.

٣- عن طريق من أخذ عنهم، كما فى بعض الأخبار المرويّه عن ابن عباس و أبى هريره و غيرهما، و بعضها صريح فى النسبه إلى مصدرها، كما رويّا عن كعب الأحبار، و بعضها موقوف عليهما، و قد ثبت أنّهما كانا يأخذان منه الحديث.

فقد روى الذهبي فى ترجمه أبى هريره: عنه أنّه لقي كعبا فجعل يحدّثه

و يسأله فقال كعب: ما رأيت أحدا لم يقرأ التوراه أعلم بما فيها من أبي هريره «٢».

وقال السيوطي: «حديث الفتون طويل جدا يتضمن شرح قصه موسى و تفسير آيات كثيره تتعلق به، و قد نبه الحفاظ منهم المزى و ابن كثير على أنه موقوف من كلام ابن عباس. قال ابن كثير: و كان ابن عباس تلقاه من الإسرائيليات» «٣».

و في الدرّ المنثور أنّ معاويه كان يرجع إلى كعب في القصص و تفسير غريب القرآن «٤».

كيف دخلت الإسرائيليات الفكر الاسلامي؟

وراء تداول الروايات الإسرائيليه و انتشارها بين المسلمين أسباب عديده تحتاج إلى دراسه مفصله مستقله عن بحثنا، و لكن يمكن إرجاعها بشكل رئيس إلى الظروف التي مرّت على الحديث بعد وفاه رسول الله (ص).

(١) - م. ن / ص ٤٢، الإسرائيليات و أثرها في كتب التفسير / ص ٩٠، عن تذكره الحفاظ / ج ١ / ص ٢٧ و ٤١. الإتيقان / ج ٢ / ص ١٢٣٣.

(٢) - تذكره الحفاظ / ج ١ / ص ٢٩. الإسرائيليات / ص ٩١.

(٣) - محاسن التأويل / ص ٤٣.

(٤) - الدرّ المنثور / ج ٥ / ص ٤٥٠ و ٤٥٢.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٢١٨

فكما هو معلوم من تاريخ الحديث أنه مرّت فتره منذ وفاه رسول الله (ص) حتّى نهايه عصر الخليفه الثاني منع فيها الناس من تداول الحديث النبوي (ص) - و منه حديثه في تفسير القرآن الكريم - خلافا لعصر الرسول (ص) الذي كان الناس فيه يتناولون حديثه و يتابعونه في كل مجلس و مناسبه ليقبّسوا من نوره.

روى الذهبي في تذكره الحفاظ، قال: إن أبا بكر جمع الناس بعد وفاه نبيهم فقال:

إنكم تحدّثون عن رسول الله (ص) أحاديث تختلفون فيها و الناس بعدكم أشدّ اختلافا، فلا تحدّثوا عن رسول الله

(ص) شيئاً، فمن سألكم فقولوا: بيننا وبينكم كتاب الله فاستحلوا حلاله وحرّموا حرامه «١».

و كان عمر بن الخطاب إذا استعمل العمال خرج معهم يشيعهم فيقول: جرّدوا القرآن و أقلموا الروايه عن محمّد (ص) و أنا شريككم «٢».

و في مستدرک الحاكم، قال: فلما قدم قرظہ قالوا: حدثنا، قال: نهانا ابن الخطاب.

و في جامع بيان العلم و فضائله، قال قرظہ: فما حدثت بعده حديثا عن رسول الله (ص) «٣».

و قد أدّت هذه السياسه إلى عدم تداول الناس للحديث النبوي الشريف؛ فقد روى السائب ابن يزيد، قال: صحبت سعد بن مالك - أبي وقاص - من المدينة إلى مكّه فما سمعته يحدث عن النبيّ (ص) بحديث واحد «٤».

(١) - الذهبي / تذكره الحفاظ / ج ١ / ص ٢ - ٣ / ترجمه أبي بكر.

(٢) - تاريخ الطبري ط. أوربا / ج ٥ / ص ٢٧٤١، و ط. دار المعارف بمصر / ج ٤ / ص ٢٠٤، نقلا عن نفس المصدر.

(٣) - جامع بيان العلم للخطيب البغدادي / ج ٢ / ص ١٤٧ ط. المدينة المنوره سنه ١٣٩٨ هـ / و تذكره الحفاظ / ج ١ / ص ٧، و سنن الدارمي / ج ١ / ص ٨٥، و سنن ابن ماجه، المقدمه / باب التوقي من الحديث عن رسول الله (ص) / ج ١ / ص ١٢، و مستدرک الحاكم / ج ١ / ص ١٠٢، و طبقات ابن سعد / ط. بيروت / ج ٦ / ص ٧، و كنز العمال / ج ٢ / ص ١٨٣.

(٤) - سنن ابن ماجه / ج ١ / ص ١٢، و سنن الدارمي / ج ١ / ص ٨٥.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٢١٩

و في تاريخ ابن كثير عن أبي هريره قال: لم نكن نستطيع أن نقول: قال رسول الله (ص) حتّى قبض عمر «١».

هذه

السياسه خلفت فراغا هائلا- لدى الناس فيما يحتاجون إليه من رؤى و أحكام و ارشادات و نصائح تشكل بمجموعها الحديث النبوى الشريف الذى جاء فيه القرآن:

وَ مَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ (النجم / ٣-٥).

و الذى جاء تبيانا لكتاب الله، قال تعالى: وَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (النحل / ٤٤).

و من المعلوم أنه لا يمكن أن تبقى فى فكر الناس و ثقافتهم منطقه فراغ فهى لا بد أن تملأ، بحق أو باطل.

فمن المعلوم و لا شكّ فيه أهميه السنّه و دورها فى بيان القرآن و تشريع الأحكام، فإنّ فى القرآن قواعد عامه، و اصولا مجمله و آيات محكمات، و اخر متشابهات، و لقد وكل الله لنبيه (ص) بيان ذلك لامته حتّى تكون على علم بكتاب ربّها، و درايه بما أرشد إليه من تشريعات و أحكام ... و من هنا كانت منزله السنّه من القرآن الكريم منزله المبيّن من المبيّن ... «٢».

و لا نعلم بعد هذا التوضيح كيف كان حال الامّه بعد ما منعت من حديث رسول الله (ص)، إذ فرق بين كتاب الله و بيان نبيه (ص).

و فى ظلّ مثل هذه الأوضاع ذهبت الامّه تتلمّس طريقها و ما تحتاج إليه من شروح و آراء و بيانات ذات اليمين و ذات الشمال- فى غير الحديث النبوى المحجور-، ممّا زادها حيره و تيهها، إذ لا تعوّض آراء البشر العاديين عن حديث الرسول (ص) بأى حال من الأحوال.

(١)- تاريخ ابن كثير/ ج ٨ / ص ١٠٧، و للمزيد من التفصيل حول الموضوع راجع: القرآن الكريم و روايات المدرستين للعلامة العسكري/ ج ٢ / ص ٤١٩.

التفسىر بالمأثور و تطوىره عند الشىعه، ص: ٢٢٠

و فى تلك الظروف التى منع فىها أصحاب رسول الله (ص) و فىهم من فىهم من السابقىن الأوّلين من تداول الحدىث سمح لبعض مسلمه أهل الكتاب بروايه الأخبار، فملاً هؤلاء الفراغ و روّوا عطش الناس بافتقادهم الحدىث بما فى جمعهم من روايات كتب اليهود و غيرها، حتّى أدلّوا بدلّوهم أيضاً فى تفسىر القرآن، كما هو الحال مع تمىم الدارى الذى خصّص له الخليفه الثانى ساعه فى كل اسبوع يتحدّث فىها قبل صلاه الجمعة من على منبر الرسول (ص) و جعلها عثمان على عهد ساعتيّن فى يومين «١».

قال الذهبى: «و يغلب على الظنّ أنّه كان محدّثاً بارعا و قاصّاً ماهرا و يقينى أنّه كان راويه عزوفا عن خداع العامّه بالقصص و أباطيلها، فقد ذكر صاحب أسد الغابه و غيره أنّه كان أوّل من قصّ و أنّه استأذن عمر بن الخطاب (رض) فأذن له».

و قد احتلّ - مع غياب الصحابه عن التحدىث - موقعا بارزا، حتّى وصفه عمر بأنّه خير أهل المدينه «٢»!!

أمّا كعب أخبار اليهود، الذى كان من كبار علماء اليهود و أخبارهم باليمن، فقد أعلن إسلامه على عهد عمر و بقى بالمدينه بطلب منه «٣». و كان اليهود يسمّونه بكعب الأخبار لأنّه كانت عنده جميع كتبهم أو لأنّه أهم علمائهم الكبار، و لكن العجيب فى الأمر أن كعبا هذا قد كسب موقعا متقدّما فى المجتمع الاسلامى آنذاك إذ كان الخليفه يرجع إليه فى تفسىر القرآن...!!

ففى روايه أنّ عمر بن الخطاب قال: يا كعب ما عدن؟ قال: قصور من ذهب فى

ص ٥٨. وفيه كان تميم هذا نصرانيا من علماء أهل الكتاب. قدم المدينة بعد غزوه تبوك، و أعلن الاسلام بعد سرقه ثبتت عليه ليرفع بإسلامه ما ادين به.

(٢) - الإسرائيليات / الذهبي / ص ٩١: وفي هامشه أسد الغابه / ج ١ / ص ٢١٥ ط. الوهبي، والإصابة / ج ١ / ص ١٨٤ ط. السعاده.

(٣) - م. ن / ص ٥٨.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٢٢١

الجنه يسكنها النبيون و الصديقون و أئمه العدل.

و في قوله وَ قِهِمُ السَّيِّئَاتِ قال: العذاب «١».

بل ارتفع مقامه عنده حتى بلغ مرتبه الوعظ و الارشاد للخليفه، كما يظهر من الروايه التاليه:

عن كعب قال: كنت عند عمر بن الخطاب، فقال: خَوْفنا يا كعب، فقلت: يا أمير المؤمنين! أو ليس فيكم كتاب الله و حكمه رسوله؟ قال: بلى، و لكن خَوْفنا، قلت: ... «٢»

و إذ اعتمد عليه الخليفه مفسراً و واعظا، ركن الآخرون إلى كعب كما يظهر ذلك ممّا رواه السيوطى قال:

«و عن عبد الله بن الحارث، قال: كنت عند عائشه و عندها كعب، فذكر إسرائيل (ع) فقالت عائشه: أخبرنى عن إسرائيل (ع).

قال: له أربعة أجنحه؛ جناحان فى الهواء، و جناح قد تسرول به، و جناح على كاهله و القلم على اذنه ...» «٣».

و هكذا أصبح كعب مصدرا حديثيا و تفسيريا لكثير من الصحابه كابن عمر و أبى هريره و ابن عباس و ابن الزبير و معاويه، و كثير من التابعين «٤».

و كعب هذا «روى عنه كثير من الإسرائيليات» «٥».

قال الدكتور الذهبى: «و اختلط الأمر عند الناس حتى وصل الأمر إلى أن أبى هريره

(١) - تفسير الدر المنثور للسيوطى / ٣٤٧ هـ، سوره غافر / ص ٧.

(٢) - م. ن / ج ١ / ص ١٤

ص ١٣٣، تفسير سورة النحل / ص ١١١.

(٣) - م. ن / ج ٥ / ص ٣٣٨، تفسير سورة الزمر / ص ٦٨.

(٤) - القرآن الكريم و روايات المدرستين / ج ٢ / ص ٤٣٠.

(٥) - الذهبي / الإسرائيليات / ص ٩٥.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٢٢٢

كان يحدث عن رسول الله (ص) بما سمعه منه، و عن كعب بما يحدثه به، فكان الناس يخلطون بين حديث الرسول (ص) و حديث كعب، فقد روى مسلم بسنده عن بشير بن سعيد أنه قال: اتقوا الله و تحفظوا من الحديث، فو الله لقد رأيتنا نجالس أبا هريره فيحدث عن رسول الله (ص) و يحدثنا عن كعب الأحبار، ثم يقوم فأسمع بعض من كان معنا يجعل حديث رسول الله (ص) عن كعب، و حديث كعب عن رسول الله...» (١).

و هو يدل على مبلغ الخطوره التي وصل إليها الأمر، بأن جعل كعب مصدرا للحديث إلى جانب رسول الله (ص)، يتحدث عنه و عن الرسول (ص) سواء بسواء، و كأنه من مصادر الفكر و التشريع عند المسلمين !!..

و هكذا تسربت أفكار و أخبار اليهود بواسطة كعب و نظيره؛ وهب بن منبه و تميم الدارى و غيرهم إلى داخل الفكر الاسلامى، لتشوّه الكثير من معالمه الأصيلة، و التي كانت فيما بعد المنفذ الذى نفذ منه أعداء الاسلام كـبعض المستشرقين و تلاميذهم للطعن فيه (٢).

و ليس ببعيد أن تكون بعض الأحاديث قد وضعت لإعطاء الغطاء الشرعى لعملية الأخذ من أهل الكتاب و تسرب الإسرائيليات إلى الفكر الاسلامى، منها ما رواه البخارى فى صحيحه عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن النبى (ص) قال: (بلغوا عني و لو آيه، و حدثوا عن بنى إسرائيل و لا

حرج، و من كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار) «٣».

و إذا دققنا النظر في الحديث فإنا نجد أنّ عبارته (و حدّثوا عن بنى إسرائيل و لا حرج)

(١)- م. ن، و النص كما في هامش عن ابن كثير/ البدايه و النهايه/ ج ٨/ ص ١٠٩.

(٢)- للمزيد: القرآن الكريم و روايات المدرستين/ ج ٢/ البحث الثامن: المستشرقون و القرآن الكريم.

(٣)- صحيح البخارى/ كتاب أحاديث الأنبياء/ ج ٦/ ص ٣٠٩، و مسند أحمد/ المجلد الثانى/ ص ١٥٩، ٢٠٢ و ٢١٤.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٢٢٣

محشوره في وسط الجملتين بلا مناسبه و لا ارتباط منطقي بجملتي الحديث الآخريين، خصوصا إذا علمنا أنّ راوى هذه الروايه هو عبد الله بن عمرو بن العاص العدى «أصاب يوم اليرموك من كتب أهل الكتاب فكان يحدث منها» «١» و قد «اسندت إليه روايات إسرائيليات» «٢».

هذا و توجد روايات كثيره اخرى معارضه لهذه الروايه، فهى تمنع عن الرجوع إلى أهل الكتاب و الأخذ منهم «٣».

الإسرائيليات في كتب التفسير بالمأثور:

أخذت الإسرائيليات طريقها إلى معظم كتب التفسير، متسلله من بعضها إلى البعض الآخر، قال الذهبى: «بل لا أكون مبالغا و لا متجاوزا حدّ الصدق إن قلت: إن كتب التفسير كلّها قد انزلت مؤلفوها إلى ذكر بعض الإسرائيليات، و إن كان يتفاوت قلّه و كثره و تعقبا عليها و سكوتا عنها» «٤».

و رغم أنّ بعض المفسرين قد حدّر من ذكر الإسرائيليات إلّا أنّ معظمهم «يتورّطون في ذكرها، لا ليحدّروا منها، و لا ليتّبها على كذبها، و إنّما يذكرونها و كأنّها وقائع صادقه و حقائق مسلّمه بلا نقد لها و بغير أسانيدّها التي تيسّر لمن ينظر فيها معرفه صدقها من كذبها» «٥».

(٢) - م. ن / ص ٨٣.

(٣) - راجع: البخاري / هامش فتح الباري / ج ٨ / ص ١٢٠، و مسند أحمد / ج ٣ / ص ٣٨٧ ط.

الميمينه، و البخاري / كتاب الشهادات / باب لا يسأل أهل الكتاب عن الشهاده و غيرها، و فتح الباري / ج ١٣ / ص ٢٥٩. راجع:
الإسرائيليات للذهبي / ص ٥٥ - ٥٧.

(٤) - م. ن / ص ١١٩.

(٥) - م. ن.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٢٢٤

و كلما كان الكتاب أكثر تفسيراً بالمأثور و أقل استفاده من المعقول في نقد المنقول و تنقيته من الشوائب، كان ذلك التفسير أكثر ذكراً للإسرائيليات و نقلاً منها.

لذا كان تفسير محمد بن جرير الطبري المسمى باسم (جامع البيان في تفسير القرآن) كثير الروايه للأخبار و القصص الإسرائيليه المسنده إلى كعب الأحبار و وهب ابن منبه و ابن جريج و غيرهم من مسلمه أهل الكتاب، فهو «يروى في تفسيره أباطيل كثيره، يردّها الشرع و لا يقبلها العقل، ثم لا يعقب عليها بما يفيد بطلانها اكتفاء بذكر أسانيدها» (١).

و رغم أن ابن كثير كان شديد الحذر من الإسرائيليات فقد قال في مقدمه تاريخه (البدايه و النهايه): «و لسنا نذكر من الإسرائيليات إلّا ما أذن الشارع في نقله ممّا لا يخالف كتاب الله و سنّه رسوله (ص)، و هو القسم الّذى لا يصدق و لا يكذب، ممّا فيه بسط لمختصر عندنا، أو تسميه لهم ورد به شرعنا...» رغم ذلك فأنّه أحياناً «يذكر في تفسيره بعض الروايات الإسرائيليه الغريبه و لا يعقب عليها بكلمه واحده» (٢).

و حتّى الّذى وصف الذهبي تفسيره (روح المعاني في تفسير القرآن العظيم و السبع المثاني) بأنّه «من أشدّ الكتب نقداً للإسرائيليات و عيباً على

من توسّعوا في أخذها و حشوا بها تفاسيرهم» حتّى هذا «ينزلق أحيانا إلى روايتها دون أن يعقّب عليها أو يحذّر منها» (٣).

الموضوعات الإسرائيليّة في كتب التفسير:

من مراجعه كتب التفسير نجد أن الإسرائيليّات جاءت في الموضوعات التاليه:

(١) - م. ن / ص ١٢٥.

(٢) - م. ن / ص ١٣٩.

(٣) - م. ن / ص ١٧٦.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٢٢٥

١- قصص و أخبار الأنبياء السابقين خصوصا أنبياء بنى إسرائيل.

٢- قصص و أخبار الامم السابقه.

٣- قصص و أخبار الغيب، عن الملائكه و العرش و الكرسي و الجنّه و النار و يوم القيامة و أشراف الساعه كالمسيح و الدجال و غيره.

إضافه إلى موضوعات متفرقه اخرى، منها في الترغيب و التهيب و الأخلاق، و لكنّها لا تشكل مساحه كبيره.

نماذج من الإسرائيليّات في التفسير:

إشاره

لغرض متابعه هذا الموضوع بصوره علميه، فإننا سنقوم باستقصاء نماذج من أشهر الروايات الإسرائيليّه و متابعتها في كتب التفسير، محاولين اختيار مفسّرين مختلفين و لفترات زمنيّه متفاوته؛ مستفيدين من ملاحظه طريقه تعامل المفسّرين مع هذه الروايات و تطوّر منهجهم في ذلك عبر القرون المتلاحقه.

لذا فإننا سنختار بعض الروايات الإسرائيليّه من تفسير ابن جرير الطبري (القرن الثالث) و نتابعها في التفاسير السنيّه و الشيعيه المختلفه، و هذه الروايات هي ممّا اشتهرت و اتفق على إسرائيليّتها، و هي:

١- قصّه زواج النبي داود (ع):

قوله تعالى: وَ هَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَضْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ* إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصِمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَصَاخُكُمْ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَ اهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ* إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَ تِسْعُونَ نَعَجَةً وَ لِي نَعَجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَ عَزَّنِي فِي الْخِطَابِ* قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعَجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ وَ إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَ قَلِيلٌ مَا هُمْ وَ ظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَ خَرَّ رَاكِعًا وَ أَنَابَ* فَعَفَوْنَا لَهُ ذَلِكَ وَ إِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٢٢٦

وَ حُسْنَ مَأْبٍ (ص / ٢١ - ٢٥).

قال الطبري (ت: ٣١٠ هـ) في تفسيره للآيات: «و هذا مثل ضربه الخصم المتسورون على داود محرابه له و ذلك أن داود كانت له فيما قيل: تسع و تسعون امرأة، و كانت للرجل الذي أغراه حتى قتل امرأه واحده، فلما قتل نكح - فيما ذكر - داود امرأته، فقال له أحدهما: (إِنَّ هَذَا أَخِي) يقول: أخى على ديني» «١».

و روى الطبري في تفصيل ذلك سبع روايات بسنده عن

ابن عباس و السدي و الحسن البصري و أنس بن مالك و عطاء الخراساني، و منها روايتان عن وهب بن منبه اليماني، و هو ممن روى عنه كثير من الاسرائيليات.

و نورد فيما يلي روايتى وهب بن منبه كاملتين كما أخرجهما الطبري، لبيان القصه المنسوبه إلى النبي داود (ع) و لمعرفه مصدرها:

حدّثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمه، قال: ثنى محمد بن إسحاق، عن بعض أهل العلم، عن وهب بن منبه اليماني، قال: لما اجتمعت بنو إسرائيل على داود، أنزل الله عليه الزبور، و علمه صنعه الحديد، فألانه له، و أمر الجبال و الطير أن يسبحن معه إذا سبح و لم يعط الله فيما يذكرون أحدا من خلقه مثل صوته، كان إذا قرأ الزبور - فيما يذكرون - تدنو له الوحوش حتى يأخذ بأعناقها، و إنها لمصيخه تسمع لصوته، و ما صنعت الشياطين المزامير و البرابط و الصنوج إلّا على أصناف صوته، و كان شديد الاجتهاد دائب العباده، فأقام فى بنى إسرائيل يحكم فيهم بأمر الله نبيا مستخلفا، و كان شديد الاجتهاد من الأنبياء، كثير البكاء، ثم عرض من فتنه تلك المرأه ما عرض له، و كان له محراب يتوحد فيه لتلاوه الزبور، و لصلاته إذا صلى، و كان أسفل منه جنينه لرجل من بنى إسرائيل، كان عند ذلك الرجل المرأه التى أصاب داود فيها ما أصابه.

حدّثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمه، عن محمد بن إسحاق، عن بعض أهل العلم،

(١) - تفسير الطبري / ج ٢٣ / ص ١٤٣.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٢٢٧

عن وهب بن منبه، أن داود حين دخل محرابه ذلك اليوم، قال: لا يدخلنّ على محرابي اليوم أحد حتى الليل، و لا يشغلني شىء

عَمَّا خلوت له حتّى امسى، و دخل محرابه، و نشر زبوره يقرأه، و فى المحراب كوّه تطلعه على تلك الجنينه، فينا هو جالس يقرأ زبوره، إذ أقبلت حمامه من ذهب حتّى وقعت فى الكوّه، فرفع رأسه فرآها، فأعجبته، ثمّ ذكر ما كان قال: لا يشغله شىء عَمَّا دخل له، فنكس رأسه و أقبل على زبوره، فتصوّبت الحمامه للبلاء و الاختبار من الكوّه، فوقعت بين يديه، فتناولها بيده، فاستأخرت غير بعيد، فاتبعها، فنهضت إلى الكوّه، فتناولها فى الكوّه، فتصوّبت إلى الجنينه، فأتبعها بصره أين تقع، فاذا المرأه جالسه تغتسل بهيئه، الله أعلم بها فى الجمال و الحسن و الخلق، فيزعمون أنّها لما رأته نقضت رأسها فوارت به جسدها منه، و اختطفت قلبه، و رجع إلى زبوره و مجلسه، و هى من شأنه لا- يفارق قلبه ذكرها، و تمادى به البلاء حتّى أغزى زوجها، ثمّ أمر صاحب جيشه فيما يزعم أهل الكتاب أن يقدّم زوجها للمهالك حتّى أصابه بعض ما أراد به من الهلاك، و لداود تسع و تسعون امرأه، فلمّا أصيب زوجها خطبها داود، فنكحها».

و لم يعقب الطبرى على هذه الروايات بشىء، رغم ما فيها من الطعن فى النبىّ داود (ع) و نسبه عمل إليه لا يقوم به مؤمن عادى فضلا عن نبى معصوم، كما أنّه من الواضح على الروايات أنّها من الاسرائيليات، و قد وردت الاشاره إلى مصادرها الاسرائيليه صريحا بعبارات: (فيما يزعم أهل الكتاب، و يزعمون، ...)، ممّا يدلّ على أنّ مبنى المفسّرين - فى الطبرى - كان التساهل عموما فى ذكر الاسرائيليات و روايتها، بصوره مباشره أو غير مباشره.

رأى الخازن (ت: ٧٤١هـ):

قال: «و فى القصّه امتحان داود (عليه الصلاه و السلام). و اختلف العلماء بأخبار الأنبياء فى

سبب ذلك، و سأذكر ما قاله المفسرون ثم أتبعه بفصل فيه ذكر نزاهه داود (عليه الصلاة والسلام) ممّا لا يليق بمذهبه (ع)، لأن منصب النبوه أشرف المناصب التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٢٢٨

و أعلاها فلا ينسب إليها إلّا ما يليق بها. و أمّا ما قاله المفسرون: «...».

ثمّ ذكر ما روى ممّا ذكره ابن جرير و غيره معلّقاً عليه بقوله: «فهذه أقاويل السلف من أهل التفسير في قصّه امتحان داود» «١».

و ذكر أيضاً كلام الفخر الرازي في ردّ هذه الروايات و مناقشتها، و بيان الوجوه التي تنصرف إليها الآيات ممّا تنزّه ساحه النبي داود (ع) عمّا نسب إليه.

ثمّ عقد فصلاً جديداً بعنوان (فصل في تنزيه داود عليه الصلاة و السلام ممّا لا يليق به و ما ينسب إليه)، قال فيه:

«اعلم أنّ من خصّه الله تعالى بنبوّته و أكرمه برسالته و شرفه على كثير من خلقه و ائتمنه على وحيه و جعله واسطه بينه و بين خلقه لا- يليق أن ينسب إليه ما لو نسب إلى آحاد الناس لاستنكف أن يحدث به عنه، فكيف يجوز أن ينسب إلى بعض أعلام الأنبياء و الصفوة الامناء ذلك.»

روى سعيد بن المسيّب و الحارث الأعور عن عليّ بن أبي طالب (رضى الله عنه) أنّه قال: من حدّثكم بحديث داود على ما يرويه القصّاص جلدته مائه و ستين جلده و هو حدّ الفريه على الأنبياء.

و قال القاضي عياض: لا يجوز أن يلتفت إلى ما سطره الأخباريون من أهل الكتاب الذين بدّلوا و غيروا و نقله بعض المفسرين و لم ينص الله تعالى على شيء من ذلك و لا ورد في حديث صحيح، و الذي نصّ عليه

اللّٰه في قصه داود و ظنّ داود أنّما فتناه و ليس في قصه داود و أوريا خبر ثابت و لا يظنّ بنبيّ محبه قتل مسلم، و هذا هو الذي ينبغي أن يعول عليه من أمر داود ...».

رأى ابن كثير (ت: ٧٤٤هـ):

أما ابن كثير فإنه و إن توقّف في قبول الروايات لأنّ أكثرها من مصادر اسرئيليه

(١) - تفسير الخازن/ ج ٤/ ص ٣٤.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٢٢٩

و لضعف إسناد البعض الآخر، إلّا أنّه فضّل الاقتصار على الآيات و ردّ علمها إلى الله دون الخوض في تفسيرها و مناقشه متون الروايات، إذ قال: «قد ذكر المفسّرون هاهنا قصه أكثرها مأخوذ من الإسرائيليات، و لم يثبت فيها عن المعصوم حديث يجب اتباعه، و لكن روى ابن أبي حاتم هنا حديثا لا يصحّ سنده لأنّه من روايه يزيد عن أنس (رض)، و يزيد و إن كان من الصالحين لكنّه ضعيف الحديث عند الأئمّه، فالأولى أن يقتصر على مجرّد تلاوه هذه القصّه و أن يرّد علمها إلى الله عزّ و جلّ، فإنّ القرآن حقّ و ما تضمن فهو حق أيضا» (١).

رأى السيوطي (ت: ٩١١هـ):

أخرج السيوطي القصّه المذكوره بطرق متعدده و أسناد كثيره أنهاها إلى كبار الصحابه و التابعين، و هي:

١- أخرج ابن أبي شيه في المصنف، و ابن أبي حاتم عن ابن عباس (رض): ان داود (ع) ...

٢- و أخرج الحكيم في نواذر الاصول، و ابن جرير، و ابن أبي حاتم بسند ضعيف عن أنس (رض) سمعت رسول الله (ص) يقول: ...

٣- و أخرج ابن أبي شيه و هناد و ابن المنذر عن مجاهد (رض) قال: لَمَّا أَصَابَ دَاوُدَ (ع) الْخَطِيئَةَ، وَ إِنَّمَا كَانَتْ خَطِيئَتَهُ أَنَّهُ لَمَّا أَبْصَرَهَا أَمَرَ بِهَا فَعَزَلَهَا فَلَمْ يَقْرَبْهَا ...

٤- و أخرج ابن جرير عن ابن عباس (رض): ...

٥- و أخرج عبد بن حميد و ابن جرير و ابن المنذر عن الحسن (رض): ...

٦- و أخرج ابن جرير و الحاكم عن السدي، قال:

٧- و أخرج ابن المنذر عن محمد بن كعب القرظي (رض) نحوه.

(١)- تفسير ابن كثير / ج ١٤ ص ٥٣.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٢٣٠

٨- و أخرج عبد الرزاق و الفريابي و أحمد في الزهد و ابن جرير و الطبراني عن ابن مسعود (رض) قال: ما زاد داود (ع) على أن قال (أكفلنيها).

و أورد السيوطي أربع روايات أخرى بنفس هذا المعنى.

مراجع الروايات:

١- من الواضح تماما أن ما نسب لساحه النبي داود (ع) لا يليق بساحته كمؤمن فضلا عن أن يكون من الأنبياء.

٢- إن سياق الآيات الكريمة لا يحتمل ما روى، إذ إن القرآن الكريم في هذه القصة بدأ بمدح النبي داود بقوله تعالى: وَ أَذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ... ثم قوله:

... وَ آتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَ فَضَّلْنَا الْخِطَابِ، فكيف يمدح القرآن رجلا و يصفه بكثرة التعبد و الحكمه ثم ينسب إليه مثل تلك الفعال السيئه؟

٣- صرحت بعض الروايات بأخذها عن وهب بن منبه، و روايات أخرى موقوفة عن بعض الصحابه، و يتضح من نصها أنها مأخوذة إما عن وهب، أو عن أهل الكتاب مباشرة، كما صرحت روايتا وهب بنسبه القصة فيهما إلى أهل الكتاب.

٤- لوحظ من خلال مواقف المفسرين الأربعة: أن الطبري و السيوطي و هما أكثر حصرا لتفسيرهما على المنقول قد مرت عليهما الروايات المذكوره دون تحفظ أو اعتراض، خصوصا مع كثره طرقها و تعدد مسانيدها، و هو ما يقوى الروايه عند أصحاب الحديث، مع أنه ربما تعدد الطرق و المصدر فيها روايه واحده، و لم يفكر بمحاكمه الروايات على أساس القرآن و الثابت من العقائد الاسلاميه، لأن منهج أصحاب الحديث التمسك بالروايه إن ثبت بطرقهم، و احتمال

أما ابن كثير و الخازن فلائ منجهما توسع عن المنقول إلى التفسير بالقرآن و مناقشه الآراء و الدلائل وفقا له و للعقائد المسلمه عند المسلمين فإنهما توقفا فى تلك المرويات، فأوكل ابن كثير علمها إلى الله، و أما الخازن فردّها متمسكا بمبدأ العصمه.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٢٣١

موقف المفسرين الشيعة منها:

إشارة

رفض المفسرون الشيعة هذه الروايات رفضا قاطعا معتبرين الرواية من الموضوعات مستندين فى ذلك إلى الآيات القرآنية الشريفة و إلى الأحاديث المروية عن أهل البيت (ع) فى بيان القصه، و التأويلات المقبولة الواردة فيها. و يستثنى من تلك التفاسير، القمى، الذى يعدّ من المجاميع الروائية فى التفسير، و فى رواته من لم يوثق، كما يأتى.

رأى تفسير القمى «١» (من أعلام القرن الثالث):

وردت فى تفسير القمى روايه اخرى مشابهه فى عمومها لما رواه ابن جرير و السيوطى مع اضافات و تفصيلات اخرى، و ترتكز على أنّ داود (ع) كتب إلى صاحبه العدى بعثه أن ضع التابوت بينك و بين عدوك، و قدّم أوريا بن حنان بين يدى التابوت، فقدّمه و قتل، فلمّا قتل أوريا دخل عليه الملكان و قعدا و لم يكن تزوج امرأه أوريا ... «٢». و هى بذلك تتفق فى ما نسبته الروايات المذكوره فى الطبرى و السيوطى إلى داود (ع).

و جاء فى سند روايه القمى: «حدّثنى أبى عن ابن أبى عمير عن هشام عن الصادق (ع) قال: إنّ داود ...».

و الروايه صحيحه سندا- إذا سلّمنا بنسبه الكتاب إلى على بن إبراهيم- إلّا أنّ متنها مخالف للقرآن الكريم العدى نصّ على اصطفاء الأنبياء و اختيارهم من قبل الله تعالى، ليكونوا قدوة و اسوه للناس، و ما نسب فى هذه الروايات لا يناسب هذا المقام السامى، و قد أمر أهل البيت (ع) بعرض رواياتهم على القرآن و طرح ما يخالفه.

فقد قيل ليونس: «ما أكثر إنكارك لما يرويه أصحابنا؟ فقال: حدّثنى هشام بن

(١)- إنّما نسبنا الرأى إلى تفسير القمى، لا القمى نفسه، لأنّ نسبه التفسير إلى القمى محل نظر و ترديد عند العلماء.

(٢)- تفسير القمى / ج ٢ / ص ٢٠٤.

الحكم أنه سمع الصادق (ع) يقول: لا تقبلوا علينا حديثا إلّا ما وافق القرآن و السنّه أو تجدون معه شاهدا من أحاديثنا المتقدمه
...» (١).

على أنّ القمى نفسه روى بعد هذه الروايه روايه اخرى معارضه، قال:

«و فى روايه أبى الجارود عن أبى جعفر (ع) فى قوله: وَ ظَنَّ دَاوُدُ أَيَّ عِلْمٍ وَ أَنَابَ أَيُّ تَابٍ، وَ ذَكَرَ أَنَّ دَاوُدَ كَتَبَ إِلَى صَاحِبِهِ أَنْ
لَا تَقْدَمَ أَوْرِيَا بَيْنَ يَدَيِ الثَّابُوتِ وَ رَدَّهُ، فَقَدِمَ أَوْرِيَا إِلَى أَهْلِهِ وَ مَكَثَ ثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ ثُمَّ مَاتَ» (٢).

و هى تنفى عن داود (ع) تهمة إرسال أوريا للقتل، و التى أوردتها الروايه السابقه.

جدير ذكره أنّ الكثير من علماء الرجال قد توقفوا فى قبول أسناد روايات تفسير القمى لعدم ثبوت وثاقه روايه و عدم ثبوت نسبه
الكتاب إلى على بن إبراهيم القمى الثقه، إذ إنّ راوييه يروى عن أبى الفضل العباس العلوى و كلاهما مجهولان عند أصحاب
الحديث، فالإسناد إلى هذا التفسير مقطوع أو مجهول اصطلاحا (٣).

رأى الشيخ الطوسى (ت: ٤٦٠ هـ):

ذكر الشيخ الطوسى الأقوال المختلفه فى الروايه مرجحا أنّ الآيه منصرفه إلى ما يتعلّق بأدب القضاء دون باقى الوجوه التى لا تليق
بالأنبياء، و حكم على روايه عشق داود لامرأه أوريا بالوضع و البطلان، مستندا إلى الحديث المروى عن على (ع)، فقال:

«و قيل: إنّه خطب امرأه كان أوريا بن حيان قد خطبها فدخل فى سومه، فاخثاروه عليه فعاتبه الله على ذلك، لأنّ الأنبياء يتزهدون
عن ذلك، و إن كان مباحا لأنّه ممّا

(١) - الأخبار الدخيله/ ج ١ / ص ٢١٧.

(٢) - تفسير القمى/ ج ٢ / ص ٢٠٦.

(٣) - صيانه القرآن من التحريف/ ص ٢٣٠.

ينفر على بعض الوجوه. وقيل: بل انفذ به إلى غزوه، وكان يحب أن يستشهد ليتزوج امرأته لأنهما كانا تحاكما إليه فوقت امرأته في قلبه و اشتهاها شهوه الطباع من غير أن يحدث أمرا قبيحا.

و أولى الوجوه ما قدّمناه أنه ترك الندب في ما يتعلق بأدب القضاء، لأن باقى الوجوه ينبغى أن ينزه الأنبياء عنها لأنها تنفر فى العاده عن قبول أقوالهم.

فأما ما يقول بعض الجهال من القصاص أن داود عشق امرأه أوريا، وأنه أمره بأن يخرج إلى الغزو، وأن يتقدم أمام التابوت و كان من يتقدم التابوت من شرطه ألا يرجع إلا أن يغلب أو يقتل، فخر باطل موضوع، و هو مع ذلك خبر واحد لا أصل له و لا يجوز أن تقبل أخبار الآحاد فى ما يتضمن فى الأنبياء ما لا- يجوز على أدون الناس، فان الله نزههم عن هذه المنزله و أعلى قدرهم عنها. و قد قال الله تعالى **اللَّهُ يَصِيطُ فِي مَنِ الْمَلَائِكَةُ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ** «١» و قال: **وَلَقَدْ اخْتَرْنَاَهُمْ عَلَى عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ** «٢»، فكيف يختار تعالى من يتعشق نساء أصحابه و يعرضهم من غير استحقاق؟

و لا يجوز مثل هذا على الأنبياء إلا من لا يعرف مقدارهم و لا يعتقد منزلتهم التى خصهم الله فيها نعوذ بالله من سوء التوفيق.

و قد روى عن عليّ (ع) أنه قال: لا أوتى برجل يقول إن داود ارتكب فاحشه إلا ضربته حدّين أحدهما للقذف و الآخر لأجل النبوه «٣».

رأى الشيخ الطبرسى (ت: ٥٤٣هـ):

و قد فصل الطبرسى القول فى ذكر الوجوه المذكوره فى الآيه، و منها وجوه عديده

(١) - الحج / ٧٥.

(٢) - الدخان / ٣٢.

(٣) - التبيان فى تفسير

مقبوله، أما قصه أوريا فرفضها واصفا لها بالفساد، لأنها تقدح في عداله داود، و هو من الأنبياء الذين يجلون عن ذلك.

فقال: «و اختلف في استغفار داود (ع) من أى شىء كان، فقيل: إنه حصل منه على سبيل الانقطاع إلى الله تعالى، و الخضوع له، و التذلل بالعباده و السجود، كما حكى سبحانه عن إبراهيم (ع) بقوله: وَ الَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يُغْفَرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ. و أما قوله: فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكََ فالمعنى: إننا قبلناه منه، و أثبناه عليه. فأخرجه على لفظ الجزاء مثل قوله: يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَ هُوَ خَادِعُهُمْ، و قوله: اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ. فلما كان المقصود من الاستغفار و التوبه القبول، قيل في جوابه: غفرنا.

و هذا قول من ينزه الأنبياء عن جميع الذنوب، من الإماميه و غيرهم، و من جوز على الأنبياء الصغائر قال: إن استغفاره كان لذنوب صغير وقع منه.

ثم إنهم اختلفوا في ذلك على وجوه:

أحدها: أن أوريا بن حيان خطب امرأه، و كان أهلها أرادوا أن يزوجوها منه، فبلغ داود جمالها، فخطبها أيضا فزوجوها منه، فقدموه على أوريا، فعوتب داود على الحرص على الدنيا، عن الجبائي.

و ثانيها: أنه أخرج أوريا إلى بعض ثغوره، فقتل فلم يجزع عليه جزعه على أمثاله من جنده، إذ مالت نفسه إلى نكاح امرأته، فعوتب على ذلك بنزول الملكين.

و ثالثها: أنه كان في شريعته أن الرجل إذا مات و خلف امرأه، فأولياؤه أحق بها إلا أن يرغبوا عن التزويج بها، فحينئذ يجوز لغيرهم أن يتزوج بها. فلما قتل أوريا خطب داود (ع) امرأته، و منعت هيبه داود و جلالته أولياءه أن يخطبوها، فعوتب على

ذلك.

و رابعها: أنّ داود كان متشاغلا- بالعبادة، فأتاه رجل و امرأه متحاكمين إليه، فنظر إلى المرأه ليعرفها بعينها، و ذلك نظر مباح، فمالت نفسه إليها ميل الطباع ففصل بينهما،

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٢٣٥

و عاد إلى عباده ربّه، فشغله الفكر في أمرها عن بعض نوافله، فعوتب.

و خامسها: أنّه عوتب على عجلته في الحكم، قبل التثبت، و كان يجب عليه حين سمع الدعوى من أحد الخصمين، أن يسأل الآخر عمّا عنده فيها، و لا يحكم عليه قبل ذلك. و إنّما أنساه التثبت في الحكم فزعه من دخولهما عليه في غير وقت العاده.

ثمّ ذكر الطبرسي ما رواه الطبري و غيره في قصّه أوريا، قائلا: «و أمّا ما ذكر في القصّه ... فمّمّا لا شبهه في فساده «١»، فإن ذلك ممّا يقدح في العدالة، فكيف يجوز أن يكون أنبياء الله الذين هم أمناؤه على وحيه، و سفراؤه بينه و بين خلقه، بصفه من لا تقبل شهادته، و على حاله تنفر عن الاستماع إليه، و القبول منه؟ جلّ أنبياء الله عن ذلك.

و قد روى عن أمير المؤمنين (ع) أنّه قال: لا أوتى برجل يزعم أن داود يتزوج امرأه أوريا، إلّا جلدته حدّين: حدّا للنبوه، و حدّا للإسلام.

و قال أبو مسلم: لا يمتنع أن يكون الداخلان على داود، كانا خصمين من البشر، و أن يكون ذكر النعاج محمولا على الحقيقه دون الكنايه، و إنّما خاف منهما لدخولهما من غير إذن، و على غير مجرى العاده. و إنّما عوتب على أنّه حكم بالظلم على المدعى عليه قبل أن يسأله «٢».

رأى الفيض الكاشاني (ت: ١٠٦١هـ):

و قد ردّ الكاشاني قصّه أوريا بما ورد من الروايات عن أهل البيت (ع) في ردّ القصه

و تنزيه ساحه داود (ع)، و الروايات عنهم في ذلك متعدده، مما يدل على خطوره ما نسب إليه (ع)، و آثاره السلبيه في الناس تجاه سائر الأنبياء، كما أشار الصافي إلى روايه القمي و لكنّه أردف بالقول: «و كذب الإمام الرضا (ع)».

(١)- جواب أمّا في قوله: و أمّا ما ذكر في القصة أن داود ...

(٢)- مجمع البيان في تفسير القرآن/ ج ٨/ ص ٣٥٤.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٢٣٦

قال الفيض الكاشاني:

«و في العيون عن الرضا (ع) في حديث عصمه الأنبياء قال: و أمّا داود فما يقول من قبلكم فيه؟ فقيل يقولون: إنّ داود (ع) كان يصلّي في محرابه إذ تصوّر له إبليس على صورته طير أحسن ما يكون من الطيور ففقطع داود (ع) صلواته و قام ليأخذ الطير، فخرج الطير إلى الدار، فخرج في أثره فطار إلى السطح، فصعد السطح في طلبه فسقط الطير في دار أوريا بن حنان، فاطّلع داود (ع) في أثر الطير فإذا بامرأه أوريا تغتسل، فلمّا نظر إليها هواها، و كان قد أخرج أوريا في بعض غزواته فكتب إلى صاحبه أن قدّم أوريا أمام التابوت، فقدّم فظفر أوريا بالمشركين، فصعب ذلك على داود (ع)، فكتب إليه ثانيه أن قدّمه أمام التابوت، فقدّم فقتل أوريا، فتروّج داود (ع) بامرأته.

قال: فضرب الرضا (ع) يده على جبهته و قال: إنّنا لله و إنّنا إليه راجعون، لقد نسبتم نبينا من أنبياء الله إلى التهاون بصلواته حتّى خرج في أثر الطير ثمّ بالفاحشه ثمّ بالقتل.

فقيل: يا ابن رسول الله فما كانت خطيئته؟

فقال: ويحك إنّ داود (ع) أمّا ظنّ أنّه ما خلق الله عزّ و جلّ خلقا هو أعلم منه،

فبعث الله عز و جل إليه الملكين فتسورا المحراب فقالا له: خَصِيْمَانِ بَغِي بَعْضُنَا عَلَي بَعْضٍ فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَ لَا تُشْطِطْ وَ اِهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ* إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَ تِسْعُونَ نَعَجَةً وَ لِي نَعَجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَ عَزَّنِي فِي الْخِطَابِ.

فعجّل داود (ع) على المدعى عليه فقال: لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعَجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ وَ لَمْ يَسْأَلِ الْمُدْعَى الْبَيِّنَةَ عَلَى ذَلِكَ وَ لَمْ يَقْبَلْ عَلَى الْمُدْعَى عَلَيْهِ فَيَقُولُ لَهُ مَا تَقُولُ، فَكَانَ هَذَا خَطِيئَتَهُ رَسْمَ الْحَكْمِ، لَا- مَا ذَهَبْتُمْ إِلَيْهِ، أَلَا- تَسْمَعُ اللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ إِلَى آخِرِ الْآيَةِ.

فقيل: يا ابن رسول الله! فما قصته مع أوريا؟

قال الرضا (ع): إِنَّ الْمَرْأَةَ فِي أَيَّامِ دَاوُدَ (ع) كَانَتْ إِذَا مَاتَ بَعْلُهَا أَوْ قَتَلَ لَا تَتَزَوَّجُ بَعْدَهُ أَبَدًا، وَ أَوَّلُ مَنْ أَبَاحَ اللَّهُ لَهُ أَنْ يَتَزَوَّجَ بِامْرَأَةِ قَتَلَ بَعْلُهَا كَانَ دَاوُدَ (ع) فَتَزَوَّجَ التَّفْسِيرَ بِالْمَأْثُورِ وَ تَطْوِيرَهُ عِنْدَ الشَّيْعَةِ، ص: ٢٣٧

بامرأه أوريا لما قتل و انقضت عدتها، فذلك الذي شق على الناس من قبل أوريا «١».

و روى القمي عن الصادق (ع) ما يقرب مما روته العامه، و كذبه الرضا (ع) - كما مر - مع زيادات و فيه ما فيه، و عن الباقر (ع) في قوله: وَ ظَنَّ دَاوُدَ (ع) أَي عِلْمٍ، وَ أَنَابَ أَي وَ ذَكَرَ أَنَّ دَاوُدَ (ع) كَتَبَ إِلَى صَاحِبِهِ أَنْ لَا تَقْدَمَ أَوْرِيَا بَيْنَ يَدَيِ التَّابُوتِ وَ رَدَّهُ، فَقَدِمَ أَوْرِيَا إِلَى أَهْلِهِ وَ مَكَثَ ثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ ثُمَّ مَاتَ.

رأى العلامة الطباطبائي:

أشار العلامة الطباطبائي إلى روايات الدر المنثور عن أنس و مجاهد و السدي و بعده طرق عن ابن عباس و روايه القمي

مثلها ثم ذكر ملخص ما أتى به الطبرسى فى مجمع البيان و رده الروايات، إلا أنه لم يكتف بذلك بل تابع الأمر فبين أن القصة مأخوذة من التوراه مع شىء من التعديل فقال:

«و القصة مأخوذة من التوراه غير أن التى فيها أشنع و أفضع فعدلت بعض التعديل على ما سيلوح لك.

ففى التوراه ما ملخصه: و كان فى وقت المساء أن داود قام عن سريره و تمشى على سطح بيت الملك فرأى من على السطح امرأه تستحم و كانت المرأه جميله المنظر جدًا.

فأرسل داود و سأل عن المرأه فقيل: إنها بتشبع امرأه أوريا الحثى، فأرسل داود رسلا و أخذها فدخلت عليه فاضطجع معها و هى مطهره من طمئتها ثم رجعت إلى بيتها و حبلت المرأه فأرسلت و أخبرت داود أنها حبلت.

و كان أوريا فى جيش لداود يحاربون بنى عمون فكتب داود إلى يوبأ أمير جيشه يأمره بإرسال أوريا إليه، و لما أتاه و أقام عنده أياما كتب مكتوبا إلى يوبأ و أرسله بيد أوريا، و كتب فى المكتوب يقول: اجعلوا أوريا فى وجه الحرب الشديده و ارجعوا

(١) - عيون أخبار الرضا/ ج ٢/ ص ١٧١ و ١٧٢.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٢٣٨

من ورائه فيضرب و يموت، ففعل به ذلك فقتل و اخبر داود بذلك.

فلما سمعت امرأه أوريا أنه قد مات نذبت بعلمها، و لما مضت المناحه أرسل داود و ضمها إلى بيته و صارت له امرأه و ولدت له ابنا، و أمأ الأمر الذى فعله داود فقبح فى عينى الرب.

فأرسل الرب ناثان النبى إلى داود فجاء إليه و قال له: كان رجلان فى مدينه واحده و احدهما غنى و الآخر فقير،

و كان للغنى غنم و بقر كثيره جدًا و أمّيا الفقير فلم يكن له شىء إلا نعجه واحده صغيره قد اقتناها و ربّاهَا، فجاء ضيف إلى الرجل الغنى ففضل أن يأخذ من غنمه و من بقره ليهيئ للضيف المذى جاء إليه فأخذ نعجه الرجل الفقير و هياها لضيفه، فحمى غضب داود على الرجل جدًا، و قال لناثان: حى هو الرب إنه يقتل الرجل الفاعل ذلك و ترد النعجه أربعه أضعاف لأنّه فعل هذا الأمر و لأنّه لم يشفق.

فقال ناثان لداود: أنت هو الرجل يعاتبك الرب و يقول: سأقيم عليك الشرّ من بيتك و آخذ نساءك أمام عينيك و اعطيهنّ لقريبك فيضطجع معهنّ قدام جميع بنى إسرائيل و قدام الشمس جزاء لما فعلت بأوريا و امرأته.

فقال داود لناثان: قد أخطأت إلى الرب، فقال ناثان لداود: الرب أيضا قد نقل عنك خطيئتك. لا تموت غير أنه من أجل أنك قد جعلت بهذا الأمر أعداء الرب يشمتون فالابن المولود لك من المرأة يموت، فأمرض الله الصبي سبعة أيّام ثم قبضه ثم ولدت امرأه أوريا بعده لداود ابنه سليمان».

ثم ذكر الطباطبائي روايتى العيون «١» و أمالى الصدوق عن الرضا (ع) و الصادق (ع) فى رد هذه المقالات «٢».

(١) - عيون أخبار الرضا (ع).

(٢) - الميزان/ ج ١٧/ ص ١٩٨.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٢٣٩

٢- قصه النبي سليمان (ع):

إشارة

أ- فى قوله تعالى: وَ هَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نَعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ * إِذْ عَرَضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ * فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ * رُدُّوهَا عَلَيَّ فَفَطِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَ الْأَعْنَاقِ (ص / ٢٠ - ٢٣).

روى السيوطى عدّه روايات فى تفسير هذه الآيات ملخصها: أنّ سليمان (ع) عرضت

عليه الخيل فاشتغل بها عن الصلاة، فقال: و الله لا تشغلني عن عباده الله تعالى جزها علي، فكشف عراقبيها و ضرب أعناقها.

ثم ذكر عدّه روايات في صفات الخيل أنّها كانت ذات أجنحة اخرجت له من البحر لم تكن لأحد قبله و لا بعده، و أنّها كانت عشرين ألف فرس ذات أجنحة فعقرها، إذ قطع سوقها و أعناقها بالسيف!...

و عن كعب في قوله: حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ قَالَ: حجاب من ياقوت أخضر محيط بالخلائق فمنه اخضرت السماء التي يقال لها السماء الخضراء، و اخضر البحر من السماء فمن ثمّ يقال: البحر الأخضر!! «١».

و يلاحظ في الروايات امور لا تليق بمقام الأنبياء، إذ كيف يأمر نبي بقطع رقاب الخيل، و هي لا ذنب لها سواء كانت أربعة عشر كما في بعض الروايات أو عشرين ألفا- في روايات أخرى- و هو ممّا لا يمكن تصوّره، و الروايات عن كعب الأحبار، و هو ممّن اشتهرت عنه الاسرائيليات.

رأى المفسرين الشيعة فيها:

عبّر صاحب الميزان عن خلاصه آراء المفسرين الشيعة في تلك الروايات مبتدئا برأى صاحب مجمع البيان، و روايته عن علي (ع) في نفى رأى كعب _____ الب _____ الذي ذكره ابن

(١)- الدرّ المنثور/ ج ٧/ ص ١٧٧.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٢٤٠

عباس، و ينتهي الطباطبائي بالرأى إلى أنّ هذه الرواية من الاسرائيليات، التي لعبت بها أيدي الوضع، فمما قال:

«في المجمع في قوله تعالى: فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي ...، قيل: إنّ هذه الخيل كانت شغلته عن صلاة العصر حتّى فات وقتها، عن علي (ع)، و في روايه أصحابنا أنّه فاته أوّل الوقت.

و فيه قال ابن عباس: سألت عليا عن هذه الآية فقال: ما بلغك فيها

يا ابن عباس؟

قلت: سمعت كعبا يقول: اشتغل سليمان بعرض الأفراس حتى فاتته الصلاة، فقال:

ردوها عليّ يعني الأفراس و كانت أربعة عشر فأمر بضرب سوقها و أعناقها بالسيف فقتلها فسلبه الله ملكه أربعة عشر يوما لأنه ظلم الخيل بقتلها.

فقال عليّ: كذب كعب، لكن اشتغل سليمان بعرض الأفراس ذات يوم لأنه أراد جهاد العدو، حتى توارت الشمس بالحجاب فقال بأمر الله للملائكة الموكلين بالشمس: ردوها عليّ فردت فصلّى العصر في وقتها، و إن أنبياء الله لا يظلمون و لا يأمرن بالظلم لأنهم معصومون مطهرون».

ثم علق الطباطبائي على الروايات قائلا: «و أمّا عقره الخيل و ضربه أعناقها بالسيف فقد روى من طرق أهل السنّه و أورده القمي في تفسيره و كأنها تنتهي إلى كعب الأخبار كما في رواية ابن عباس المتقدمه، و كيف كان فلا يعبا بها كما تقدّم...».

و أشار إلى ما في الروايات من إغراق و قال:

«و مثل هذه الروايات أعاجيب من القصص رووها في قوله تعالى: وَ أَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً ...

و ما روى أنه قال يوما: لأطوفنّ الليله بمائه امرأه من نسائي ...

و ما روى في روايات كثيره تنتهي في عدّه منها إلى ابن عباس، و هو يصرّح في بعضها أنه أخذه عن كعب أن ملك سليمان كان في خاتمه فتخطفه شيطان منه، فزال التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٢٤١

ملكه و تسلط الشيطان على ملكه أيّاماً، ثم أعاد الله الخاتم إليه فعاد إلى ما كان عليه من الملك، و قد أوردوا في القصّه امورا ينبغي أن تنزّه ساحه الأنبياء عن ذكرها فضلا عن نسبتها إليهم.

فهذه كلّها ممّا لا يعبا بها على ما تقدمت الاشارة إليه و إنّما هي ممّا

لعبت بها أيدي الوضع» (١).

٣- قصه خاتم سليمان (ع):

أمياً روايات خاتم سليمان التي أشار إليها الطباطبائي، فهي ما رواها الدر المنثور، وفيها عجائب و منكرات لا يمكن تصورها فضلاً عن قبولها، ومع ذلك فقد رواها السيوطي و من قبله الطبري دون أي تعقيب، و ممّا فيها عن ابن عباس: «أراد سليمان (ع) أن يدخل الخلاء، فأعطى الجراد خاتمه، و كانت جراده امرأته، و كانت أحبّ نسائه إليه فجاء الشيطان في صوره سليمان، فقال لها: هاتي خاتمي فأعطته، فلما لبسه دانت له الجن و الانس و الشياطين، فلما خرج سليمان (ع) من الخلاء قال لها: هاتي خاتمي، فقالت: قد أعطيته سليمان، قال: أنا سليمان، قالت: كذبت لست سليمان، فجعل لا يأتي أحدا يقول أنا سليمان إلّا كذبه حتّى جعل الصبيان يرمونه بالحجاره، فلما رأى ذلك عرف أنّه من أمر الله عزّ و جلّ، و قام الشيطان يحكم بين الناس.

فلما أراد الله تعالى أن يرّد على سليمان (ع) سلطانه، ألقى في قلوب الناس انكار ذلك الشيطان، فأرسلوا إلى نساء سليمان (ع) فقالوا لهن: أ يكون من سليمان شيء؟

قلن: نعم، إنّه يأتينا و نحن حيض، و ما كان يأتينا من قبل...» (٢).

و روى السيوطي كما في الدر المنثور ان ابن عباس قد علم قصه سليمان من كعب الأخبار (٣).

(١)- الميزان/ ج ١٧/ ص ٢٠٧-٢٠٨.

(٢)- الدر المنثور/ ج ٧/ ص ١٧٩.

(٣)- م. ن/ ص ١٨.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٢٤٢

و العجيب أنّه كيف مرّت هذه القصه على المفسرين مع ما فيها من منافيات الدين و العقل؟ إذ كيف يكون الحكم و السلطان في خاتم؟ و كيف يكون من أمر الله: أن

يحكم الشيطان الناس، ويعبث هذا الشيطان نتيجه هذا الأمر حتى يدخل على نساء سليمان و يعمل ما يعمل ... و العياذ بالله؟ فما هي إلا صورته مشوهه من التشويهات التي لحقت بعقائد أهل الكتاب و نقلها كعب و أمثاله إلى حظيره الاسلام.

٤- قصه هاروت و ماروت:

اشاره

و من أمثله الاسرائيليات فى التفسير، أنهم ذكروا روايات فيها قصص لا يتقبلها عقل و لا وجدان، و لا تنسجم مع المعتقدات الاسلاميه، فهي تنسب إلى الملائكه أو الأنبياء أمورا غير لائقه، و قد تأتى بتفصيلات نسجتها خيالات واهمه بعيده عن الواقع و لا يصدقها العلم، و من أبرز هذه الروايات هي:

فى تفسير قوله تعالى: وَ اتَّبِعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَ مَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَ لَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَ مَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَ مارُوتَ وَ مَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَ زَوْجِهِ وَ مَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَ يَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَ لَا يَنْفَعُهُمْ وَ لَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ وَ لَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ* وَ لَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَ اتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (البقره/ ١٠٢، ١٠٣).

رأى الطبرى و السيوطى:

ففى الدر المنثور: أخرج سعيد و ابن جرير فى تاريخه عن نافع، قال: سافرت مع ابن عمر، فلما كان من آخر الليل قال: يا نافع انظر هل طلعت الحمراء؟ قلت: لا- مرتين أو ثلاثا- ثم قلت: قد طلعت. قال: لا مرحبا بها و لا أهلا. قلت: سبحان التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٢٤٣

الله...! نجم مسخر سامع مطيع؟ قال: ما قلت لك إنما ما سمعت من رسول الله (ص) قال: «إن الملائكة قالت: يا رب كيف صبرك على بنى آدم فى الخطايا و الذنوب؟ قال:

إنى ابتليتهم و عافيتكم. قالوا: لو كنا مكانهم ما

عصيناك. قال: فاخترتوا ملكين منكم، فلم يألوا جهدا أن يختاروا، فاخترتوا هاروت و ماروت فنزلا، فألقى الله عليهم الشبق. قلت: وما الشبق؟ قال: الشبهوه. فجاءت امرأه يقال لها الزهره، فوقع في قلوبهما، فجعل كل واحد منهما يخفى عن صاحبه ما في نفسه، ثم قال أحدهما للآخر:

هل وقع في نفسك ما وقع في قلبي؟ قال: نعم، فطلبها لأنفسهما، فقالت: لا أمكنكما حتى تعلماني الاسم الذى تعرجان به إلى السماء و تهبطان، فأبىا، ثم سألاها أيضا فأبت، ففعلا، فلما استطيرت طمسها الله كوكبا و قطع أجنحتهما، ثم سألا التوبه من ربهما فخيرهما فقال: إن شئتما رددتكما إلى ما كنتما عليه، فإذا كان يوم القيامة عدبتكما، و إن شئتما عدبتكما فى الدنيا، فإذا كان يوم القيامة رددتكما إلى ما كنتما عليه.

فقال أحدهما لصاحبه: إن عذاب الدنيا ينقطع و يزول، فاخترت عذاب الدنيا على عذاب الآخرة. فأوحى الله إليهما: أن اثتيا بابل. فانقطعا إلى بابل، فحسف بهما، فهما منكوسان بين السماء و الأرض معدبان إلى يوم القيامة».

و أخرج سعيد بن منصور عن مجاهد قال: كنت مع ابن عمر فى سفر، فقال لى:

ارمق الكوكب، فإذا طلعت أيقظنى، فلما طلعت أيقظته فاستوى جالسا، فجعل ينظر إليها و يسبها سبًا شديدا، فقلت: يرحمك الله أبا عبد الرحمن، نجم ساطع مطيع ما له تسبته؟! فقال: أما انّ هذه كانت بغيا فى بنى إسرائيل، فلقى الملكان منها ما لقا «١».

وفيه روايات أخرى كثيرة و بطرق متعدده تفيد بأنّ المرأه التى فتن بها الملكان مسخت، فهى الكوكبه الحمراء: الزهره، و فى بعضها أنّ الملكين شربا الخمر و وقعا على المرأه و قتلا صبيا «٢»، و أنّ المرأه كانت على دين المجوسيه و أقرّ

(١)- الدرّ المشثور/ ج ١/ ص ٢٤٠.

(٢)- م. ن/ ص ١١٤.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٢٤٤

و أتيها، و فى أخرى: أنّهما شربا الخمر و قتلنا نفسا- بغير حقّ- و سجدا للّصنم الّذى كانت تعبده المرأه....

و رواها الطبرى عن ابن عباس و ابن مسعود و على و السدى و الربيع و ابن عمر و مجاهد و روايتين عن كعب الأحبار، و جميعها لم ترتفع إلى رسول الله (ص)، و إنّما رووها من باب الحكايه و القصّه، إلّا روايه ابن عمر التى رفعها إلى رسول الله (ص) «١».

رأى ابن كثير:

و روى ابن كثير روايه الطبرى تلك عن ابن عمر، و لكنّه أرجعها إلى روايه ابن عمر عن كعب الأحبار الّذى يروى الاسرائيليات، قال: «و أقرب ما يكون فى هذا أنّه من روايه عبد الله بن عمر عن كعب الأحبار، لا- عن النبىّ (ص)، كما قال عبد الرزّاق فى تفسيره عن الثورى، عن موسى بن عقبه عن سالم عن ابن عمر عن كعب الأحبار...»، حيث أنّه اعتبر إسناد روايات ابن عمر عن كعب و قدّمها على غيرها، ثمّ قال: «فدار الحديث، و رجع إلى نقل كعب الأحبار عن كتب بنى إسرائيل، و الله أعلم» «٢».

ثمّ ردّ جمعا آخر من الروايات فى ذلك و قال: «... و قصّيهما جمع من المفسّرين من المتقدّمين و المتأخّرين، و حاصلها راجع فى تفصيلها إلى أخبار بنى إسرائيل، إذ ليس فيها حديث مرفوع صحيح متّصل الاسناد إلى الصادق المصدوق المعصوم الّذى لا ينطق عن الهوى، و ظاهر سياق القرآن إجمال القصّه من غير بسط و لا إطناب، فنحن نؤمن بما ورد فى القرآن على ما

(١)- الطبرى/ ج ١/ ص ٤٥٨.

(٢)- تفسير ابن كثير، ج ١/ ص ٢٤٣.

(٣)- م. ن/ ص ٢٤٨.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٢٤٥

رأى المفسرين الشيعة:

الطوسى: فصل الطوسى ابتداء القول فى قراءه و ما أنزل على المَلَكَيْنِ إلى قولين:

أحدهما: بكسر اللام فى الملكين، و هو قول أبى الأسود الدؤلى، و الربيع، و الضحّاك، و به قرأ الحسن البصرى و رواها عن ابن عباس، ثم ذكر اختلاف الأقوال فيهما فقالوا:

هما من ملوك بابل و علوجها- أشدائها-، أو أنّهما نبيان من أنبياء الله.

و الثانى: من قرأ بفتح اللام فى الملكين، و هى قراءه الجمهور، فقال قوم أنّهما كانا ملكين، و آخرون: كانا شيطانين، و قال قوم: هما جبريل و ميكائيل خاصه

ثم ذكر فى بيان أنّهما ملكان، ثلاثه أقوال هى:

١- من قال: أنّ سحره اليهود زعموا أنّ الله أنزل السحر على لسان جبريل و ميكائيل إلى سليمان، فأكذبهم الله بذلك

٢- و قال قوم: إنّ الله أهبطهما ليأمر بالدين و ينهى عن السحر

٣- و قال قوم: كان سبب هبوطهما أنّ الملائكة تعجبت من معاصى بنى آدم ...

و ذكر الروايه و نسبها إلى كعب، ثم عقب بقوله: «و من قال بعصمه الملائكة- و هو ممن يقول بذلك- لم يجز هذا الوجه» (١).

الطبرسى: و سار على نهج الطوسى، فعّد الآراء الواردة فى تفسير الآيه، و انتهى بذكر روايه العياشى التى رفعها إلى الباقى (ع) بنفس مضمون الروايات المذكوره فى الدرّ المنثور و غيره، و ختم بقول الطوسى: «و من قال بعصمه الأنبياء لم يجز هذا الوجه»

الطباطبائي: أمّا العلّامه الطباطبائي فقد ناقش الروايات من حيث المتن،

(١)- التبيان/ ج ١/ ص ٣٧٦.

(٢)- مجمع البيان/ ج ١/ فى تفسيره للآيه.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٢٤٦

إشارته إلى تصحيح السند من بعضهم، إشاره يؤكد فيها مبناه من أنّ صحّحه السند لا تدلّ على صحّحه الحديث؛ لذا راح يردّ الحديث لطعنه فى نزاهه الأنبياء (ع)، ولاشتماله على مسائل تخالف العقل، فقال:

«وقد روى قريب منه فى بعض كتب الشيعة مرفوعا عن الباقر (ع)، و روى السيوطى فيما يقرب من هذا المعنى فى أمر هاروت و ماروت و الزهره نيفا و عشرين حديثا، صرّحوا بصحّحه طريق بعضها. و فى منتهى أسنادها عدّه من الصحابه كإبن عباس و ابن مسعود و علىّ و أبى الدرداء و عمر و عائشه و ابن عمر. و هذه قصّه خرافيه تنسب إلى الملائكه المكرّمين الذين نصّ القرآن على نزاهه ساحتهم و طهاره وجودهم عن الشّرك و المعصيه أغلظ الشّرك و أقبح المعصيه، و هو: عباده الصّنم و القتل و الزّنا و شرب الخمر، و تنسب إلى كوكبه الزهره أنّها امرأه زانيه مسخت- و أنّها اضحوكه- و هى كوكبه سماويه طاهره فى طبيعتها و صنعها، أقسم الله تعالى بها فى قوله:

الْجَوَارِ الْكُنُوسِ (التكوير/ ١٦) على أنّ علم الفلك أظهر اليوم هويّتها و كشف عن عنصرها و كمّيّتها و كيفيّتها و سائر شئونها.

فهذه القصّه كالتى قبلها فى الروايه السابقه تطابق ما عند اليهود على ما قيل: من قصّه هاروت و ماروت، تلك القصّه الخرافيه التى تشبه خرافات اليونان فى الكواكب و النجوم.

و من هاهنا يظهر للباحث المتأمل: أنّ هذه الأحاديث كغيرها الوارده فى مطاعن الأنبياء و عثراتهم، لا تخلو من دسّ دسّته اليهود فيها،

و تكشف عن تسربهم الدقيق و نفوذهم العميق بين أصحاب الحديث فى الصدر الأول، فقد لعبوا فى رواياتهم بكل ما شاءوا من الدسّ و الخلط، و أعانهم على ذلك قوم آخرون» (١).

و نجد نظير ما فى هذه القصّه من تفاصيل لا تعقل و لا تقبل، فى روايات التفسير

(١)- الميزان/ ج ١ / تفسيره للآيه.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٢٤٧

المذكوره فى تفاصيل معظم القصص الوارده فى القرآن، و كذلك تفاصيل تتعلّق بعمر الدّنيا و بدء الخلق و أسرار الوجود و تحليل بعض الظواهر الكونيه، نعرض عنها بغيه للاختصار (١).

معيار التعامل مع الإسرائيليات عند المفسرين الشيعة:

توقف المفسّرون الشيعة فى قبول الاسرائيليات التى تمس الامور العقيديه أو المسائل الأساسيه فى الشريعه كقضايا التوحيد و النبوه و عصمه الأنبياء (ع)، و اعتبروا المعيار الصحيح فى قبول هذه الروايات أو ردّها هو الرّجوع إلى القرآن الكريم نفسه و محاكمه الروايات وفقا لاصوله و مبادئه و تفسير آياته و سياق نزولها؛ لأنّ الله تعالى قد تكفل بحفظ القرآن الكريم و بقائه، كما أنّ الرسول (ص) جعل القرآن الميزان لقبول الروايات أو ردّها، قال الطباطبائى:

«... لكن الله عزّ اسمه جعل كتابه فى محفظه إلهيه من هوسات المتهولين من أعدائه، كلّما استرق السمع شيطان من شياطينهم أتبعه بشهاب مبین، فقال عزّ من قائل: إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذُّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (الحجر / ١٩)، و قال: ... وَ إِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ* لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَ لَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ (فصّلت / ٤١ و ٤٢)، و قال: وَ نُزِّلَ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شَفَاءٌ وَ رَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَ لَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَاراً (الإسراء / ٨٢). فأطلق القول و لم يقيد،

فما من خلط أو دسّ إلّا و يدفعه القرآن و يظهر خساره صاحبه بالكشف عن حاله و إقراء صفحه تاريخه.

و قال رسول الله (ص) فيما رواه الفريقان: (ما وافق كتاب الله فخذوه و ما خالفه فاتركوه)، فأعطى ميزانا كلياً توزن به المعارف المنقوله منه و من أوليائه.

(١) - انظر: الاسرائيليات و الموضوعات / د. محمد بن محمد أبو شهبه / ص ١٥٩-٣٠٥، التفسير و المفسرون فى ثوبه القشيب / ج ٢ / ص ١٤٣ فما بعدها.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٢٤٨

و بالجملة فبالقرآن يدفع الباطل عن ساحه الحق، ثم لا يلبث أن يظهر بطلانه و يمات عن القلوب الحيه كما اميت عن الأعيان»
«١».

على أن موقف المفسرين الشيعة يختلف فى مقابل الاسرائيليات الاخرى التى لا تحمل معنى عقيديا، لذا فإنّ بعض الروايات الهامشيه قد أخذت طريقها إلى كتب التفسير الشيعيه القديمه، فإنهم قد رووا عابرا- مثلا- بعض ما ورد من تفاصيل بشأن قصه ذى القرنين و يأجوج و مأجوج دون ردّ أو قبول، مع نسبتها إلى قائلها، حتى لو كانوا ممن تروى عنهم الاسرائيليات كوهب أو غيره «٢»، و إن كان يلاحظ أنه قد ترك كثير ممّا روى فى هذا الباب و فيه غرائب، و لم يرو منها إلّا القليل.

و كذلك فعل الطبرسى، فروى فى قصه أصحاب الكهف من الروايات القريبه إلى فهم الآيات و ترك الكثير منها، ممّا لا فائده منها.

و مع ذلك فقد توقّف المفسرون المتأخرون الشيعة فى هذه الروايات لأنها «مختلفه اختلاقا عجيبا متعارضه متهافته...» و لأنها «مشملة على غرائب يستوحش منها الذوق السليم أو يحيلها العقل و ينكرها الوجود» فحكموا عليها بأنها: «غير سليمه عن الدسّ و الوضع و

مبالغات عجيبه فى وصف القصه، و أغربها ما روى من علماء اليهود الذين أسلموا كوهب بن منبه و كعب الأحبار...» (٣).

لذا نستطيع الاستنتاج بأنّ المفسّرين الشيعة المتقدمين و المتأخرين قد اتخذوا موقفا رافضا للإسرائيليات التى تحمل فهما عقيدا مشوها، أمّا غيرها من التفاصيل التى لا تضرّ بالعقيدته فربّما رواها المتقدمون فى تفاسيرهم مع عدم اعتناء بها، بل يروون ما كان قريبا من الآيات ضمن الآراء الواردة دون تعقيب، و لكنّهم يهملون و لا يروون

(١) - الميزان/ ج ١/ ص ٢٤٠.

(٢) - راجع مجمع البيان/ ج ٦/ ص ٢٩٩ - ٣٠٧.

(٣) - الميزان/ ج ١٣/ ص ٣٦٥.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٢٤٩

الكثير من الروايات الإسرائيليه التى هى أشبه بالخرافه منها بالصحة، خصوصا ما يتعلّق منها بالخلق و عجائب المخلوقات و الأرض و السماء و غيرها «١».

على أن ممّا لا يمكن الغرض عنه هو أن بعض الإسرائيليات المهمّه قد تسللت إلى طى تفسير القمى، و هو من المجاميع الروائيه فى التفسير، و قد علم من قبل أن راوييه مجهولان.

(١) - منها ما رواه السيوطى عن وهب بن منبه، قال: بلغنى أنّ الله لمّا أراد أن يخلق الفرس قال لريح الجنوب: إننى خالق منك خلقا... الدرّ المنثور/ ج ٥/ ص ١١١. و روايات كعب فى أجوج و مأجوج، الدرّ المنثور/ ج ٥/ ص ٤٥٥ و غيرها.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٢٥٠

٣- الغلو

إشاره

اتّجه بعض الباحثين فى التفسير إلى إصاق تهمه الغلو بمذهب الشيعة، و أن منهم الغلاة الذين رفعوا عليّا إلى مرتبه الآلهه فكفروا «١»، فى نفس الوقت الذى نجد- كما يأتى مفصلا- أنّ الشيعة يكفّرون الغلاة و يتبرءون

منهم و يلعنونهم.

كما ذهب هؤلاء إلى وصف كثير من «علماء الشيعة الإمامية» بالغلُو في التشيع و التطرف في العقيدة «٢» و أن بعض المفسرين الشيعة ينحو بتفسيره إلى حدّ التطرف و الغلو «٣».

و كان السبب الرئيس وراء هذه الاتهامات، هو منحى بعض المفسرين في تفسير بعض الآيات بالباطن من خلال بعض الروايات التي وصفها بعض الباحثين الشيعة أيضا بالغلُو و التحريف «٤».

لذا و نحن ندرس التفسير بالمأثور عند الشيعة الإمامية، كان لا بدّ لنا من دراسه الغلو، مفهوما و مصطلحا، و موقف الشيعة الاماميه عموما منه، و المفسرين منهم بشكل خاص.

الغلُو في كتب اللّغة:

قال الخليل: غلا السّعر يغلو غلاء، و غلا الناس في الأمر، أى جاوزوا حدّه، كغلو اليهود في دينها.

(١)- التفسير و المفسرون/ ج ١٢ / ص ١٤.

(٢)- م. ن / ج ٢ / ص ١١٤.

(٣)- م. ن / ص ١٦١ و ١٧٣.

(٤)- مقدّمه تفسير البرهان/ ص ٤١.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٢٥١

و قال الراغب: الغلو: تجاوز الحدّ، يقال ذلك إذا كان في السّعر غلاء، و إذا كان في القدر و المنزله غلوّ و فى السهم غلوّ، و أفعالها جميعا: غلا يغلو. قال تعالى: لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ (النساء / ١٧١).

و قال ابن منظور: و أصل الغلاء الارتفاع و مجاوزه القدر في كل شىء.

و غلا في الدّين و الأمر يغلو غلوًا: جاوز حدّه.

و قال بعضهم: غلوت في الأمر غلوا و غلانيه و غلانيا إذا جاوزت فيه الحد و أفرطت فيه.

و فى الحديث: إياكم و الغلوّ فى الدّين، أى التشدّد فيه و مجاوزه الحدّ. كالحديث الآخر: «إنّ هذا الدين متين فأوغل فيه برفق»

....

و منه الحديث: «و حامل القرآن غير الغالى فيه و لا

الجافى عنه». إنما قال ذلك لأن من آدابه و أخلاقه التى أمر بها القصد فى الامور و خير الامور أواسطها. و: كلا طرفى قصد الامور ذميم «١».

أقوال المفسرين فى الغلو:

فى تفسير الآيه: يا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فى دِينِكُمْ ...

قال الطبرى: «يعنى جلّ جلاله ... يقول: لا تجاوزوا الحقّ فى دينكم ففطرطوا فيه، و لا تقولوا فى عيسى غير الحق.

و أصل الغلو فى كل شىء: مجاوزة الحد الذى هو حدّه.

و قد حدّثنا المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا ابن أبى جعفر، عن أبيه، عن الربيع، قال: صاروا فريقين: فريقا غلوا فى الدين، فكان غلوهم فيه: الشك فيه و الرغبة عنه.

(١) - كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدى، مفردات القرآن للراغب الاصفهانى، لسان العرب لابن منظور.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٢٥٢

و فريقا منهم قصروا عنه ففسقوا عن أمر ربّهم «١».

و قال ابن كثير: «ينهى تعالى أهل الكتاب عن الغلو و الإطراء، و هذا كثير فى النصارى، فإنّهم تجاوزوا الحدّ فى عيسى حتّى رفعوه فوق المنزلة التى أعطاه الله إياها، فنقلوه من حيز النبوه إلى أن اتّخذوه إلها من دون الله يعبدونه كما يعبدونه. بل قد غلوا فى أتباعه و أشياعه ممّن زعم أنّه على دينه، فادّعوا فيهم العصمه و اتبعوهم فى كل ما قالوا سواء كان حقّا أو باطلا، أو اضلالا أو رشادا أو صحيحا أو كذبا، و لهذا قال الله تعالى: اتّخذوا أخبارهم و رهبانهم أرباباً من دون الله الآيه «٢».

ثمّ أورد ابن كثير بطرق متعدده قول الرسول (ص): (لا تطرونى كما أطرت النصارى عيسى بن مريم فإنّما أنا عبد فقولوا: عبد الله و رسوله ...) «٣».

و قال الطوسى:

«هذا خطاب من الله

تعالى لأهل الكتاب الذى هو الإنجيل و هم النصارى؛ نهاهم الله - تعالى - أن يغلوا فى دينهم بأن يجاوزوا الحق فيه، و يفرطوا فى دينهم، و لا يقولوا فى عيسى غير الحق، فان قولهم فى عيسى أنه ابن الله قول بغير الحق. لأنه (تعالى) لم يتخذ ولدا، فيكون عيسى أو غيره من خلقه ابنا له، و نهاهم أن يقولوا على الله إلّا الحق، و هو الاقرار بتوحيده و أنه لا شريك له و لا صاحبه و لا ولد.

(١) - الطبرى / جامع البيان / ج ٦ / ص ٣٥.

(٢) - ما ذهب إليه ابن كثير من أن من مصاديق الغلو أنهم: غلوا فى أتباعه و أشياعه مّمن زعم أنه على دينه فادّعوا فيهم العصمه ... فهو تجوّز فى المعنى، و إلّما فقد روى البعض عن النبىّ (ص) أنه قال: أصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم. و هو يفيد اطلاق العصمه بشكل ما على كل الأصحاب و الدعوه إلى الاقتداء بهم، مع اختلاف سيرتهم. و قد قال ابن حزم عن هذه الروايه حديث موضوع مكذوب باطل، و عدّه الألبانى فى الموضوعات: سلسله الأحاديث الضعيفه و الموضوعه / ج ١ / ص ٥٨.

(٣) - ابن كثير / تفسير القرآن العظيم / ج ٢ / ص ٤٥٨.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٢٥٣

و أصل الغلوّ فى كل شىء تجاوز حدّه، يقال: غلا فلان فى الدين يغلو غلوا «١».

و قال الطبرسى:

«المعنى: ثم عاد سبحانه إلى حجاج أهل الكتاب فقال: يا أهل الكتاب قيل أنه خطاب لليهود و النصارى، عن الحسن، قال: لأنّ النصارى غلت فى المسيح فقالت: هو ابن الله، و بعضهم قال: هو الله، و بعضهم قال: هو ثالث ثلاثه؛ الأب و الابن و

روح القدس، و اليهود غلت فيه حتى قالوا ولد لغير رشده- ضد زنيه- فالغلو لازم للفريقين.

وقيل: للنصارى خاصه، عن ابي على، و ابي مسلم و جماعه من المفسرين.

لا تَعْلُوا فِي دِينِكُمْ أَى: لا تفرطوا فى دينكم و لا تجاوزوا الحق فيه وَ لا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ أَى قولوا: إِنَّه جَلّ جلاله واحد لا شريك له، و لا صاحبه و لا ولد، و لا تقولوا فى عيسى إِنَّه ابن الله، أو شبهه فأنه قول بغير الحق» (٢).

خلاصه البحث فى الغلو بين كتب اللغه و التفسير:

اتفق أهل اللغه على أن الغلو: تجاوز الحد.

و اتفق المفسرون و هم من أئمه التفسير لدى الفريقين، أنه عنى المعنى اللغوى، و عبّروا عنه أنه فى الدين: تجاوز الحق و الافراط فيه.

و كان المثال المطروح هنا هو اضافة صفات الألوهيه على عيسى (ع) فتعدّوا بذلك على حريم الألوهيه لله تعالى، قال تعالى:

يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَعْلُوا فِي دِينِكُمْ وَ لَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّكُمْ أَلْمَسْتُمْ بِحُجُوعِ عِيسَى

(١)- الطوسى / التبيان / ج ٣ / ص ٣٩٩.

(٢)- الطبرسى / مجمع البيان / ج ٣ / ص ٢٤٦.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٢٥٤

ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَ كَلِمَتُهُ أَلْفَاها إِلَى مَرْيَمَ وَ رُوحٌ مِنْهُ فَمَا مَنُوا بِاللَّهِ وَ رُسُلِهِ وَ لا تَقُولُوا ثَلَاثَةً انْتَهَوْا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَ مَا فِي الْأَرْضِ وَ كَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا (النساء / ١٧١).

و نجد الصورة الاخرى فى سورة المائدة مكمله لهذه الصورة، إذ أن النهى عن الغلو يكون تفسيره و مراده هنا و هناك: و لا تقولوا على الله إلا الحق.

قال تعالى:

لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ

وَ قَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَ رَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَ مَا أُوَاهُ النَّارُ وَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ
أَنْصَارٍ * لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَ مَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَ إِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ
عَذَابٌ أَلِيمٌ * أَ فَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَ يَسْتَغْفِرُونَهُ وَ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ * مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَ أُمَّهُ
صِدِّيْقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمْ الْآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ * قُلْ أَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَ
لَا - نَفْعًا وَ اللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَ لَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَ أَضَلُّوا
كَثِيرًا وَ ضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ (المائدة / ٧٢ - ٧٧).

فالغلو المتناول في الآيات القرآنية هو: إضفاء صفات الالوهية على البشر، و الذي تجسّد لدى النصارى في إنَّ الله هو المسيح ابنُ
مريم تاره، أو أنَّ المسيح هو ابن الله تاره اخرى، أو في انزال الله تعالى عن مقام الالوهية بقولهم إنَّ الله ثالثُ ثلاثه، و تجسيده
في المسيح (ع)، فأجابهم الله تعالى بقوله:

مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ (المائدة / ٧٥).

الغلو في كتب الفرق:

من خلال دراسته أربعه نصوص من كتب أهل الفرق: اثنين لمؤلفين من القرن التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٢٥٥

الثالث من كتاب الشيعة و هما: المقالات و الفرق للأشعري القمي و فرق الشيعة للنوبختي، و آخرين من كتاب السنه في القرن
الخامس و هما: الملل و

النحل للشهرستاني، و الفرق بين الفرق للاسفرايينى «١»، و هم من رواد هذا الباب، نجد الحقائق التاليه:

١- كان الغلوّ عندهم متّفقا مع تعريفه فى القرآن، من أنّه يتعلّق بالمسّ بربوبيه الله تعالى: سواء فى إصاق صفاته بالبشر، أو إطلاق صفات البشر عليه، تعالى عن ذلك علواً كبيراً؛ فالأشعري ينقل: «أنّ الغلاة يرجعون على اختلافهم إلى مقالتين هما أصلهما فى التوحيد».

و النوبختى يقول: «و كلّهم متفقون على نفى الربوبيه عن الجليل الخالق- تبارك و تعالى عن ذلك علواً كبيراً- و إثباتها فى بدن مخلوق...».

و الشهرستانى يقول: «الغاليه: هؤلاء هم الذين غلوا فى حق أئمتهم حتّى أخرجوهم من حدود الخليقه و حكموا فيهم بأحكام الإلهيه فرّبما شبّهوا واحدا من الأئمّه بالإله و ربّما شبّهوا الإله بالخلق» «٢».

٢- سبق الكتاب الشيعه غيرهم فى تعريف الغلاه و وصف عقائدهم و تحديد فرقهم، و التبرؤ منهم، بل لعنهم، و عدّهم من الفرق الخارجه عن الاسلام، كما سبقوا

(١)- المقالات و الفرق لسعد بن عبد الله الأشعري القمى (ت ٢٩٩ أو ٣٠٠هـ)، فرق الشيعه لأبى الحسن بن موسى النوبختى (ولد أواسط القرن الثالث)، الملل و النحل لمحمّد بن عبد الكريم الشهرستانى (ت ٤٧٩هـ)، الفرق بين الفرق لعبد القادر بن طاهر البغدادى الأسفرايينى (ت ٤٢٩هـ).

(٢)- قال الدكتور الشيبى: و يحسن أن نبيّن أنّ العلّه فى اجتماع الغلاه على التجسيم هو أنّهم قد ركّزوا همّهم فى الارتفاع بالانسان مرّه حتّى يصير إلهاً، و النزول بالإله حتّى يصير انساناً... و ذلك ما صنّعه المتصوفه فى صعودهم إلى الإلهيه و إحلال الإلهيه فى محل الانسان. الشيبى / الصله بين التصوّف و التشيع / ص ١٣٥.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعه،

غيرهم فى تشخيص المصادر الفكرية المنحرفة لهؤلاء؛ قال الأشعري: «و فرقه من الغلاة- لعنهم الله- أظهروا دعوه التشيع و استبطنوا المجوسيه».

و قال النوبختى: «فهذه فرق أهل الغلو ممن انتحل التشيع و إلى (الخزمدينية) و (المزدكية) و (الزنديقيه) و (الدهريه) مرجعهم ... لعنهم الله».

٣- كما يتبرأ الشيعة من الغلاة، فإنّ أرباب الملل و النحل كذلك لم يعتبروهم من الشيعة الإماميه:

قال الأسفرايينى: «و جميع فرق الغلاة منهم خارجون عن فرق الاسلام، فأما فرق الزيديه و فرق الإماميه فمعدودون فى فرق الأئمه».

و قال الشهرستانى: «الشيعة هم الذين شايعوا عليا (رض) على الخصوص و قالوا بإمامته و خلافته: نصا و وحيا إما جليا و إما خفيا. و اعتقدوا أنّ الإمامه لا تخرج من أولاده، و إن خرجت فبظلم يكون من غيره أو بتقيه من عنده ... و هم خمس فرق:

كيسانيه و زيديه و إماميه و غلاه و إسماعيليه. و يميل بعضهم إلى الاعتزال و بعضهم إلى السنّه و بعضهم إلى التشبيه» «١».

فهو و إن عدّ الغلاة ضمن فرق الشيعة إلّا أنّه جعلهم قسما غير الشيعة الإماميه الذين هم مناط البحث.

٤- يذهب الباحثون فى الفرق إلى أنّ السبئيه هى أقدم فرق الغلاة، ممّا سندرسه فيما بعد.

موقف أهل البيت (ع) من الغلاة

نتيجة لما ابتلى به أهل البيت (ع) من غلوّ البعض ممن ينتحل التشيع لهم، كانت سيره الأئمه الاثنى عشر منهم (ع) قائمه على أساس نفى الغلوّ و التبرؤ من الغلاة، و قد

(١)- الملل و النحل / الشهرستانى / الباب السادس / ص ١٣١.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٢٥٧

عقد العلّامة المجلسى فى موسوعته (البحار) بابا تحت عنوان «نفى الغلو فى النبى و الأئمه صلوات الله عليه و عليهم و بيان معانى

التفويض و ما لا- ينبغى أن ينسب إليهم منها و ما ينبغى» «١» أورد فيه أربعاً و تسعين روايه عنهم (ع) فى نفي الغلوّ و أربعاً و عشرين روايه فى التفويض، كما أورد آراء بعض شيوخ الشيعة، و عقب على ذلك برأيه ممّا سنورده فى بابه إن شاء الله.

و ذكر الدكتور الفياض تحت عنوان: موقف الشيعة الإماميه و أسلافهم من الغلوّ و الغلاه، مقاومه الشيعة للغلاه عبر وسائل متنوعه كان أشهرها:

أولاً: التأكيد على مناقضه الغلو للاسلام.

فقد روى أن الإمام عليا (ع) قال: «بنى الكفر على أربع دعائم: الفسق و الغلوّ و الشك و الشبهه» ...

روى الكشى أن الصادق (ع) قال لأحد أصحابه: «قل للغاليه توبوا إلى الله فإنكم فساق كفار مشركون».

ثانياً: نفي الأئمه لوجود صله عقديه بينهم و بين قاده الغلاه، و التصريح بأن اولئك القاده كانوا يكذبون عليهم.

فقد تبرأ الأئمه فى مناسبات عدّه من الغلاه و نفوا وجود أيّه صله عقديه بينهم و بين اولئك الغلاه.

روى الكشى أن الإمام الرضا (ع) قال: كان بنان يكذب على عليّ بن الحسين (ع) فأذاقه الله حرّ الحديد، و كان المغيره بن سعيد يكذب على أبي جعفر (ع) فأذاقه الله حرّ الحديد.

ثالثاً: محاوله الأئمه لقطع طريق الدس على الغلاه و منعهم من انتحال الحديث «٢».

(١)- بحار الأنوار/ العلّامة المجلسي/ ج ٢٥/ باب ٩/ ص ٢٤١.

(٢)- تاريخ الإماميه و أسلافهم من الشيعة/ ص ١٢٢.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٢٥٨.

أحاديث أهل البيت (ع) بشأن الغلاه:

إشاره

و يمكن تصنيف الأحاديث الوارده عن أهل البيت (ع) بشأن الغلوّ و الغلاه إلى الأقسام التاليه:

١- فى تحديد معنى الغلوّ.

٢- فى تحديد بعض مقولات الغلوّ.

٣- فى ءءءءء مصادره الفكره.

٤- فى ءءءءء مصادره الغلاه عبر

تأريخهم.

٥- فى بيان صفات الغلاه.

٦- موقفهم من الغلو و الغلاه، (إخراجهم عن أمه الاسلام)، (التبرؤ منهم)، (لعنهم و الدعاء عليهم)، (مقاطعتهم)، (الطلب من الشيعة مقاطعتهم مقاطعه تامه).

٧- أنّ الغلو من السنن التاريخيه التى تتعرضت لها سائر الأديان و الدعوات الحقّه.

٨- نتائج حركه الغلو.

و سنورد أولاً مقاطع من روايات أهل البيت بشأن الغلو أوردها العلامه المجلسى فى البحار «١» وفق التصنيف السابق ذكره:

١- فى تحديد معنى الغلو:

- يصغرون عظمه الله و يدعون الربوبيه لعباد الله (٦) «٢».

- الذين صغروا عظمه الله (٨).

- و لا تفضلوا على رسول الله أحدا فإن الله تبارك و تعالى قد فضله (١٢).

- و أحبوا أهل بيتكم حبا مقتصدا و لا تغلوا (١٢).

(١)- بحار الأنوار/ ج ٢٥ / باب ٩.

(٢)- هذه الأرقام تشير إلى أرقام الأحاديث فى المصدر.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٢٥٩

- أحبه قومه فأفرطوا فيه (٣٤).

- محب مفراط يقرظنى بما ليس بى (٣٧).

- ... يدعى النبوه و يزعم أنّ أمير المؤمنين (ع) هو الله، تعالى عن ذلك (٣٩).

- يقولون فىنا ما قالت اليهود فى عزيز و ما قالت النصارى فى عيسى بن مريم (٤٤).

٢- مقولات الغلو:

- من قال بالتناسخ فهو كافر ... لعن الله الغلاة (١٨).

- ... ألا كانوا قدرية، ألا كانوا مرجئة، ألا كانوا حرورية (١٨).

- إنَّما وضع الأخبار عنا في التشبيه و الجبر الغلاة (٨).

٣- مصادره الفكرية:

- ألا كانوا مجوسا، ألا كانوا نصارى، ألا كانوا قدرية، ألا كانوا مرجئة، ألا كانوا حرورية (١٨).

٤- مصاديق الغلاة:

- عن أبي عبد الله (ع) في قوله عزّ و جلّ: هَيْلٌ أُبْتُكُمْ عَلَى مَنْ تَنْزَلُ الشَّيَاطِينُ تَنْزَلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ قال (ع) - من باب ذكر المصاديق - هم سبعة: المغيرة و بيان و صائد و حمزه بن عماره البربرى و الحارث الشامى و عبد الله بن الحارث و أبو الخطاب (١٦).

٥- صفاه الغلاة:

- كذاب يكذب علينا أو عاجز الرأى (١).

- فإنّ الغلاة شرّ خلق الله ... و الله إنّ الغلاة لشرّ من اليهود و النصارى و المجوس و الذين أشركوا (٦).

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٢٦٠

- الغالى قد اعتاد ترك الصلاة و الزكاه و الصيام و الحج فلا يقدر على ترك عاداته و على الرجوع إلى طاعه الله عزّ و جلّ أبدا (٦).

- إنَّما وضع الأخبار الذين صغروا عظمه الله تعالى (٨).

- و لا تفضلوا على رسول الله أحدا (١٢).

- و أحبوا أهل بيت نبيكم حبّا مقتصدا و لا تغلوا (١٢).

- و لا تفرقوا (١٢).

- و لا تقولوا ما لا نقول (١٢).

- الشيطان استهواه فكان يأتيه و يلقى في روعه ذلك (١٩).

- إن فيهم من يكذب حتى أنّ الشيطان ليحتاج إلى كذبه (٥٦).

٦- موقف الأئمّه (ع) من الغلو و الغلاه:

- اللهم إني بريء من الغلاه كبراءه عيسى بن مريم من النصارى، اللهم اخذلهم و لا تنصر منهم أحدا (٧).

- لعنهم الله ... كفانا الله مئونه كلّ كذاب و أذاقهم حرّ الحديد (١).

- فمن أحبهم فقد أبغضنا، و من أبغضهم فقد أحبنا، و من والاهم فقد عادانا، و من عاداهم فقد والانا ... (٨).

- من كان من شيعتنا فلا يتخذنّ منهم وليا و لا نصيرا (٨).

- صنفان لا تنالهما شفاعتي: ... و غال في الدين مارق منه غير تائب و لا نازع (١١).

- لعن الله الغلاه ... لا تقاعدوهم و لا تصادقوهم، و ابرءوا منهم برئ الله منهم (١٨).

- الغلاه كفّار و المفوضه مشركون (١٩).

- من جالسهم أو خالطهم أو واكلهم ... أو صدّق حديثهم أو أعانهم بشرط كلمه

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٢٦١

خرج من ولايه

اللّٰهُ عَزَّ وَجَلَّ وَ وِلَايَةِ الرَّسُولِ (ص) وَ وِلَايَتِنَا أَهْلَ الْبَيْتِ (١٩).

- لعن اللّٰهُ أبا الخطاب و لعن اللّٰهُ من قتل معه و لعن اللّٰهُ من بقى منهم و لعن اللّٰهُ من دخل قلبه رحمه لهم (٢٣).

- لعن اللّٰهُ من كذب علينا (٤١).

- لقد ادّعى أمرا عظيما (٤١).

- فلا هم منّا و لا نحن منهم (٤٤).

- كذب على أبى (ع) فسلبه اللّٰهُ الإيمان (٤٤).

- أذاقهم اللّٰهُ حرّ الحديد (٤٤).

٧- الغلوّ و السنن:

- إنّنا أهل بيت صادقون لا نخلو من كذاب يكذب علينا و يسقط صدقنا بكذبه علينا عند الناس، كان رسول اللّٰهُ (ص) أصدق البريه لهجه و كان مسيلمه يكذب عليه (١).

- يا علىّ مثلك فى هذه الامّه كمثل عيسى بن مريم (٣٤).

٨- نتائج حركة الغلو:

- و يسقط صدقنا بكذبه علينا عند الناس (١).

- احذروا علىّ شبابكم الغلاه لا يفسدوهم (١).

- و غال فى الدين مارق منه غير تائب و لا نازع (٨).

نقى آثار الغلو:

و لهدم عقيدته الغلو فى الأئمه و نقى الالوهيه و صفاته- تعالى- عنهم، فقد أكّد الأئمّه (ع) أنّهم بشر يحملون خصائص البشر و صفاته، كما ورد فى الحديث عن الإمام الرضا (ع):

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٢٦٢

«و الإمام يولد و يلد، و يصح و يمرض، و يأكل و يشرب، و يبول و يتغوط، و ينكح و ينام، و ينسى و يسهو، و يفرح و يحزن، و يضحك و يبكى، و يحيا و يموت، و يقبر و يزار، و يحشر و يوقف، و يعرض و يسأل، و يثاب و يكرم، و يشفع.

و دلالتہ فی خصلتین؛ فی العلم و استجابہ الدعوہ، و کل ما أخبر بہ من الحوادث الّتی تحدث قبل كونها، فذلك بعهد معهود إليه من رسول اللّٰه (ص)، توارثه عن آباءه (ع) و يكون ذلك ممّا عهد إليه جبرئیل من علام الغیوب».

و كان علم الأئمّہ ببعض الحوادث یجلب انتباه الكثيرین، و ربّما كان مؤلّدا للشبهه و الغلو عند البعض، لذا كانوا (ع) یؤكدون اختصاص علم الغیب باللّٰه تعالیٰ، و أنّه هو الّذى یطلع نبيه (ص) و من ثمّ أولیاءه علی بعض الامور، كما أشار الإمام علی (ع) للرجل الكلبي حين قال له: اوتیت علم الغیب، فأجابه:

«یا أخوا کلب! لیس هو بعلم غیب و إنّما هو تعلّم من ذی علم» «١».

و علی هذا الأساس قال الشیخ المفید:

«... فأما إطلاق القول علیهم (أی الأئمّہ) بأنّهم یعلمون الغیب، فهو منکر بین الفساد، لأنّ

الوصف بذلك إنما يستحقه من علم الأشياء بنفسه، لا بعلم مستفاد، وهذا لا يكون إلا لله عزّ وجلّ، وعلى قولي هذا جماعه أهل الإمامه، إلا من شدّ عنهم من المفوضه و من انتمى إليهم من الغلاه» (٢).

آراء العلماء الشيعة في الغلاه:

كان موقف العلماء الشيعة شديدا تجاه الغلوّ و الغلاه، امتدادا لموقف أهل البيت (ع) الصارم تجاههم، لذا قضوا بكفرهم و ضلالتهم، و الملاحظ أنّهم ركزوا على الغلاه المتظاهرين بالانتساب إلى التشيع لدفعهم عن هذه الدائره و إبراء الامّه منهم، فقال

(١) - نهج البلاغه / الخطبه ١٢٨.

(٢) - أوائل المقالات / ص ٧٧.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٢٦٣

الشيخ الصدوق:

«اعتقدنا في الغلاه و المفوضه أنّهم كفّار بالله جلّ جلاله و أنّهم شرّ من اليهود و النصارى و المجوس و القدرية و الحرورية و من جميع أهل البدع و الأهواء المضلّه، و أنّه ما صغّر الله جلّ جلاله تصغيرهم شىء، و قال جلّ جلاله: ما كان لبشر أن يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَ الْحُكْمَ وَ النَّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَ لَكِنْ كُونُوا رَبَّاتِنِينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَ بِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ* وَ لَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَ النَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَلَمْ تُؤْمَرُوا بِالْكَفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (آل عمران / ٧٩)، و قال الله عزّ و جلّ: لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَ لَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ (النساء / ١٧١).

و كان الرضا (ع) يقول في دعائه:

(اللهمّ إنّى برىء من الحول و القوه و لا- حول و لا قوه إلا بك. اللهمّ إنّى أعوذ بك و أبرأ إليك من العذابين ادعوا لنا ما ليس لنا بحق، اللهمّ إنّى أبرأ إليك

من الذين قالوا فينا ما لم نقله في أنفسنا، اللهم لك الخلق و منك الرزق و إياك نعبد و إياك نستعين، اللهم أنت خالقنا و خالق آبائنا الأولين و آبائنا الآخرين، اللهم لا تليق الربوبية إلا بك و لا تصلح الإلهية إلا لك، فالعن النصارى الذين صغروا عظمتك و العن المضاهئين لقولهم من بريتك.

اللهم إنا عبيدك و أبناء عبيدك لا نملك لأنفسنا نفعا و لا ضرا و لا موتا و لا حياه و لا نشورا، اللهم من زعم أنا أرباب فنحن منه برآء، و من زعم أن إلينا الخلق و علينا الرزق فنحن برآء منه كبراءه عيسى بن مريم (ع) من النصارى، اللهم أنا لم ندعهم إلى ما يزعمون، فلا تؤاخذنا بما يقولون، و اغفر لنا ما يدعون و لا تدع على الأرض منهم ديارا إنك إن تذرهم يضلوا عبادك و لا يلدوا إلا فاجرا كفارا» «١».

و تبع الشيخ المفيد الصدوق في الموقف، فقال:

(١) - بحار الأنوار/ ج ٢٥ / ص ٣٤٢ / باب نفى الغلو في النبي (ص) و الأئمة (ع).

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٢٦٤

«الغلو في اللغة: هو التجاوز عن الحد و الخروج عن القصد.

قال الله تعالى: يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَ لَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ ...

(النساء/ ١٧١)، فنهى عن تجاوز الحد في المسيح و حدّ من الخروج عن القصد في القول و جعل ما ادّعته النصارى فيه غلوا لتعدّيه الحد على ما بيّناه، و الغلاة من المتظاهرين بالإسلام هم الذين نسبوا أمير المؤمنين و الأئمة من ذريته (ع) إلى الألوهية و النبوة و وصفوهم من الفضل في الدين و الدنيا إلى ما تجاوزوا

فيه الحدّ و خرجوا عن القصد، و هم ضلّال كفّار حكم فيهم أمير المؤمنين (ع) بالقتل و التحريق بالنار و قضت الأئمّه (ع) عليهم بالإكفار و الخروج عن الإسلام».

و قال الشيخ المفيد بشأن التفويض و الغلوّ: «و المفوضه صنف من الغلاه و قولهم الّذى فارقوا به من سواهم من الغلاه اعترافهم بحدوث الأئمّه و خلقهم و نفى القدم عنهم و إضافه الخلق و الرزق مع ذلك إليهم، و دعواهم أنّ الله سبحانه و تعالى تفرد بخلقهم خاصّه و أنه فوّض إليهم خلق العالم بما فيه و جميع الأفعال».

و قال مبيّن حدّ الغلوّ فى نسبه صفات الالوهيه إلى البشر: «و يكفى فى علامه الغلوّ نفى القائل (به) عن الأئمّه سمات الحدوث و حكمه لهم بالإلهيّة و القدم، إذ قالوا بما يقتضى ذلك من خلق أعيان الأجسام و اختراع الجواهر و ما ليس بمقدور العباد من الأعراض» (١).

موقف الفقهاء:

و قال الشهيدان الأوّل و الثانى فى اللّمعه و شرحها عند تعريف المسلمين: «و المسلمون من صلّى إلى القبلة أى اعتقدوا الصلاه إليها و إن لم يصلّ لا مستحلاً، إلّا الخوارج و الغلاه فلا يدخلون فى مفهوم المسلمين و إن صلّوا إليها للحكم بكفرهم» (٢) و مثل هذا

(١) - الشيخ المفيد/ تصحيح الاعتقاد/ فى الغلوّ و التفويض.

(٢) - اللّمعه الدمشقيه/ ج ١/ ص ٢٢٨.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٢٦٥

أفتى سائر فقهاء الشيعة بكفر الغلاه.

كما أفتى فقهاء الشيعة بنجاسه الغلاه، و عدم جواز تغسيل و دفن موتاهم - فى قبور المسلمين - و بتحريم اعطائهم الزكاه، و بأنّه لا يحل للغالى أن يتزوّج المسلمه، و لا للمسلم أن يتزوّج الغاليه مع أنّهم أجازوا الزواج بالكتايه، و مع أنّهم

أجمعوا على أن المسلمين يتوارثون و إن اختلفوا بالمذاهب و الاصول و العقائد، إلا أنهم أفتوا بأن الغلاة يرث المسلمون منهم و هم لا يرثون من المسلمين «(١)».

الموقف من روايه الغلاة:

و قد تشدد علماء الشيعة منذ القدم في رفض روايه الغلاة، فقد قال الشيخ الطوسي، و هو من علماء الرجال:

«فأما ما رواه الغلاة، و من هو مطعون عليه في روايته و متهم في وضع الأحاديث فلا يجوز العمل بروايته إذا انفرد...» «(٢)».

و كذلك كان موقف ابن الغضائري، و هو من علماء الرجال أيضا، فلم يجوز نقل الحديث عن الغلاة، إذ قال في ترجمه المفضل بن عمر الجحفي: «ضعيف متهافت».

مرتفع القول خطابي و قد زيد عليه شيء كثير و حمل الغلاة في حديثه حملا عظيما لا يجوز أن يكتب حديثه».

و هكذا النجاشي صاحب كتاب الرجال المعروف، قال في ترجمه داود بن كثير الرقي: «ضعيف جدا و الغلاة تروى عنه» «(٣)».

و ردّ النجاشي - كما في سائر كتب رجال الشيعة - عبارات التضعيف في ردّ الرواه الغلاة من أمثال:

(١) - الشيعة في الميزان / محمد جواد مغنیه / ص ٢٩٢.

(٢) - عدّه الاصول / الشيخ الطوسي / ص ٣٥١.

(٣) - معرفه الحديث / الشيخ محمد باقر البهبودي / ص ٧١.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٢٦٦

«و ضعّفوه و قالوا هو غال» «(١)».

فقال في ترجمه أحمد بن على الرازي: «قال أصحابنا: لم يكن بذاك و قيل: فيه غلوّ و ترفع».

و قال الشيخ الطوسي في ترجمته في الفهرست: «لم يكن بذاك الثقة في الحديث و متهم بالغلو».

و قال ابن الغضائري عنه: «كان ضعيفا و حدثني أبي (رحمه الله) أنه كان في مذهبه ارتفاع و حديثه يعرف تاره و ينكر اخرى» «(٢)».

أمارات الغلوّ (الترفع، في مذهبه ارتفاع، الغلوّ) اقترنت بعبارات التضعيف من هؤلاء العلماء، مثل: لم يكن بذاك الثقة، ضعيف، حديثه يعرف تاره و ينكر اخرى.

ففي ترجمه ابن الغضائرى للحسن بن على سجاده: «ضعيف، و في مذهبه ارتفاع» و قال عنه الشيخ: «غال».

و في ترجمه النجاشى للحسن السعدى القمى: «ممن طعن عليه و رمى بالغلوّ».

و في ترجمه النجاشى لسليمان الديلمى: (غمز عليه و كان غاليا كذابا).

و قال العلّامة الحلّى في ترجمه صالح الهمداني: «غال كذاب وضّاع للحديث ...

لا خير فيه و لا في سائر ما رواه».

و قال الكشى في ترجمه عبد الرحمن بن أبى حماد: «ضعيف جدّا، لا يلتفت إليه، في مذهبه غلو».

و قال في ترجمه عبد الله بن القاسم الحارث: «كذاب غال ضعيف متروك الحديث، معدول عن ذكره».

(١) - ترجمه أحمد بن الحسين دندان في رجال النجاشى.

(٢) - معرفه الحديث / ص ١٠٣.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٢٦٧

و قال ابن الغضائرى في ترجمه الحسين المدائنى: «غال ضعيف».

و من يراجع كتب الرجال المعتمده عند الشيعة يخرج بنتيجة قاطعه عن موقفهم الحاسم ضدّ الغلاة و ردّ أحاديثهم «١».

و كان الاتهام بالغلوّ داعيا لعلماء الشيعة في قم أن يخرجوا المتّهم منها، فقد ذكر الكشى (٩٩٠) أنّ الحسين بن عبيد الله القمى اخرج من قم في وقت كانوا يخرجون منها من اتّهموه بالغلوّ.

و روى ابن الغضائرى أن محمّد بن على الصيرفى الملقّب بأبى سمينه «كوفى كذاب غال، دخل قم و اشتهر أمره بها و نفاه أحمد بن عيسى الأشعري (رحمه الله) عنها- لغلوّه- و كان شهيرا في الارتفاع، لا يلتفت إليه و لا يكتب حديثه».

بل إنّ روايه الغلاة عن شخص كانت موجبه للطعن فيه كما في

ترجمه داود بن كثير الجمال في رجال النجاشي: «ضعيف جدًا و الغلاه تروى عنه».

و ربّما كان غلوّ الشخص عند علماء الشيعة موجبا للفتك به، قال النجاشي في ترجمه محمّد بن أورمه القمّي: «... ذكره القميون و غمزوا عليه و رموه بالغلوّ، حتّى دسّ عليه من يفتكك به، فوجدوه يصلّي من أوّل اللّيل إلى آخره فتوقّفوا فيه...» (٢).

حركة التأليف في الرد على الغلاه:

و استمرارا لصدّهم الغلاه و ردّ عقائدهم، فقد ألف علماء الشيعة عشرات الكتب في الرد عليهم، تجدها بمراجعته بسيطه لأحوالهم في رجال النجاشي و الفهرست للطوسي، من ذلك:

(١)- راجع كتاب الرجال للنجاشي / اختيار الرجال للكشي / الفهرست للطوسي / رجال الشيخ الطوسي / خلاصه العلّامه الحليّ / و في الكتب الحديثه: معجم رجال الحديث للإمام الخوئي / و قاموس الرجال للعلّامه التستري.

(٢)- معجم رجال الحديث / الخوئي / ج ١٦ / ص ١٢٤.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٢٦٨

١- كتاب الرد على الغلاه: لإسماعيل بن عليّ النوبختي (٢٣٧-٣١١ هـ).

٢- كتاب الرد على الغاليه: للحسن بن عليّ بن فضال (ت: ٢٢٤ هـ).

٣- كتاب الرد على الغلاه: للحسين بن سعيد الأهوازي، روى عن الإمام الهادي (ع).

٤- كتاب الرد على الغلاه: للحسن بن موسى النوبختي (ت: ٣١٠ هـ).

٥- كتاب الرد على الغلاه و المفوضه: للحسين بن عبيد الله الغضائري.

٦- كتاب الرد على الغلاه: لإسحاق بن الحسن بن بكر المتوفى سنة (٤١١ هـ).

٧- الرد على الغلاه: لسعد بن عبيد الله الأشعري القمّي المتوفى سنة (٣٠١ هـ).

٨- الرد على الغاليه: للفضل بن شاذان النيسابوري المتوفى سنة (٢٦٠ هـ).

٩- الرد على الغلاه: لمحمّد بن أورمه القمّي.

١٠- الرد على الغلاه: لمحمّد بن الحسن الصفّار (ت: ٢٩٠ هـ).

المتوفى سنة (٤٦٣ هـ).

١٢- الرد على الغلاة: ليونس بن عبد الرحمن سنة (٢٠٨ هـ).

١٣- الرد على الغلاة: لعلي بن مهزيار الأهوازي، كان حيا سنة (٢٢٩ هـ).

١٤- الرد على القرامطة «١»: لعلي بن أبي سهل بن حاتم القزويني، كان حيا سنة (٣٥٠ هـ).

١٥- الرد على الإسماعيلية: لمحمد بن إبراهيم بن جعفر المعروف بأبي زينب النعماني و هو يروى عن الكليني و ابن عقده و المسعودي المؤرخ.

(١)- القرامطة: هم أصحاب (حمدان بن الأشعث)، نقل أن تجمعهم قام على الشيع و الإباحه، فقرّر شيع الملكيه و شيع المرأه. و نسب إليهم عقائد، بعضها في إنكار النبوه و المعاد، و اخرى بالقول بالحلول و التناسخ، فادّعوا حلول الجزء الإلهي في (محمد بن اسماعيل بن جعفر)، فدخلوا بذلك في زمرة الغلاة، كما أنهم كانت لديهم أفكار باطنيه و تعطيل بعض الشرائع.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٢٦٩

١٦- الرد على الغلاة: لأبي الفتح محمد بن علي بن عثمان الكراچكي الطرابلسي (ت: ٤٤٩ هـ).

١٧- كتاب الرد على القرامطة: لأبي جعفر محمد بن يعقوب الكليني المتوفى سنة ٣٢٨ / ٣٢٩ هـ و هو صاحب كتاب الكافي المشهور.

١٨- كتاب الرد على الغالية و أبي الخطاب و أصحابه: لأبي إسحاق الكاتب إبراهيم بن أبي حفص من أصحاب الإمام الحسن بن علي العسكري (ع)، انظر الفهرست للطوسي ص ٣٠.

إلى غير ذلك من مؤلفات الشيعة الكثيره في هذا الموضوع «١».

الغلّو و مساحته عند المسلمين:

ذكرنا فيما سبق أنّ ظاهره الغلّو من السّنين التاريخيه التي تعرّضت لها سائر الأديان الحقّه، فكانت في اليهوديه و المسيحيه و الاسلام، فإنّ النفس الانسانيه معرّضه للانحراف، سواء بدوافع شيطانيه داخلية أو من خلال التأثير بالمبادئ و الفرق المنحرفه، و نجد في القرآن تبرؤ عيسى

(ع) من أتباعه الذين غلوا فيه «٢»، كما نجد في الأحاديث التي سبقت تبرؤ أئمة أهل البيت (ع) و من سار على نهجهم من الغلاة.

و لم تكن ظاهره الغلوّ مختصّه بالشيعة، كما ذهب إلى ذلك البعض، بل أنّها ظهرت و تظهر في سائر فرق المسلمين، و هذا ما أكّده ابن حزم الذي قال:

«و قد تسمّى باسم الاسلام من أجمع جميع فرق الاسلام على أنّه ليس مسلما مثل طوائف من الخوارج غلوا ... و طوائف من المرجئه قالوا .. و آخرون كانوا من أهل السنّه ...

(١) - روح التّشيع / عبد الله نعمه / ص ١٠٠. راجع أيضا: الذريعه إلى تصانيف الشيعة / الجزء العاشر.

(٢) - سورة المائدة / الآيات ١١٦ - ١١٨.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٢٧٠

و طوائف كانوا من الشيعة ...» (١).

و الغلاة ليسوا من المسلمين أيّا كان مبدأ ظهورهم و موطن نشأتهم، من السنّه فرعوا أو من الشيعة ظهوروا، لذا كان ذكر الغلاة ضمن فرق الشيعة نوعا من الظلم و عدم القصد في التعامل معهم، قال الدكتور السامرائي:

«الشيعة واحده من أكبر الفرق الاسلاميه و أقدمها، و الفرقه التي تعبّر عن الشيعة رسميًا و دقيقا هي فرقه الإماميه الاثني عشرية. أمّا بقيه الفرق فقد تفرّعت عن الشيعة، فاشتطّ بعضها و ابتعد كثيرا عن حدود هذه الفرقه و مبادئها، فاستحقّ بمواقفه و آرائه المناقضه لمبادئ الاماميه الحكم بالخروج عن حظيرتها على الرغم من أنّ تلك الفرق كانت تسمّى بالفرق الغاليه الشيعيه» (٢).

و تحت عنوان (الغلاة ليسوا من المسلمين)، كتب أحد علماء الشيعة يقول:

«قد ذكر أصحاب الفرق فرقا للشيعة باسم الغلاة، و مع أنّهم يصرّحون بأنّهم ليسوا من فرق المسلمين، و لكن يذكروها فرقا

للشيعة و يحملون أوزار الغلاة على الشيعة ...» (٣).

وقد علمت فيما سبق من بحث مدى تشدد أئمة أهل البيت (ع) و شيعتهم علماء و محدّثين و مفسّرين مع الغلاة- و منذ القدم- بتكفيرهم و ردّ روايتهم و التبرؤ منهم و عدّهم فى عداد الأعداء و الضّلال.

و منه يتبيّن مدى الخلط و الاشتباه فى إلحاق فرق الغلاة بالشيعة و حشرهم معهم.

بقى أمر، و هو أنّ البعض اعتبر كلّ مبالغه أو زياده أو إفراط فى القول فى أئمه أهل

(١)- الغلوّ و الفرق الغالية فى الحضاره الاسلاميه / د. عبد المنعم سلّوم السامرائي / ص ٨٥.

(٢)- م. ن / ص ٨٣.

(٣)- بحوث فى الملل و النحل / الشيخ جعفر السبحاني / ج ٧ / ص ١٠.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٢٧١

البيت (ع) نوعا من الغلوّ، و الواقع أنّ إطلاق القول بهذا التسرّع على كلّ زياده هو فى ذاته نوع من الغلوّ و التطرّف، إذ إنّ الغلوّ و إن كان يعنى التجاوز عن الحدّ، و لكنّه صار مصطلحا فى العرف الاسلامى يقترن بالغلاة الخارجين عن الدّين لاطلاقهم صفات الربوبيه على البشر، لا كلّ زياده و إفراط، و إلّا فمع التجوّز فى القول كان الغلوّ يشمل مساحات واسعاه من المسلمين ممّن زادوا قولا و عملا فى أشياء كثيره، و قد رأينا فيما سبق أنّ المبالغه فى فضائل الصحابه قال بها كثير من المسلمين و امتلأت بها كتبهم، كما نجد اليوم كثيرا من المسلمين من أتباع الفرق الصوفيّه و غيرهم ممّن يبالغ فى كرامه الأولياء و يعطيهم صفات عظيمه و آثارا خارقه ... إلخ.

و لا يمكن الغلوّ فى تطبيق مصطلح الغلوّ لنخرج به الناس من دين الله أفواجا،

بل لا بدّ من تحديد مساحه الغلوّ- بالمصطلح- على من خرجوا من ربه الاسلام بإطلاق صفات الخالق على المخلوقين و إنزالهم منزله الربوبيّه.

نعم تبقى الدعوه إلى الاعتدال و القصد في الأمور و عدم التجاوز عن الحق قائمه و صحيحه في كل الأمور.

موقف المفسرين الشيعة من الغلوّ:

لَمَّا كان موقف أئمّه أهل البيت (ع) من الغلاة جازما بالتصريح بكفرهم و التحذير منهم ف «الغلاة كفّار، و المفوضه مشركون من جالسهم أو خالطهم أو واكلهم أو شاربهم أو صدّق حديثهم أو أعانهم بشرط كلمه خرج من ولايه الله عزّ و جلّ و ولايه رسول الله (ص) و ولايتنا أهل البيت» «١» كما في الحديث المروى عن الإمام الرضا (ع) و غيره ممّا تقدّم ذكره.

فامتدادا لهذه المواقف جاءت مواقف العلماء من مدرسه أهل البيت (ع) و على

(١)- عيون أخبار الرضا/ الصدوق/ ج ٢/ ص ٢٠٣.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٢٧٢

رأسهم الشيخ الصدوق و الشيخ المفيد و هما من أعمدتهم الذين صرّحوا دون أدنى شبهه بأنّ «الغلاة من المتظاهرين بالاسلام، هم الذين نسبوا أمير المؤمنين و الأئمّه من ذرّيته (ع) إلى الاملوهيه و النبوه و وصفوهم من الفضل في الدين و الدنيا إلى ما تجاوزوا فيه الحدّ و خرجوا عن القصد، و هم ضلال كفّار، حكم فيهم أمير المؤمنين (ع) بالقتل و التحريق بالنار، و قضت الأئمّه عليهم بالكفار و الخروج عن الاسلام» «١».

فلا سبيل أبدا لقبولهم في حظيره الاسلام أو الركون إليهم، و لذا أفتى فقهاء الشيعة على الغلاة بالكفر.

فكان من الطبيعي أن يكون موقف المفسرين الشيعة متشددا من الغلاة، حتّى نجد الحسن و الحسين ابني سعيد بن حماد بن مهران- و هما من موالى الإمام

على بن الحسين (ع)، و من أوائل من كتب فى التفسير من الشيعة- كتب فى الرد على الغلاة أيضا «٢».

وقال الشيخ الطوسى فى تفسير قوله تعالى: وَ مَا اخْتَلَفَ فِيهِ ... الآية ٢١٣ من سورة البقرة: «... إذا كانوا مختلفين على إصابه بعضهم له، فكيف يكون الكفر عمّم به؟ قلنا: لا يمتنع أن يكون الكل كفّارا، وبعضهم يكفر من جهه الغلو، وبعضهم من جهه التقصير، كما كفرت اليهود والنصارى فى عيسى (ع) فقالت النصارى: هو ربّ، فغالوا، وقصّرت اليهود فقالوا: كذاب متخرّص...» (٣).

و فى موضع آخر ردّ على مقولتهم فى الحلول فقال:

«فأما تعلق من تعلق بذلك من الغلاة، بأن قال: لَمَّا قَالَ وَ لَكِنَّ اللَّهَ رَمَى وَ كَانَ النَّبِيُّ هُوَ الرَّامِي - دَلَّ ذَلِكَ عَلَى أَنَّهُ هُوَ اللَّهُ تَعَالَى، فَهُوَ جَهْلٌ وَقَلْبُهُ مَعْرِفُهُ بِوَجْهِهِ الْكَلَامِ لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ عَلَى مَا قَالُوهُ لَكَانَ الْكَلَامُ مُتَنَاقِضًا، لِأَنَّهُ خُطَابٌ لِلنَّبِيِّ (ص) بِأَنَّهُ

(١)- شرح اعتقادات الصدوق/ الشيخ المفيد/ ص ٢١٧.

(٢)- راجع ترجمتهما فى رجال النجاشى/ ج ١/ الرقم ١٣٥.

(٣)- التبيان فى تفسير القرآن/ الطوسى/ ج ٢/ ص ١٩٥.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٢٧٣

لم يرم، فان كان هو الله تعالى فإلى من توجه الخطاب؟ و إن توجه إليه الخطاب دلّ على أنّ الله غيره. و أيضا فإذا كان هو الله فقد نفى عنه الرمي فإذا أضافه بعد ذلك إلى الله كان متناقضا، على أنه قد دلت الأدلة العقلية على أنّ الله ليس بجسم، و لا حال فى جسم، فبطل قول من قال إنّ الله كان حلّ فى محمّد (ص) و ليس هذا موضع نقضه.

قد ذكرنا الكلام في ذلك و استوفينا في الاصول» (١).

و المراجع لتفاسير الشيعة الاثني عشرية المعروفه، كالتبيان و مجمع البيان و الميزان و غيرها ممّا يصح أن تنسب إليهم و تمثل وجهه نظرهم في التفسير يجدها خلوا تماما ممّا يمكن أن يكون غلوًا، بل يجد أئمة التفسير على حذر شديد و تحذير من روايه هؤلاء، كما هو حال الشيخ الطوسي، شيخ الطائفة الّذى يقول: «فأمّا ما رواه الغلاه و من هو مطعون عليه في روايته و متهم في وضع الأحاديث فلا يجوز العمل بروايته إذا انفرد، فإذا انضاف إلى روايته روايه الثقة جاز ذلك، و يكون ذلك لأجل روايه الثقة دون روايته» (٢).

الظاهره السبئيه

اشاره

اهتمّ الباحثون كثيرا بمسأله «عبد الله بن سبأ» و دوره في التاريخ و الفكر الاسلامى و منهم دارسو التفسير عند الشيعة، و عند متابعه ما كتب بهذا الشأن نجد أنّهم رسموا له أدورا متعدّده:

١- فمنهم من جعله مرجع جميع الفتن «فقاتل الخليفه الثانى فارسى مرسل من جمعيه سرّيه لقومه، و قتله الخليفه الثالث كانوا مفتونين بدسائس عبد الله بن سبأ اليهودى، و إلى جمعيه السبئيين و جمعيات الفرس ترجع جميع الفتن السياسيه و أكاذيب

(١)- م. ن / ج ٥ / ص ٩٣.

(٢)- عدّه الاصول / ص ٣٥١.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٢٧٤

الروايه في الصّدر الأوّل» (١).

٢- و أعطاه البعض دورا كبيرا في وضع الحديث و الإسرائيليات و جعله مصدرا أساسيا لما تسرب منها في كتب الحديث فقال عنه: إنه «من أئمة الضلال و رءوس الفساد و الافساد، عبد الله بن سبأ اليهودى الّذى تبطن الكفر و التحف الإسلام و تظاهر بالتشيع لآل البيت خداعا منه و احتيالا على

بث سمومه و أفكاره الخبيثة بين المسلمين» (٢).

«ف نجد بعض ما فيها من معتقدات لبعض الفرق قد تسرب لها عن طريق اليهود ...

و يحدثنا أبو منصور البغدادي صاحب الفرق بين الفرق أن عقيدة السبئية في أن علياً - كرم الله وجهه - لم يقتل و لكنّه رفع إلى السماء كما رفع عيسى بن مريم، ضلاله فرخها في الأصل عقل عبد الله بن سبأ اليهودي ثم نشرها و روج لها بين أصحابه ...» (٣).

٣- و أنه كان مصدر عقيدة الرّجعه عند الشيعة و غيرها الكثير من المسائل الكلاميه، فقالوا: «و قالت الشيعة في الرّجعه على نحو ما قاله اليهود، فقد كان عند اليهود أنّ النبي إياس صعد إلى السماء و سيعود فيغير الدين و القانون، فقال ابن سبأ اليهودي - كما حكى ابن حزم - لما قتل على: لو أتيتونا بدماعه ألف مرّه ما صدقنا موته و لا يموت حتّى يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً، و نمت هذه الفكرة عند الشيعة فنشأت عنها عقيدتهم في المهدي المنتظر.

مما تقدّم نرى أن كثيراً من المسائل الكلاميه و غيرها كان منبعها اليهود و أنّها قيلت على مثال ما قالوا ...» (٤).

(١) - مجلّه المنار / محمّد رشيد رضا / ج ٨ / م ٢٧.

(٢) - الإسرائيليات في التفسير و الحديث / الذهبي / ص ٧.

(٣) - م. ن / ص ٢٥.

(٤) - الإسرائيليات و أثرها في التفسير / د. رمزي نغناعه / ص ١١٥، و أيضاً انظر: تاريخ آداب -

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٢٧٥

و نريد من بحثنا في الموضوع الاجابه عن الأسئلة التاليه:

١- ما هي عقيدة السبئية تحديداً؟

٢- و ما هي مصدرها الفكري؟

٣- و ما هي علاقتها «بعبد الله بن سبأ»؟

٤- و متى ظهرت تلك العقيدة؟

و سوف لا نتطرق فى البحث حول حقيقه وجود «عبد الله بن سبأ» إذ «نفى وجود ابن سبأ عدد من الكتاب المحدثين كان من بينهم الدكتور على الوردى الذى سبقت الإشاره إليه، و الدكتور طه حسين، و الدكتور كامل مصطفى الشيبى، و العلامه السيد مرتضى العسكري الذى أَلَف كتابا فى الموضوع أسماه عبد الله بن سبأ» «١» «٢».

فإن وجوده أو عدم وجوده شىء، و صحه ما نسب له و ما رسمت له من أدوار شىء آخر.

- العرب/ الرافعى/ ج ١/ ص ٢٧٦، العقائد الباطنيه و حكم الاسلام فيها/ د. صابر طعيمة/ ص ٢٤ فما بعدها.

(١)- تاريخ الإماميه و أسلافهم من الشيعة/ د. عبد الله الفياض/ ص ١١٠/ و فى هامشه ذكر مصادر قوله: الفتنة الكبرى/ طه حسين/ ج ١، الصله بين التصوّف و التشيع/ كامل الشيبى/ ج ١، عبد الله بن سبأ/ السيد العسكري.

(٢)- قال الإمام الخوئى (قدس سره): «... مضافا إلى أنّ اسطوره عبد الله بن سبأ و قصص مشاغباته الهائله موضوعه مختلفه اختلقها سيف بن عمر الوضاع الكذاب، و لا يسعنا المقام الإطاله فى ذلك و التدليل عليه، و قد أغنانا العلامه الجليل و الباحث المحقق السيد مرتضى العسكري فى ما قدّم من دراسات عميقه دقيقه عن هذه القصص الخرافيه و عن سيف و موضوعاته فى مجلدين ضخمين باسم (عبد الله بن سبأ) و فى كتابه الآخر (خمسون و مائه صحابى مختلف)». معجم رجال الحديث/ السيد الخوئى/ ج ١١/ ص ٢٠٧.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٢٧٦

و قد زخر تاريخ العالم بكل شعوبه بشخصيات اسطوريه كتبت لها القصص و رسمت لها أدوار خرافيه عظيمه،

بل ألفت في أخبارها مثاب الكتب حتى في عصرنا الحاضر، و مع ذلك كله فلم يكن لتلك الشخصيات وجود خارجي، أو كانت في الأغلب شخصيات حقيقه ذات أدوار عاديه، و لكنّها أحيطت بواسطه الكتّاب و الادباء أو مؤلفي الأساطير بهاله من الأدوار الملائكيه، أو البطوليّه الخارقه «١».

و تدرس اليوم هذه الأساطير في علم جديد سمّي الميثولوجيا و معناه العلم المختص بدراسه الحكايات التقليديه عن الآلهه و الأبطال.

و لذا ستركز بحثنا عن شخصيه عبد الله بن سبأ: دوره و ما نسب إليه من عقائد و آراء:

فمن خلال مراجعه المصادر التاريخيه، نجد أنّها ترجع في رواياتها عن عبد الله بن سبأ إلى الطبري، الذي يرجع بدوره إلى سيف، فيما يرجع الآخرون كابن عساكر و الذهبي إلى سيف مباشره، و قد أثبت العلامه العسكري في تحقيقه الفذ رجوع من روى عن قضيه عبد الله بن سبأ فيما بعد الطبري إلى الطبري الذي روى بدوره كمصدر وحيد في تلك القصه عن سيف بن عمر البرجمي (ت: ١٧٠ هـ).

(١)- في المعجم الوسيط: الأساطير: الأباطيل و الأحاديث العجيبه.

و قسم ادوارد تايلور (١٨٣٢-١٩١٧) الأساطير بصفه عامه إلى باين كبيرين هما: الأساطير النقيه و هي التي تنبعث من المخيله وحدها، و غير النقيه و هي التي تجمع في تكوينها بين الحقيقه و الخيال. راجع معجم ديانات و أساطير العالم للاستاذ د. إمام عبد الفتاح إمام/ في ثلاثه أجزاء ضمنها أكثر من ألفي اسطوره لمختلف الشعوب.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعه، ص: ٢٧٧

سلسله رواه الأسطوره السبئيه

و فيما يلي ننقل صوره الجدول الذي أعده العلامه العسكري نتيجته بحثه و الذي يبين تسلسل الرواه حتى الطبري «١»:

سيف بن عمر التميمي المتوفى بعد ١٧٠ هـ

(١) - عبد الله بن سبأ و أساطير اخرى / السيد مرتضى العسكري / ج ١ / ص ٧٢.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٢٧٨

آراء علماء الرجال في سيف و رواته:

لقد أورد السيد العسكري تفصيلات وافيه عن دور سيف في تزوير التاريخ و اختلاق الحوادث، و أوصل بحثه إلى أنّ نقّاد الرجال قالوا: إنّ سيفاً يروى عن خلق كثير من المجهولين، ضعيف الحديث، ليس بشيء، متروك، يضع الحديث، و هو في الروايه ساقط، يروى الموضوعات عن الثقات، عامّه حديثه منكر، متهم بالوضع و الزندقه.

فقد اتفق علماء الرجال على ضعف سيف، بل على زندقته و وضعه للحديث، فقد قال عنه أبو داود: «ليس بشيء، كذاب»، و مثله ما قاله النسائي: «ضعيف، متروك الحديث ليس بثقه و لا مأمون» و عنه قال ابن حبان: «يروى الموضوعات عن الأثبات، اتهم بالزندقه و قالوا: كان يضع الحديث».

و قال ابن عدى: «ضعيف، بعض أحاديثه مشهوره و عامتها منكره لم يتابع عليها».

و قال الحاكم: «متروك، اتهم بالزندقه».

و ضعّفه غيرهم من أئمّه الحديث و رجاله «١».

أمّا بروكلمان فيقول أنّ سيفاً كان «يحرّف الأحاديث و الأحداث يعظّم بعضها و يحقّر بعضها، و لكنّه كان يحسن الوصف و البيان، فاغترّ الطبري بذلك و اختار كتبه مصدراً أصيلاً في تاريخه لما روى من الوقائع من أوائل الاسلام، و تبع الطبري المتأخرون، و فلهاوزن هو الآخر لم يعد سيفاً من بين المؤرخين الثقات» «٢».

و أمّا راوي أحاديثه فهما: السُّرى (بن يحيى) «٣» كما يسمّيه الطبري و هو ليس

(١) - انظر: عبد الله بن سبأ و أساطير اخرى / ج ١ / ص ٧٤ - ٧٦ ط ٦.

(٢) - نشأه الشيع / د. الفياض / ص ٩٦.

(٣) - يروى الطبري قصّه عبد الله بن

سبأ عن سيف بن عمر بطريقين:

(١) عن عبيد الله بن سعيد الزهرى عن عمّه يعقوب بن إبراهيم عن سيف، مشافهه.

(٢) عن السرى بن يحيى عن شعيب بن إبراهيم، عن سيف.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٢٧٩

بالسرى بن يحيى الثقة، لأنّ السرى بن يحيى يكون زمانه أقدم من الطبرى؛ فقد توفى سنة ١٦٧ هـ، فى حين ولد الطبرى سنة ٢٢٤ هـ، فالفرق بينهما سبعة و خمسون عاما، و لا يوجد عند الرواه سرى بن يحيى غيره، و لذلك يفترض أهل الجرح و التعديل أنّ السرى الذى يروى عنه الطبرى يجب أن يكون واحدا من اثنين: كل منهما كذاب و هما: السرى بن إسماعيل الهمدانى الكوفى، و هو أولهما، و ثانيهما السرى بن عاصم الهمدانى نزيل بغداد المتوفى سنة ٢٥٨، و الذى أدرك ابن جرير الطبرى و عاصره أكثر من ثلاثين عاما. و كل من هذين قد كذّبه أهل الحديث و أنّهموه بالوضع، فقد كذّبهما صاحب تهذيب التهذيب، و صاحب ميزان الاعتدال، و صاحب تذكرة الموضوعات، و صاحب لسان الميزان و غيرهم، ... و قد ذكر النقاد للطبرى سبعمائة حديث و حديثا واحدا، و هذه الأحاديث تغطى زمن الخلفاء الثلاثة، و أسانيد هذه الروايات كلّها عن السرى الكذاب و عن شعيب المجهول عن سيف الوضع المتهم بالزندقة «١».

مراجعة النصوص «السبئية»

مع غض النظر عن صحّ النصوص أو عدمها، فإنّنا بمراجعته ما ورد من نصوص تاريخيه سواء عن طرق الجمهور كتاريخ الطبرى و رواياته عن سيف، أو ما ورد فى كتب الفرق لكلا الفريقين، أو رجوعا إلى روايات الكشى الخمس عن عبد الله بن سبأ، و هو من كتب الرجال المعروفه و الأساسيه عند الشيعة، فإنّنا نجد

صورتين متضادتين لشخصيه عبد الله بن سبأ، و هما:

أولاً: طبق روايات الكشى الخمس، فإن «عبد الله بن سبأ كان يدعى النبوه و يزعم أنّ أمير المؤمنين (ع) هو الله، تعالى عن ذلك علواً كبيراً، فبلغ ذلك أمير المؤمنين (ع) فدعاه و سأله فأقرّ بذلك، و قال: نعم، أنت هو، و قد كان القى فى روعى أنّك أنت الله و أنّى نبى!! فقال له أمير المؤمنين (ع): و يلك قد سخر منك الشيطان فارجع عن هذا

(١) - هويّه التشيع / د. أحمد الوائلى / ص ١٣١.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٢٨٠

ثكلتك امّك و تب، فأبى، فحبسه و استتابه ثلاثه أيام فلم يتب فأحرقه بالنار.

و قال: إنّ الشيطان استهواه فكان يأتيه و يلقي فى روعه ذلك» (١).

و فى روايه عن الإمام الصادق (ع): «لعن الله عبد الله بن سبأ إنّه ادعى الربوبيه فى أمير المؤمنين (ع)» (٢).

و تلك الصوره تفيد أن عبد الله بن سبأ كان قد غلا فى عليّ - أيام خلافته - فاستتابه على فلم يتب، فأحرقه بالنار، و انتهى بذلك وجوده و دوره.

ثانياً: أمّا الصوره الثانيه لعبد الله بن سبأ، كما فى تأريخ الطبرى و غيره عن سيف، فهى لا تتهم عبد الله بن سبأ بالغلوّ و القول بإلهيه عليّ و لكنّها تصوّر لعبد الله هذا أدوارا سياسيه خطيره طالت معظم وجود الدوله الاسلاميه، فهى تتلخص: «بأنّ يهوديا من صنعاء اليمن أظهر الإسلام فى عصر عثمان و اندسّ بين المسلمين و أخذ يتنقل فى حواضرهم و عواصم بلادهم: الشام، و الكوفه، و البصره، و مصر، مبشّرا بأنّ للنبيّ محمّد (ص) رجعه، كما أنّ لعيسى بن مريم رجعه، و أنّ عليّا هو وصيّ محمّد (ص) كما

كان لكل نبي وصي، و أن عليا خاتم الأوصياء كما كان محمد (ص) خاتم الأنبياء. و أن عثمان غاصب حق هذا الوصي و ظالمه فيجب مناهضته لإرجاع الحق إلى أهله!

و سموا بطل قصيتهم (عبد الله بن سبأ) و لقبوه ب (ابن الأمة السوداء) و زعموا أن (عبد الله بن سبأ) هذا بث في البلاد الإسلامية دعواته و أشار عليهم أن يظهروا الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر، و الطعن في الامراء. فمال إليه و تبعه على ذلك جماعات من المسلمين، فيهم الصحابي الكبير و التابعي الصالح، من أمثال أبي ذر، و عمار بن

(١) - قال الكشي: (حدثنى محمد بن قولويه القمي، قال: حدثنى سعد بن عبد الله بن أبي خلف القمي، قال: حدثنى محمد بن عثمان العبدى، عن يونس بن عبد الرحمن، عن عبد الله بن سنان، قال:

حدثنى أبي عن أبي جعفر (ع): أن عبد الله (...). اختيار معرفه الرجال / الكشي / ج ١ / ص ٣٢٣.

(٢) - الكشي / ج ١ / ص ٣٢٤ / برقم ١٧٢.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٢٨١

ياسر، و محمد بن أبي حذيفه، و عبد الرحمن بن عديس، و محمد بن أبي بكر، و صعصعه ابن صوحان العبدى، و مالك الأشر، و غيرهم من أبرار المسلمين و أختيارهم.

و زعموا: أن السببيين أينما كانوا أخذوا يثيرون الناس على ولاتهم - تنفيذاً لخطه زعيمهم - و يضعون كتباً في عيوب الامراء، و يرسلونها إلى غير مصرهم من الأمصار فتتج من ذلك قيام جماعات من المسلمين بتحريض السببيين، و قدومهم إلى المدينه، و حصرهم عثمان في داره حتى قتل فيها. إن كل ذلك كان بقيادة السببيين و مباشرتهم.

و زعموا: أن المسلمين بعد أن بايعوا عليا

و خرج طلحه و الزبير إلى البصره لحرب الجمل رأى السبتيون أنّ رؤساء الجيشين أخذوا يتفاهمون، و أنّهم إن تمّ ذلك سيؤخذون بدم عثمان. فاجتمعوا ليلا و قرّروا أن يندسوا بين الجيشين و يثيروا الحرب بكره دون علم غيرهم؛ و أنّهم استطاعوا أن ينفذوا هذا القرار الخطير في غلس الليل قبل أن ينتبه الجيشان المتقابلان. فناوش المندسّون من السبتيين في جيش عليّ من كان يازائهم من جيش البصره، و المندسّون منهم في جيش البصره من كان يازائهم في جيش عليّ؛ ففزع الجيشان و فزع رؤساؤهما و ظنّ كلّ بخصمه شرًا.

و زعموا: أنّ حرب البصره المشهوره بحرب الجمل وقعت هكذا دون أن يكون لرؤساء الجيش فيها رأى أو علم!!.

إلى هنا ينتهى هذا القاصّ من نقل قصّه السبتيين و لا يذكر بعد ذلك عن مصيرهم شيئا «١».

لذا فإنّ «عبد الله» هذا في صورته الثانيه:

١- يهودى من اليمن. ٢- أظهر الاسلام. ٣- بشر برجعه النبيّ محمّد (ص).

٤- و أنّ عليّا هو وصى محمّد (ص) كما كان لكلّ نبيّ وصيّ، و أنّ عليّا خاتم الأوصياء كما كان محمّد (ص) خاتم الأنبياء. ٥- و أنّ عثمان غان غاصب حاصب هذا الوصى فيجب

(١)- عبد الله بن سبأ و أساطير اخرى / ج ١ / ص ٣٣-٣٥.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٢٨٢

مناهضته لإرجاع الحق إلى أهله. ٦- و أنّه تبعه كبار الصحابه و خيره التابعين من أمثال أبي ذر، و عمار بن ياسر، و محمّد بن أبي حذيفه، و عبد الرحمن بن عديس، و محمّد بن أبي بكر ... ٧- و أنّ السبتيه هم المذنبون أجمعوا الفتنة الكبرى على عثمان و كانوا السبب وراء حرب الجمل «١» ...

يلاحظ أولاً من حيث السند أنّ مرجع تلك الروايات من حيث الإسناد هو سيف بن عمر التميمي الذي قال عنه يحيى بن حصين كما في ميزان الاعتدال (٢/ ٢٥٥): «ضعيف الحديث فلس خير منه».

مناقشه في متن الروايات

أمّا من حيث المتن فيلاحظ في روايات عبد الله بن سبأ في صورته الثانيه ما يلي:

١- أن عبد الله بن سبأ لم يكن أول من أطلق دعوه رجعه النبي (ص)- كما إنّ لعيسى (ع) رجعه-، فقد ذكر ابن الأثير: (فلما توفي- النبي (ص)- قام عمر فقال:

«إن رجالاتنا من المنافقين يزعمون أنّ رسول الله (ص) توفي، وإنه والله ما مات ولكن ذهب إلى ربّه كما ذهب موسى بن عمران، والله ليرجعن رسول الله فليقطعن أيدي رجال وأرجلهم زعموا أنّه مات» «٢».

(١)- بل ذهب الكثير ممن كتب في الحديث أن أساس الوضع في الحديث كان من عبد الله بن سبأ و أتباعه، وقد تقدّم رأى الذهبي في ذلك، و أغرب منه ما ذهب إليه أبو اليقظان الجبوري الذي انفرد بأن جعل عبد الله بن سبأ موجوداً في حياة رسول الله (ص)، جعله من أرباب الوضع إذ قال:

«أمّا المنافقون و اللّذين في قلوبهم مرض أمثال ابن سبأ و غيره من اللّذين أظهروا الاسلام و أبطنوا الكفر فإنّهم لا يستطيعون أن يكذبوا على رسول الله (ص) في حياته...» مباحث في تدوين السنّه النبويّه / ص ٨، مع أنّه لم يثبت علمياً أن عبد الله بن سبأ قد نسبت إليه أحاديث عن النبي (ص) أو روايات إسرائيليه، كما حاول الذهبي أن يجعله من اصولها و واضعيها الأساسيين.

(٢)- الكامل في التاريخ / ابن الأثير الجزري / ج ٢ / ص

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٢٨٣

٢- حاول كثير من الكتّاب أن يرجعوا عقائد الشيعة، و منها عقيدتهم فى الرجعه و الوصيه و المهدي المنتظر (عج) إلى عبد الله بن سبأ العذى «انتقل إلى المدينه و بثّ فيها أقوالا و آراء منافية لروح الاسلام و نابعه من يهوديته و من معتقدات فارسىه كانت شائعه فى اليمن ... و ادعى أن لكل نبي وصيًا و أنّ عليًا وصي محمّد، كما ادعى أن فى عليّ جزءا إلهيًا ... و بعد استشهاد عليّ قال إنّه لم يقتل و سيرجع، و بذلك وضع فكره الرجعه عند الشيعة» (١).

و لهذا الأمر جذور تاريخيه؛ إذ نسبوا للشعبى قوله:

«قال الشعبى: أحذرّك الأهواء المضلّه، فإنّها يهود هذه الامّه يبغضون الاسلام كما يبغض اليهود النصرانيه، و لم يدخلوا الاسلام رغبه و لا- رهبه من الله. إن محبه الرفضه محبه اليهود. قالت اليهود لا- يكون الملك إلّا فى آل داود، و قالت الرفضه لا يكون الملك إلّا فى آل عليّ، و قالت اليهود لا يكون جهاد فى سبيل الله حتّى يخرج المسيح، و قالت الرفضه لا جهاد فى سبيل الله حتّى يخرج المهدي، و اليهود يؤخرون صلاه المغرب حتّى تشتبك النجوم و كذلك الرفضه» (٢).

و إلى قريب من ذلك ذهب ابن حزم فى الملل و النحل.

و يلاحظ فى كبرى تلك المقولات أنّ العقائد المذكوره أوّلا لم تثبت نسبتها إلى اليهوديه أو غيرها، فإنّ عقيدته رجعه المسيح (ع) وردت عند المسلمين سنّه و شيعة (٣)،

(١)- القاموس الاسلامى / أحمد عطيه الله / ج ٣ / ص ٢٢٢، راجع هويّه التشيع / ص ١٣٤.

(٢)- العقد الفريد / ج ٢ / ص ٤٠٩. و علّق أحد الباحثين: أنّ

الشعبي نفسه متهم بالتشيع فلا يصدر منه مثل هذا القول، و إنما اختاروه فوضعوا على لسانه هذه القصه، و قد عدّه ابن سعد و الشهرستاني شيعيا. دراسات في الفرق و العقائد/ ص ٣٠/ د. عرفان عبد الحميد. راجع هويّه التشيع/ ص ١٢٣.

(٣)- كتب بعض العلماء كتابا في اثبات ذلك؛ راجع: عقيدته أهل الاسلام في نزول عيسى (ع)/ الحافظ أبو الفضل عبد الله بن محمد بن الصديق الحسني.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٢٨٤

كما يذهب إلى الإيمان بظهور المهدي المنتظر عامه المسلمين و إن اختلفوا في تفاصيل ذلك «١»، أما موضوع الوصيه فإنها من أحكام الاسلام، و تواتر عن النبي (ص) أنه لَمَّا نزل عليه قوله تعالى: وَ أَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ (الشعراء/ ٢١٤) جمع أقاربه و عددهم أربعون على فخذ شاه و طلب منهم أن يؤازروه على الدعوه فلم يقم إليه إلا على فأخذ برقبته و قال: هذا أخي و وصيي و خليفتي فيكم فاسمعوا له و أطيعوا «٢».

كما إنه لم يعرف أن لليهود صلاه يشترط فيها وقت الغروب، أما قولهم الخلافه في آل علي فقد روى مثيله عن الرسول (ص): الخلفاء اثنا عشر، كلهم من قريش، فقد روى مسلم بسنده عن جابر بن سمره أنه سمع النبي يقول: (لا يزال الدين قائما حتى تقوم الساعة، أو يكون عليكم اثنا عشر خليفه كلهم من قريش) «٣».

كما إن هناك مناقشه في صغرى تلك الدعاوى إذ لا تشترط الشيعة في صلاه المغرب اشتباك النجوم و إنما اجماعهم أنها بعد غروب الشمس مباشرة مع الاحتياط في ذهاب الحمرة المشرقيه، أما الجهاد فحكمه قائم في كل وقت بشروطه «٤».

٣- و على أيه حال فإن الصورة الثانيه

لا تلتقى مع الصورة الاولى إلّا فى الاسم:

عبد الله بن سبأ.

أمّا التفاصيل فهى نقيض بعضها البعض، فإن جملة ما نسب إلى ابن سبأ فى الثانية

(١)- راجع: محاضره الشيخ عبد المحسن العباد: الرد على من كذب بالأحاديث عن المهدي فى مجله رابطه العالم الاسلامى بالمدينه المنوره.

(٢)- تاريخ الطبرى/ ج ٢ ص ٢١٦، و تاريخ ابن الأثير/ ج ٢ ص ٢٨، و تفسير الدر المنثور للسيوطى ج ٤٥ ص ٩٧.

(٣)- صحيح مسلم/ ج ٦ ص ٣-٤، باب الناس تبع لقريش من كتاب الاماره، و رواه البخارى و الترمذى و أبو داود و غيرهم بألفاظ مقاربه منها: اثنا عشر أميراً، اثنا عشر قيماً و ولئنا.

راجع معالم المدرستين/ العلامة العسكري/ ج ١ ص ٥٣٤.

(٤)- هويّه التشيع/ ص ١٢٤.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٢٨٥

لا تدخل فى باب الوهيه على (ع) التى قالها فى الروايات الاولى.

و إنّما هى مجموعه آراء فى إمامه على و وصايته عن الرسول (ص) و رفض غيره مع بعض الاضافات الاخرى.

٤- و يلاحظ هذا التخبط و الاضطراب فى كتب الفرق و الملل أيضاً، التى جمعت التناقضات فى ما نسبته إلى عبد الله بن سبأ.

فهذا الشهرستاني يقول: «السبائيه أصحاب عبد الله بن سبأ الذى قال لعلى (كرم الله وجهه) «أنت أنت» يعنى أنت الإله، فنفاه إلى المدائن» ثم يقول:

«زعموا أنّه كان يهودياً فأسلم، و كان فى اليهوديه يقول فى يوشع بن نون وصى موسى (ع) مثل ما قال فى على (رض). و هو أول من أظهر القول بالنص بإمامه على (رض). و منه انشعبت أصناف الغلاه» «١».

و واضح أنّ الدعوه إلى الوهيه على، و القول بإمامته و وصايته

عن الرسول (ص) لا تلتقيان.

و لم يسلم ابن طاهر البغدادي من ذلك فقال مرّه:

«٣- و أمّيا الروافض فإنّ السبّيه منهم أظهِروا بدعتهم في زمان علي (رض) فقال بعضهم لعلي أنت الإله، فأحرق علي قوما منهم...».

ثمّ عاد فقال: «١٢٢- السبّيه: أتباع عبد الله بن سبأ الذي غلا في علي (رض) و زعم أنّه نبّي، ثمّ غلا فيه حتّى زعم أنّه إله».

و قال أيضا: «و هذه الطائفة تزعم أنّ المهدي المنتظر إنّما هو علي دون غيره».

و رابعه نقل عن الشعبي أنّ من أقوال السبّيه: «و أنّ عليّا (رض) وصي محمّد (ص) و أنّه خير الأوصياء كما إنّ محمّدا خير الأنبياء».

(١)- الملل و النحل / الشهرستاني / ص ١٥٥.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٢٨٦

فلم يعلم من هذا أنّ ابن سبأ كان يقول بإلهيه عليّ، أو نبوّته، أو وصايته، أو أنّه المهديّ المنتظر...!!

و تجد التخيّط أكثر وضوحا عند ما يجعل من ابن سبأ يهوديا لكنّه يريد إفساد عقائد المسلمين باعتقادات النصراني، لتكون النصرانيه مصدرا لعقائد الشيعة، لا اليهوديه، فهو يقول:

«و قال المحققون من أهل السنّه: إنّ ابن السوداء كان علي هوى دين اليهود و أراد أن يفسد علي المسلمين دينهم بتأويلاته في علي و أولاده لكي يعتقدوا فيه ما اعتقدت النصراني في عيسى (ع)» (١).

و نجد نفس الأمر عند النوبختي العذّي نسب الغلوّ إليه فقال عنه مرّه: «و أوّل من قال منها بالعلوّ و هذه الفرقة تسمّى (السبّيه) أصحاب عبد الله بن سبأ».

و لكنّه عاد فنسب إلى جماعه من أهل العلم «أن عبد الله بن سبأ كان يهوديا فأسلم... و هو أوّل من شهر القول بفرض إمامه علي (ع) و أظهر

البراءة من أعدائه و كاشف مخالفه، فمن هناك قال من خالف الشيعة أن أصل الرفض مأخوذ من اليهوديه» (٢).

و كذا الأشعري القمي الذي جعل السبئي «أول فرقه قالت في الاسلام بالوقف بعد النبي من هذه الامه، و أول من قال بينها بالغلو، وهذه الفرقة تسمى السبائيه أصحاب عبد الله بن سبأ، و هو عبد الله بن وهب بن سبأ الراسبي الهمداني، و ساعده على ذلك عبد الله بن حرس و ابن أسود و هما من أجله أصحابه».

و لكنّه مرّه يقول: أنّه «أول من أظهر الطعن على أبي بكر و عمر و عثمان و الصحابه

(١) - ابن طاهر البغدادي الأسفرايني / الفرق بين الفرق / ص ٢١ و ٢٢٣. الجدير ذكره ان ابن طاهر يعتبر ابن السوداء شريكا لعبد الله بن سبأ لا نفسه.

(٢) - فرق الشيعة / النوبختي / ص ٤٠ و ٤١.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٢٨٧

و تبرأ منهم ... فأخذه على فسأله عن ذلك فأقرّ به و أمر بقتله فصاح الناس إليه من كل ناحيه: يا أمير المؤمنين! أ تقتل رجلا يدعو إلى حبكم أهل البيت و إلى ولايتك و البراءة من أعدائك؟ فسيره إلى المدائن».

و ثانيه يقول: «و لما بلغ ابن سبأ و أصحابه نعي علي ...، قالوا: إنه لم يمت و لم يقتل و أنه لا يموت حتى يسوق العرب و يملك الأرض بعصاه».

و ثالثه أنهم: «... و قالوا بعد ذلك في علي أنه إله العالمين و أنه توارى عن خلقه سخطا منه عليهم و سيظهر» (١).

و منه يظهر التناقض و التضاد في أقوال اصحاب الفرق و النحل ممّا يسلب الانسان الاعتماد على مقولاتهم التي أخذ بها بعضهم من بعض

و خلط بها غيرها من أقاويل متهافته.

٥- لقد رسمت هذه الروايات أدواراً خياليته لشخص يسلم مؤخراً زمن عثمان أو على و لكنّه يستطيع بفترة قصيره أن يكون العقل المدبر للأحداث، يدير بها جملة من وجوه الصحابه، و يجول البلاد طولاً- و عرضاً، دون أن يناله خطر أو عقوبه، و هو دور لا يمكن أن يتصوّر للأوضاع البدائيه الاولى في صدر الاسلام، بل يتناسب مع عقليه العصر العباسي- الذي وضعت فيه هذه الروايات- كما أشار إلى ذلك جملة من الباحثين «٢».

(١)- كتاب المقالات و الفرق / الأشعري القمي / ص ٢٠ و ٢١، و يلاحظ فيه أنه جعل نسبا آخر لعبد الله بن سبأ: و هو عبد الله بن وهب بن سبأ الراسبي الهمذاني، و جعل له من أعوانه شخصا آخر باسم ابن أسود.

(٢)- مثل د. برنارد لويس و فلهوزن و فريد ليندر و كياتاني. آراء المستشرقين في نظريه الإمامه لأحمد محمود / ص ٣٧، راجع: هويّه التشيع / ص ١٣٨.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٢٨٨

الخلاصه:

لا- يمكن الاعتماد على روايات عبد الله بن سبأ لا- من حيث السند؛ إذ ترجع إلى سيف ابن عمر التميمي الزنديق الكذاب، الوضاع، و لا من حيث المتن؛ لوجود تناقضات كثيره فيها.

و لو كان لعبد الله بن سبأ وجود فهو شخص قد غلا في علي (ع) بنسبه الربويه إليه، فاستتابه علي ثلاثه أيام، فلم يتب، فأحرقه بالنهار و انتهى أمره.

ثمّ جاء سيف و رسم لهذا الشخص أدواراً اسطوريه عبّر فيها عن ميوله الأمويه.

و من ثمّ وجد أعداء الشيعة و خصومهم في هذه الاسطوره ضالّتهم المنشوده ليجعلوا منها المرجع في العقائد الشيعيه و منه نسبتها إلى اليهوديه.

و لا تصمد

هذه المرويات جملة و تفصيلا أمام النقد العلمى و البحث التاريخى الدقيق.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٢٨٩

٤- التاويل

اشاره

التاويل أصله من الأول و هو الرجوع، و تاويل الكلام «هو عاقبته و ما يؤول إليه» (١). و أمّا اصطلاحا فقد اختلف فيه، فقال قدماء المفسّرين باتحاد معناه مع التفسير كقول الطبرى عند تفسير الآيه: القول فى تاويل الآيه ... «٢»، و الطوسى الذى عدّ التاويل و التفسير بمعنى واحد «٣».

و قال من تأخّر عنهم باختلاف معناه عن التفسير من حيث أنّ التفسير يكثر استعماله فى الألفاظ و مفرداتها فيما يكثر استعمال التاويل فى المعانى، و هو قول الراغب.

أو أنّ التفسير بيان لفظ لا يحتمل إلّا وجهها واحدا، أمّا التاويل فهو توجيه لفظ متوجّه إلى معانٍ مختلفه إلى واحد منها بما ظهر من الأدلّه «٤».

أو أنّ التفسير بيان وضع اللفظ، إمّا حقيقه أو مجازا، و التاويل: تفسير باطن اللفظ، و هو قول أبى طالب التغلبى «٥».

و قد وردت فى معنى التاويل آراء اخرى، منها أنّه الحقيقه الخارجيه، و هو رأى ابن تيمّيه «٦»، أو أنّه الحقيقه الواقعيه، كما عند الطباطبائى «٧»، أو أنّه تفسير المعنى و ما

(١)- معجم مقاييس اللّغه/ ج ١/ ص ١٦٢.

(٢)- علوم القرآن/ ص ٢٢٦.

(٣)- التبيان/ ج ٢/ ص ٣٩٩.

(٤)- مجمع البيان/ ج ١/ ص ٨٠.

(٥)- الإتقان/ ج ٢/ ص ١٥٠.

(٦)- التفسير الكبير/ ج ٢/ ص ١٠٢، نقلا عن: علوم القرآن عند المفسّرين/ ج ٣/ ص ٢٠٣.

(٧)- الميزان/ ج ٣/ ص ٤٥.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٢٩٠

يؤول إليه المفهوم العام و يتجسد به من صورته و مصداق، و هو رأى

الشهيد الصدر «١»، و أخيراً رأى الاستاذ معرفه من أنه يستعمل فى معينين، الأول فى توجيه المتشابهه، فى الآيات المتشابهه، و الثانى فى المعنى الثانوى للكلام، المعبر عنه بالبطن «٢».

و ما نريد به فى بحثنا هذا المعنى الأخير، و هو تفسير باطن اللفظ الذى يؤول إليه، سواء من حيث المفهوم أو المصداق، و هو يشترك بصوره أو اخرى مع كثير من الآراء السابقه المطروحه فى هذا المقام.

فقد يكون هذا البطن مفهوماً عاماً مستفاداً من الآية الكريمة، كما فى مفهوم الإنقاذ المستفاد من قوله تعالى: وَ مَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً (المائدة / ٣٢)، فإنّ هذا المفهوم المنتزع من الآية الكريمة له مصاديق متعدده تقع جميعاً تحت عنوان الإنقاذ و يمكن أن تكون تأويلاً له.

كما يمكن أن يكون هذا البطن هو ما يؤول إليه اللفظ فى الواقع، من وجودات أو مصاديق خارجيه، كما فى قصه رؤيا يوسف (ع) فى قوله تعالى: إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ (يوسف / ٤)، فإنّ التأويل الواقعى للشمس و القمر هو أبوا يوسف.

و من هنا اعتبر بعض المفسرين الروايات الوارده فى ذكر مصاديق الآيات و موارد الجرى و التطبيق، اعتبرها من قبيل التفسير بالبطن «٣».

أمّا المعنى المتبادر عند المتأخرين فى التأويل، من أنه المعنى المخالف لظاهر اللفظ، و هو الشائع عندهم فى المباحث الكلاميه، فهو معنى - مع شهرته - ليس بصحيح و لا ينطبق على الآيات القرآنيه - فى التأويل - «٤».

(١) - علوم القرآن / ص ٢٣١.

(٢) - التمهيد / ج ٣ / ص ٣٠.

(٣) - الطباطبائى و منهجه فى تفسير القرآن / الأوسى / ص ١٩٢.

(٤) - القرآن فى الاسلام / ص ٥٧.

إنَّ المعنى الثانوى، التأويل أو البطن الذى هو مورد بحثنا قد يكون صحيحا و مقبولا، و قد يكون مرفوضا و مذموما من حيث عدم انطباق الآيات و دلالتها عليه.

و كان موضوع تفسير القرآن بالباطن أو «تأويل الآيات» من الموضوعات التى أثارها البعض كإحدى نقاط ضعف التفسير بالمأثور، أو التفسير عموما عند الشيعة «١»، لذا اقتضى بحث الموضوع، و معرفه أبعاده، عموما، و عند الشيعة بشكل خاص.

و قد ارتبط مبحث التأويل بروايات الظهر و البطن، و أن للقرآن ظاهرا تدل عليه ظواهر الآيات و بطنا أو بطونا ما وراء ذلك الظاهر، سواء من حيث المفاهيم أو المصاديق؛ لذا تطلب أولا دراسه روايات الظهر و البطن كمدخل لدراسه التأويل، لا بالمعنى المصطلح العام، و إنما بمعنى التفسير بالباطن.

روايات أن للقرآن ظهرا و بطنا:

إشاره

رويت فى هذا المعنى أحاديث عديده من طرق الجمهور و من طريق أهل البيت (ع)، فمن طرق الجمهور:

١- ما أخرجه الفريابى: حدّثنا سفيان عن يونس بن عبيد، عن الحسن، قال:

قال رسول الله (ص): «لكلّ آيه ظهر و بطن، و لكلّ حرف حدّ، و لكلّ حدّ مطلع».

و الروايه مرسله كما ترى.

٢- أخرج الديلمى من حديث عبد الرحمن بن عوف مرفوعا: «القرآن تحت العرش، له ظهر و بطن يحاجّ العباد».

٣- أخرج الطبرانى و أبو يعلى و البزاز و غيرهم، عن ابن مسعود موقوفا: «إن هذا القرآن ليس منه حرف إلّا له حدّ و لكلّ حدّ مطلع» (٢).

(١)- التفسير و المفسّرون/ ج ٢/ ص ٣١.

(٢)- الإتيقان/ ج ٢/ ص ١٢١٩.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٢٩٢

٤- ما أخرجه أبو نعيم فى حليه الأولياء، يرفعه إلى عبد الله بن مسعود أنّه قال:

نزل على سبعة أحرف، ما منها حرف إلّا له ظهر و بطن، و إن عليّ بن أبي طالب عنده منه علم الظاهر و الباطن» (١).

و الروايات فى ذلك إمّا مرسله أو مرفوعه، أو موقوفه، فما ذكره الفيض الكاشانى «٢» عن ادعاء البعض تواتر أصل هذا الحديث لا ينهض به واقع الروايات المرويه عن الرسول (ص)، كما هى أعلاه.

روايات مدرسه أهل البيت (ع):

١- ما رواه محمّد بن الحسن الصفار فى بصائر الدرجات، عن محمّد بن عبد الجبار، عن محمّد بن إسماعيل، عن منصور، عن ابن اذينة، عن الفضيل بن يسار، قال: سألت أبا جعفر (ع) عن هذه الروايه: «ما من آيه إلّا و لها ظهر و بطن» فقال: (ظهر و بطن هو تأويله، منه ما قد مضى، و منه ما لم يجئ، يجرى كما تجرى الشمس و القمر، كلّما جاء فيه تأويل شىء منه يكون على الأموات كما يكون على الأحياء، قال الله تبارك و تعالى: وَ مَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَ الرّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ نحن نعلمه) و رواها العياشى فى تفسيره.

٢- ما رواه العياشى، عن جابر، قال: قال أبو عبد الله (ع): «يا جابر! إنّ للقرآن بطناً و للبطن ظهراً» ثم قال: «يا جابر! و ليس شىء أبعد من عقول الرجال منه، إنّ الآيه لينزل أولها فى شىء و أوسطها فى شىء، و آخرها فى شىء، و هو كلام متصل يتصرّف على وجوه».

٣- ما رواه العياشى عن حمّان بن أعين، عن أبي جعفر (ع)، قال: «ظهر القرآن

(١)- البرهان فى تفسير القرآن / الباب ٧ / الحديث ١٥٧.

(٢)- تفسير الصافى / ج ١ / المقدمه الثامنه.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٢٩٣

الذين نزل فيهم و بطنه

الَّذِينَ عَمَلُوا بِمِثْلِ أَعْمَالِهِمْ» (١).

و الروايتان الثانيه و الثالثه أسقط سندهما من اختصر أسانيد العياشى فى النسخه المتداوله، و هى الوحيده الموجوده بين أيدينا،
أما روايه البصائر فسندها صحيح.

معنى بطن الآيات:

ذكر فى معنى ذلك عدّه وجوه:

الأوّل: إذا بحث عن باطنها و قيس على ظاهرها، فقد وقف على معناها، أى أنه المعنى المستلهم من الآيه الموافق لظاهرها، و
نسب هذا القول إلى الحسن.

الثانى: أنّ القصص القرآنى لها ظاهر هو الاخبار بهلاك الأولين، و لها باطن هو وعظ الآخرين و تحذيرهم أن يفعلوا كفعالهم
فيحلّ بهم مثل ما حلّ بهم.

و هو قول أبى عبيده و رجّحه الزركشى و السيوطى.

الثالث: أن ما من آيه إلّا عمل بها قوم و لها قوم سيعملون بها، و قد نسب القول بذلك إلى ابن مسعود، إلّا أنّهم لم يبينوا هل أنّ
المراد بالبطن هنا: المفهوم العام المنتزع من الآيه و الذى سينطبق على كل قوم انطبقت عليهم، فهو بذلك مشابه للرأى الثانى، أم
أنّ المراد بالبطن هنا: المصداق، من حيث تحديد و تشخيص القوم الذين ستطبق عليهم الآيه.

الرابع: أن ظاهر الآيه لفظها، و باطنها تأويلها، و نسبة الزركشى إلى بعض المتأخرين (٢).

الخامس: أن ظهرها ما ظهر من معانيها لأهل العلم بالظاهر، و بطنها ما تضمنته من الأسرار التى أطلع الله عليها أرباب الحقائق.

(١) - البرهان فى تفسير القرآن/ البحرانى/ ج ١/ الباب السابع/ ص ٤٤.

(٢) - ذكر الأقوال الأربعة: البرهان/ ج ٢/ ص ١٦٨، الإتيان/ ج ٢/ ص ١٢٢٠.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٢٩٤

و نسب السيوطى هذا الرأى إلى ابن النقيب (١).

و نحن إذا بحثنا الآراء المذكوره وجدنا:

أولاً: أنّها تتفق جميعاً، و وفقاً لما سبق من روايات، على وجود

بطن للآيات القرآنية.

ثانيا: أن معانى البطن هنا، تشترك فى المساحة مع بعض معانى التأويل، و التى سبق أن بحثناها.

ثالثا: أن المعنى المراد بالبطن (التأويل) غالبا هو:

أ- المعنى العام المنتزع من الآيات و ظواهرها، و الذى لا يتناقض مع ظواهر الآيات، بل أنّها تدلّ عليها، و لكن لا يراد به معنى الألفاظ و ما تدل عليه ابتداء، و ما يسمّى بالتفسير اللفظى للآيات، بل هو المعنى الثانوى للكلام فى مقابل المعنى الأولى المعبر عنه بالظهر «٢».

و فى القرآن أمثله على ذلك، إذ ضرب الله أمثله عديده، و كان المطلوب فهمها و الاعتبار بها، و نعى على الكافرين وقوفهم عند ظاهرها حتى قال الكفار: ما بال العنكبوت و الذباب يذكر فى القرآن؟ فنزل: إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَهُ فَمَا فَوْقَهَا (البقره/٢٦)، إذ أنّهم أخذوا بظاهر الآيه و لم ينظروا فى المراد فقال تعالى: فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ ... «٣».

و كذلك آيات القرآن الحائثه على التدبّر و فقه القرآن و ذم الكفار الذين لا يكادون يفقهون حديثا، فانه لا يريد منهم أنّهم لا يفهمون ظاهر الكلام، و قد نزل بلغتهم؛ و انما أراد أنّهم لا يفهمون مراد الله من الخطاب لذا حضهم على أن يتدبّروا فى آياته ...

(١)- الإتيان/ ج ٢/ ص ١٢٢٠.

(٢)- التمهيد/ ج ٣/ ص ٣٠.

(٣)- محاسن التأويل/ ج ١/ ص ٥١-٦٧.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٢٩٥

و ذلك هو الباطن الذى جهلوه و لم يصلوا إليه بعقولهم «١».

ب- تحديد المصداق الذى تنطبق الآيه عليه، أو فى تحديد المصداق الخارجى الذى تجرى عليه الآيه لاحقا، و ما سميت موارده بالجري

و التطبيق «٢»، و يفهم ذلك من الرأى المنسوب إلى ابن مسعود.

و على العموم فإننا نجد جلّ العلماء المفسّرين، سنّه و شيعة يتقبّلون وجود بطن للآيات، على اختلافهم فى تحديد البطن و مساحته، بل ذهب الكثير منهم إلى أن فهم القرآن و فقهه لا يتحصل بمجرد تفسير الظاهر، فقد ورد عن ابن مسعود: «من أراد علم الأولين و الآخرين فليثور القرآن». و قال ابن الأثير فى شرحه: أى لينقّر عنه و يفكّر فى معانيه و تفسيره و قراءته.

و عن أبى الدرداء قال: لا يفقه الرجل كل الفقه حتّى يجعل للقرآن وجوها «٣».

كما إنّ الكثير من الآيات القرآنيه لا يفهم معناها الدقيق إلّا بتأويلها، أى فهم المعنى الكامن وراء اللفظ، لا الجمود على ظاهره؛ و منها بعض آيات الصفات، و العرش و الكرسي ... الخ، و قد كان السبب فى انجرار البعض إلى القول فى التشبيه، حتّى أنّهم أجروا ما ورد فى صفات الله تعالى من آيات و روايات على ما يتعارف فى الأجسام «٤»، ذلك أنّهم قالوا: «لا بدّ من إجرائها على ظاهرها و القول بتفسيرها من غير تعرّض للتأويل و لا توقّف فى الظاهر، فوقعوا فى التشبيه الصرف، و ذلك على خلاف ما اعتقده السلف ...» «٥».

و إذا رجعنا إلى ما روى عن النبىّ (ص) فى التفسير نجد أنّ الكثير منه كان فى

(١) - الموافقات للشاطبى / ج ٣ ص ٣٨٢ - ٣٨٣. انظر التفسير و المفسّرون / ج ٢ ص ٣٨٣.

(٢) - قال الطباطبائى: و قد يعتبر بطن القرآن مثل الجرى أحيانا. القرآن فى الإسلام / ص ٥٢.

(٣) - الإتقان / ج ٢ ص ١٢٢١. التفسير و المفسّرون / ج ٢ ص ٣٨٦.

(٤) - الملل و النحل / الشهرستانى /

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٢٩٦

تأويل الآيات، سواء على صعيد انتزاع بعض المفاهيم الكلية من بعض الشواهد في الآيات القرآنية، أو في تحديد مصاديق الآيات القرآنية أو حقيقه المعنى المقصود في الآية و هي ممّا تؤول إليه، و من أمثله ذلك:

- أخرج سعيد بن منصور و أبو يعلى و الحاكم - و صححه - و البيهقي في الدلائل:

عن جابر بن عبد الله، قال:

(جاء يهودى إلى النبى (ص) فقال: يا محمد! أخبرنى عن النجوم التى رآها يوسف ساجده له، ما أسماؤها؟ ...

وَ الشَّمْسِ وَ الْقَمَرِ ... يعنى أباه و أمه رآها فى افق السماء ساجده له. فلما قصّ رؤياه على أبيه، قال: ارى أمرا مشتتا يجمعه الله) «١».

- و أخرج ابن جرير عن أبى هريره، قال: قال رسول الله (ص): «السائحون هم الصائمون».

- و أخرج أبو الشيخ و غيره عن أنس، قال: قال رسول الله (ص) فى قوله: قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ قَالَ: القرآن، وَ بِرَحْمَتِهِ (يونس / ٥٨): «أن جعلكم أهله» «٢».

- و أخرج أحمد و الشيخان و غيرهم، عن ابن مسعود، قال: لما نزلت هذه الآية الَّذِينَ آمَنُوا وَ لَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ (الأنعام / ٨٢)، شقّ ذلك على الناس، فقالوا:

يا رسول الله! و أيننا لا يظلم نفسه؟

قال: إنّه ليس الذى تعنون، ألم تسمعوا ما قال العبد الصالح: إِنَّ الشُّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ (لقمان / ١٣)؟ «إنما هو الشرك» «٣».

- و أخرج الحاكم - و صححه - عن أنس: أن رسول الله سئل عن قول الله تعالى:

(١) - الإتيقان / ج ٢ / ص ١٢٥٥.

(٢) - م. ن / ص ١٢٥٣.

(٣) - م. ن / ص ١٢٤٦.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة،

مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا (آل عمران / ٩٧). ما السبيل؟ قال: «الزاد والراحله» (١).

- وأخرج أحمد وغيره، عن أبي هريره، عن النبي (ص) في قوله: عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا (الإسراء / ٧٩). قال: «هو المقام الذي أشفع فيه لأمتي» وفي لفظ: «و هي الشفاعه» (٢).

و في القرآن ما يستحيل حمله على ظاهره، كما قال الزركشي، فيحمل على المؤول، لا المعنى الظاهر الراجح فيه، كقوله تعالى: وَ اخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ (الإسراء / ٢٤)، فإنه يستحيل حمله على الظاهر، لاستحاله أن يكون آدمي له أجنحه، فيحمل على الخضوع و حسن الخلق.

و كقوله تعالى: وَ كَلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ يستحيل أن يشدّ في القيامة في عنق كلّ طائع و عاص و غيرهما طير من الطيور، فوجب حمله على الكتاب في الحساب لكل واحد منهم بعينه (٣).

و الانتقال من المعنى الأولى الظاهر، إلى المعنى الباطن المكتسب بالتدبر و التأمل، يعطى لفهم الآيه القرآنيه أبعادا إضافيه واسعه و عاليه المرام، و هي لا تقع في عرض المعنى الظاهر بل في طوله، فإن إرادته الظاهر لا تنفي إرادته الباطن، كما إن إرادته الباطن لا تزاحم إرادته الظاهر (٤).

فعند التدبر في قوله تعالى: وَ اعْبُدُوا اللَّهَ وَ لَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا (النساء / ٣٦)، و الآيات المشابهه لها، نرى أنه تعالى ينهى عن عباده الأصنام؛ و عند ما نتوسّع بعض التوسّع نرى النهي عن عباده غير الله ... ثمّ النهي عن عباده الانسان نفسه باتباع

(١) - م. ن / ص ١٢٤٣.

(٢) - م. ن / ص ١٢٤١.

(٣) - البرهان / ج ٢ / ص ٢٠٦.

(٤) - القرآن في الاسلام / ص ٤١.

التفسير بالمأثور و تطويره عند

شهواتها. أما لو توسّعنا أكثر فترى النهي عن الغفلة عن الله و التوجّه إلى غيره أيّما ما كان ذلك الغير.

إنّ هذا التدرّج من المعنى البدائي الظاهر إلى معانٍ أخرى أوسع فأوسع جارٍ في جميع الآيات، و هو المقصود بالباطن. إذ تكون ظواهر الآيات كأمثال للبواطن، تقرب المعارف إلى الأفهام، بحسب مستواها، و على قدر عقولها «١».

شروط التأويل:

و قد ذكروا لصحّة التأويل، بمعنى الباطن، شرطين أساسيين:

١- بيان احتمال اللفظ للمعنى الذي ادّعاه.

إذ إنّ القرآن نزل عربياً، و لو كان له فهم لا يقتضيه كلام العرب لم يوصف بكونه عربياً بإطلاق.

٢- بيان الدليل الموجب للصرف إليه في المعنى الظاهر، فيجب أن يكون له شاهد نصّاً أو ظاهراً في محلّ آخر يشهد لصحّته من غير معارض «٢».

و لكن هذا الرأي قائم على أساس أنّ التأويل من قبيل صرف اللفظ عن المعنى الراجح إلى المرجوح بدليل، و قد ذكرنا فيما سبق أنّ التأويل (الباطن) هو المعنى المراد من الآية، أو المصداق المراد فيها في مواضع أخرى، فلا يحتاج ذلك إلى دليل لصرف الآية عن ظاهرها إلّا إذا كان المراد تحديداً غير واضح من عموم لفظ الآية.

لذا نجد الطباطبائي - المفسّر الشيعي المعاصر - يرفض أن يكون التأويل من قبيل

(١) - م. ن / ص ٤٠ - ٤٥.

(٢) - الطباطبائي و منهجه في التفسير لعلى الأوسى / ص ٢٠٤، عن: مجموع الرسائل الكبرى / ابن تيميّه / رساله الاكليل / ج ٢ / ص ١٧. و التفسير و المفسّرون / ج ٢ / ص ٣٨٨، نقلاً عن الموافقات للشاطبي / ج ٢ / ص ٣٩٤.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٢٩٩

صرف اللفظ عن المعنى الراجح ... موضحة أن هذا الفهم صادر من اعتقادهم أنّ المتشابه ما

اريد به خلاف ظاهره، و وصفه بأنه اصطلاح محض لا يمكن استفادته من قوله تعالى: هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخْرُ مُّشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ «(١)».

و على أيّه حال، فإننا نجد أن هناك تداخلا كبيرا في فهم التفسير، و التأويل، و الباطن، عند كثير من الباحثين حتّى دخلت شرائط و تعاريف بعضها ببعض «(٢)».

التأويل المذموم:

اشاره

اتفقت الائمّه على أن من التأويل (التفسير الباطنى هنا) ما هو مقبول و صحيح، و منه ما هو فاسد و باطل «(٣)»، إلا أنه اختلف في حدوده، و دخلت فيه كما دخلت في غيره الميول و الاتجاهات.

فإننا نجد أنّ الغالب فيمن كتب عن التأويل الباطل قصد فيه النيل من الشيعة، فهذا الذهبي في معرض كلامه عن الإصباح في المعنى الباطن و الخطأ فيه يقول:

«... و ما أخطأ فيه: بعضه عن جهل و بعضه عن تعمد خبيث و تبه سيئه، فالإماميه

(١) - الطباطبائى مفسراً/ على الأوسى / ص ٢٠٦.

(٢) - قال الشهرستاني: «و إنّ الفارقين بين التفسير و التأويل لما لم يذكروا أقسام التفسير و أقسام التأويل لم يتحقق بيانهم الفرق بينهما، فلربما لا يتقابل قسمان منهما، فلا يكون الفرق صحيحا، و قد وضع بعضهم التنزيل و التأويل متقابلين، و وضع بعضهم الظاهر و التأويل متقابلين، و وضع بعضهم الظاهر و الباطن متقابلين، و التفسير و التأويل متقابلين. و قد يتفق اللفظان في المعنى فيكون التفسير تأويلا و التأويل تفسيراً و الظاهر باطنا و الباطن ظاهرا. تفسير الشهرستاني / تحقيق د. آذرشب / ج ١ / ص ١٧٨.

(٣) - التفسير و المفسرون / ج ٢ / ص ٣٨٩، الميزان /

مع قولهم بالظاهر على ما به، قالوا بالباطن أيضا و لكنهم تعمّدوا أن يفسروا الباطن على ما يتفق و عقيدتهم الفاسده!!

و الباطنيه لم يعترفوا بظاهر القرآن و اعترفوا بالباطن فقط و لكنهم أيضا تعمّدوا أن يفسروا الباطن على ما يتفق و نواياهم السيئه، و كلا الفريقين ضال مبتدع» (١).

و لكنّه بعد أن يذكر تفاسير باطنيه لبعض المتصوفه و يقترّ بعدم وجود تفسير مماثل لها عند الصحابه و التابعين، و أنّها لو اريد بها تفسير الآيات «لكان هو بعينه مذهب الباطنيه»، مع كل هذا، و توافقا مع ميوله المذهبيه، يبرّر لهم أقوالهم حاملا لهم خير محمل فيقول: «و لكن إجلالنا لهؤلاء المفسّرين و وثوقنا بهم من الناحيه العلميه و الدينيه و اعترافهم في تفاسيرهم - التي نقلنا عنها - بالمعاني الظاهريه للقرآن و إنكارهم على من يقول بباطن القرآن دون ظاهره، كل هذا يجعلنا نحسن الظن بالقوم، فنحمل أمثال هذه المعاني على أنّها ليست من قبيل التفسير، و إنّما هي ذكر منهم لنظير ما ورد في القرآن، فإنّ النظير يذكر بالنظير، كما قال ابن الصلاح في فتاواه» (٢).

رأى المفسرين الشيعة:

ذكر الشيخ الطوسي ابتداء أن معاني القرآن على أربعة أقسام:

الأول: ما اختص الله تعالى بالعلم به، فلا يجوز لأحد تكلف القول فيه، و لا تعاطى معرفته كعلم الساعه و وقتها.

الثاني: ما كان ظاهره مطابقا لمعناه، فكل من عرف اللغه التي خوطب بها عرف معناها.

الثالث: ما هو مجمل لا ينبئ ظاهره عن المراد به مفضّلا، مثل الصّلاه و الصّيام

(١) - التفسير و المفسّرون / ج ٢ / ص ٣٨٦.

(٢) - م. ن / ص ٣٩٧.

و الزّكاه، إذ جاء الأمر بها فى القرآن و لم يأت بيانها و تفصيل أحكامها فيه، و هذا ممّا «لا يمكن استخراجها إلّا ببيان النبى و وحى من جهة الله تعالى. فتكلّف القول فى ذلك خطأ ممنوع منه يمكن الأخبار- بالنهى عن التفسير بالرأى- متناوله له».

الرابع: «ما كان اللفظ مشتركاً بين معنيين فما زاد عنهما و يمكن أن يكون كل واحد منهما مراداً. فإنّه لا ينبغى أن يقدم أحد فيقول: أن مراد الله فيه بعض ما يحتمل- إلّا بقول نبى أو إمام معصوم- بل ينبغى أن يقول: أنّ الظاهر يحتمل لامور، و كل واحد يجوز أن يكون مراداً على التفصيل، و الله أعلم بما أراد» (١).

و بعد هذا التقسيم، عاد إلى الكلام مفصلاً فى تأويل الآيات، و بيان المقبول منه المبتنى على أدلّه شرعيّه و عقليّه صحيحه و ذمّ بعض المفسّرين لخطئهم فى ذلك و تأويلهم الآيات وفقاً لرأيهم و مذهبهم، فقال: «و لا ينبغى لأحد أن ينظر فى تفسير آيه لا ينبى ظاهرها عن المراد تفصيلاً، أو يقلد أحداً من المفسّرين إلّا أن يكون التأويل مجمعا عليه، فيجب اتباعه لمكان الاجماع لأنّ من المفسّرين من حمدت طرائقه و مدحت مذهبها، كابن عباس و الحسن و قتاده و مجاهد و غيرهم، و منهم من ذمّت مذهبها كأبى صالح و السدى و الكلبي و غيرهم. هذا فى الطبقة الاولى، و أمّا المتأخرون فكل واحد منهم نصر مذهبها و تأول على ما يطابق أصلها، و لا يجوز أن يقلد أحداً منهم، بل ينبغى أن يرجع إلى الأدلّه الصحيحه: إمّا العقليه أو الشرعيه، من إجماع عليه، أو نقل متواتر به عن من يجب اتباع قوله

و أما الطباطبائي - المفسّر الشيعي المعاصر -، فإنه ابتداءً يقدم الظاهر و يتمسك به، فيقول: «و لا نجد دليلاً على أنه يقصد من كلماته - القرآن الكريم - غير المعاني التي ندرّكها من ألفاظه و جملة» (٣).

(١) - مجمع البيان / ج ١٢ / المقدمه.

(٢) - م. ن / ص ٦.

(٣) - القرآن في الاسلام / ص ٢٤.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٣٠٢

و لكنّه في نفس الوقت يقرّ بأنّ وراء الظاهر باطنا، و لكنّه يحدّد له شرطين:

الأول: أن يكون الكاشف عنه ظواهر الآيات نفسها، فالظاهر عنوان الباطن و طريقه.

الثاني: أن لا يكون الباطن مناقضاً لمعطيات ظواهر الكتاب نفسه و حقائق الشريعة.

فهو يقول: «إنّ القول بأن تحت ظواهر الشريعة حقائق هي باطنها حقّ، و القول بأن للانسان طريقاً إلى نيلها حقّ، و لكن الطريق أنّما هو استعمال الظواهر الدينيه على ما ينبغي من الاستعمال لا غير، و حاشا أن يكون هناك باطن لا يهدى إليه ظاهر، و الظاهر عنوان الباطن و طريقه ... و حاشا أن يكون هناك باطن حقّ و لا يوافق ظاهره، و حاشا أن يكون هناك حقّ من ظاهر أو باطن و البرهان الحق يدفعه أو يناقضه، و حاشا أن يكون هناك شيء آخر أقرب مما دلّ عليه شارع الدين غفل عنه أو تساهل في أمره، أضرب عنه لوجه من الوجوه بالمرّه، و هو القائل عزّ من قائل:

وَ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ ۖ (١).

لذا فإنّه يحدّد أنّ المعنى الباطن إنّما يكون في طول المعنى الظاهر لا في عرضه، و لا تراحم بينهما «٢».

و نجده في أكثر من موضع ينتقد من ناقض ظواهر الدين و حكم العقل، و من ذلك بعض المتصوفه و أهل الباطن

الَّذِينَ اعتقدوا أن ما يصلون إليه من الباطن هو المقصود و أن الباطنات لا ينالها فهم أهل الظاهر، فيقول: «و لو كان الأمر على ما يدعون و كانت هي لب الحقيقه و كانت الظواهر الدينيه كالقشر عليها لكان مشرع الشرع أحق برعايه حالها و إعلان أمرها كما يعلنون، و إن لم تكن هي الحق فما ذا بعد الحق إلَّا الضلال» «٣».

(١)- الميزان/ ج ٥ / ص ٢٨٨.

(٢)- القرآن فى الاسلام/ ص ٤١.

(٣)- الميزان/ ج ٦ / ص ٢٨٧، و ج ١ / مقدمه المفسر.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٣٠٣

و قد ذهب المفسر الطباطبائى إلى نوعين للباطن:

١- المفاهيم العامه المستنبطه من الآيات، كما فى مفهوم العباده و الشرك «١»، و قد تقدم.

٢- موارد التطبيق و ذكر المصاديق، و ما يطلق عليه بالجري، كما فى قبوله لبعض الروايات التطبيقيه الوارده فى أهل البيت (ع)، مع أنه لا يشير إلى قسم آخر منها، مما يؤيد أنه متشدد عموماً فى قبول ما روى من طرق الفريقين فى هذا الباب «٢».

موارد التأويل المقبول:

إشاره

من هذه الموارد الروايات الوارده فى تطبيق الآيات، و تعيين مصاديقها، فإن من موارد التأويل الصحيحه و التفسير الباطن، بيان مصاديق الألفاظ العامه، أو المطلقه، و ما يسمّى بالجري و التطبيق «٣»، و من موارد أيضاً إلى تجريد المفاهيم و المعانى من موارد الخاصه، إذ تجرى الآيات مجرى الأمثال و الحكم، و مما يستدل به على صحه التأويل و خطئه أن يكون فى الآيه دلالة على التأويل أو ارتباط به من حيث المعنى أو السياق.

و من أمثله فى التفاسير الشيعيه «(*)»:

أ- موارد الجري و التطبيق:

١- فى قوله تعالى: أَمْ مَنْ كَانَ عَلَى بَيْنِهِ مِنْ رَبِّهِ وَ يُتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ (هود/ ١٧).

(١)- الميزان/ ج ١٥ / تفسير سورة النور/ آيه ٣٥.

(٢)- الطباطبائي و منهجه في تفسير الميزان/ د. الأوسى / ص ١٩٢-١٩٥.

(٣)- القرآن في الاسلام/ الطباطبائي / ص ٥٢.

*- أخذنا الأمثلة مع بعض التوسع في معنى التأويل، و هي تدخل على أى حال ضمن أحد التعاريف المذكوره للتأويل و التي تطرقت لها ضمن البحث.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٣٠٤

فقد روى الطبرى بسنده عن جابر، عن عبد الله بن يحيى، قال: قال عليّ (رض):

ما من رجل من قريش إلّا و قد نزلت فيه الآيه و الآيتان، فقال رجل: فأنت أى شىء نزل فيك، فقال عليّ: أما تقرأ الآيه التي نزلت في هود و يتلوه شاهد منه «١»؟

و فى الدر المنثور عن ابن أبى حاتم و ابن مردويه و أبو نعيم فى المعرفه عن على بن أبى طالب (رض)، قال: ما من رجل من قريش إلّا نزل فيه طائفه من القرآن، فقال رجل: ما نزل فيك؟ قال: أما تقرأ سورة هود أ فمن كان على

بَيْنَهُ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ؟ رَسُولَ اللَّهِ (ص) عَلِيٌّ بَيْنَهُ مِنْ رَبِّهِ، وَ أَنَا شَاهِدٌ مِنْهُ.

و في تفسير البرهان عن ابن المغازلي، و تفسير الثعلبي، و عن ابن شهر آشوب عن الحافظ أبي نعيم بثلاثة طرق عن ابن عباس ... و فيه عن موفق بن أحمد، قال: قوله تعالى: أَلَمْ يَكُنْ كَانَ عَلِيٌّ بَيْنَهُ مِنْ رَبِّهِ وَ يَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ قَالَ ابن عباس: هو عليٌّ يشهد للنبي (ص) و هو منه.

و من طرق الشيعة: عن الكافي، و أمالي الشيخ، و بصائر الدرجات، و أمالي المفيد، و تفسير العياشي، ... عن الحسن (ع) و عن زين العابدين، و الباقر و الصادق (ع)، بنفس المعنى.

و اعتبر الطباطبائي الرواية في معنى الآية أن إرادته (ع) بالشاهد من باب الانطباق لا بمعنى الارادة الاستعمالية «٢».

٢- في قوله تعالى: وَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَ لِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ (الرعد/٧).

(فقد روى الطبري بسنده عن سعيد بن جبیر، عن ابن عباس، قال: لَمَّا نَزَلَتْ إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَ لِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ وَضَع (ص) يده على صدره، فقال: أنا المنذر،

(١)- تفسير الطبري / ج ٧ / تفسير الآية.

(٢)- الميزان / ج ١١ / تفسير الآية.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٣٠٥

و لكل قوم هاد، و أوما بيده إلى منكب علي، فقال: أنت الهادي يا علي، بك يهتدى المهتدون بعدى) «١».

و في الدرّ المشهور نقل الرواية عن ابن جرير و ابن مردويه و أبو نعيم في المعرفة و الديلمي و ابن عساكر و ابن النجار، و من طرق الجمهور في هذا المعنى روايات كثيرة، كما رواها من طرق الشيعة: الكليني في

الكافي و الصدوق في المعاني و الصفار في البصائر و العياشي و القمي في تفسيريهما و غيرهم بأسانيد كثيرة.

و اعتبر الطباطبائي أنّ شمول الآية لعلّي (ع) من الجري، و أنّ معنى قوله (ص): (أنا المنذر و عليّ الهادي)، أنّي مصداق المنذر، و الإنذار هدايه مع دعوه، و عليّ مصداق للهادي من غير دعوه، و هو الإمام، لا أنّ المراد بالمنذر هو رسول الله (ص) و المراد بالهادي هو عليّ (ع)، فإنّ ذلك مناف لظاهر الآية «٢».

٣- في قوله تعالى: لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَ تَعِيهَا أُذُنٌ وَاَعْيَهُ (الحاقه / ١٢).

في الدرّ المنتور: أخرج سعيد بن منصور و ابن جرير و ابن المنذر و ابن أبي حاتم و ابن مردويه عن مكحول، قال: لما نزلت وَ تَعِيهَا أُذُنٌ وَاَعْيَهُ قال رسول الله (ص): سألت ربّي أن يجعلها اذن عليّ، قال مكحول: فكان عليّ يقول: ما سمعت عن رسول الله شيئاً فنسيته.

و فيه أخرج ابن جرير «٣» و ابن أبي حاتم و الواحدى و ابن مردويه و ابن عساکر و ابن النجّار عن بريده قال: قال رسول الله (ص) لعلّي: إنّ الله أمرنى أن ادنيك و لا- اقصيک، و أن اعلمک لتعني، فانزلت هذه الآية وَ تَعِيهَا أُذُنٌ وَاَعْيَهُ، فأنت اذن واعيه لعلمي.

(١)- تفسير الطبري / ج ٨ / ص ١٠٨.

(٢)- الميزان / ج ١٣ / تفسير الآية.

(٣)- روى الطبري ثلاث روايات متقاربه بهذا المعنى / تفسير الطبري / ج ١٤ / تفسير الآية.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٣٠٦

و من طرق الشيعة: روى في البرهان باسناده عن سعد بن عبد الله عن أبي عبيد الله (ع)، و عن الكليني باسناده عنه (ع)، و عن ابن بابويه- الصدوق- باسناده عن

جابر عن أبي جعفر (ع).

(و الروايات فى ذلك من طرق الفريقين متعدّده، فقد روى منها فى غاية المرام ستة عشر حديثاً، و قال فى البرهان: إنّ محمد بن العباس روى فيه ثلاثين حديثاً من طرق العامّه و الخاصّه) «١».

٤- فى قوله تعالى: وَ السَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ.

- ما رواه أبو نعيم الحافظ مرفوعاً إلى ابن عباس (رض) قال:

إنّ سابق هذه الامه علىّ بن أبى طالب، و من كان إلى الاسلام أسبق كان أولى بنبىه السابق إليه و أخرى بخصائص المثنى عليه.

- و روى عن ابن عباس، قال: سبق الناس ثلاثه: يوشع صاحب موسى إلى موسى، و صاحب ياسين إلى عيسى، و علىّ بن أبى طالب إلى النبىّ (ص) «٢».

٥- عن أبى بصير، عن أبى عبد الله (ع) فى معنى قوله عزّ و جلّ: وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسِّرَنَّ لَهُمْ دِينَهُمْ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِي وَتَكُونُوا مِنَ السَّابِقِينَ السَّابِقِينَ (النور / ٥٥)، قال (ع): (نزلت فى القائم و أصحابه) «٣». و هو من موارد تطبيق الوعد العام للاستخلاف على مصداقه الظاهر فى المهدي (ع) وفقاً للروايات الواردة عن الرسول (ص) فيه.

(١)- الميزان / ج ٢٩ / تفسير الآيه.

(٢)- م. ن / ج ٢ / ص ٦٤١. و فى هامشه: عنه البحار / ج ٣٥ / ص ٣٣٣ / ح ٥، و البرهان ج ٤ / ص ٢٧٦ / ح ٨.

(٣)- الغيبه / محمّد بن إبراهيم النعمانى / تحقيق: على أكبر غفارى / ص ٢٤٠.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٣٠٧

٦- عن زراره، قال: قال أبو عبد الله (ع): سئل أبى عن قول الله:

قَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً (التوبة/ ٣٦) حَتَّى لَا تَكُونَ فِئْتَهُ وَ يَكُونَ الدِّينُ كُلَّهُ لِلَّهِ (البقره/ ١٩٣)، فقال: إِنَّهُ لَمْ يَجِئْ تَأْوِيلَ هَذِهِ الْآيَةِ، وَ لَوْ قَدْ قَامَ قَائِمُنَا بَعْدَهُ سِيرَى مِنْ يَدْرِكُهُ مَا يَكُونُ مِنْ تَأْوِيلِ هَذِهِ الْآيَةِ، وَ لِيَبْلَغَنَّ دِينَ مُحَمَّدٍ (ص) مَا بَلَغَ اللَّيْلُ حَتَّى لَا يَكُونَ شَرِكٌ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ كَمَا قَالَ اللَّهُ «١».

و ما ورد في تأويلها موافق لظاهر الآية الكريمة.

٧- في قوله تعالى: قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا الْمَوَدَّةُ فِي الْقُرْبَى أَخْرَجَ فِي الْبَحَارِ بِسَنَدِهِ، قَالَ: خَطَبَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ (ع) حِينَ قَتَلَ عَلِيَّ (ع) ثُمَّ قَالَ: وَ إِنَّا مِنْ أَهْلِ بَيْتِ افْتَرَضَ اللَّهُ مَوَدَّتَهُمْ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ حَيْثُ قَالَ: قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا الْمَوَدَّةُ فِي الْقُرْبَى وَ مَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا فَاقْتَرَفَ الْحَسَنَةَ مَوَدَّتَنَا أَهْلَ الْبَيْتِ «٢»، فَإِنَّ لِقَاتِرَافَ الْحَسَنَةَ مَعْنَى أَوْسَعٍ وَ لَكِنْ خَصَّ هُنَا بِمَوَدَّةِ أَهْلِ الْبَيْتِ (ع) لِدَلَالَةِ الْآيَةِ وَ شَأْنِ نَزُولِهَا عَلَيْهِ.

٨- في قوله تعالى: فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعِيدٍ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَ أَبْنَاءَكُمْ وَ نِسَاءَنَا وَ نِسَاءَكُمْ وَ أَنْفُسَنَا وَ أَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ (آل عمران/ ٦١).

في تفسير القمي عن الصادق (ع): أَنَّ نَصَارَى نَجْرَانَ لَمَّا وَفَدُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ (ص)، وَ كَانَ سَيِّدُهُمُ الْأَهْتَمُ وَ الْعَاقِبُ وَ السَّيِّدُ، وَ حَضَرَتْ صَلَوَاتُهُمْ، فَأَقْبَلُوا يَضْرِبُونَ النَّاقُوسَ وَ صَلُّوا، فَقَالَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذَا فِي مَسْجِدِكَ؟ فَقَالَ (ص): دَعُوهُمْ، فَلَمَّا فَرَّغُوا دَنَوْا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ (ص) فَقَالُوا: إِلَى مَا تَدْعُو؟ فَقَالَ: إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَ أَنِّي

(١) - العياشى / ج ٢ / ص ٦٠.

(٢) - البحار / ج ٢٣ / ص ٢٥١ / ح ٢٦، البرهان / ج ٤ / ص ١٢٤ / ح ١١، يراجع: تأويل الآيات الظاهره فى فضائل العتره الطاهره / الاسترآبادى النجفى / ج ٢ / ص ٤٤٤.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٣٠٨

و يحدث، قالوا: فمن أبوه؟ فنزل الوحي على رسول الله (ص) فقال: قل لهم: ما تقولون فى آدم، أ كان عبدا مخلوقا يأكل و يشرب و يحدث و ينكح؟ فسألهم النبى، فقالوا: نعم. قال: فمن أبوه؟ فبهتوا، فأنزل الله: إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابِ الْأَيَّةِ، و قوله: فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعِيدٍ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِلَى قَوْلِهِ: فَجَعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ، فقال رسول الله: فباهلوني فإن كنت صادقا انزلت اللعنة عليكم، و إن كنت كاذبا انزلت على، فقالوا: أنصفت، فتواعدوا للمباهله، فلما رجعوا إلى منازلهم قال رؤساؤهم السيد و العاقب و الأهتم: إن باهلنا بقومه باهلناه، فإنه ليس نبيا، و إن باهلنا بأهل بيته خاصه لم نباهله، فإنه لا يقدم إلى أهل بيته إلا و هو صادق، فلما أصبحوا جاءوا إلى رسول الله (ص) و معه أمير المؤمنين و فاطمه و الحسن و الحسين (ع)، فقال النصارى: من هؤلاء؟ ف قيل لهم: هذا ابن عمه و وصيه و ختنه على بن أبى طالب (ع)، و هذه ابنته فاطمه، و هذان ابناه الحسن و الحسين (ع)، ففرقوا فقالوا لرسول الله (ص)، نعطيك الرضى، فاعفنا من المباهله، فصالحهم رسول الله (ص) على الجزيه و انصرفوا.

و فى العيون بإسناده إلى موسى بن جعفر (ع) فى حديث له مع

اللّٰه خلفتني مع النساء والصبيان؟ فقال له رسول الله (ص): أما ترضى أن تكون مني بمنزله هارون من موسى إلبا أنه لا- نبي بعدى؟ و سمعته يقول يوم خبير: لاعطين الزايه غدا رجلا يحب الله و رسوله، و يحبه الله و رسوله، قال: فتناولنا لها، فقال: ادعوا لى عليا فأتى به أرمدا العين، فبصق فى عينيه، و دفع الرايه إليه، ففتح الله على يده. و لما نزلت هذه الآيه: فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَ أَبْنَاءَكُمْ وَ نِسَاءَنَا وَ نِسَاءَكُمْ وَ أَنْفُسَنَا وَ أَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهُلْ، دعا رسول الله عليا و فاطمه و حسنا و حسينا و قال: اللهم هؤلاء أهل بيتى.

و رواها الترمذى فى صحيحه، و أبو المؤيد الموفق بن أحمد فى كتاب فضائل علي، و رواها أيضا أبو نعيم فى الحليه عن عامر بن سعد عن أبيه، و الحموينى فى كتاب فرائد السمطين.

و روى قصه المباهله من المفتيرين السنه: ابن جرير الطبرى عن علياء بن أحمد الشكرى، و الثعلبى عن مجاهد و الكلبي، و أبى الفداء، و ابن كثير و الزمخشري، و قال:

(و فيه دليل لا شىء أقوى منه على فضل أصحاب الكساء... و فيه برهان واضح على صحه نبوه النبي (ص)؛ لأنه لم يرو أحد من موافق و لا مخالف أنهم أجابوا إلى ذلك).

و الفخر الرازى قال معقبا على الروايه: (و اعلم أنّ هذه الروايه كالمتمفق على صحتها بين أهل التفسير و الحديث)، و السيوطى فى الدرر المنثور من عدّه طرق «١».

(١)- الميزان/ ج ٣/ تفسير الآيه.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٣١٠

ب- موارد انتزاع المفهوم العام و تطبيقه:

١- فى الكافى بإسناده عن فضيل بن يسار، قال: قلت لأبى جعفر (ع):

قول الله عزّ وجلّ في كتابه: وَ مَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا، قال: من حرق أو غرق، قلت: من أخرجها من ضلال إلى هدى، قال: ذلك تأويلها الأعظم «١». فإنّ التأويل هنا انتزاع مفهوم الانقاذ العام من الآية و تطبيقه على موارد الأخرى.

٢- عن جابر عن أبي جعفر - الباقر - (ع) في قول الله: وَ لَأْمُرَنَّهُمْ فَلْيَغَيِّرَنَّ خَلْقَ اللَّهِ (النساء / ١١٩)، قال: دين الله «٢».

فإنّ الآية و إن كانت ظاهره في أنّ التغيير يكون في الخلق، إلّا أنّ المفهوم العام المستنبط منه في هذه الآية، هو العمل بخلاف ما سنّه الله و خطّه للإنسان في الحياه، و من أجلى مظاهره العمل بخلاف ما أمر الله و تغيير دينه.

٣- في قوله تعالى: فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ ... (عبس / ٢٤).

فقد روى الكليني بإسناده إلى زيد الشحام، قال: سألت الإمام جعفر بن محمّد الصادق (ع)، قلت: ما طعامه؟ قال: علمه الذي يأخذه عمّن يأخذه «٣».

فإنّ التأويل انتزاع مفهوم ضروره تدقيق الانسان في ما يتناوله من علم من الآية الكريمه التي تدعو إلى التدقيق في ما يتناول الانسان من طعام.

٤- في قوله تعالى: وَ مِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا (الإسراء / ٧٩).

روى العياشي عن أحدهما (ع) في قوله: عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا، قال:

هي الشفاعة.

(١) - الميزان / ج ٥ / ص ٣٢٩.

(٢) - تفسير العياشي / ج ١ / ص ٣٠٢.

(٣) - تفسير البرهان / ج ٤ / ص ٤٢٩.

التفسير بالماثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٣١١

و هي تأويل المعنى العام للمقام المحمود الذي يعطاه النبي (ص) في أبرز آثاره، و هي الشفاعة «١».

٥- عن أبان بن عبد الرحمن قال: سمعت أبا عبد الله

(ع) يقول: أدنى ما يخرج به الرجل من الاسلام أن يرى الرأى بخلاف الحق فيقيم عليه، قال: وَ مَنْ يَكْفُرُ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ (المائدة/ ٥)، و قال: يكفر بالايمن الذى لا يعمل بما أمر الله به و لا يرضى به «٢».

فإن المفهوم المتبادر من اللفظ أن الكفر هنا يكون بعدم الاعتقاد- بعد الإيمان- إلا أن الروايه هنا أولت الكفر بترك العمل المترتب على الايمان، و الذى بدوره يؤول إلى حبط العمل و زعزعه الايمان أو الكفر به، فهى أرجعت نتيجة الأمر إلى مقدمته.

التأويل الباطنى المذموم:

اشاره

تشدد الفريقان سنّه و شيعه- من حيث المبدأ- فى رفض التأويل الباطنى الذى لا ينسجم مع ظواهر الكتاب و حقائق الشريعه، و بالتالى فإنه تأويل حميل على آيات الله تحميلاً، تبعاً لرأى أو ميل أو هوى ...، و كان لكلا الفريقين موقف صارم من تأويلات الفرق الباطنيه المتفرّعه من كلا الفريقين: كبعض المتصوفه، أو الباطنيه الإسماعيليه و من تفرّع عنهم.

و كان من المتمم لبحثنا أن نضرب أمثله للتأويل الخاطى، مع مناقشتها من حيث السند و المتن، كنموذج لدراسه بقيه موارد التأويل (التطبيق هنا) الوارده فى التفاسير، علماً بأن جلّ المفسرين المعترين الشيعه و رغم اطلاعهم على هذه الموارد، لم يأتوا بها فى تفاسيرهم، ممّا يدل على عدم قبولهم لها.

(١)- الصافى / الفيض الكاشانى / ج ٣ / ص ٢١١.

(٢)- العياشى / ج ١ / ص ٣٢٥.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعه، ص: ٣١٢

موارد التأويل المذموم:

و تعلم هذه الموارد من خلال إرجاعها إلى القرآن نفسه أولاً- و إلى ظواهر الشريعه الثابته، إذ يشترط فى الباطن أن لا يكون مناقضاً لمعطيات ظواهر الكتاب و حقائق الشريعه كما سبق «١».

على أن البحث فى سند الأحاديث غالباً ما يعطينا القرينه على ضعفها و وضعها، إذ يوجد فى سندها عاده رجال ضعفاء متهمون بالغلو أو مجاهيل و ضعفاء لا يعتمد عليهم، و ردّ رواياتهم علماء الشيعه و لم يقبلوها «٢».

جدير ذكره أن الشيعه لا تسلّم بوجود كتاب فى الحديث صحيح كلّ، بحيث تقبل رواياته دون فحص و تحقيق، و إنّما تخضع سائر الروايات للبحث و الدراسه من حيث صحّه السند و المتن، و من أساسيات منهجهم فى ذلك عدم تعارض الروايات مع كتاب الله، فما خالف كتاب الله فهو زخرف.

بعض الأمثلة على التأويل المردود و التي لم يقبلها المفسرون المحققون الشيعة مع بيان دليل ردها:

١- فى تأويل الآيات من سورة الطارق: وَ السَّمَاءِ وَ الطَّارِقِ* وَ مَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ* النّجْمُ الثَّاقِبُ....

ففى تفسير على بن إبراهيم: على بن إبراهيم، عن جعفر بن أحمد، عن عبيد الله بن موسى، عن الحسن بن على بن أبى حمزه، عن أبيه، عن أبى بصير عن أبى عبد الله (ع)، فى قوله تعالى: وَ السَّمَاءِ وَ الطَّارِقِ قال: السماء فى هذا الموضع أمير المؤمنين.

و الطارق الذى يطرق الأئمة (ع) فيما يحدث بالليل و النهار، و هو الروح الذى مع الأئمة (ع).

(١)- الطباطبائى و منهجه/ على الأوسى / ص ١٩٢.

(٢)- راجع للمزيد: موضوع الغلو المتقدم من هذا الفصل.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٣١٣

قلت: و النجم الثاقب؟ قال: ذاك رسول الله (ص).

و رواه عنه فى البحار/ ج ٢٤/ ص ٧٠/ ح ٣. و البرهان/ ج ٤/ ص ٤٤٨/ ح ٣.

و يلاحظ عليه:

أولاً: التأويل أعلاه يخالف ظاهر النص القرآنى فى أنّ الطارق هو النجم الثاقب، كما تدل عليه الآيات من حيث اللغه.

و لذا أهمل المفسرون المحققون من الشيعة هذه الرواية و لم يأتوا بها.

قال الطبرسى:

«المعنى: أفسم الله سبحانه فقال وَ السَّمَاءِ أى بالسماء. و قيل برّب السّماء و قد بيّنا القول فى ذلك. وَ الطَّارِقِ و هو الذى يجىء ليلاً وَ ما أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ و ذلك أن هذا الاسم يقع على كل ما طرق ليلاً و لم يكن النبى (ص) يدرى ما المراد لو لم يبيّنه ثم بيّنه بقول النّجْمُ الثَّاقِبُ أى هو الكوكب المضىء و يريد به العموم و هو جماع النجوم...»

ثانيا: السوره مكّيه و سياق الآيات جميعها فى الاستدلال بآيات الله الكونيه على الخلق و الشور و الوعيد بذلك، و هى فى جمله السور المكّيه التى كانت تؤكّد على المسائل العقائديه فى التوحيد و النبوه و البعث، و التأويل لا يتناسب مع سياق الآيات.

ثالثا: و أمّا من حيث السند ففيه:

الحسن بن على بن أبى حمزه البطائنى، و فى كتب الرجال عنه: «طعن عليه، من وجوه الواقفه، ضعيف فى نفسه، و قال على بن الحسن بن فضال: إننى لأستحى من الله أن أروى عن الحسن بن على، كذاب ملعون، رويت عنه أحاديث كثيره و كتبت عنه تفسير القرآن كلّ من أوله إلى آخره، إلّا أنى لا أستحل أن أروى عنه حديثا واحدا ... رجل سوء، كذاب» «٢».

(١)- مجمع البيان/ ج ١٠/ ص ٢٥٥.

(٢)- معجم رجال الحديث/ ج ٦/ ص ١٧-١٨.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٣١٤

٢- و هكذا فان معظم موارد التأويل هذه ضعيفه السند، فقد روى محمّد بن العباس «حدّثنا جعفر بن محمّد بن مالك، عن الحسن بن على بن مهران، عن سعيد ابن عثمان، عن داود الرقى، قال: سألت أبا عبد الله عن قول الله عزّ و جلّ: الشَّمْسُ وَ الْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ؟

قال: يا داود! سألت عن أمر فاكتف بما يرد عليك. إنّ الشمس و القمر آيتان من آيات الله يجريان بأمره، ثمّ إنّ الله ضرب ذلك مثلا لمن وثب علينا و هتك حرمتنا و ظلمنا حقّنا، فقال: هما بحسبان، قال: هما فى عذابى.

قال: قلت وَ النَّجْمُ وَ الشَّجَرُ يَسْجُدَانِ قال: النجم رسول الله، و الشجر أمير المؤمنين، و الأئمه لم يعصوا الله طرفه عين.

قال: قلت: وَ السَّمَاءُ رَفَعَهَا

وَوَضَعَ الْمِيزَانَ.

قال: السَّمَاءُ رَسُولُ اللَّهِ (ص) ثُمَّ قَبَضَهُ ثُمَّ رَفَعَهُ إِلَيْهِ.

وَوَضَعَ الْمِيزَانَ وَ الْمِيزَانَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَ نَصَبَهُ لَهُمْ مِنْ بَعْدِهِ.

قلت: أَلَّا تَطْعَمُوا فِي الْمِيزَانِ قَالَ: لَا تَطْعَمُوا فِي الْإِمَامِ بِالْعَصِيانِ وَ الْخِلَافِ.

قلت: وَ أَفَيْمُوا الْوِزْنَ بِالْفِسْطِ وَ لَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ.

قال: أَطِيعُوا الْإِمَامَ بِالْعَدْلِ وَ لَا تَبْخَسُوا مِنْ حَقِّهِ «١».

ففى سند الروايه:

جعفر بن محمد بن مالك: كان ضعيفا فى الحديث، كان يضع الحديث وضعاء، كان أيضا فاسد المذهب و الروايه، كذاب، متروك الحديث جملة، و كان فى مذهبه ارتفاع (غلو) و يروى عن الضعفاء و المجاهيل، و عيوب الضعفاء مجتمعه فيه.

الحسن بن على بن مهران: مجهول.

سعيد بن عثمان: مجهول.

(١) - البحار/ ج ٢٤ ص ٣٠٩ ح ١٢، و تفسير البرهان/ ج ٤ ص ٢٦٤ ح ٣.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٣١٥

داود الرقى: ضعيف جدًّا، و الغلاة تروى عنه، قلَّ ما رأيت له حديثا سديدا ...

فاسد المذهب ضعيف الروايه لا- يلتفت إليه ... يذكر الغلاة أنه من أركانهم و قد يروى عنه المناكير من الغلو و ينسب إليه أقاويلهم، و قد روى البعض توثيقه إلَّا أنه معارض بما تقدم «١».

و من الواضح أن مثل هذا السند الواهى يعنى عن مناقشه الروايه، و مع ذلك ففيها من حيث اللغه أنه لم يقل أحد من اللغويين و لا المفسيرين أن (حسبان) هنا بمعنى العذاب، إذ الأصل أنها من الحساب «٢»، قال تعالى: لَتَعْلَمُوا عَمْدَ السَّيِّئِ وَ الْحِسَابِ وَ قَالَ تعالى: وَ جَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ حُسْبَانًا بِمَعْنَى الْحِسَابِ، و إلَّا لكان معنى الآية: و جعلنا الليل سكونا و الشمس و القمر عذابا ...!! و لم يقل بذلك أحد.

قال الطبرسى:

الشَّمْسُ وَ الْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ أَى يجريان بحسبان و منازل لا يعدو انها و هما يدلان على عدد السنين و الحساب و الأوقات، عن ابن عباس ...» (٣).

٣- و روى أيضا عن محمد بن جمهور، عن موسى بن بكر، عن زراره، عن حمران، قال: سألت أبا عبد الله (ع) عما يفرق في ليله القدر، هل هو ما يقدر الله فيها؟

قال: لا توصف قدره الله إلا أنه قال: فيها يُفَرَّقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ فكيف يكون حكيما إلا ما فرق، و لا توصف قدره الله سبحانه، لأنه يحدث ما يشاء.

و أما قوله: لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ يعنى فاطمه (سلام الله عليها).

و أما قوله: تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَ الرُّوحُ فِيهَا و الملائكة فى هذا الموضوع المؤمنون الذين يملكون علم آل محمد وَ الرُّوحُ روح القدس و هو فى فاطمه (س).

مِنْ كُلِّ أَمْرٍ سَلَامٌ يقول: من كل أمر مسلّمه.

(١)- معجم رجال الحديث/ ج ٨ / ص ١٢٦.

(٢)- مفردات الراغب / مادّه حسب.

(٣)- مجمع البيان/ ج ٩ / ص ٢٥٣.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٣١٦

حَتَّى مَطَّلَعَ الْفَجْرِ حَتَّى يَقُومَ الْقَائِمُ (ع) «١».

و فى سند الروايه: محمد بن جمهور، قال عنه أصحاب الرجال: «غال ضعيف فى الحديث، فاسد المذهب، و قيل فيه أشياء الله أعلم بها من عظمها ... لا يلتفت إلى حديثه و لا يعتمد على ما يرويه» «٢».

و الناظر إلى الروايه يجد أنّها من جزئين؛ الأول ينتهى بعباره «لأنه يحدث ما يشاء» و هى منسجمه مع الآيه و مع ما فيها، و الجزء الثانى مفكك و لا ينسجم مع الآيه و لا مع الروايه نفسها، فكيف تكون ليله القدر فاطمه (ع)؟ و ثانيه الروح فى

و كيف يكون الملائكة المؤمنين؟ و كيف يتنزلون؟ و لمن يعود الضمير في فيها ...

و كيف تمتد هذه الليله و ذلك التنزل حتى يقوم القائم؟

و كأن الواضع أو المؤول قد دسّ في الحديث الجزء الثاني ليأتي مع القسم الأول ملتحقا به، و استفاد من رواته الثقات: موسى بن بكر و زراره و حمران التالين لمحمّد بن جمهور- الضعيف الغالي- ليضفي على ما دسّه قوه و يعطيه سندا، فقد قيل ليونس بن عبد الرحمن- و هو من وجوه أصحاب الأئمه (ع)-: ما أكثر إنكارك لما يرويه أصحابنا؟ فقال: «حدثني هشام بن الحكم أنّه سمع الإمام الصادق (ع) يقول:

لا تقبلوا علينا حديثنا إلّا ما وافق القرآن و السنّه، أو تجدون معه شاهدا من أحاديثنا المتقدمه؛ فإنّ المغيره بن سعيد دسّ في كتب أصحاب أبي ما لم يحدث أبي بها».

و قال: «عرضت كتب كثير من أصحاب الصادق (ع) على الرضا (ع) فأنكر منها أحاديث كثيره أن تكون من الصادق (ع). و قال: (إنّ أصحاب أبي الخطاب- محمّد ابن مقلاص الغالي الملعون- يدسّون إلى يومنا في كتب أصحاب الصادق (ع) فلا تقبلوا علينا خلاف القرآن؛ فإنّا إذا حدّثنا حدّثنا بموافقه القرآن و موافقه السنّه، إنّا عن الله و عن رسوله نحدّث و لا نقول: قال فلان و قال فلان، فيتناقض كلامنا. إن

(١)- البحار/ ج ٢٥/ ص ٩٧/ ح ٧٠، تفسير البرهان/ ج ٤/ ص ٤٨٧/ ح ٢٤.

(٢)- جامع الرواه/ ج ٢/ ص ٨٧.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٣١٧

كلام آخرنا مثل كلام أولنا، و كلام أولنا مصدق لكلام آخرنا. و إذا أتاكم من يحدثكم بخلاف ذلك فردّوه عليه و قولوا: أنت أعلم و

ما جئت به، فإن مع كل قول منا حقيقه و عليه نور، فما لا حقيقه له و لا نور عليه فذلك قول الشيطان» (١).

و على أيه حال فقد مرّ في بحث (الوضع)، من أنّ أحد علامات الموضوع: ركاهه ألفاظه و معانيه «٢»، و الارتباك في ألفاظ الروايه السابقه و تداعي المعاني واضح للعيان.

٤- في قوله تعالى: فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ* وَ إِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ (الانشراح / ٧- ٨)، وردت الروايات التاليه:

أ- قال محمّد بن العباس: حدّثنا محمّد بن همام، عن عبد الله بن جعفر، عن الحسن بن موسى، عن عليّ بن حسان، عن عبد الرحمن، عن أبي عبد الله جعفر (ع) قال: قال الله سبحانه و تعالى: (أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ - بَعْلَى - وَ وَضَعْنَا عَنكَ وَزْرَكَ الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ، فَإِذَا فَرَغْتَ - مِنْ نَبْوَتِكَ - فَانصَبْ عَلَيَا وَصِيًّا وَ إِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ) في ذلك «٣».

ب- و في روايه اخرى في تفسير عليّ بن إبراهيم، قال: إذا فرغت من حجّه الوداع فانصب أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب (ع).

وَ إِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ:

قال: حدّثنا محمّد بن جعفر، عن يحيى بن زكريا، عن حسان، عن عبد الرحمن بن كثير، عن أبي عبد الله (ع): فإذا فرغت من نبوتك فانصب عليا (ع) و إلى ربك فارغب في ذلك «٤».

(١)- الأخبار الدخيله / ج ١ / ص ٢١٧.

(٢)- تلخيص مقباس الهدايه / ص ٧٢.

(٣)- البحار / ج ٣٦ / ص ١٣٥ / ح ٩١، و تفسير البرهان / ج ٤ / ص ٤٧٤ / ح ٢.

(٤)- تفسير عليّ بن إبراهيم / ج ٢ / ص ٤٢٨.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٣١٨

ج- و في روايه اخرى: قال (محمد بن العباس): حدّثنا محمد بن همام بإسناده، عن إبراهيم

بن هاشم، عن ابن أبي عمير، عن المهلبى، عن سلمان، قال: قلت لأبى عبد الله: قوله تعالى أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ قال: بعلى فاجعله وصيًا. قلت: وقوله فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ قال: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أمره بالصَّلاه و الرَّكاه و الصَّوم و الحجَّ، ثم أمره إذا فعل ذلك أن ينصب علينا وصيًا و إلى رَبِّكَ فَارْغَبْ فى ذلك «١».

د- و قال (محمّد بن العباس) أيضا: حدّثنا أحمد بن القاسم، عن أحمد (بن محمّد) ابن خالد، عن محمّد بن على، عن أبى جميله، عن أبى عبد الله (ع):

قال: قوله تعالى فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ كان رسول الله حاجًا فنزلت فَإِذَا فَرَغْتَ - من حجك - فَانصَبْ علينا للناس «٢».

ه- و قال أيضا (محمّد بن العباس): حدّثنا أحمد بن القاسم، عن أحمد بن محمّد باسناده إلى المفضل بن عمر، عن أبى عبد الله (ع) قال: فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ علينا بالولاية «٣».

و فيها:

أولًا: من حيث السياق القرآنى، فإنّ السوره مجمع على أنّها مكّيه، ففى الدرّ المنثور عن ابن عباس و عبد الله بن الزبير و عائشه، أنّها نزلت بمكّه و زاد بعضهم عن ابن عباس: بعد (الضحى) «٤».

(١)- البحار/ ج ٣٦ ص ١٣٥ / ملحق ح ٩١، و البرهان/ ج ٤ ص ٤٧٥ / ح ٣.

(٢)- البرهان/ ج ٤ ص ٤٧٥ / ح ٤.

(٣)- البرهان/ ج ٤ ص ٤٧٥ / ح ٥. تأويل الآيات الظاهره فى فضائل العتره الطاهره/ ج ٢ ص ٨١١.

(٤)- الدرّ المنثور/ ج ٨ ص ٥٥٣.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٣١٩

و قال الطبرسى: «مكّيه و هى ثمان آيات بالإجماع» «١».

و قد شرع الحجّ فى المدينه بعد الهجره، أمّا حجّ التمتع فقد

شرح في حجة الوداع التي حجها رسول الله (ص) في السنة الأخيرة من عمره الشريف، وخطبته في غدِير خم التي أوصى بها لعليّ (ع) كانت بعد الفراغ من حجه هذا و في أثناء رجوعه إلى المدينة، و بالتالي فما ذكر في الروايات: ب، ج، د أن هذه الآيات من سورة الانشراح نزلت بعد الحج - حجه الوداع - يتعارض مع الإجماع على أن السورة مكّيه، فلا يمكن قبولها.

ثانياً: و أمّا الروايتان: أ، ج فهما تصرّحان بمعنى تبليغ الولاية بعد الفراغ من النبوة، و لا يعلم متى الفراغ منها، هل هو بعد البعثة مباشرة، أم بعد حجه الوداع في آخر عمر الرسول الشريف (ص) كما في الروايات؟ فعلى الأوّل لا- يتم و لا يتناسب مع خطبه الغدير التي كانت بعد حجه الوداع، و على الثاني لا يتم لأنّ الآيات مكّيه كما مرّ.

على أنّ الروايات معارضة بما ورد عن الإمامين الباقر و الصادق (ع) و الّذي ذكره صاحب المجمع، و الّذي سنذكره في الفقرة الرابعه فيما يأتي.

ثالثاً: إنّ فعل نصب لو اريد به نصب شخص وصيا أو وليا فهو فعل متعدّد، تقول:

نصب الأمير فلانا، و لكانت الآيه يجب أن تكون: فإذا فرغت فانصبه، أمّا إذا جاء نصب كفعل لازم - كما في الآيه - فهي من نصب نصباً بمعنى أعيان و تعب، و جدّ و اجتهد «٢».

رابعاً: لذا أجمع المفسّرون من كلا الفريقين على أنّ المعنى: «فإذا فرغت من الصلاة المكتوبه فانصب إلى ربّك بالدعاء و ارغب إليه في المسأله يعطك. عن مجاهد و قتاده

(١) - مجمع البيان/ ج ١٠ / ص ٣٠٦.

(٢) - المعجم الوسيط/ ج ٢ / ص ٩٢٤.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٣٢٠

مقاتل و الكلبي، و هو المروى عن أبي جعفر و أبي عبد الله (ع).

و معنى انصب من النصب و هو التعب أى لا تشتغل بالراحه.

و قال الزهرى: إذا فرغت من الفرائض فادع بعد التشهد بكل حاجتك.

و قال الصادق (ع): هو الدعاء فى دبر الصلاه و أنت جالس ... «(١)».

خامسا: هذا و فى سند الروايات جمع من الضعفاء منهم:

- على بن حسن بن كثير الهاشمى، قالوا عنه: ضعيف جدا، ذكره بعض أصحابنا فى الغلاه، فاسد الاعتقاد، له كتاب تفسير الباطن تخطيط كله، ...، غال، ضعيف، رأيت له كتابا سماه تفسير الباطن لا يتعلّق من الاسلام بسبب ... فهو كذاب واقفى «(٢)».

- و هو يروى عن عمّه عبد الرحمن بن كثير الذى جاء فيه: كان ضعيفا، غمز أصحابنا عليه، و قالوا: كان يضع الحديث، له كتاب فضائل سوره إنا أنزلناه ...

- و أبو جميله، هو المفضل بن صالح، قالوا عنه أنه من جماعه: غمز فيهم و ضعّفوا، ضعيف، كذاب، يضع الحديث «(٣)».

- و أمّا المفضل بن عمر فقد وردت روايات فى مدحه و ذمّه، و ممّن ذمّه النجاشى إذ قال فيه: «فاسد المذهب، مضطرب الروايه، لا يعبا به، و قيل: إنّه كان خطايا، و قد ذكرت له مصنفات لا يعول عليها» «(٤)».

و على أيّه حال فالروايات: أ، ب، ج، د، التى جاءت فى اطلاق القول بالنصب بالولايه، مرسله كما هو واضح من إسنادها.

و الخلاصه: ان هذه الروايات لا علاقه دلاليه فيها بالآيات، و ضعيفه سندا،

(١)- مجمع البيان/ الطوسى / ج ١٠ / ص ٣١٠.

(٢)- معجم رجال الحديث/ ج ١٢ / ص ٣٣٨.

(٣)- م. ن / ج ١٩ / ص ٣١١.

(٤)- م. ن / ج ١٩ / ص ٣١٥.

و تخالف النزول و السياق القرآني، كما تخالف إجماع المفسيّرين، لذا فإنّ كثرتها- بحيث يحسب الناظر إليها أنّها متواتره- لا تفيد شيئاً، و لا يمكن قبول تأويلها على أى حال.

و ما نريده هنا نفي دلالة هذه الروايات على التأويل المنسوب للآيات، أمّا مسأله الولايه ففيها دلائل اخرى، تراجع فى مظانها، و قد ذكرنا قسماً منها فيما سبق.

٥- فى تأويل قوله تعالى: يا إبليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيديّ أستكبرت أم كنت من العالين (ص / ٧٥).

تأويله: ما رواه أبو جعفر محمّد بن بابويه (رحمه الله)، عن عبد الله بن محمّد بن عبد الوهاب، عن أبي الحسن محمّد بن أحمد القواريرى، عن أبي الحسين محمّد بن عمار، عن إسماعيل بن ثويه، عن زياد بن عبد الله البكائي (البكالى)، عن سليمان الأعمش، عن أبي سعيد الخدرى، قال: كنّا جلوساً عند رسول الله (ص) إذ أقبل إليه رجل، فقال: يا رسول الله! أخبرنى عن قول الله عزّ و جلّ لإبليس: أستكبرت أم كنت من العالين من هم يا رسول الله الذين هم أعلى من الملائكه المقربين؟

فقال رسول الله (ص): أنا و على و فاطمه و الحسن و الحسين كنّا فى سرادق العرش نسبح الله، فسبّحت الملائكه بتسييحنا قبل أن يخلق الله عزّ و جلّ آدم بألفى عام.

فلما خلق الله عزّ و جلّ آدم أمر الملائكه أن يسجدوا له، و لم يؤمروا بالسجود إلّا لأجلنا، فسجدت الملائكه كلّهم أجمعون إلّا إبليس أبى أن يسجد، فقال الله تبارك و تعالى يا إبليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيديّ، أستكبرت أم كنت من العالين أى من هؤلاء الخمسه المكتوبه فى سرادق العرش.

فنحن باب

اللّٰهُ الَّذِي يُؤْتِي مِنْهُ وَبِنَا يَهْتَدِي الْمَهْتَدُونَ، فَمَنْ أَحْبَبْنَا أَحَبَّهُ اللَّهُ وَاسْكَنَهُ جَنَّتَهُ، وَ مِنْ أَبْغَضْنَا أَبْغَضَهُ اللَّهُ وَاسْكَنَهُ نَارَهُ، وَ لَا يَحْبِنَا إِلَّا مِنْ طَابَ مَوْلَدُهُ «١».

(١) - فضائل الشيعة / ج ٧ / ص ٧، و عنه البحار: ج ١١ / ص ١٤٢ / ح ٩، و ج ١٥ / ص ٢١ -

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٣٢٢

قال في الوسيط: السّرادق: كل ما أحاط بشيء من حائط أو مضرب، و سردق البيت جعل أعلاه و أسفله مشددا كله «١».

مناقشه الروايه: أ- من حيث السند:

- عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب: القرشي، من مشايخ الصدوق في «العيون» و لكنّه مجهول «٢».

- محمّد بن عمار: مشترك بين عدّه أشخاص كلّهم مجاهيل «٣».

- و لم نجد في كتب الرجال التي بأيدينا ذكرا لكل من: أبي الحسن محمّد بن أحمد القواريري (العرابري)، إسماعيل بن ثويه، و لا زياد بن عبد الله البكائي (البكالي).

- و أمّا سليمان الأعمش فهو سليمان بن مهران، أبو محمّد الأسدي الكوفي، و قد مدحه ابن شهر آشوب، و ذكر أنّه من خواص أصحاب الصادق (ع) «٤» المولود (سنة ٦٠ - ٦١ هـ) إلّا أنّه لا يمكن أن يروى عن أبي سعيد الخدري من أصحاب النبي (ص) المتوفى سنة (٦٣، أو ٦٤ أو ٦٥، أو ٧٤ هـ) «٥». إذ يستبعد روايته عن أبي سعيد الصحابي و هو صبي صغير و ينفرد بروايته تلك عن سائر الناس، فالروايه مرسله

- ح ٣٤، و ج ٣٩ / ص ٣٠٦ / ح ١٢٠، البرهان / ج ٤ / ص ٦٤ / ح ٣، و في البحار ج ٢٦ / ص ٣٤٦ / ح ١٩، عن التأويل، تأويل الآيات الظاهره في فضائل العتره الطاهره / ج ٢ /

(١)- المعجم الوسيط/ ج ١/ ص ٤٢٦.

(٢)- معجم رجال الحديث/ ج ١١/ ص ٣٣٠.

(٣)- م. ن/ ج ١٨/ ص ٦٢.

(٤)- ابن شهر آشوب لا- معاصر للمعنون و لا- قريب العصر منه فكلامه عن حدس. المفيد من معجم رجال الحديث/ محمّد الجواهرى/ ص ٢٦٨.

(٥)- موسوعه رجال الكتب التسعه/ ج ٢/ ص ٢٣.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٣٢٣

فضلا عما فيها من مجاهيل.

و أمّا من حيث المتن فنكتفى بما قاله الشيخ المفيد- و هو من أعاضم الشيعة الإماميه- معقبا على مقوله البعض بأن ذوات آل محمّد كانت موجوده قبل آدم، قال (قدس سره): «فذلك باطل بعيد عن الحق لا يعتقده محصل، و لا يدين به عالم، و إنّما قال به طوائف من الغلاة الجهال و الحشويه من الشيعة الذين لا بصيره لهم بمعانى الأشياء و لا حقيقه الكلام، و قد قيل إنّ الله تعالى كان قد كتب أسماءهم فى العرش و رآها آدم و عرفهم بذلك و علم أنّ شأنهم عند الله عظيم» «١».

و قال الطبرسى فى تفسير الآيه: «أَسْتَكْبَرَتْ أُمُّ كُنْتٌ مِنَ الْعَالِينَ أَى أ رفعت نفسك فوق قدرك و تعظمت عن امتثال أمرى؟ أم كنت من الذين تعلق أقدارهم عن السجود فتعاليت عنه» «٢».

و قال الطباطبائى: «و قوله أَسْتَكْبَرَتْ أُمُّ كُنْتٌ مِنَ الْعَالِينَ استفهام توبيخ، أَى أ كان عدم سجودك لأنك استكبرت، أم كنت من الذين يعلون، أَى يعلو قدرهم أن يؤمروا بالسجود، و لذا قال بعضهم بالاستفاده من الآيه: إنّ العالمين قوم من خلقه تعالى مستغرقون فى التوجه إلى ربهم لا يشعرون بغيره تعالى».

و قيل: المراد بالعالمين ملائكة السماء فإنّ المأمورين بالسجود هم ملائكة الأرض.

و يدفعه

ما فى الآيه من العموم» (٣).

منهج الإماميه فى التأويل الباطنى

يمكن من خلال ما سبق أن نحصل على معالم موقف الإماميه من التأويل بالباطن،

(١)- فى ضمن جواب المسأله الاولى من المسائل العكبريه، بهامش أوائل المقالات/ ص ٢١١/ ط. الداورى بقم.

(٢)- مجمع البيان/ ج ٨/ ص ٣٩٣.

(٣)- الميزان/ ج ١٧/ ص ٢٢٦.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعه، ص: ٣٢٤

و علاقته بالنص القرآنى كما يلى:

١- أن ظاهر النص القرآنى مقدّم على سواه و يتمسك به أولاً.

٢- للآيات القرآنيه بطن كما إنّ لها ظهرا.

٣- يشترط فى البطن أن يكون الكاشف عنه ظواهر الآيات نفسها.

٤- و يشترط فيه أن لا يكون مناقضا لظواهر الكتاب و حقائق الشريعه.

٥- و يشترط فيه أن يكون فى طول الظاهر لا فى عرضه و لا يزاحمه.

٦- يكون الباطن على نوعين:

أ- المفاهيم العامه المستنبطه من الآيات فيما وراء المفهوم الأولى البدوى من الظاهر.

ب- موارد الجرى و التطبيق و تحديد المصاديق للآيات.

٧- تكون موارد الجرى و التطبيق - عاده - بالإخبار من قبل المعصوم.

٨- يرفض - بشده - التأويلات الباطنيه التى لا علاقه لها بالظاهر ممّا يطلقه بعض المتصوفه، أو الفرق الباطنيه.

لذا فقد ألفت علماء الشيعه - قديما و حديثا - كتبا فى الرد على الفرق الباطنيه القديمه و منهم القرامطه و فرق الصوفيه، أو الفرق

المستحدثه منها كالبابيه، ذكر صاحب الذريعه منها أسماء تسعه و خمسين كتابا «١».

٩- اتّخذ علماء الشيعة منذ القدم موقفا شديدا مّمن تأوّل- من غير دليل و حجّه- الآيات القرآنيه، سواء في أهل البيت أو في غيرهم، و يتّضح ذلك الموقف الصارم من خلال عبارات علماء رجالهم في لعن الكذابين الواضعين و ردّ أحاديثهم و عدم الاعتناء بها، حتّى أنّهم لا يستحلون الروايه عنهم حديثا واحدا،

و منهم من كتب عنه تفسير القرآن كله من أوله إلى آخره؛ أو آخر له كتاب تفسير الباطن و وصفوه بأنه:

لا يتعلّق من الاسلام بسبب، أو آخر له كتاب فضائل في سورة من القرآن و هو

(١)- الذريعة إلى تصانيف الشيعة/ ج ١٠/ ص ١٨٨-٢٢٢.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٣٢٥

موضوع، فمصنفاتهم لا يعوّل عليها.

١٠- القاعده العامه الحاكمه على سائر الروايات، هي ما سنّها أئمّه أهل البيت (ع) إذ حدّروا من الدسّ و الوضع الذي جرى في حديثهم- كما جرى في حديث رسول الله (ص)- فأمرؤا بإرجاع ما يروى عنهم من حديث إلى كتاب الله و السنّه- المتواتره- فما وافقهما اخذ به، لأنهم يحدّثون عن الله و عن رسوله (ص)، و ما خالفهما ردّ على من أتى به فهو أعلم و ما جاء به.

١١- و لذا فإنّ هذه التأويلات غير المعقوله أو الباطله لم يأخذ بها علماء الشيعة و مفسروهم المحققون المعترفون، و لا نجد لها أثرا في كتب التفسير الأساسية عندهم، نعم توجد هذه التأويلات في بعض المجاميع الحديثيه التفسيريه التي غايتها جمع الروايات دون إبداء نظر أو تمحيص، و هي لا تمثل الخط العام للمفسرين الشيعة.

١٢- لا- شك في وجود روايات تأويل مقبوله، و روايات جرى و تطبيق صحيحه، فلا يسوّغ وجود روايات ضعيفه فتح الباب للطعن في الروايات الصحيحه، و منها روايات مأثوره متواتره في فضائل أهل البيت (ع) ذكرتها كتب الفريقين، إذ يبقى لأهل البيت (ع) المقام السامي من التطهير و الفضل و الاسوه المتقدمه في عالم الاسلام.

اختلاف التأويل عن التفسير الباطني:

إنّ التأويل بالباطن عند الشيعة، و أغلبه في موارد الجرى و التطبيق ليس تفسيراً باطنياً يلغى التفسير بالظاهر، و

إنّما التفسير الظاهر للآيات باق بوجوده و حجّيته و لزوم العمل به، و ما يأتي من التفسير بالباطن، هو فى طول هذا التفسير، من باب تطبيق الآيه من القرآن على ما تقبل أن تنطبق عليه من الموارد، و إن كان خارجا عن مورد النزول، و من ذلك تطبيق الآيات القرآنيه على أهل البيت (ع) و فى أعدائهم، كما يؤكّد ذلك العلامة الطباطبائى «١».

(١) - الميزان / ج ١ / ص ٤٤ و ٤٥.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٣٢٦

و أكّد هذا المنهج مفسّر شيعى آخر، و هو السيد السبزوارى الذى يقول:

«... كما إنّى لم أهتم بذكر شأن النزول غالبا؛ لأنّ الآيات المباركه كليات تنطبق على مصاديقها فى جميع الأزمنه، فلا وجه لتخصيصها بزمان النزول أو بفرد دون فرد آخر، و كذلك جميع الروايات الوارده عن الأئمه الهداه فى بيان بعض المصاديق لها، فهو ليس من باب التخصيص، بل من باب تطبيق الكلّى على الفرد، كما ستعرف ذلك كلّ إن شاء الله تعالى» «١».

و هذه مسأله أساسيه يختلف بها التأويل الذى نحن بصددّه عن التفسير الباطنى الذى يلغى الظاهر و يتمسك بالباطن، فإنّ الباطنيه رفضوا الأخذ بظاهر القرآن و قالوا: للقرآن ظاهر و باطن، و المراد منه باطنه دون ظاهره «٢»، و هذا يختلف جوهرى و مبدئيا عن التأويل بالباطن - عند الشيعة -، فهم يقرّون الظاهر و يثبتون حجّيته؛ فهذا الإمام الخوئى - المرجع المعاصر للشيعة - يعقد فى مقدّمه تفسيره فصلا فى إثبات حجّيه ظواهر الكتاب، و بعد ما أورد جمله من الآيات الدالّه على وجوب العمل بما فى القرآن و لزوم الأخذ بما يفهم من ظواهره، قال:

«و ممّا يدلّ على حجّيه ظواهر الكتاب و

فهم العرب لمعانيه:

١- أنّ القرآن نزل حجّه على الرساله، و أنّ النبيّ (ص) قد تحدّى البشر على أن يأتوا و لو بسوره من مثله، و معنى هذا أنّ العرب كانت تفهم معانى القرآن من ظواهره، و لو كان القرآن من قبيل الألغاز لم تصحّ مطالبتهم بمعارضته، و لم يثبت لهم إعجازه؛ لأنّهم ليسوا ممّن يستطيعون فهمه، و هذا ينافى الغرض من إنزال القرآن و دعوه البشر إلى الإيمان به.

٢- الروايات المتظافره الأمره بالتمسك بالثقلين اللذين تركهما النبيّ فى المسلمين،

(١)- مواهب الرّحمن / مقدّمه المؤلف / ص ٧.

(٢)- مناهل العرفان فى علوم القرآن/ ج ٢ / ص ٨٢.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٣٢٧

فإنّ من اليبين أنّ معنى التمسك بالكتاب هو الأخذ به، و العمل بما يشتمل عليه، و لا معنى له سوى ذلك.

٣- الروايات المتواتره التى أمرت بعرض الأخبار على الكتاب، و أنّ ما خالف الكتاب منها يضرب على الجدار، أو أنّه باطل، أو أنّه زخرف، أو أنّه منهى عن قبوله، أو أنّ الأئمه لم تقله، و هذه الروايات صريحه فى حجّيه ظواهر الكتاب، و أنّه ممّا تفهمه عامّه أهل اللسان العارفين بالفصيح من لغه العرب. و من هذا القبيل الروايات التى أمرت بعرض الشروط على كتاب الله و ردّ ما خالفه منها.

٤- استدلالات الأئمه (ع) على جملة من الأحكام الشرعيه و غيرها بالآيات القرآنيه «١».

فالتأويل بالباطن عند الشيعة لا يلتقى بحال مع مبادئ الباطنيه و تفسيراتهم، و إنّما هو يمكن تشبيهه بالتفسير الإشارى المقبول، و الذى يمكن الجمع بينه و بين الظاهر، فإنّ هذا التفسير- مع اشتراط عدم منافاته للقرآن و للشريعة و ظواهر النص ...-

ليس إحاله للظاهر عن ظاهره، و لكن

ظاهر الآيه ما جاءت له و دلت عليه في عرف اللسان، و التفسير الإشارى هو من باب فهم باطن الآيه لمن فتح الله قلبه، و لذا كان ذلك مقبولاً لدى العلماء «٢».

و من هنا نعلم، أنّ الخلط بين التأويل عند الشيعة، و التأويل عند الباطنيه، و الذين ردّهم الشيعة و تبرّءوا منهم، لم يكن صائباً و لا يقوم على أساس صحيح؛ لاختلاف المبادئ و كذا التطبيقات عن بعضها البعض.

بقى أمر، و هو وجود مرويات غير مقبوله- في التأويل و غيره- هنا و هناك، فإنّ هذه المرويات موجوده في سائر أنواع الحديث، و قد مرّ علينا في الوضع

(١)- البيان في تفسير القرآن/ ص ٢٨٢ و ٢٨٣.

(٢)- مناهل العرفان/ ج ٢/ ص ٨٧.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٣٢٨

و الاسرائيليات، كثره المرويات الموضوعه، و بلغ الضعف في المروى حدّاً حتّى قال بعضهم بأنّ أكثر الروايات في التفسير لا يصحّ له سند متّصل، و ما صحّ سنده إلى بعض الصحابه يقلّ فيه المرفوع- إلى النبىّ (ص)- الذى يحتجّ به، حتّى ذهب البعض إلى أنّ أكثر ما روى في التفسير أو كثره حجاب على القرآن و شاغل لتاليه عن المقاصد العاليه المزكيه لأنفس المنوره للعقول، و بالتالى، فإنّ المفضّلين للتفسير بالمأثور لهم شاغل عن مقاصد القرآن بكثرة الروايات التى لا قيمه لها سندا و لا موضوعاً «١».

إلّا أنّ ذلك، كما يعلم، لا يصدّ المفسّر و الباحث عن استقصاء الروايات الصحيحه و المقبوله، و إنّما يعطينا الدليل على أنّ هذه الروايات تحتاج إلى تمحيص دقيق، لا من جهه السند- إذ إنّ أكثرها ليس له سند تام و صحيح- بل من جهه موافقتها للقرآن و

عدم تعارضها مع الأدلة الشرعية و العقلية.

و لذا فإنّ وجود روايات ضعيفه أو غير مقبوله فى التأويل لا يدعوننا بأى حال إلى رفض سائر المرويّات، بل يحثنا على الدقه فى بحثها و التأكد من صحّتها.

و فى مقابل الاتجاه للتأويل، حاول البعض - و منهم الحشويه و أصحاب الحديث - الوقوف بوجه التأويل، بكل أنواعه، و القول بالجمود على ظاهر الآيات و الأحاديث و عدم تأويلها، فوقعوا فى الجبر و التشبيه و التجسيم و التصوير، فقالوا إنّ معبودهم على صورته ذات أعضاء و أبعاض ... و يجوز عليه الانتقال و النزول و الصعود ... إلخ «٢».

و سنأتى على دراسته هذا الاتجاه و غيره فى التعامل مع الحديث و تأثيراته فى الفصل القادم إن شاء الله.

(١) - م. ن / ص ٢٨.

(٢) - الملل و النحل / ج ١ / ص ٩٨.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٣٢٩

التأويل لدى مختلف المذاهب:

و الاتجاه إلى التأويل لم يقتصر على الشيعة، بل هو موجود لدى سائر المذاهب، و قد سبق و أن علمنا أنّ أكثر المسلمين يقرّون بوجود باطن للآيات، كما إنّ كثيرا من الفرق من مختلف المذاهب كان لديها التأويل بصور مختلفه.

فالمعتزله قالوا بتأويل الآيات المتشابهه، خصوصا التى تتعارض مع عقيدته التوحيد، قال الشهرستاني:

«اتفقوا على نفي رؤيه الله تعالى بالأبصار فى دار القرار و نفي التشبيه عنه من كل وجه: جهه و مكانا و صورته و تميزا و انتقالا و زوالا و تغيرا و تأثرا، و أرجعوا تأويل الآيات المتشابهات فيها و سمّوا هذا النمط تأويلا» «١».

كما أنّهم أولوا بعض الآيات الاخرى وفقا لقولهم فى المنزله بين المنزلتين - أنّ صاحب الكبريه لا- يكون مؤمنا و لا كافرا و لا منافقا، بل يكون

فاسقا-، و كذلك القول بأن أفعال العباد مخلوقه لهم «٢».

و قال الزمخشري بأنّ من القرآن ما يستحيل حمله على ظاهره، فلا بدّ من تأويله و حمله على المؤوّل لا المعنى الظاهر الرّاجح فيه «٣».

و من المؤوّلين- ضمن ضوابط معيّنه- كثير من الاصوليين السنّه كالمالكيه و الشافعيه و الحنفيّه، و منهم أبو اسحاق الشاطبي، الذي هاجم الظاهريين في غير ما موضع من كتابه «الموافقات»، ناقلا عن فقهاء سابقين أو صائغا أحكامه من عنده، يقول: «فقد نقل عن عياض بعض العلماء أنّ مذهب داود- الظاهري- بدعه ظهرت بعد المائتين، و هذا و إن كان تغاليا في ردّ العمل بالظاهر، فالعمل بالظاهر أيضا على تتبع و تغال بعيد عن مقصود الشارع»، بل إنّه يذهب أبعد من ذلك، فينفي كلّ فقه

(١)- م. ن / ص ٤٩.

(٢)- مناهل العرفان/ ج ٢ / ص ٧٨.

(٣)- البرهان/ ج ٢ / ص ٢٠٦.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٣٣٠

و علم عن الواقفين مع ظاهر الآيات، فيقول: «فاعلم أنّ الله تعالى إذا نفى الفقه أو العلم عن قوم فذلك لوقوفهم مع ظاهر الأمر و عدم اعتبارهم للمراد منه».

و هو يجد أنّ المعنى الباطني- في كثير من الآيات كالمتشابه منها- هو العدى يضمن انسجام العقيدة و ينقذ المفسرين من التناقض، و يكون عندها مقدّما على المعنى الحرفي، لذا يقول الشاطبي: «و على الجملة فكلّ من زاغ و مال عن الصّراط المستقيم فيمقدار ما فاته من باطن القرآن فهما و علما، و كلّ من أصاب الحقّ و صادف الصّواب فعلى مقدار ما حصل له من فهم باطنه» «١».

و من التأويل الباطني كذلك، التفسير الاشاري لدى الفرق الصوفيه و التفاسير العرفانيه من سائر

مذاهب المسلمين، و لكن علماء الجمهور جهدوا أنفسهم بإخراج ذلك عن دائره الباطنيه؛ لأن أكثر مفسري هذا النوع منهم، فقد قال ابن الصلاح في فتاواه: وجدت عن الإمام أبي الحسن الواحدى المفسر أنه قال: صنّف أبو عبد الرحمن السلمى حقائق فى التفسير، فإن كان قد اعتقد أنّ ذلك تفسير فقد كفر. قال ابن الصلاح: و أنا أقول: الظنّ بمن يوثق به منهم إذا قال شيئاً من ذلك أنّه لم يذكره تفسيراً، و لا ذهب مذهب الشرح للكلمه، فإنّه لو كان كذلك كانوا قد سلكوا مسلك الباطنيه، و إنّما ذلك منهم تنظير لما ورد به القرآن، فإنّ النظر يذكر بالنظر، و مع ذلك فى ليتهم لم يتساهلوا بمثل ذلك، لما فيه من الإيهام و الالتباس «٢».

و هذا الرّفق و التساهل الكبير مع تفاسير الصوفيه نجده أيضا عند الدكتور الذهبى الذى يصف هذه التفاسير أولاً بأنّه لو اريد بها التفسير لكان هو بعينه مذهب الباطنيه، و لكنّه يحملهم على حسن الظنّ و يبرّر لهم ذلك وفقاً لتعبير ابن الصلاح «٣»، فى نفس

(١) - مجهول البيان / د. محمد مفتاح / ص ٩٣. الموافقات للشاطبى / ج ٣ / ص ١٥٤، ٣٨٥، ٣٩٠.

(٢) - م. ن / ص ٨٤.

(٣) - التفسير و المفسرون / ج ٢ / ص ٣٩٧.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٣٣١

الوقت الذى يقَرّ به بأنّ الإماميه يقولون بالظاهر، و لكنّهم لقولهم بالباطن، فإنّهم كانوا - برأيه - و الباطنيه سواء بسواء، فقال عنهما: «و كلا الفريقين ضالّ مبتدع» «١».

فانظر كيف كال بمعيارين و قاس بمقياسين وفقاً لميوله المذهبيه و آرائه الشخصيه.

مع أنّ الناظر إلى بعض التفاسير الإشاريه، و الصوفيه، لا يجد فيها ذكراً لظاهر القرآن و تفسيره اللغوى، بل

يجد فيها تفاسير غريبه بالباطن تجرّد القرآن عن معانيه الظاهرية المعقوله إلى معان باطنيه.

ففى تفسير قوله تعالى: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقْرَهُ (البقره / ٦٧)، قالوا:

إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقْرَهُ هى النفس الحيوانيه، و ذبحها قمع هواها الذى هو حياتها و منبعها، من الأفعال الخاصه بها بشفره سكين الرياضه.

و قال فى تفسير آيه وَ لِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً إلى قوله: وَ ذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ من سوره الأنبياء [الآيات: ٨١ - ٨٤] قال ما نصّه:

وَ لِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ أى سخرنا لسليمان العقل العملى، و المتمكن على عرض النفس فى الصّيد، ريح الهوى عاصفه فى هبوطها. تَجْرِي بِأَمْرِهِ مطيعه له إلى الأَرْضِ أرض البدن المتدرّب بالطاعه و الأدب. الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا بتميز الأخلاق و الملكات الفاضله و الأعمال الصالحه. وَ كُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ من أسباب الكمال عالمين.

وَ مِنَ الشَّيَاطِينِ شياطين الوهم و التخيل، مَنْ يَغْوُصُونَ لَهُ فى بحر الهولى الجثمانيه و يستخرجون درر المعانى الجزئيه. وَ يَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ من التركيب و التفصيل و المصنوعات، و تهيج الدواعى المكسوبات و أمثالها. وَ كُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ عن الزّيف و الخطأ و التسويل الباطل و الكذب. وَ أَيُّوبَ النَّفْسِ المطمئنه الممتحنه بأنواع البلاء فى الرياضه، البالغه كمال الزّكاء فى المجاهده. إِذْ نَادَى رَبَّهُ عِنْدَ شِدَّةِ الْكُرْبِ فى الجلد، و بلوغ الطّاقه و الوسع فى الجهد. أَنَّى مَسَّنِيَ الضُّرُّ مِنَ الضَّعْفِ

(١) - م. ن / ص ٣٨٤.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٣٣٢

و الانكسار و العجز. وَ أَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ بالتوسعه و الرّوح. فَاسْتَجَبْنَا لَهُ بروح الأحوال عن كدّ الأعمال، عند كمال الطمأنينه و نزول السكينه. فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ من ضرّ الرياضه بنور الهدايه، و نفّسنا عنه

ظلمه الكرب، بإشراق نور القلب. وَ آتَيْنَاهُ أَهْلَهُ الْقُوَى النَّفْسِيَةَ الَّتِي مَلَكَهَا وَ أَمْتَنَاهَا بِالرِّيَاضَةِ، بِإِحْيَائِهَا بِالْحَيَاةِ الْحَقِيقِيَّةِ. وَ مِثْلَهُمْ مَعَهُمْ مِنْ إِمْدَادِ الْقُوَى الرُّوحَانِيَّةِ وَ أَنْوَارِ الصِّفَاتِ الْقَلْبِيَّةِ، وَ وَفَّرْنَا عَلَيْهِمْ أَسْبَابَ الْفَضَائِلِ، وَ أَحْوَالَ الْعُلُومِ النَّافِعَةِ الْجَزْئِيَّةِ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَ ذِكْرًا لِلْعَابِدِينَ» (١).

و لو سرنا مع القرآن بهذا التأويل، لكان قرآنا آخر غير الذي فهمه المسلمون و تداولوه منذ نزوله حتى يومنا الحاضر.

و لا- يعلم ما اختلاف هذا، من حيث الاستعاره و التشبيه، عن تأويل الباطنية الذي ذمه المسلمون كلهم، و الذين يقولون: إن (الكعبة) هي النبي، و (الباب) علي، و (الصفا) هو النبي، و (المروه) علي، و (نار إبراهيم) هي غضب النمرود عليه، و (عصا موسى) هي حجته (٢) ... إلخ.

فكيف يكون الأول: من باب ذكر النظر بالنظير، و لا يكون الثاني كذلك، و أين التناظر في كليهما؟ علما بأننا لا نقول دفاعا عن ذا و ذاك، فكلاهما مردودان مخالفان لظاهر القرآن، و لكن لأجل بيان طريقه التعامل المذهبي و تأثيره المسبق على الأفكار و الأحكام.

لذا فإن الطريق الأسلم ليس الإلغاء و الطرح للروايات، بل هو الرجوع بها إلى القرآن الكريم، فما وافق منها القرآن اخذ به، و ما خالف القرآن ترك.

(١)- مناهل العرفان/ ج ٢/ ص ٩٦، عن التفسير المنسوب لابن عربي.

(٢)- م. ن/ ص ٨٣.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٣٣٣

الفصل الرابع منهج التعامل مع الحديث و أثره في التفسير

إشارة

علوم السند، دراسه المتن، اتجاهات التعامل مع الحديث، منهج نقد النص في التفسير

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٣٣٥

أهميه علوم الحديث:

قد علم أهميه الحديث النبوي في بيان الوحي الإلهي و إبلاغ أحكام الاسلام إلى الناس، قال تعالى: وَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (النمل / ٤٤).

و كان لمنهج التعامل مع الحديث أثره الكبير فى التفسير بالمأثور، فهو- إضافة إلى تفسير القرآن بالقرآن- فى معظمه من الحديث المأثور عن النبى (ص)، أو الأئمة من أهل بيته (ع)، أو الصحابه و التابعين «١».

و سنتناول بالبحث فيما يلى منهج التعامل مع الحديث، من حيث اعتباره و حجيته، و بالتالى قيمته و دوره فى التفسير.

فقد روى عن رسول الله (ص) أنه قال: «ألا و إنى أوتيت الكتاب و مثله معه ...»،

و هو يدلّ على أنّ الوحي منه ما نزل بصوره القرآن، و منه ما نزل لبيان ما نزل من القرآن «٢»، و قد بيّنا فى الفصل الخاص بالسنة، أنّ القرآن هو بمثابة الدستور العام للاسلام، و السنة هى التفصيل و التجسيد لهذا الدستور فى حياه الفرد و الامّة، على

(١)- اطلق فى الأصل الحديث على «ما اضيف إلى النبى (ص) من قول أو فعل أو تقرير أو وصف خلقى أو خلقى»، و على هذا التعريف لا يدخل فيه الموقوف، و هو ما اضيف إلى الصحابى، و لا المقطوع، أى ما اضيف للتابعى ... لكن الجمهور ذهبوا إلى أنّهما من الحديث، و سوّوا فى الدلالة بين الحديث و الخبر أيضا». منهج النقد فى علوم الحديث/ د. نور الدين عتر/ ص ٢٧. و اعتبر الشيعة حديث أهل البيت (ع) امتدادا للسنة النبويّة، راجع:

البحث الخاص بأهل البيت (ع) من هذا البحث.

(٢)- التفسير و المفسرون/ ج ١/ ص ٥٨.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٣٣٦

جميع المستويات الفكرية و العملية، فكان في السنه بيان ما اجمل في القرآن و توضيح ما أشكل على الناس و تفصيل الأحكام التي وردت فيه و بيان العبادات التي أمر بها الله تعالى.

و بالجملة فإن السنه تهدف إلى تقريب القرآن إلى الأذهان و تقريب الناس إلى القرآن.

لقد اعتنى العلماء منذ القدم بدراسه سند الحديث، و المقصود به طريق الحديث، و قد سمي سندا لاعتماد الحفاظ عليه في حجية الحديث و وضعه، و اهتموا كذلك بدراسه المتن، و هو في عرفهم ما ينتهي إليه السند، إذ سند الحديث هم الرواه، و متنه:

القول المروى، و كانت تلك الدراسه هي الهدف من علم الحديث، كما قال النووي في شرح خطبه مسلم إذ أن: «المراد من علم الحديث تحقيق معاني المتون و تحقيق علم الإسناد و المعلل، و العله عباره عن معنى في الحديث خفي يقتضى ضعف الحديث مع أن ظاهره السلامه منها، و تكون العله تاره في المتن، و تاره في الإسناد.

و ليس المراد من هذا العلم مجرد السماع و لا-الإسماع و لا-الكتابه، بل الاعتناء بتحقيقه و البحث عن خفي معاني المتون و الأسانيد و الفكر في ذلك و دوام الاعتناء به و مراجعه أهل المعرفه و مطالعه كتب أهل التحقيق فيه» (١).

و قد اتسعت علوم الحديث، حتى قال الحازمي في كتاب الصحابه: أنها تبلغ المائه، كل نوع منها علم مستقل لو أنفق الطالب فيه عمره لما أدرك نهايته، و ذكر ابن الصلاح منها خمس و ستين، و قال: ليس ذلك بآخر

الممكن منها، فإنها قابله للتنوع إلى ما لا يحصى: أحوال رواه الحديث و صفاتهم، و أحوال متون الحديث و صفاتها، و ما من حاله منها و لا صفه إلا و هي بصدد أن تفرد بالذكر و أهلها، فإذا هي نوع على حاله «٢».

(١) - أضواء على السنّة المحمّديه / ص ٢٧٤.

(٢) - تدريب الراوى للسيوطى / ص ٢٤.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٣٣٧

و تتوزع علوم الحديث على قسمين:

[شعب علوم الحديث]

١- علوم السند:

تتركز علوم السند عادة على دراسه طريق الحديث و أحوال رواته، فينقسم من حيث توثيقهم إلى الصحيح و الحسن و الضعيف، و من حيث إسناده إلى المسند و المتصل، و من حيث نسبه إلى الرسول (ص) أو غيره من الصحابه و التابعين إلى المرفوع و الموقوف و المقطوع، و من حيث انقطاع السند إلى المرسل و المنقطع و المعضل، ثم تتبعه دراسات السند إلى دراسه صفات الرواه من حيث القبول أو الرد، و ما يسمّى بالجرح و التعديل، و تتضمن دراسه عداله الراوى و شروطها، و كذلك شرائط الضبط المطلوبه فيه و عدم تساهله فى السماع و التحديث، و أقسام تحمل الروايه، سماعا و عرضا و اجازة و غيرها، و صفات الراوى و آدابه، و كذلك أنواع الاسناد من العلو و النزول، و تصنيف الرواه و المحدثين بحسب موقعهم من الصحبه و درجتهم من التابعين و أسمائهم و صفاتهم و نسبهم و روايه بعضهم عن بعض، و غير ذلك من امور قد لا- تهتم السند من حيث القوه و الضعف، إلا أنها تهتم فى تفضيل بعض الحديث و تقديمه على غيره بناء على هذه الاعتبارات.

٢- دراسه المتن:

أمّا دراسه المتن فهى تتجه أولا- إلى معنى المتن أولا من حيث شدوده عن الأحاديث الاخرى، إذ يروى الثقة ما لا يرويه الناس، أو أن يكون منكرا، إذا لا- يعرف متنه عن غير روايه، أو انفراد بعض المحدثين به دون غيرهم، و كذلك تشخيص المعلل من الحديث الظاهر السلامه، و لكن يقدر فيه لعله و قرائن، منها و هم بارسال أو وقف أو دخول حديث فى حديث أو غير ذلك، و المضطرب بروايته على أوجه مختلفه متقاربه، و المدرج بأن

يذكر الراوى إضافه إلى حديث النبى (ص) كلاما لنفسه أو لغيره فيوهم أنه من الحديث، و أخيرا الموضوع و هو المختلق المصنوع، الذى يعرف بقرائن ذاته فى التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٣٣٨

الراوى أو موضوعيه فى المروى، إضافه إلى مسائل فرعيه اخرى تتعلق بدراسه المتن «١».

نواقص علوم الحديث:

و على الرغم من التوسّع فى علوم الحديث، فإنه يلاحظ عليها أنها غير كافيه لتمحيص الحديث، و ذلك للأسباب التاليه:

١- إن دراسات علم الحديث اتّجهت إلى دراسه السند أكثر ممّا اتّجهت إلى دراسه المتن، بل ربّما كان أغلب السابقين من علماء الحديث يركزون على صحّ الإسناد، بحسب رأيهم، و لا يهتمون بعد ذلك بمتن الحديث، فقد نقل الذهبى عن يحيى بن سعيد القطان، أنه قال: «لا تنظروا إلى الحديث و لكن انظروا إلى الإسناد، فان صحّ الإسناد و إلّا فلا تغتروا بالحديث إذا لم يصحّ الإسناد».

٢- و المعلوم أنه ليس من شرط الحديث الصحيح (سندا) أن يكون مقطوعا به، إذ ذهبوا إلى عدم استلزام صحّ السند لصحّ المتن «لأنه قد يصح أو يحسن الإسناد لشذوذ أو عله» «٢».

و قال الحافظ ابن الصلاح: «و متى قالوا: هذا حديث صحيح، فمعناه أنه اتصل سنده مع سائر الأوصاف المذكوره و ليس من شرطه أن يكون مقطوعا به فى نفس الأمر ...

و كذلك الأمر إذا قالوا فى حديث إنّه غير صحيح، فليس ذلك قطعا بأنه كذب فى نفس الأمر، إذ قد يكون صدقا فى نفس الأمر، و أنّما المراد أنه لم يصحّ إسناده على الشرط المذكور» «٣».

لذا فإنّ دراسه السند- كما تتّجه إليه أغلب علوم الحديث- لا تغنى بأيّ حال عن

(١)- راجع للتفصيل: المصدر نفسه و غيره

من كتب علم درايه الحديث.

(٢) - تدريب الراوى / ص ١٠٠.

(٣) - أضواء على السنّه / ص ٢٨٣.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٣٣٩

دراسه المتن.

٣- إلّا أنّنا نجد غالباً أنّ دراسات المتن تركّزت على دراسه تركيب ألفاظ الحديث، و من ثمّ دراسه متن الحديث من حيث إنّه موافق للرأى العام السائد، فإنّ ابن الصلاح قال: «و متى قالوا هذا حديث صحيح فمعناه أنّه اتصل سنده مع سائر الأوصاف المذكوره، و ليس من شرطه أن يكون مقطوعاً به فى نفس الأمر، إذ منه ما ينفرد بروايته عدل واحد، و ليس من الأخبار الّتي أجمعت الأمّه على تلقّيها بالقبول» (١).

لذا وجدنا كل جماعه قبلت من الحديث ما كان موافقاً لرأىها و طرحت غيره بحجّه مخالفته للاجماع و الّذى كثيراً ما ادعى فى مسائل خلافه لم يتم عليها اجماع، كما أنّنا نجد كثيراً من الأحاديث طرحت لعدم قبول الحكّام لها، و بالتالى فإنّ هذا الشرط الّذى وضعوه لقبول الحديث أو ردّه من حيث المتن، وفقاً لقبول الناس له، غير دقيق و قابل للتغيّر عبر الأزمان.

٤- كما أنّهم لم يكونوا يجوّزون التعمّق فى دراسه المتن، قال الذهبي: «كان السلف يزجرون عن التعمّق و يبدعون أهل الجدل» (٢).

بل ربّما كانوا يعدّون السؤال و التحقيق فى معنى الحديث من باب اتباع المتشابه المقصود فى قوله تعالى: فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَ ابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَ مَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا ... (آل عمران / ٧).

اتجاهات التعامل مع المتشابه من الحديث:

اشاره

و مع وفرة الأحاديث الموضوعه و الإسرائيليات، و الّتى يتعارض الكثير منها مع

(١) - م. ن / ص ٢٨٤.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٣٤٠

اصول العقيدة، و لعدم وجود ميزان دقيق فى مناقشتها، فقد تعددت الاتجاهات الفكرية تبعا لطريقه تعاملها مع الآيات القرآنيه المتشابهه و الحديث النبوى الشريف.

و قد صنفها الشهرستانى إلى الاتجاهات التاليه التى جعلها فى مقابل المعتزله، مع تقريره بأن هذه الاتجاهات قد تميّزت فى تقرير «مذهب أهل السنّه و الجماعه» فى المتشابهات و الأخبار النبويّه «١»، فعّد منها:

١- اتّجاه توقف فى التأويل، و هو اتّجاه السلف المتقدمين من أصحاب الحديث مثل مالك بن أنس و مقاتل بن سليمان و تبعهم على ذلك أحمد بن حنبل و داود بن على الاصفهانى و غيرهم، فقالوا: نؤمن بما ورد به الكتاب و السنّه و لا نتعرّض للتأويل ... بل نقول كما قال الراسخون فى العلم: كل من عند ربّنا، آمنّا بظاهره و صدقنا بباطنه و أوكلنا علمه إلى الله و لسنا مكلفين بمعرفه ذلك.

٢- و اتّجاه ذهب أصحابه إلى التشبيه، فقالوا إنّ معبودهم على صورته ذات أعضاء و أبعاض، إمّا روحانيه و إمّا جسمانيه، و يجوز عليه الانتقال و النزول و الصعود و الاستقرار و التمكن.

و أجازوا على ربّهم الملامسه و المصافحه، و أنّ المسلمين المخلصين يعانقونه فى الدنيا و الآخره، إذا بلغوا فى الرياضه و الاجتهاد إلى حد الإخلاص و الاتحاد المحض.

و نسب إلى بعضهم: أنهم يجوّزون الرؤيه فى دار الدنيا و أن يزوروه و يزورهم.

و حكى عن داود الجواربى أنه قال: اعفونى عن الفرج و اللّحيه و أسألونى عمّا وراء ذلك، و قال: إن معبوده جسم و لحم و دم و له جوارح ...

و كذلك ما ورد فى الأخبار من الصوره و غيرها فى ما

نسب إلى النبي (ص) قوله:

(خلق آدم على صورة الرحمن) وقوله: حتى يضع الجبار قدمه في النار ... فإن هؤلاء المشبهه أجروا هذه الصفات و غيرها على ما يتعارف في صفات الأجسام.

(١)- الملل و النحل / ج ١ / ص ٩٥.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٣٤١

و ذهب الشهرستاني إلى أن هذه الأخبار و أمثالها موضوعه و أن أفكارها تسربت من اليهوديه، قال: «و زادوا في الأخبار أكاذيب وضعوها و نسبوها إلى النبي (ع)، و أكثرها مقتبسه من اليهود فإن التشبيه فيهم طباع ... و روى المشبهه عن النبي (ع) أنه قال: (لقيني ربي فصافحني و كافحني، و وضع يده بين كتفي حتى وجدت برد أنامله)» (١).

و نسب الشهرستاني هذا القول إلى مشبهه الحشويه، و مشبهه الشيعة و هم الغلاة منهم (٢)، إلما أنه في موضع سابق قال: «و الأشعريه سمّوهم تاره حشويه و تاره جبريه» (٣).

و من هؤلاء: الصفاتيه، و هم المبتون الصفات لله تعالى في مقابل المعتزله النافين لها، لذا سمى السلف: صفاتيه، و المعتزله: معطله، «فبالغ بعض السلف في إثبات الصفات إلى حد التشبيه بصفات المحدثات، و اقتصر بعضهم على صفات دلت الأفعال عليها ... ثم إن جماعه من المتأخرين زادوا على ما قاله السلف، فقالوا لا بد من إجرائها على ظاهرها و القول بتفسيرها كما وردت من غير تعرض للتأويل و لا- توقّف في الظاهر، فوقعوا في التشبيه الصرف، و ذلك على خلاف ما اعتقده السلف، و لقد كان التشبيه صرفا خالصا في اليهود، لا في كلهم بل في القراءين منهم، إذ وجدوا في التوراه ألفاظا تدلّ على ذلك» (٤).

و بيّن الشهرستاني أن الأشعريه التي صارت مذهبا لأهل

السنة و الجماعه، انتقلت سمه الصفاتيه إليها، إلّا أننا نجد الأشعري متأثراً بشيء ما بالمشبهه؛ إذ أن من مذهبه:

(١) - م. ن / ص ٩٨.

(٢) - تصدى أئمة أهل البيت (ع) لنفى التشبيه و التجسيم، كما مرّ مفصّلاً فى بحثى: الوضع، و الغلو، من هذا الفصل.

(٣) - م. ن / ص ٧٩.

(٤) - م. ن / ص ٨٤.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٣٤٢

«أن كل موجود يصحّ أن يرى، فإنّ المصحح للرؤيه إنّما هو الوجود، و البارى تعالى موجود فيصحّ أن يرى، و قد ورد السمع بأنّ المؤمنين يرونه فى الآخرة، قال الله تعالى:

وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ إِلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الآيَاتِ وَ الْأَخْبَارِ...» (١).

و مع أنّه أثبت الصفات الخبريه لله تعالى، كالوجه و العين و اليدين، إلّا أنه قيدها بقوله: بلا كيف، فليس له وجه كوجه الانسان، أو عين كعين الانسان، و بهذا أضفى على مذهب أهل الحديث صبغه التنزيه، بحسب الظاهر، مع أنه أثبت «أن الله سبحانه يرى بالأبصار يوم القيامة كما يرى القمر ليله البدر، يراه المؤمنون و لا يراه الكافرون» (٢).

٣- اتجاه المؤوله: و منهم من أوّل الخبر فى الصفات على وجه يحتمل اللفظ ذلك.

على أنّ الشهرستاني لم يفصل القول فى هذا القسم.

و نجد عند ابن الجوزى تفصيلاً آخر أكثر وضوحاً، فهو يقول: «اعلم أنّ الناس فى أخبار الصفات على ثلاث مراتب:

إحداها: إصرارها على ما جاءت من غير تفسير و لا تأويل، إلّا أن تقع ضروره كقوله تعالى: وَ جَاءَ رَبُّكَ (الفجر / ٢٢)، أى جاء أمره و هذا مذهب السلف.

و المرتبه الثانيه: التأويل، و هو مقام خطر.

و المرتبه الثالثه: القول فيه بمقتضى الحسّ، و قد عمّ جهله

الناقلين إذ ليس لهم حظ من علوم المعقولات التي يعرف بها ما يجوز على الله تعالى، و ما يستحيل، فإن علم المعقولات يصرف ظواهر المنقولات عن التشبيه، فإذا عدموها تصرّفوا في النقل بمقتضى الحسّ» (٣).

(١) - م. ن / ص ٩١.

(٢) - اصول الحديث و أحكامه في علم الدرايه / الشيخ جعفر السبحاني / ص ٣٠١، نقلا عن الأشعري: الابانه / ص ١٢، و مقالات الاسلاميين / ص ٣٢٢.

(٣) - ابن تيميه / صائب عبد الحميد / ص ١٣٣، نقلا عن دفع شبه التشبيه بأكف التنزيه / ص ٧٣.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٣٤٣

و هكذا يتّضح لنا وجود ثلاثه اتجاهات في فهم الحديث و التعامل مع الآيات المتشابهه:

الأول: يسدّ باب التأويل، و إن كان لا يمكن الاستغناء عنه.

و الثاني: يجمد على ظاهر اللفظ فيؤدى به إلى التشبيه و بالتالى تجسيم الله تعالى، و القول بمقتضى الحس.

و الثالث: يتعامل مع النص وفق ظاهره بما لا يتعارض مع محكمات القرآن و ثوابت العقيدة، و ما يتعارض فلا بدّ من تأويله و حمله على المجاز لا الحقيقه.

و كان المفسّرون الشيعة على هذا المنهج الأخير.

الحشويّه

اشاره

قد تبين ممّا سبق الاتجاهات الثلاثه في التعامل مع الحديث: اتجاه توقّف في التأويل، و بذا سدّ باب السؤال و بالتالى العلم في كثير من القضايا الأساسيه؛ و اتجاه فتح باب السؤال و العلم و أخذ بظاهر الحديث ما وسعه الأمر بما يوافق القرآن و محكمات الشريعه، فإن لم يسعه أول ظاهر الحديث بما لا يتعارض مع تلك الاسس، و إلّا طرح الحديث جانبا؛

و اتجاه ثالث ذهب إلى الجمود على ظاهر الحديث و تمسّك بكل الأحاديث حتّى ما أدّى إلى التشبيه و تجسيم الله، تعالى عن ذلك و

جلّ، و سَمِيَ هذا الاتجاه بالحشويه، و هو من جهة فتح الباب لدخول الأحاديث المختلفه بما فيها الضعيفه و الموضوعه و الإسرائيليات، و من جهة ثانيه لم يشأ أن يتخلّص من الأحاديث التي أدخلها و يتعارض ظاهرها مع القرآن و الشريعه، بل جمدها و قبل بظواهرها ممّا أدى به إلى القول بآراء تناقض عقيدته التوحيد و اسس الشريعه كالقول بالتجسيم و التشبيه، لذا كان لا بدّ لنا من التوقّف قليلا عند هذا الاتجاه و تشخيص منهجه لخطوره تأثيراته الفكرية في سائر مباحث الفكر الاسلامي.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٣٤٤

مصدر التسميه:

علّم أصحاب الملل و النحل علّه تسميتهم بالحشويه بأسباب متعدده، و إن كانت مرتبطه بعضها مع بعض، فقد قال أبو حاتم الرازي في معرض حديثه عن أصحاب الحديث: «و من ألقابهم الحشويه، لقّبوا بذلك لاحتمالهم كلّ حشو روى من الأحاديث المختلفه المتناقضه، حتّى قال فيهم بعض الملحدين: يروون أحاديث ثم يروون نقيضها. و لروايتهم أحاديث كثيره ممّا أنكره عليهم أصحاب الرأى و غيرهم من الفرق فى التشبيه و غير ذلك، فلقبوهم الحشويه بذلك» «١».

إلّا أننا نجد تفصيلا أوفى للاتجاهات العقائديه و المناهج الفكرية للحشويه عند ابن المرتضى اليمنى الحسنى إذ يقول: «و الحشويه هم الذين يروون الأحاديث الحشوه، أى التى حشاها الزنادقه فى أخبار الرسول (ص) يقبلونها و لا يتأولونها و هم يصفون أنفسهم بأنهم أصحاب الحديث و أنهم أهل السنّه و الجماعه، و لا مذهب لهم منفرد ...

و أجمعوا على الجبر و التشبيه، و جسّموا و صوّروا و قالوا بالأعضاء، و قدم ما بين الدفتين من القرآن، و يدعون أن أكثر السلف منهم و هم برآء من ذلك و ينكرون

الخوض فى علم الكلام و الجدل و يعملون على التقليد و ظواهر الآيات.

قال الحاكم: و منهم أحمد بن حنبل و إسحاق بن راهويه و داود بن محمد الاصفهاني و الكرايسى و اسمه الحسين بن على.

و يروون فى كتبهم الحديث و ضده، كما قال ابن المعتمر:

يروى أحاديث و يروى نقضا مخالف بعض الحديث بعضا

و هم يصححون الجميع و يتمسكون بالظاهر.

قال: و مما رووا أنه تعالى أجرى خيلا فى الجنة فخلق نفسها من عرقها و أنه لما

(١) - كتاب الزينه / الرازى / تحقيق د. عبد الله سلام السامرائى / ملحق بكتابه: الغلو و الفرق الغاليه / دار واسط.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٣٤٥

أراد خلق آدم نظر فى الماء فرأى صورته نفسه فخلق آدم عليها ...» (١).

و بهذا تتضح معالم المبدأ و المنتهى فى مسلك الحشويه: فهم يحشون ملء كتبهم بما عثروا عليه من أحاديث غثه و سمينه بلا مباله «٢»، و يروون الأحاديث المحشوه، و منها التى حشاها الزنادقه، و منها الحديث و ضده.

و يصححون الجميع و يتمسكون بالظاهر و يقبلونها و لا يتأولونها.

- لذا قالوا بالجبر و بالتشبيه.

- و جسّموا و صوّروا و قالوا بالأعضاء.

و قالوا: «إنّ الله موصوف عندهم بالنفس و الله السميع البصير» (٣).

و منه يعلم خطوره هذا المنهج الذى يفتح الباب أمام الأفكار و الآراء التى بثّها الزنادقه، أو التى دسّها الوضّاعون، و الإسرائيليات فى الحديث عموما، و منه أخذت طريقها إلى التفسير.

اتجاهات المدارس الفقهيّة:

و قد كان لمنهج التعامل مع الحديث تأثيراته الكبيره أيضا فى نشأه المذاهب الفقهيّه، فولد ثلاثة اتجاهات فى الفقه:

١- مدرسه الرأى: و هو اتجاه تشدّد فى قبول الأخبار، إذ نقلوا أن أبا حنيفه لم يثبت عنده إلّا

(١)- المنيه و الأمل فى شرح الملل و النحل / ص ١١٤-١١٦ / ط. دار الفكر، نقلناه عن:

التمهيد / ج ٣ / ص ٥٧ للاستاذ: معرفه.

(٢)- م. ن / ص ٥٦.

(٣)- م. ن / ص ٥٧، نقلا عن: الحور العين فى الملل و النحل / الحميرى / ص ٣٤١ / ط. مصر.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٣٤٦

و الاستحسان و المصالح المرسله على مصراعيه، ليسد الفراغ الحاصل من عدم أخذه بالنص الحديثى.

٢- مدرسه الحديث: و مثلها أحمد بن حنبل الذى يوسع دائره الأحاديث، فيأخذ بالحديث الصحيح إن وجد، و إلا فبما أفتى به الصحابه، و إن اختلفوا تخير، و إلا فبالحديث المرسل و الضعيف، و إلا فبالرأى من قياس و غيره.

و كلا المنهجين كانت له آثاره، فالأول يعطل السنه لتحل محلها الحيل الشرعيه التى أصبحت فيما بعد بابا واسعا من أبواب الفقه «١».

و المنهج الثانى، إذ ضيق دائره الاستنباط و تمسك بالحديث، حتى مع ضعفه، و ربّما وضعه، غلق باب الاجتهاد و جمّد على الأحكام حتى مع ضعف الأدله.

٣- مدرسه أهل البيت (ع): و التزمت طريق الوسط، و هو استخدام العقل كطريق كاشف عن الشرع، إذ إن العناصر المشتركه فى الاستنباط و القواعد الاصوليه ليست ببدائل عن النصوص الشرعيه، بل هى القواعد اللّازمه لاستنباط الحكم من هذه النصوص و تحديد الحكم الشرعى و الموقف العملى عند عدم حصول الفقيه على الدليل الشرعى، و هذا ما مثّله مدرسه أهل البيت (ع) التى كانت تحارب الاتجاه العقلى المتطرف، و تؤكد فى نفس الوقت على أهميه العقل و ضروره الاعتماد عليه فى الحدود المشروعه، و اعتباره ضمن تلك الحدود

أداه رئيسه للثبات إلى صف البيان الشرعى «٢».

آثار المنهج فى مدارس التفسير

و لم يكن المفسرون بمنأى عن التأثر بمنهج التعامل مع الحديث، إذ يشكل الحديث

(١)- ضحى الاسلام/ ج ٢، و المدخل إلى علم اصول الفقه للدوايبى، راجع: الشيعة و التشيع/ محمد جواد مغنيه/ ص ٨٠.

(٢)- المعالم الجديده للاصول/ السيد محمد باقر الصدر/ ص ٤٢.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٣٤٧

المأثور المادة الاولى للتفسير، و قد شهد تاريخ التفسير ظهور ثلاث مدارس فيه:

١- مدرسه حصرت التفسير بالمأثور و لم تجوز التفسير إلما بالنقل و السماع، فاقترنت تفاسيرها على الأحاديث المرويه عن الرسول (ص) و الصحابه و التابعين عند أهل السنّه، و الرسول (ص) و أهل بيته (ع) عند الشيعة.

و قد شكلت هذه المدرسه منهج قداماء المفسرين من الصحابه و التابعين حتّى تابعى التابعين، و بسبب ندره الأحاديث عن الرسول (ص) فإن آراء الصحابه و اجتهاداتهم و كذلك الإسرائيليات قد أخذت طريقها إلى المأثور فى التفسير.

و بعد هؤلاء جاء بعض المفسرين الذين نقلوا التفسير بالمأثور و لكنهم ربّما رجّحوا رأيا على آخر و أبدوا رأيهم فى المرويات، كابن جرير الطبرى، على أن مفسرين تلو هؤلاء قاموا بحذف الأسانيد و اكتفوا بنقل الأقوال و الآراء «فدخل من هنا الدخيل و التبس الصحيح بالعليل» «١».

و كان خلال تلك الفترات يتشدد فى التفسير، و ربّما يعتبر فى نظرهم التفسير بغير المأثور، من قبيل التفسير بالرأى الذى جاءت الروايات فى النهى الشديد عنه.

٢- المدرسه العقلية: و هى التى برزت بعد ظهور العلوم المختلفه و نضجها، إذ نما اتجاه الاستفادة من هذه العلوم فى التفسير، فأدخلت المباحث النحويه و الأدبيه فى التفسير، و كذلك المباحث الكلاميه و الفلسفيه، و

الفقيهيه، و الحديثيه، و آخرون غاصوا فى المباحث الصوفيه «٢».

و رغم أن هذا الانفتاح العلمى فى التفسير قد أخرج التفسير من جموده و أخضعه للدرس و البحث، إلّا أنه أيضا فتح الباب للكثير من المباحث التى حملت على القرآن

(١)- الإتيان/ ج ٢/ ص ١٩٠، القرآن فى الاسلام/ ص ٧٣.

(٢)- القرآن فى الاسلام/ ص ٧٤.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٣٤٨

حملا مما لا تدل عليه الآيات «١»، و هو مما يمكن أن نعدّه لونا من ألوان التفسير بالرأى المذموم و المنهى عنه.

٣- المدرسه الدلاليه: و هى تمثّل المنهج الذى يجمع بين التفسير بالمأثور و التفسير بالمعقول، إذ تتجه إلى الاستظهار من الآيات القرآنيه العذى يتم بالقرائن، و بالبحث الدلالي العذى يتوصل منه إلى المعنى العام مما تشير إليه الآيات من الدلالات الظاهره أو الدقائق العلميه، فإن هذا اللون لا يعدّ من التفسير بالرأى «٢»، كما إنّه يستفيد من المأثور و لا يجمد عليه.

تأثير مناهج الحديث فى التفسير الشيعى:

اشاره

مرّت مراحل التفسير الشيعى بمراحل مشابهه، إذ أنّ الشيعة عاصروا نفس التطور الفكرى للمجتمع الاسلامى، إلّا أنه يمكن أن تكون المرحله الاولى من الاقتصار على المأثور طويله نسبيا نظرا لأنّ زمن الأخذ من الأئمه من أهل البيت (ع) كان طويلا بلغ نحو الثلاثمائه سنه، فكانت المؤلفات الاولى تقتصر على جمع الأحاديث المأثوره فى التفسير دون إبداء أى رأى، و كان منها ما يمكن أن نسمّيه بالمجاميع الحديثيه فى التفسير، كتفسير فرات و أبى حمزه الثمالى و العياشى و على بن إبراهيم و النعمانى، الذين أخذوا ما روته الطبقة الاولى من المفسرين الشيعة المعاصرين لأهل البيت (ع) كزراره و محمّد بن مسلم و معروف و جرير و أشباههم

ثم تلاهم المفسرون أصحاب العلوم المختلفة كالشريف الرضى والطوسى والطبرسى الذى جمع علوما شتى، وغيرهم.

(١)- م. ن / ص ٧٥.

(٢)- مواهب الرحمن / السبزواري / ص ٦.

(٣)- القرآن فى الاسلام / ص ٧٦-٧٧.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٣٤٩

و يلاحظ فى مناهج المفسرين الشيعة، انعكاس أو ظهور تيارات مشابهه لما مز بها المجتمع الاسلامى عموما، و إن كانت أقل حدّه، فقد ظهرت فى الساحة الفكرية الشيعية تيارات متعدده، متشدده و معتدله فى تعاملها مع النص عموما، و مع الحديث بشكل أخص، و انعكس ذلك أيضا فى مجال التفسير، لأنه فى الأساس تفسير بالمأثور كما علم.

على أن مبدأ الأمر كان تشدد الأئمة (ع) و أصحابهم تجاه مدرسه الرأى التى كان اتجاهاها يودى إلى فتح الأبواب لدخول الآراء فى الاسلام فى مقابل تعطيل النصوص الشريفه و إخماد الأخبار و الآثار، و هو ما اطلق عليه آنذاك اصطلاحا بالاجتهاد، لذا نجد روايات مأثوره عن أئمة أهل البيت (ع) تدم الاجتهاد و تريد به ذلك المبدأ الفقهي الذى يتخذ من التفكير الشخصى مصدرا من مصادر الحكم، كما نجد أصحابهم قد صنفوا الكتب فى مواجهه ذلك، فقد صنف عبد الله الزبيرى كتابا أسماه (الاستفاده فى الطعون على الأوائل و الرد على أصحاب الاجتهاد و القياس) و صنف هلال المدنى كتابا باسم (الرد على من رد آثار الرسول و اعتمد على نتائج العقول)، كما صنف النوبختى القريب من عهدهم كتابا فى الرد على عيسى بن أبان فى الاجتهاد، و قد ذكر تلك الكتب النجاشى فى ترجمه كل واحد من هؤلاء «١».

و استمرّ الموقف هذا عند علماء الإماميه حتى أواخر القرن السابع، إذ انتقل مصطلح الاجتهاد

إلى مدرسه أهل البيت (ع)، و لكن بمعنى آخر غير الاجتهاد المذموم عند السابقين، فقد استخدمه المحقق الحلبي في كتاب (المعارج)، مبيّنا أنّ الاجتهاد «في عرف الفقهاء بذل الجهد في استخراج الأحكام الشرعيه، و بهذا الاعتبار يكون استخراج الأحكام من أدلّه الشرع اجتهادا ... فإذا استثنى القياس كُنّا من أهل الاجتهاد في تحصيل الأحكام بالطرق النظرية التي ليس أحدها القياس» (٢).

(١) - المعالم الجديده للاصول / الصدر / ص ٢٤.

(٢) - م. ن / ص ٢٤.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٣٥٠

على أنّ ذلك لم يقنع جماعه من المحدثين، الذين عارضوا الاجتهاد و بالتالي شجبوا علم الاصول، فإنّ هؤلاء استفزّتهم كلمه الاجتهاد لما تحمل من تراث المصطلح الأوّل الذي شنّ أهل البيت (ع) حملة شديده عليه ... و قد شكّل هذا فيما بعد تيارا - اتّسع في بعض الفترات، و لكنه عاد فتقلص - تحت عنوان «الأخباريين»، و الذي اعتبره بعض العلماء موازيا لتيار «الحشويه» عند أهل السنّه (١).

ظهور الحركة الأخباريه عند الشيعة:

و محور تفكيرها مقاومه علم الاصول، و الاقتصار في تحصيل الحكم الشرعي على الأخبار المرويّه، مع موقف متحفظ ضدّ العقل و دوره.

و قد ظهرت هذه الحركة - بشكل بارز - في أوائل القرن الحادي عشر على يد الميرزا محمّد أمين الاسترآبادي المتوفى سنه (١٠٢١ هـ)، و إن كان أصحابها ادّعوا أنّهم يمثلون الخط «الأصيل» لعلماء الإماميه، و أنّهم كانوا يشكّلون الاتجاه السائد إلى عصر الكليني و الصدوق، قبل أن ينحرف جماعه من علماء الإماميه عن هذا الخط - بحسب تصوّرهم - إذ اعتمدوا العقل في استنباطهم و ربطوا البحث الفقهي بعلم الاصول تأثرا بالطريقه السنيّه في الاستنباط ... (٢).

و الواقع أنّ جذور الفكر الأخباري قديمه، و على الأقل موجوده منذ زمان الشيخ

الطوسي، كما يشير إلى بعض آرائهم في مقدّمه تفسيره، و في طى تفسيره للآيات «٣».

و كان هذا الاتجاه موضع فقد الاصوليين الذين حذروا من نتائجه، فهم يعتقدون أنّ المحدثين الأخباريين ليسوا غالبا بتلك القوّه من الملكة و ذلك التمكن من الفن (الاستبطا)، فلذا اقتصروا على ظواهر الروايات و لم يتعدّوا غالبا عن ظواهر

(١) - صيانه القرآن من التحريف / ص ١٩٨.

(٢) - المعالم الجديده للاصول / ص ٨٠.

(٣) - راجع التبيان / تفسير الآيات ٢١ - ٢٥ من سورة محمّد (ص).

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٣٥١

مضامينها و لم يوسعوا الدائرته في التفريعات على القواعد...»، و هو ما أشار إليه الشيخ محمّد تقى (ت: ١٢٤٨ هـ) في تعليقه على المعالم «١».

و في تمسك الأخباريين بالظاهر نقطه تقارب و تشابه مع الاتجاه الظاهري عند أهل السنّه، و كان لهذا الاتجاه آثاره الكبيره بشأن الموقف من بعض قضايا القرآن و تنزيله و تأويله و بالتالي تفسيره و تأويله.

معالم المدرسه الأخباريه في الحديث:

أمّا أهم معالم المدرسه الأخباريه في التعامل مع الحديث، فهي:

١- القول بصحة سائر الأخبار، فقد ذهب جمع من المحدثين إلى قطعيه روايات الكتب الأربعة: (الكافي و التهذيب و الاستبصار و من لا يحضره الفقيه)، بل ذهب بعضهم إلى صحّه أخبار غير هذه الكتب من كتب الصدوق و أمثاله «٢»، على أن هذا الرأى - صحّه الكتب الأربعة - لم يقتصر عليهم بل سرى إلى جمع من الاصوليين، كما حكى السيّد الخوئي عن استاذة النائيني (قدس سره) «٣».

و قد تصدى جمع من الاصوليين لابطال هذا الرأى «٤».

و نظير هذا الرأى موجود عند أهل السنّه الذين قالوا بصحّه روايات الصحاح السنّه.

(١) - المعالم الجديده للاصول / ص ٨٢.

آصف المحسنى / ص ٨، و يراجع: وسائل الشيعة / ج ٣٠ / الفائدة ٧ و ٩: فوائد علم الرجال على مسلك الأخباريين.

(٣) - معجم رجال الحديث / الخوئي / مقدّمه الكتاب.

(٤) - م. ن، تنقيح المقال للمامقاني / المقدّمه. رساله الأخبار و الاصول للوحيد البهبهاني / وسائل الشيعة إلى أحكام الشريعة و غيرها.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٣٥٢

٢- القول بعدم الحاجه إلى علم الاصول بناء على صحه سائر الأخبار، و بالتالى ردّ استحداث تقسيمات الروايه إلى الصحه و الضعف ... قال العاملى: «و يظهر من ذلك ضعف الاصطلاح الجديد على تقسيم الحديث إلى صحيح و حسن و موثق و ضعيف الذى تجدد فى زمن العلامة و شيخه أحمد بن طاوس» (١).

٣- قولهم بعدم الحاجه إلى علم الاصول و أدواته، و نفى الاجتهاد، و الاعتماد تماما على الأخبار دون سواها، بلا حاجه للتحقيق و التدقيق، فهى بحسب نظرهم جميعها صحيحه و معتبره، فهم يقولون «إنّ رواه هذه الأحاديث ما كانوا عالمين بقواعد المجتهدين مع أنّ الحديث كان حجّه لهم، فنحن أيضا مثلهم لا نحتاج إلى شرط من شرائط الاجتهاد و حالنا بعينه حالهم» (٢).

٤- الاتجاه إلى جمع الأحاديث و تأليف الموسوعات الضخمة فى الروايات و الأخبار، فكان من آثار المرحله التى نمت فيها المدرسه الأخباريه فى أواخر القرن الحادى عشر و القرن الثانى عشر ظهور مجاميع حديثه ضخمة ككتاب البحار للعلامة المجلسى و الوسائل للحر العاملى و الوافى للفيض الكاشانى و كذلك مؤلفات السيد هاشم البحرانى، و لا يعنى ذلك أن مؤلفى هذه الكتب كانوا أخباريين جميعا، و إنّما الاتجاه العام للمرحله كان ذلك خصوصا بعد اكتشاف كتب تراثيه كثيره (٣).

آثار الحركة الأخباريه فى التفسير

لمنهج التعامل مع الحديث علاقه مباشره بمنهج

التفسير، لأن التفسير أساساً قائم على المأثور من الروايات، لذا فإننا نلمس بوضوح آثار المنهج الأخباري في التفسير،

(١) - الوسائل / ج ٣ / الفائدة التاسعة / ص ٢٥١.

(٢) - المعالم الجديده للاصول / عن الفوائد الحائريه للوحيد البهبهاني، و هو كتاب في الردّ عليهم.

(٣) - المعالم الجديده / ص ٨٣.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٣٥٣

و منها:

١- أتجه أصحاب هذا المنهج إلى أنّ التفسير لا يجوز إلّا بالمأثور عن الرسول (ص) و آله، و أكدوا على خطأ ما سواه، فقالوا: «إنّ أسرار تأويله لا تهتدى إليه العقول، و أنوار حقائق خفياته لا تصل إليه قريحه المفضول، و لهذا اختلف في تأويله الناس و صاروا في تفسيره على أنفاس و انعكاس ... فما جاء عنهم (ع) فهو النور و الهدى و ما جاء عن غيرهم فهو الظلمه و العمى» «١».

٢- لذا كانت جلّ جهودهم التفسيرية تتجه إلى جمع الأخبار المرويه في التفسير، و تدوينها دون ابداء أى نظر، و العزوف عن تفسير ما لم يجدوا فيه روايه أو خبراً، كما نجد ذلك في تفسير البرهان للسيد البحراني، و نور الثقلين للحويزي.

٣- و بناء على الثقة بصحّ الأخبار المرويه عموماً، فإنهم رجعوا فيما رجعوا إليه من مصادر إلى مراجع غير موثوقه الصدور أو مجهوله المصدر؛ ككتاب مصباح الشريعه المنسوب للصادق (ع)، و كتاب التفسير المنسوب للعسكري (ع)، و اعتمدوا على كتب مشحونه بالروايات الضعيفه و المرويّه عن الغلاة ككتاب الشيخ البرسي «٢»، إضافة إلى اعتمادهم على روايات ضعيفه السند، مضطربه المتن «٣».

٤- و مع أنّ كثيراً من الروايات قد وردت عن أهل البيت (ع) من باب الجري و التطبيق «٤»، أو في بيان بعض المصاديق، من باب تطبيق

الكلية على الفرد «٥»، إلا أنهم التزموا كتفسير للآيات من باب التخصيص، وعدوا ما عداها خروجاً عن التفسير الوارد لها.

(١) - تفسير البرهان / مقدمه المفسر. الاجتهاد و التجديد / المطهري / ص ٨٩.

(٢) - البرهان / ج ١ / ص ٧٠.

(٣) - البرهان / مقدمه الأصفى / ص ٤٢.

(٤) - الميزان / ج ١ / ص ٤٤.

(٥) - مواهب الرحمن للسبزواري / المقدمه.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٣٥٤

٥- ولأنهم التزموا صحه الأخبار عموماً، و تمسكوا بظاهرها دون بحث أو تنقيب، فإن بعضهم و خلافاً لاجماع علماء الشيعة و أعلامهم، قد اتجه إلى القول بنقص بعض الآيات في الولاية من القرآن الكريم، كالشيخ النوري و السيد الجزائري و غيرهما.

و نجد لهذا الرأي شبيهاً عند بعض علماء السنه، كالسجستاني و الشطرنجى، و غيرهما ممن استندوا إلى روايات وردت بهذا الشأن، حيث قال الألوسى بعد رد بعضها:

«و الروايات في هذا الباب أكثر من تحصى» (١).

موقف المفسرين الشيعة من الاتجاه الأخبارى

اتجه الخط العام للمفسرين الشيعة إلى مقابله الاتجاه الأخبارى، و الرد على آرائه المختلفه، و كان جلّ المفسرين الشيعة ينقدون هذه الآراء، أحياناً بتسامح و اخرى بشده، حتى أننا نجد اليوم انحساراً كبيراً لهذه الآراء «٢»، و فيما يلي نماذج من هذه المناقشات و الردود:

١- قال الشيخ الطوسى - فى تفسيره التبيان - فى باب الردّ على من لم يجز تفسير القرآن إلّا بالمأثور:

«ثم قال موبخاً لهم أ فلا يتدبّرون القرآن أم على قلوب أقفالها معناه أ فلا يتدبّرون القرآن بأن يتفكروا فيه و يعتبروا به، أم على قلوبهم قفل يمنعهم من ذلك

(١) - روح المعانى / ج ١ / ص ٢٥.

(٢) - بقول الشهيد المطهري: «... اندحرت طريقه الأخباريه، و ليس لها اليوم أتباع إلّا فى بعض

الزوايا النائيه، إلاً أنّ الأفكار الأخباريّه التي انتشرت بسرعه كبيره بظهور أمين الاسترآبادى فى العقول و الأفكار و عاشت أكثر من مائتى سنه لم تخرج من الأذهان نهائياً بعد؛ فحن ما نزال نجد أنّ الكثيرين لا يجيزون تفسير القرآن بدون الاستناد إلى الحديث، و أنّ الجمود الأخبارى ما يزال يسود كثيرا من المسائل الأخلاقيه و الاجتماعيه، بل حتى فى بعض القضايا الفقهيّه ...».

التجديد و الاجتهاد/ ص ٨٩.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٣٥٥

تنبيهها لهم على أنّ الأمر بخلافه، و ليس عليها ما يمنع من التدبّر و التفكّر و النظر فى موجب الأمر و عاقبته. و على هذا دعاهم إلى تدبّر القرآن.

و فى ذلك حجّه على بطلان قول من يقول: لا يجوز تفسير شىء من ظاهر القرآن إلاً بخبر و سمع» (١).

٢- و أمّا الشيخ الطبرسى فإنّه بعد ما أورد الخبر فى أن تفسير القرآن لا يجوز إلاً بالأثر الصحيح، ناقش ذلك قائلاً: «... و القول فى ذلك أنّ الله سبحانه ندب إلى الاستنباط و أوضح السبيل إليه و مدح أقواما عليه فقال: لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ (النساء/ ٨٣). و ذمّ آخرين على ترك تدبّره و الإضراب عن التفكّر فيه، فقال:

أَفَلَا- يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا (محمّد/ ٢٤). و ذكر أنّ القرآن منزل بلسان العرب فقال: إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا (الزخرف/ ٣). و قال النبى (ص):

(إذا جاءكم عنى حديث فاعرضوه على كتاب الله فما وافقه فاقبلوه و ما خالفه فاضربوا به عرض الحائط)، فبين أنّ الكتاب حجّه و معروض عليه، و كيف يمكن العرض عليه و هو غير مفهوم المعنى، فهذا و أمثاله يدلّ على أنّ الخبر (فى النهى عن

التفسير بالرأى) متروك الظاهر، فيكون معناه- إن صحّ- أن من حمل القرآن على رأيه و لم يعمل بشواهد ألفاظه فأصاب الحق فقد أخطأ الدليل...» (٢).

٣- و في مجال التعامل مع الحديث و دراسته المتن، أكد الطوسي على ضروره التدبّر و التفكّر فيه فقال: «... و فيه تنبيه على بطلان قول الجهّال من أصحاب الحديث أنه ينبغي أن يروى الحديث على ما جاء و إن كان مختلاً في المعنى، لأنّ الله دعا إلى التدبّر و التفقّه و ذلك مناف للتجاهل و التعامى» (٣).

(١)- التبيان / تفسير الآيه من سوره محمّد (ص).

(٢)- مجمع البيان / ج ١ / مقدّمه المفسّر / ص ١٤.

(٣)- التبيان / تفسير الآيه ٢٤ من سوره محمّد (ص).

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٣٥٦

٤- و أمّا العلّامه الطباطبائي فقد اعتبر أنّ المنهج الأخباري في قبول الروايات دون نقد و تمحيص يؤدي إلى نسبه الباطل إلى النبي (ص)- من خلال قبول الموضوعات- و إلى تزعم الموازين الشرعيه، إذ يقول: «و بعض الناس ... أخذوا بطرح جميع ما تضمنته سنّه رسول الله ... فسلكوا في ذلك مسلك التفريط، قبال ما سلكه بعض الأخباريين و أصحاب الحديث و الحروريه و غيرهم مسلك الإفراط و الأخذ بكل روايه منقوله كيف كانت. و كما إنّ القبول المطلق تكذيب للموازين المنصوبه في الدين لتميز الحق من الباطل و نسبه الباطل و اللغو من القول إلى النبي (ص)؛ كذلك الطرح الكلي تكذيب لها و إلغاء و إبطال للكتاب العزيز...» (١).

٥- و كما تقدّم فقد تصدّى جمع من أعلام الشيعة كالوحيد البهبهاني و السيّد الأعرجي و غيرهما لنقد المقوله القائله بصحّه جميع روايات الكتب الأربعة، فضلاً عمّا سواها،

و استمرّ المحققون من علماء الشيعة في ردودهم، قال السيّد الخوئي، بعد أن أثبت عدم صحّته تلك المقوله بخصوص الكتب الأربعة تفصيلاً: «وقد تحصل من جميع ما ذكرناه أنه لم تثبت صحّته جميع روايات الكتب الأربعة، فلا بدّ من النظر في سند كل روايه منها، فإن توفرت فيها شروط الحجيه اخذ بها، وإلا فلا» (٢).

وقد فضّل المحسنى القول في نقل وجهه نظر الأخباريين أولاً، فقال: «نقل عن جمع من المحدّثين أن روايات الكتب الأربعة بأجمعها قطعيه الصدور، وقيل لا نقطع بصدورها و لكن نثق بها و نظمّن بها، و ممّن اختار قول هذه الجماعه و أطال في تحكيمه و إبرامه و دافع عنه بكل قوى و ضعيف هو المحدّث الحر في آخر كتاب وسائل الشيعة و استدلّ عليه باثنين و عشرين وجهاً...» (٣).

و نسب الرأى الثمانى من الثقه بروايات الكتب الأربعة إلى المحدّث النورى في

(١) - الميزان / ج ١ / ص ٢٣٧.

(٢) - معجم رجال الحديث / ج ١ / ص ٩١ / المقدمه الخامسه.

(٣) - بحوث في علم الرجال / محمّد آصف محسنى / ص ١٩٢.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٣٥٧

مستدركه، ثمّ أورد حججهم واحده بعد اخرى و ناقشها مفصلاً، ثمّ قال تحت عنوان (شواهدنا على ردّ الأخباريين): «قد ثبت لحد الآن عدم قطعيه الروايات الموجوده في الكتب المتداوله و أنّ الأدلّه الّتى ذكروها غير لائقه لإفاده اليقين و إن كان القاطعون بها منها فى عذر، لأنّ طريقه القطع ذاتيه و وجوده وجدانى و حجيته لا تقبل الإنكار:

و على كل حال لم يثبت دليل على حجيه جميع تلك الأخبار» (١).

٦- أمّا فيما يتعلّق بسلامه القرآن من التحريف، فقد تصدّى كبار

علماء الشيعة لدفع أيّ شبهة عن سلامه القرآن الكريم من كل نقص أو زيادة أو تحريف، وذلك استمرارا لخط أئمّه أهل البيت (ع)، ابتداء من القرييين تاريخيا لهم كالشيخ الصدوق (ت: ٣٨١ هـ) و الشيخ المفيد (ت ٤١٣) و الشريف المرتضى (ت ٤٣٦) ثمّ أعلام مفسريهم، و في مقدّمتهم الشيخ الطوسي إذ يقول في مقدّمه تفسيره التبيان: «... و أمّا الكلام في زيادته و نقصانه فمما لا يليق بهذا الكتاب المقصود منه العلم بمعاني القرآن، لأنّ الزيادة فيه مجمع على بطلانها، و النقصان منه فالظاهر أيضا من مذهب المسلمين خلافه، و هو الأليق بالصحيح من مذهبنا، و هو الذي نصره المرتضى و هو الظاهر في الروايات، غير أنه رويت روايات كثيرة من جهه الخاصّه و العامّه بنقصان كثير من آي القرآن و نقل شىء منه من موضع إلى موضع، طريقها الأحاد لا توجب علما و لا عملا، و الأولى الاعراض عنها و ترك التشاغل بها لأنه يمكن تأويلها» (٢).

و على نهجه سار الطبرسى الذي قال: «و الكلام في زياده القرآن و نقصانه ممّا لا يليق بالتفسير، أمّا الزيادة فيه فمجمع على بطلانه، و أمّا النقصان منه فقد روى جماعه من أصحابنا و قوم من حشويه العامّه أن في القرآن تغييرا و نقصانا، و الصحيح من مذهب أصحابنا خلافه، و هو الذي نصره المرتضى و استوفى الكلام فيه غايه

(١)- م. ن / ص ١٩٨.

(٢)- التبيان / ج ١ / مقدّمه التفسير.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٣٥٨

الاستيفاء» (١).

كما نجد لأحد كبار الفقهاء الإماميه- و هو الشيخ كاشف الغطاء- نصّا يشير بوضوح إلى أن هذه الآراء صادرة من مسلك الأخباريين، إذ يقول مستنكرا:

»و

صدرت منهم أحكام غريبه و أقوال منكره عجيبه منها قولهم بنقص القرآن مستندين إلى روايات تقضى البدييه بتأويلها و طرحها. و فى بعضها: نقص ثلث القرآن أو ربه و نقص أربعين اسما فى سوره (تبت) منها أسماء جماعه من المنافقين. و فى ذلك منافاه لبدييه العقل...» (٢).

و قال مشيرا إلى تناقض قولهم هذا مع تمسكهم بالأخبار و تأكيدهم على صحتها:

«يا للعجب من قوم يزعمون سلامه الأحاديث و بقاءها محفوظه و هى دائره على الألسن و منقوله فى الكتب، فى مدّه ألف و مائتى سنه، و أنها لو حدث فيها نقص لظهر و استبان و شاع، لكنهم يحكمون بنقص القرآن و خفى ذلك فى جميع الأزمان» (٣).

و أرجع المحقق التبريزى القول بالتحريف إلى مصادره و سمّاها فقال: «القول بالتحريف هو مذهب الأخباريين و الحشويه خلافا لأصحاب الاصول الذين رفضوا احتمال التحريف فى القرآن رفضا قاطعا...» (٤).

و استمرارا لموقف علماء الإماميه نجد المعاصرين منهم كالإمام الخمينى و الإمام الخوئى (قدس سرهما) أشدّ نكيرا على القائلين بالتحريف، و نجد فى ما قرّظه الإمام الخمينى إشاره إلى وجود خطّين فى المنهج العلمى، فالقول بالتحريف جاء ممّن سلك طريق «يراد روايات أعرض عنها الأصحاب و اختلاط ضعاف بين الروايات» و ممّن يقوم «بجمع الضعاف و الغرائب و العجائب و ما لا يقبلها العقل السليم و الرأى المستقيم»

(١) - مجمع البيان / المقدمه.

(٢) - راجع: صيانه القرآن من التحريف / ص ٦٤ - ٦٥.

(٣) - م. ن / ص ٦٦.

(٤) - م. ن / ٦٩.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٣٥٩

فى مقابل القول بمنع التحريف الذى هو «مذهب المحققين من علماء الاسلام و المعبرين من الفريقين» (١).

و قد أغنى المقال

فى تفنيد شبهه التحريف الإمام الخوئى فى كتابه (البيان)، مشيراً إلى شذوذ البعض بهذا القول دون أن يكون لهم أثر فى إجماع الأئمة، فقال:

«المعروف بين المسلمين عدم وقوع التحريف فى القرآن، و أنّ الموجود بأيدنا هو جميع القرآن المنزل على النبى الأعظم (ص) و قد صرح بذلك كثير من الأعلام، منهم شيخ المحدثين الصدوق محمّد بن بابويه، و قد عدّ القول بعدم التحريف من معتقدات الإماميه، و منهم شيخ الطائفة أبو جعفر محمّد بن الحسن الطوسى ...

و يظهر القول بعدم التحريف كل من كتب فى الإمامه من علماء الشيعة و ذكر فيه المثالب و لم يتعرّض للتحريف ...

و جملة القول: أنّ المشهور بين علماء الشيعة و محققهم، بل المتسالم عليه بينهم هو القول بعدم التحريف.

نعم، ذهب جماعه من المحدثين من الشيعة، و جمع من علماء أهل السنّه إلى وقوع التحريف، قال الرافعى: فذهب جماعه من أهل الكلام ممّن لا بضاعه لهم إلّا الظن و التأويل و استخراج الأساليب الجدليه من كل حكم و كل قول إلى جواز أن يكون قد سقط عنهم من القرآن شىء، حملاً على ما وصفوا من كيفية جمعه.

و قد نسب الطبرسى - فى مجمع البيان - هذا القول إلى الحشويه من العامّه.

أقول: سيظهر لك - بعيد هذا - أنّ القول بنسخ التلاوه هو بعينه القول بالتحريف ...» «٢».

و وصل السيد الخوئى فى نهايه بحثه إلى أن «حديث تحريف القرآن حديث خرافه و خيال، لا يقول به إلّا من ضعف عقله، أو من _____ يتأمّن فى أطرافه _____ حَقّ التأمّن _____، أو من _____

(١) - م. ن / ص ٧٦ - ٧٧.

(٢) - البيان فى تفسير القرآن / ص ٢٠٠ - ٢٠١.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٣٦٠

إليه محبّ القول به، و الحبّ يعمى و يصم، و أمّا العاقل المنصف المتدبّر فلا يشكّ في بطلانه و خرافته» (١).

و هكذا يتّضح - دون أدنى ريب - أنّ القول بالتحريف لم يكن يمثل الخط العام لمدرسه الشيعة الإماميه، و إنّما قال بذلك البعض من المحدّثين الأخباريين من الشيعة، كما قال بذلك بعض آخر من حشويه أهل السنّه.

ملاحظتان:

١- وجدنا كثيرا من الباحثين، و خصوصا المعاصرين منهم قد خلطوا بين الخط العام للفكر الشيعى و بين آراء متفرّقه و شاذّه عنه، حاله حال كل الأفكار و المذاهب فى العالم، فكثيرا ما حملوا الشيعة الآراء النادره المتفرقه و المخالفه لإجماعهم، لذا يقتضى التمييز بين هذه الآراء المختلفه و بيان أوجه الاشتراك و الافتراق، و توجيه النقد العلمى للرأى المختلف لا صاحبه، الّذى ربّما كان صالحا متتبعا، و لكنّه توهم فأخطأ (٢).

٢- عاده ما تنطلق الآراء المتشدّده من تعصّب دينى أو مذهبى، سواء ما نجده فى الحشويه و امتداداتهم المعاصره عند أهل السنّه، أو عند بعض الأخباريين من الشيعة و الّذين ربّما كانوا يظنّون أنّ «الاتّجاه الأخبارى كان هو الاتّجاه السائد بين فقهاء الإماميه ... و لم يتزعزع هذا الاتّجاه إلّما فى أواخر القرن الرابع و بعده حين بدأ جماعه من علماء الإماميه ينحرفون عن الخط الأخبارى و يعتمدون على العقل فى استنباطهم و يربطون البحث الفقهى بعلم الأصول تأثرا بالطريقه السنّيه فى الاستنباط!! ثم أخذ هذا الانحراف بالتوسّع و الانتشار» (٣).

و ربّما يبلغ ذلك بهم مبلغا عظيما حتّى أنّ بعضهم ربّما «توهم ... أنّ شيخنا المفيد

(١) - م. ن / ص ٢٥٩.

(٢) - م. ن.

(٣) - المعالم الجديده للاصول / ص ٨٠.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٣٦١

و من بعده من فقهاءنا إلى الآن كانوا مجتمعين على الضلاله مبدعين بدعا كثيره ...

متابعين للعامه مخالفين لطريقه الأئمه و مغيرين لطريقه الخاصه ...» كما جاء فى نص للوحيد البهبهاني مصورا صور الصراع آنذاك مع الحركه الأخباريه «١».

و قد صورّ الشهيد المطهري تأثير هذه المقولات على عامه الناس و تحريكها لعواطفهم المذهبيه فقال: «إنّ ما يبعث على انتشار طراز التفكير الأخبارى بين العامه هو إرضاء ما يميل إليه العامه ...» «٢».

و قد يكون الدافع البارز لهذا التوجه هو الحبّ و الولاء المفرط، كما نجده فى مؤلف (فصل الخطاب) الذى يقول فى معرض إثبات مدّعه فى تحريف القرآن: «كيف يحتمل المنصف أن يهمل الله تعالى ذكر أسامى أوصياء خاتم النبيين و ابنته الصديقه (ع) فى كتابه المهيم على جميع كتب السالفين، و لا- يعرّفهم للائمه التى هى أشرف الامم و هو أهم من سائر الواجبات التى تكرر ذكرها فى القرآن» «٣».

إلّا أن الإمام الخميني- قدس سره- وصف هذا الحبّ و الولاء بهذا الشكل بأنّه «لا يفيد علما و لا عملا» و أنّه أوقع ما وقع «مما بكت عليه السماوات و كادت تتدكك على الأرض»، و بالجملة: «فساد هذا القول الفظيع و الرأى الشنيع أوضح من أن يخفى على ذى مسكه، إلّا أن هذا الفساد قد شاع على رغم علماء الاسلام و حفاظ شريعته سيد الأنام» «٤».

منهج نقد النص فى التفسير الشيعي:

من خلال دراسته المتون التفسيريه لعلماء الاماميه تتجلى الاسس التى يقوم عليها

(١)- م. ن / ص ٨٦.

(٢)- الاجتهاد و التجديد / ص ٨٩.

(٣)- صيانه القرآن / ص ٢٠٩.

(٤)- م. ن / ص ٧٨.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعه، ص: ٣٦٢

منهجهم فى قبول أو ردّ الأخبار المأثوره و ضوابطهم

فى ترتيب الأثر عليها، و من هذه الاسس:

١- إن الخبر - عموماً - إذا كان متواتراً أو محفوظاً بقريته قطعياً، فلا ريب فى حجّيته «١».

٢- أمّا غير ذلك من الأخبار فلا حجّيه لها، إلّا الأخبار الواردة فى الأحكام الشرعيه الفرعيه، إذا كان الخبر موثوق الصدور بالظن النوعى، فإنّ له حجّيته، طبقاً لما ورد فى علم الاصول «٢».

٣- لا- حجّيه لروايات التفسير إذا كانت آحاداً إلّا ما وافق منها مضامين الآيات، على ما يبين فى فنّ الاصول، فإنّ الحجّيه الشرعيه تدور مدار الآثار الشرعيه المترتبه فتتخصر فى الأحكام الشرعيه، و أمّا ما وراءها كالروايات الواردة فى القصص و التفسير الخالى عن الحكم الشرعى فلا- حجّيه شرعيه فيها، و إنّما الملاك فيها موافقتها للكتاب حتّى لو كانت صحيحه السند، و إن لم توافق الكتاب فلا قيمه لها فى سوق الاعتبار «٣».

٤- روايات الآحاد لا- تكون حجّه - فى غير الفقه - إلّا إذا كانت محفوظه بالقرائن المفيده للعلم «٤»، أى الوثوق الشخصى سواء كانت فى أصول الدين أو التاريخ أو الفضائل، فإنّ الوثوق النوعى كاف فى حجّيه الروايه «٥».

٥- يشترط فى قبول الأخبار عدم مخالفتها القرآن، إذ هو الميزان الدينى المضروب لتمييز الحق من الباطل و كذا الصدق من الكذب، فتعرض الروايه على كتاب الله، فإن تبين منها شىء - ممّا يوافق الكتاب - اخذ به، و إن لم يتبين لشبهه فالوقوف عند

(١) - الميزان / ج ١٢ / ص ٣٥١.

(٢) - م. ن / ج ١٠ / ص ٣٣٩.

(٣) - م. ن / ج ٩ / ص ٢١٨.

(٤) - التبيان / الطوسى / المقدمه.

(٥) - الميزان / ج ٨ / ص ١٤١.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعه، ص: ٣٦٣

الشبهه، و قد وردت فى تأكيد هذا المعيار أخبار متواتره عن النبى

(ص) و الأئمة من أهل بيته (ع) «١».

٦- لا يمكن الحكم باعتبار الرواية بصحة سندها، وإنما البحث عن حال السند يكون من باب التوسل إلى تحصيل القرائن على صحته منها، فإن لم توافق الكتاب العزيز فلا قيمة لها حتى لو كانت صحيحة السند «٢».

٧- يرجع في فهم و تفسير و بيان الآيات المتشابهات إلى الآيات المحكمات، أم الكتاب «٣»، فإن طريقه أهل البيت (ع) في تفسير الآيات المتشابهة من القرآن، ممّا يرجع إلى أسمائه- تعالى- و صفاته و أفعاله و آياته الخارجة عن الحس، هي إرجاعها إلى المحكمات و نفى ما تنفيه المحكمات عن ساحته تعالى «٤».

٨- لا- ينبغي لأحد أن ينظر في تفسير آية لا ينبي ظاهرها عن المراد تفصيلاً أو يقلد أحداً من المفسرين إلا أن يكون التأويل مجعماً عليه فيجب اتباعه لمكان الاجماع ... و يرجع إلى الأدلة الصحيحة: إما العقلية، أو الشرعية، من اجماع عليه، أو نقل متواتر به عمّن يجب اتباع قوله، و لا يقبل في ذلك خبر واحد، خاصّه إذا كان ممّا طريقه العلم «٥».

٩- إذا كان التأويل يحتاج إلى شاهد من اللغة فلا يقبل من الشاهد إلا ما كان معلوماً بين أهل اللغة شائعاً بينهم.

١٠- روايات الآحاد من الروايات الشارده و الألفاظ النادرة فإنه لا يقطع بها و لا تجعل شاهداً على كتاب الله، و ينبغي أن يتوقف فيها و يذكر مـ احتمالـه الآـيه، و لا يقطع

(١)- م. ن/ ج ١/ ص ٢٤١.

(٢)- م. ن/ ج ١٠/ ص ٢١٣.

(٣)- م. ن/ ج ٣/ ص ٧٤.

(٤)- م. ن/ ج ١٦/ ص ١٢٨.

(٥)- الفقرات ٨- ١٠ من التبيان للطوسي / المقدمه.

التفسير بالمأثور و

على المراد منها بعينه، فإنه متى قطع بالمراد كان مخطئا، وإن أصاب الحق، كما روى عن النبي (ص)، لأنه قال تخميننا و حدسا و لم يصدر ذلك عن حجة قاطعه، و ذلك باطل بالاتفاق.

١١- معرفه أسباب النزول يساعد إلى حد كبير في معرفه الآيه و ما فيها من المعانى و الأسرار ... إلما أنّها يجب عرضها على القرآن و معرفه موافقتها له و لسياق الآيات و يطرح منها ما خالفه، أو لوجود المعارض لها الموافق للقرآن. على أنّ شأن النزول لا يوجب قصر الحكم على الواقعه، فالمورد لا يخصص الوارد «١»، فالآيات كليات تنطبق على مصاديقها في جميع الأزمنه، فلا وجه لتخصيصها بزمان النزول أو بفرد دون فرد آخر «٢».

١٢- الروايات الوارده عن الأئمه الهداه في بيان بعض المصاديق لها، ليست من باب التخصيص، بل هي من باب تطبيق الكلّي على الفرد «٣»، فهي من قبيل الجرى و الانطباق، لا التفسير «٤».

جدير ذكره أنّ لفظ الجرى اخذ من نصوص عديده لأهل البيت (ع) منها ما روى عن الإمام محمّد الباقر (ع): «و لو أنّ الآيه إذا نزلت في قوم ثم مات اولئك القوم مات الآيه لما بقى من القرآن شىء، و لكن القرآن يجرى أوّله على آخره ما دامت السماوات و الأرض، و لكل قوم آيه يتلونها هم منها من خير أو شرّ» «٥».

(١)- الطباطبائى و منهجه في تفسير الميزان/ على الأوسى / ص ٢١٦.

(٢)- مواهب الرّحمن / المقدمه / ص ١٧.

(٣)- م. ن / ص ٧.

(٤)- الطباطبائى و منهجه في تفسير الميزان/ ص ٢١٩.

(٥)- م. ن / ص ٢١٨، و الحديث فيه من: تفسير العياشى / ج ١ / ص

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٣٦٥

الفصل الخامس تطوّر التفسير عند الشيعة الإمامية

إشارة

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٣٦٧

اعتاد الباحثون على دراسته مراحل تدوين التفسير و تقسيم طبقات المفسرين، كإحدى المعالم التي يتوصّل منها إلى فهم تطور هذا العلم في هذه المدرسه أو تلك، و بالتالي دراسته تطوّر التفسير الأثرى و تداخله مع إعمال الرأى و نمو التفسير العقلى.

و استخدم الباحثون مناهج متعدده فى تصنيف طبقات المفسرين، منها:

١- التصنيف الأبجدى: و هو ما قام على أساس تصنيف المفسرين طبقاً للحروف الأبجدية، و كان منه:

أ- طبقات المفسرين، للسيوطى صاحب الاتقان و الدرّ المنثور و غيرهما، المتوفى سنة ٩١١ هـ، ترجم فيه ١٣٦ مفسراً، ابتداءً فيه ب (إبراهيم بن أحمد بن محمّد بن أحمد أبى طاهر السلماسى الواعظ) المتوفى سنة ٤٩٦ هـ، و انتهى فيه ب (يحيى بن الربيع بن سليمان بن حراز العلّامة محمّد الدين أبى على الفهرى) المتوفى سنة ٦٠٦ هـ «١».

ب- طبقات المفسرين، للحافظ شمس الدين محمّد بن على بن أحمد الداودى المتوفى سنة ٩٤٥ هـ، و قد ابتداءً فيه ب (أبان بن تغلب) المتوفى سنة ١٤١ هـ، و انتهى فيه ب (يونس بن محمّد بن إبراهيم الوفراوندى) برقم (٧٠٤) و لم يذكر سنة وفاته «٢».

٢- التصنيف الزمنى المئوى: و هو ما قام على أساس تصنيف المفسرين لكل مائة سنة هجرية، و منه ما صنّفه العلّامة أحمد بن محمّد الأدنه وى، الذى ابتداءً فيه بأصحاب الرسول (ص) إلى من كانت وفاتهم بعد المائة العاشره «٣».

(١) - طبقات المفسرين للسيوطي، ط. دار الكتب العلميه بيروت.

(٢) - طبقات المفسرين للداودي، ط. دار الكتب العلميه بيروت.

(٣) - م. ن / مقدمه الناشر.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٣٦٨

و يؤخذ على التصنيف الأول، أنه لم يكن هناك جامع مشترك في التصنيف سوى الحرف الأول من اسم كل مفسر، لذا فيمكن أن تجد المفسر الأول من المتأخرين و تجد الثاني من صدر الاسلام؛ و لا يجمعهما جامع إلا أن اسم كل منهما إبراهيم مثلا.

و أما التصنيف الثاني، فإنه و إن كان للزمن اعتبار و دور كبير في تطور أى علم و بالتالى فإن كل مرحله زمنيه تحمل خصائصها و التى تترك أثرها على معاصريها، حتى لو اختلفوا في ميولهم و اتجاهاتهم، إلا أنه يلاحظ عليه أن الزمن الفكرى لا يمكن أن يقسم إلى وحدات زمنيه متساويه، كل مائه سنه مثلا، و إنما الأفكار تتبع التغيرات الثقافيه و السياسيه التى ربما تكون متعدده داخل المائه الواحد، فى الوقت الذى تكون المائه الاخرى ذات طبيعه واحده لعدم حدوث تغير طارئ.

لذا فإن الأساس الأكثر دقه فى دراسته تطور التفسير الذى نحن بشأنه، هو على أساس التغيرات التاريخيه و الفكرية الطارئة منذ نشأته، و هو ما نلمسه بوضوح فى تصنيف العلامة الطباطبائى الذى صنف عموم طبقات المفسرين إلى:

١- الطبقة الأولى: و هم مفسرو الصحابه.

٢- الطبقة الثانية: و هم التابعون.

٣- الطبقة الثالثة: من تلاميذ التابعين.

و الطبقات الثلاث مما يطلق عليها لفظه قدماء المفسرين.

٤- الطبقة الرابعة: و هم أوائل المؤلفين فى علم التفسير، كسفيان و وكيع

و شعبه و غيرهم.

٥- الطبقة الخامسة: المفسرون الذين نقلوا الأحاديث مع حذف الأسانيد.

٦- الطبقة السادسة: الذين كتبوا التفسير بعد ظهور العلوم المختلفة، كالزجاج والواحدى وأبى حيان والزمخشري والرازى ... إلخ «١».

(١)- القرآن فى الاسلام / ص ٦٨-٧٤.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٣٦٩

طبقات المفسرين الشيعة:

و صنف الطباطبائى المفسرين الشيعة- بناء على أخذهم من الرسول (ص) و أهل البيت (ع)- إلى ثلاث طبقات:

١- الطبقة الأولى: الذين رووا التفسير عن النبى (ص) و أئمة أهل البيت (ع)، و أدرجوا الأحاديث فى مؤلفاتهم المتفرقة، كزراره و محمد بن مسلم ... و أشباههما.

٢- الطبقة الثانية: و هم أوائل المؤلفين فى التفسير، كقرات بن إبراهيم الكوفى و أبى حمزه الشمالى و العياشى و على بن إبراهيم القمى و النعمانى.

و تشبه طريقه تفسيرهم الطبقة الرابعة من التصنيف السابق، و رواياتهم مادّه مسنده إلّا ما ندر.

٣- الطبقة الثالثة: أصحاب العلوم المختلفة، كالشريف الرضى، فى تفسيره الأدبى، و الشيخ الطوسى فى تفسيره الكلامى، المسمى بالبيان، و صدر الدين الشيرازى فى تفسيره الفلسفى ... إلخ.

و منهم من جمع بين العلوم المختلفة فى تفسيره كالشيخ الطبرسى فى تفسيره «مجمع البيان» «١».

و هذا التصنيف جيّد إذ يتخذ من نوع التفسير- من حيث روايته و طريقه تدوينه و مادّته- أساسا للتصنيف، إلّا أنّه يشمل مراحل مختلفة فكريا و تاريخيا و سياسيا، ادرجت ضمن صنف واحد، فلا يمكن أن نعدّ فتره عصر الرسول (ص)، ثمّ عهد الخلفاء و التى منع فيها تدوين الحديث، و عهد الإمام على و

كما لا يمكن أن نعتبر العهد الأموي الذي انصبّ على معاداه أهل البيت (ع) و من ثم

(١) - م. ن / ص ٧٩.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٣٧٠

اضطهادهم و ما أدى إلى قتل الإمام الحسين (ع) و عهد الفتره التي ضعف فيه سلطانهم و انطلق فيها الإمامان الباقر (ع) و الصادق (ع) في تدريس العلوم الاسلاميه لآلاف الطلبة، لا يمكن اعتبار هذا و ذاك عهدا واحدا، و لا يمكن و الحال هذه اعتبار عصر الأئمه (ع) عصرا واحدا لأنهم عاشوا ظروفًا سياسيه مختلفه أثرت بدورها على حركتهم و نشاط شيعتهم.

كذلك لا يمكن بأي حال إغفال التطورات الفكرية داخل المدرسه الشيعيه و آثارها على مسار تدوين التفسير، خصوصا الفتره التي نمت فيها الحركة الأخباريه، و ما شملته هذه الفتره من نشاط التدوين الأخباري (الجمع الحديثي) في مقابل التلكؤ النسبي للبحث العلمي، و حركة الاجتهاد.

على أننا نثبت حقيقه أساسيه، و هي أن حركة التدوين عموما، و التفسير بشكل خاص عند الشيعة تقدّمت على غيرهم، و ذلك لأن الإمام عليا (ع) كان أول من دوّن التفسير، على الاطلاق، إذ كانت عنده نسخه من القرآن ثبت فيها ما أملاه رسول الله (ص) من بيان للآيات و تفسيرها «١»، كما إنّ من المتسالم عليه - كما مرّ - أن أوائل المفسّرين كابن عباس و ابن مسعود، كانوا قد أخذوا التفسير عن علي (ع)، إضافة إلى أنّ الإمام عليا (ع) - و بعد مدّه من منع تدوين الحديث على عهد أبي بكر و عمر و عثمان - قام في عهد خلافته بالبحث على التدوين، و انطلق تلامذته يدوّنون اسس أوائل العلوم الاسلاميه، في اللغه و القرآن.

عدّ الباحثون- باتفاق- أنّ التفسير ينتهي إلى علي، وابن مسعود، وابن عباس، و أبيّ بن كعب «٢»، و أخذ ابن مسعود و ابن عباس عن علي، أما أبيّ بن كعب الأنصاري فقد كان أيضا من أنصار علي و من شيعته «٣».

(١)- انظر: القرآن الكريم و روايات المدرستين / ج ٢ / ص ٤٠٢.

(٢)- الاتقان / ج ٢ / ص ١٢٢٧، التفسير و المفسرون / ج ١ / ص ٦٨.

(٣)- أعيان الشيعة / ج ١ / ص ١٢٥.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٣٧١

و بناء على ما تقدم فإننا نقتراح تصنيف مراحل تطور التفسير عند الشيعة و من ثم طبقات المفسرين الشيعة وفقا للتصنيف الآتي:

التصنيف المقترح:

١- عهد الرسول (ص):

إذ كان الإمام علي (ع) المتلقى الأوّل للتفسير عن رسول الله (ص) بتعهده بالحفظ، و التدوين، و الفهم.

فقد أخرج ابن جرير الطبري بسنده عن مكحول، قال: قرأ رسول الله (ص):

وَ تَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ ثُمَّ التفت إلى علي (ع) فقال (ص): سألت الله أن يجعلها اذنك، قال علي (ع): فما سمعت شيئا من رسول الله (ص) فنسيته «١».

و من أعلام المفسرين عن رسول الله (ص) عبد الله بن مسعود و أبيّ بن كعب، و عبد الله بن عباس الأموي ولد لثلاث قبل الهجرة، و توفّي الرسول (ص) و له من العمر ثلاث عشرة سنة، و قيل خمس عشرة، لكنّه عاصر كبار الصحابة، و أخذ عنهم، و في مقدّمهم علي (ع)، و توفّي سنة ٦٨ للهجرة، لذا كتب له حفظ الكثير من الحديث و التفسير و نقله.

على أنّ تدوين الحديث، و منه بيان الرسول (ص) للقرآن، كان قد منع و حدّد تداوله بعد رحله الرسول (ص)، لذا لا نجد طيله هذه الفترة، حتّى

عهد الإمام على (ع) الذي رفع الحظر، تقدّمًا ووضحًا لدى المسلمين في علوم القرآن و تفسيره.

٢- عهد الإمام على (ع):

كان الإمام (ع) يحرص على أن ينقل ما اكتسبه من علم و معرفه إلى تلاميذه، كما بن

(١)- تفسير الطبري / تفسير الآية ١٢ من سورة الحاقه. فضائل الخمسه من الصحاح السنّه / ج ٣ / ص ٣١٩.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٣٧٢

مسعود و ابن عباس، و غيرهما، و قد انقسم عهده إلى فترتين:

أ- عهد الخلفاء الراشدين: ففي تلك الظروف التي منع تدوين الحديث فيها، حرص على (ع) على بث العلم و نشره و تصحيح ما أمكن ممّا اختلف فيه الناس من السنّه.

فكان الصحابه يرجعون إليه في فهم ما خفي و استجلاء ما أشكل ... حتّى ضرب به المثل (قضيّه و لا أبا حسن لها) «١».

و اشتهر عن عمر قوله: (لو لا على لهلك عمر)، و أنّه كان يتعوّذ من معضله ليس فيها أبو حسن - على (ع) - «٢»، و ذلك بعد ما كان على (ع) يحلّ معضلات فقهيه و قضائيه كان الصحابه يعجزون عن حلّها.

ب- عهد خلافته (ع): فهو خلافا للظروف السابقه فتح فيه باب السؤال على مصراعيه، فقد روى معمر عن وهب بن عبد الله عن أبي الطفيل، قال: شهدت عليًا يخطب و هو يقول: سلوني فو الله لا تسألونني عن شيء إلّا أخبرتكم، و سلوني عن كتاب الله، فو الله ما من آيه إلّا و أنا أعلم أ بليل نزلت أم بنهار، أم في سهل أم في جبل «٣»، و بدأ بنفسه بتعليم الفقه و القرآن «٤».

و في هذه الفتره تمّ تأسيس جّل العلوم الاسلاميه، إذ وضع على (ع) اسس علم الحديث و طرق تمحيصه و

تصنيف الرواه «٥» كما علم (ع) أبا الأسود الدؤلى اصول النحو ليصان بذلك القرآن «٦»، فإنه «لم تكن علوم القرآن و غيرها من العلوم مدونه فى

(١)- التفسير و المفسرون/ ج ٢/ ص ٩٢.

(٢)- فضائل الخمسه/ ج ٢/ ص ٢٠٩.

(٣)- الاتقان/ ج ٢/ ص ١٢٢٧.

(٤)- شرح نهج البلاغه/ ج ٤/ ص ١٠٩/ ط. الحلبي بالقاهره.

(٥)- نهج البلاغه/ الكتاب ٢١٠.

(٦)- القرآن الكريم و روايات المدرستين/ ج ٢/ ص ٥٥٤.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٣٧٣

العصر الأول فى الكتب و الصحف، بل كانت مدونه على صفحات القلوب، و إنما كان المدون و المكتوب هو القرآن الكريم فحسب، و ذلك لما ورد فى الصحيح من النهى عن كتابه غير القرآن!!

روى مسلم فى صحيحه عن النبى (ص) أنه قال: (لا تكتبوا عنى، و من كتب عنى غير القرآن فليمحه و حدّثوا عنى و لا حرج، و من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار).

فمن ثمّ تحرّج كثير من الصحابه و التابعين من كتابه و تدوين غير القرآن حتّى الحديث الشريف لم يدونوه، و اكتفوا فيه و فى علومه بالحفظ و الروايه .. إلى أن كان عهد على- رضى الله عنه- فأمر أبا الأسود الدؤلى بوضع علم النحو فكان هذا فاتحه خير لتدوين علوم الدين، و اللغه العربيه «١».

٣- عهد الإمامين الحسن (ع) و الحسين (ع) (استشهد فى عاشوراء ٦١ هـ):

و فيها تعرّض أهل البيت (ع) لأبشع أنواع الاضطهاد، كما تمّ ملاحقه أتباعهم و شيعتهم بأنواع القتل و التشريد و الأذى، و لم يثن كل ذلك الأئمّه (ع) من مواصلة سيرتهم، بقدر ما سمحت به الظروف، و لذا نجد بين أيدينا روايات تفسيريه عن الحسن و الحسين (ع) «٢» إلّا أنّها قليله

جدًا نسبة لما روى عن غيرهما، مع سبق عظيم مكانتهما، و هما سيّدا شباب أهل الجنّة، بنص الرسول (ص) «٣»، ممّا يدلّ على أنّ

(١) - المدخل لدراسه القرآن الكريم / الاستاذ الدكتور الشيخ محمّد بن محمّد أبو شهبه (من علماء الأزهر الشريف) / ص ٣٠.

(٢) - مجمع البيان للطبرسي / ج ١٠ / ص ٤٦٦-٤٦٧، التوحيد للشيخ الصدوق / ص ٩٠ / ط. مؤسسه النشر الاسلامي بقم / راجع تفسير القرآن بالقرآن عند العلامة الطباطبائي / ص ٧٦.

(٣) - قال رسول الله (ص): الحسن و الحسين سيّدا شباب أهل الجنّة». الترمذی / ج ٣ / ص ٣٠٦ -

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٣٧٤

الظروف الصعبة المحيطة بهما هي التي جعلت الناس لا- يقدمون على النيل من عطائهما الثر، إمّا خوفا من السلطان الأموي أو طمعا في رضاه.

و من أعلام التفسير في هذه الفترة، ميثم بن يحيى التمار، فقد روى الكشي في رجاله، أنّ ميثما لقي ابن عباس (في العمره) فقال له: يا ابن عباس! سلني ما شئت من تفسير القرآن، فأني قرأت تنزيهه على أمير المؤمنين (ع) و علمني تأويله، فقال ابن عباس: يا جاريه الدواء و قرطاسا، فأقبل يكتب «١».

و قد قتله عبيد الله بن زياد، و الى الأمويين على الكوفة، بعد أن قيل له عن ميثم:

هذا كان من آثر الناس عند عليّ (ع)، فصلبه ثلاثة أيام، ثم أمر فطعنوه بالحربه، فكبر، ثم انبعث في آخر النهار فمه و أنفه دما و مات «٢».

استشهد ميثم في نفس العام الذي قتل فيه الحسين بن عليّ (ع). و هو نموذج لما لقيه أصحاب أهل البيت (ع) على يد بني امية.

٤ - عهد الأئمّه: السّجاد و الباقر و الصادق (ع):

و قد بدت بوادر إعادته تشييد العلوم الاسلاميه، و منها التفسير في

عهد السجاد (ع)، إلّا أنّها نمت في عهد الباقر (ع) و آتت ثمارها في عهد الصادق (ع) الذي اتسعت مدرسته، حتّى أنّ الحافظ ابن عقده الزيدى جمع في كتاب رجاله أسماء أربعة آلاف رجل من الثقات الذين رووا عن جعفر بن محمد، و ذكر مصنّفاتهم.

و روى النجاشى بسنده، عن الحسن بن على الوشاء، قال: أدركت في هذا المسجد

- مناقب الحسن و الحسين (ع). و ابن ماجه/ فضائل أصحاب رسول الله (ص)، و أضاف:

«و أبوهما خير منهما».

(١)- الكشى/ ج ١/ ص ٢٩٤، أعيان الشيعة/ ج ١/ ص ١٢٥.

(٢)- معجم رجال الحديث/ ج ٢٠/ ص ١١١.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٣٧٥

- مسجد الكوفه- تسعمائه شيخ، كل يقول: حدّثني جعفر بن محمد، و كان (ع) يقول:

حدّثني حدّيث أبى، و حدّيث أبى حدّيث جدّى، و حدّيث جدّى حدّيث أبيه، و حدّيث أبيه حدّيث على بن أبى طالب، و حدّيث على حدّيث رسول الله (ص)، و حدّيث رسول الله قول الله عزّ و جلّ «١».

و يلاحظ في هذه الفتره أنّ التفسير كثيرا ما كان يذكر كأحد أبواب الحديث، ضمن المجاميع أو الاصول الحديثيه التي تضمّ سائر المواضيع.

و نستطيع أن نلمس بوضوح اتساع مدرسه أهل البيت (ع) التفسيريه، ابتداء من عهد الإمام السجاد (ع) من خلال بروز عدّه أعلام في التفسير ممّن تلقوا العلم منه و رووا عنه؛ منهم:

- سعيد بن جبير، إذ حكى السيوطى عن قتاده أنّه كان أعلم التابعين بالتفسير، و يرى بعض العلماء أنّه مقدم على مجاهد و طاوس في العلم.

و قال فيه أبو القاسم الطبرى: هو ثقه، حجه، إمام على المسلمين ... «٢».

كان سعيد بن جبير من خواص أصحاب السجاد

(ع) و كان ذلك سبب نقمه الحجاج عليه و قتله، روى الكشى، قال:

«حدثنى أبو المغيرة، قال: حدّثنى الفضل، عن ابن أبي عمير، عن هشام بن سالم، عن أبي عبد الله (ع)، قال: إن سعيد بن جبير كان يأتى بعليّ بن الحسين (ع)، و كان على (ع) يثنى عليه، و ما كان سبب قتل الحجاج له إلّا على هذا الأمر، و كان مستقيماً استشهد سنة ٩٤ للهجرة» (٣).

- طاوس اليماني، تلميذ ابن عباس، و كان على جانب عظيم من الورع و الأمانة،

(١)- أعيان الشيعة / ج ١ / ص ٦٦١.

(٢)- التفسير و المفسرون / ج ١ / ص ١٠٩.

(٣)- معجم رجال الحديث / ج ٩ / ص ١١٩.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٣٧٦

قال فيه عمرو بن دينار: ما رأيت أحداً مثل طاوس، و قال ابن حبان: كان من عتّاد أهل اليمن و من سادات التابعين، و كان مستجاب الدعوه، و حجّ أربعين حجّة (١).

عدّه ابن تيميه فيما حكى عنه: من أعلم الناس بالتفسير، و عدّه ابن قتيبه فى المعارف من الشيعة، و عدّه الشيخ الطوسى فى رجاله من أصحاب عليّ بن الحسين (ع)، قال: و كان منقطعاً إليه (٢).

- أبو حمزه الثمالى، قال ابن النديم فى الفهرست عند ذكر الكتب المصنفة فى تفسير القرآن: كتاب تفسير أبي حمزه الثمالى، و اسمه ثابت بن أبي صفيّه، من أصحاب عليّ (ابن الحسين)، من النجباء الثقات و صحب أبا جعفر (٣).

قال النجاشى فيه: ... ثابت بن أبي صفيّه مولى المهلب بن أبي صفرة، و أولاده نوح و منصور و حمزه، قتلوا مع زيد، لقي عليّ بن الحسين و أبا جعفر و أبا عبد الله و أبا الحسن

(ع)، و روى عنهم، و كان من خيار أصحابنا و ثقاتهم و معتمديهم فى الروايه و الحديث.

و روى عن أبى عبد الله (ع) أنه قال: أبو حمزه فى زمانه مثل سلمان فى زمانه، و روى عنه العامه و مات فى سنه خمسين و مائه، له كتاب تفسير القرآن ... «٤».

و من حياه أبى حمزه و أمثاله يعلم أن هذه المرحله، ابتدأت من على بن الحسين (ع) و امتدت إلى الصادقين من بعده.

- و من مفسّرى هذه المرحله، السدى الكبير إسماعيل بن عبد الرحمن أبو محمد القرشى، تابعى له كتاب التفسير مشهور ينقل عنه المفسّرون كثيرا، قال السيوطى فى الإتيان: تفسيره أمثل التفاسير ... ذكره الشيخ الطوسى فى رجاله فى أصحاب على بن

(١)- التفسير و المفسّرون/ ج ١/ ص ١١٧.

(٢)- أعيان الشيعة/ ج ١/ ص ١٢٥.

(٣)- م. ن/ ص ١٢٦.

(٤)- معجم رجال الحديث/ ج ٤/ ص ٢٩٣.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٣٧٧

الحسين و الباقر و الصادق (ع) «١».

- و منهم: محمد بن السائب بن بشر الكلبي، تابعى من علماء الكوفه بالتفسير، له كتاب التفسير مشهور و ينقل عنه المفسّرون كثيرا، ... و عن ابن عدى فى الكامل: هو معروف بالتفسير و ليس لأحد تفسير أطول من تفسيره و لا أشبع، و حدّث عنه ثقات الناس و رضوه فى التفسير ...

و هو من أصحاب الإمام زين العابدين و ابنه الباقر (ع) «٢».

- إلا أنّ الشخصيه البارزه التى أنتجتها هذه الفتره، هى شخصيه «أبان بن تغلب» الذى لقي الأئمّه الثلاثه، و روى عنهم، و اختصّ بهم، و عظمت مكانته لديهم فقد قال له الباقر (ع): (اجلس فى مجلس المدينه

و أفت الناس فإنني أحب أن يرى في شيعتي مثلك)، ولأبان سبق في علوم القرآن؛ إذ أنه أول من صنّف في القراءه، و أول من صنّف في معاني القرآن، و كذلك أول من صنّف في غريب القرآن «٣»، فهو بحق مؤسس علوم القرآن فضلا عن تأليفه في التفسير.

و تفسير أبان من المسلم به عند الجمهور أيضا، فقد ذكره الداوديّ و قال: «أبان بن تغلب، بفتح المثناه و سكون المعجمه و كسر اللام، من أهل الكوفه، سمع فضيل بن عمرو الفقيمي و الأعمش و الحكم بن عتبه.

روى عنه: شعبه و إدريس الأودي و سفيان بن عيينه؛

مات سنه إحدى و أربعين و مائه، و فيه تشييع مع ثقه.

صنّف كتاب (معاني القرآن) لطيف القراءات، روى له مسلم و الأربعة» «٤».

(١) - أعيان الشيعة / ص ١٢٥.

(٢) - م. ن.

(٣) - تأسيس الشيعة لعلوم الاسلام / السيد حسن الصدر / ص ٣٢٠.

(٤) - طبقات المفسرين / الداوديّ / ج ١ / ص ٣.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٣٧٨

و الظاهر أن أبان بن تغلب كان ذا شخصيه استثنائية بارزه، فقد قال النجاشي في ترجمته: «و كان قارئا من وجوه القراء، فقيها لغويا، سمع من العرب و حكى عنهم ...

و كان أبان (رحمه الله) مقدما في كل فن من العلم، في القرآن، و الفقه، و الحديث، و الأدب، و اللّغه و النحو.

له كتب منها: تفسير غريب القرآن، و كتاب الفضائل ...

و لأبان قراءه مفرده مشهوره عند القراء» «١».

ثمّ ذكر النجاشي أسانيده إلى أبان، و روى في فضله و عظيم مكانته عند أهل البيت (ع) روايات، منها؛ عن ابنه قال: «دخلت مع أبي عليّ أبي عبد الله (ع)، فلما بصر به أمر بوساده

فألقيت له، و صافحه و اعتنقه و ساء له و رَحِبَ به ... و قال: و كان أبان إذا قدم المدينة تقوّضت إليه الخلق و أخليت له ساريه النبي (ص) «٢».

و ممّا ذكره النجاشي أيضا بسنده عن عبد الرحمن بن الحجاج، قال: «كنا في مجلس أبان بن تغلب، فجاءه شاب، فقال: يا أبا سعيد! أخبرني كم شهد مع عليّ بن أبي طالب (ع) من أصحاب النبي (ص)؟ قال: فقال له أبان: كأنك تريد أن تعرف فضل عليّ (ع) بمن تبعه من أصحاب رسول الله (ص)؟ قال: فقال الرجل: هو ذاك، فقال: و الله ما عرفنا فضلهم إلّا باتباعهم إياه...».

و روى بسنده أيضا عن عبد الله بن خفقه، قال: «قال لي أبان بن تغلب: مررت بقوم يعيبون عليّ روايتي عن جعفر (ع)، قال: فقلت كيف تلوموني في روايتي عن رجل، ما سألته عن شيء إلّا قال: قال رسول الله (ص)».

و كذلك بسنده عن سليم بن أبي حيه، قال: «كنت عند أبي عبد الله (ع)، فلمّا أردت أن افارقه ودّعته و قلت له: احبّ أن تزودني، فقال (ع): ائــــت أبــــان بــــن تغلب، فــــأنه

(١) - رجال النجاشي / ج ١ / ص ٧٣ - ٧٥.

(٢) - م. ن / ص ٧٧.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٣٧٩

سمع منّي حديثا كثيرا، فما روى لك فارو عني «١».

و قال النجاشي في ترجمته: «أبان بن تغلب بن رباح (أبو سعيد البكري الجريري) مولى بني جرير بن عباد بن ضبيعه بن قيس بن ثعلبه بن عكابه بن صعب بن عليّ ابن بكر بن وائل. عظيم المنزله في أصحابنا. لقي عليّ بن الحسين و أبا جعفر و أبا عبد الله (ع). و كانت

له عندهم منزله و قدم. و ذكره البلاذري، قال: روى أبان عن عطيه العوفى ...

و قال أبو عبد الله (ع) لَمَّا أتاه نعيه: (أما و الله لقد أوجع قلبي موت أبان) «٢».

و قال أبو عمرو الكشى فى كتاب الرجال: «روى أبان عن على بن الحسين (ع).

و ذكره أبو زرعه الرازى فى كتابه: ذكر من روى عن جعفر بن محمد».

و التفاسير المذكوره لأصحاب الأئمه (ع) فى هذه الفتره كثيره، نذكر منها:

- تفسير الجريرى، لأبى على وهيب بن حفص الجريرى، مولى بنى أسد، من أصحاب الصادق (ع). واقفى ثقه. يروى عنه النجاشى.

- تفسير الجوالقى الثقه، هشام بن سالم، من أصحاب الصادق و الكاظم (ع) و يروى عنه محمد بن أبى عمير. ذكره النجاشى.

- تفسير الحسن بن واقد، ذكره ابن النديم، و هو أخو عبد الله بن واقد من أصحاب الصادق (ع).

- تفسير عطيه العوفى المعروف بالجدلى (ت: ١١٤ هـ) من أصحاب الباقر (ع).

أخذ عنه أبان بن تغلب و خالد بن طهمان و زياد بن المنذر، ذكره النجاشى فى ترجمه هؤلاء.

(١)- م. ن / ص ٧٨-٧٩.

(٢)- م. ن / ص ٧٣.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٣٨٠

- تفسير مقاتل بن سليمان (ت: ١٥٠ هـ) من أصحاب الباقر و الصادق (ع)، ذكره الشيخ، و قال ابن النديم: من الزيديه.

و حكى عن الشافعى: انّ الناس كلّهم عيال مقاتل بن سليمان فى التفسير.

و حكى عن الكامل لابن عدى: ان فى مقاتل مذاهب رديّه و تفسيره بعد تفسير الكلبي.

- تفسير أبى الجارود، زياد بن منذر (ت: ١٥٠ هـ). من أصحاب الأئمه الثلاثه:

السجاد و الباقر و الصادق (ع). يروى تفسيره عن الباقر (ع) أيام استقامته.

- تفسير أبى جناده السلولى،

الحصين بن المخارق بن عبد الرحمن بن ورقاء بن حبشى بن جناده، جدّه الحبشى من الصحابه. من أصحاب الصادق و الكاظم (ع).

قال النجاشى: له كتاب التفسير و القراءات، كتاب كبير.

- تفسير أبى روق، عطيه بن الحارث الهمداني الكوفي التابعى. حكى العلامة عن ابن عقده أنّه كان يقول بولايه أهل البيت (ع). ذكر تفسيره ابن النديم و النجاشى.

- تفسير منخل بن جميل الأسدى الكوفى بياع الجوارى، من أصحاب الصادق (ع) و الراوى عنه. ذكره النجاشى.

- تفسير وهيب: و هو أبو على وهيب بن حفص الجريرى، من أصحاب الإمامين الصادق و الكاظم (ع)، ذكره النجاشى و الفهرست.

- تفسير هشام بن سالم الجوالقى، من أصحاب الإمامين الصادق و الكاظم (ع).

ثقه ثقة بتصريح النجاشى.

- تفسير إسماعيل بن أبى زياد، و هو مسلم الشّمري السكونى الكوفى من أصحاب الصادق (ع)، ذكره الطوسى و ابن النديم.

- تفسير جابر الجعفى، جابر بن يزيد الجعفى التابعى (ت: ١٢٧ أو ١٣٢ هـ). رواه النجاشى.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٣٨١

- تفسير ابن أبى هند و هو أبو بكر داود بن دينار السرخسى (ت: ١٣٩ هـ)، من أصحاب الإمام الباقر (ع)، ذكره ابن النديم / ص ٥١ «١».

٥- عهد الإمام الكاظم (ع) حتّى غيبه الإمام المهدي (ع):

فى هذه الفترة عادت الظروف مرّه اخرى عصيبه على أهل البيت (ع)، فبعد ما استقر الحكم بيد العباسيين، رأوا أنّ الأئمّه من أهل البيت (ع) و بما يمتلكون من موقع سام و مكانه عظيمه عند الامّه، هم المنافسون الأساسيون لهم فى الحكم، فصّبوا جام غضبهم عليهم و عاودوا الخناق و التضييق عليهم بمختلف الوسائل.

فهذا الإمام الكاظم (ع) يستقدم من المدينه ليقضى سنوات عمره الأخيره فى سجون العباسيين، ينقل من سجن إلى سجن حتّى قضى نحبه

مسموماً في سجن السندی بن شاهك صاحب شرطه الرشيد.

و استمرّ هذا الحال مع سائر الأئمة، حتّى في أيام ولايه العهد للإمام الرضا (ع) و التي كانت في حقيقتها نوعاً من الحصار السياسي على تحرك الإمام و علاقته بالأئمة.

و رغم هذه الظروف، إلّا أننا نجد أن حركة التأليف في التفسير و التي ابتدأت في عهد السجاد (ع) و نمت في زمن الباقر (ع) و ترعرعت على يد الصادق (ع) قد آتت اكلها في حياه باقي الأئمة، فكان هناك جمّ من العلماء الذين ألفوا في التفسير، يفوق بكثير ما وجد عند الجمهور لنفس الفتره، و الملاحظ أنّه في هذه الفتره ظهرت الكتب على شكل مجاميع روائيه في سائر آيات القرآن، بدلا من كتابه التفسير ضمن الكتب الحديثيه، و كان من ثمار هذه الفتره:

- تفسير ابن محبوب، أبي علي الحسن بن محبوب (السراد). عدّه الكثير من أصحاب الاجماع، من أصحاب الإمام الكاظم و الرضا و الجواد (ع) (ت: ٢٢٤ هـ).

(١)- الذريعه إلى تصانيف الشيعة / الطهراني / ج ٤.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٣٨٢

ترجمه ابن النديم، و أوّل ما ذكر من كتبه الكثيره كتاب «التفسير».

- تفسير ابني سعيد بن حماد بن مهران مولى عليّ بن الحسين (ع)، و هما الحسن و الحسين الأهوازيان اللذان اشتركا في الكتب الثلاثين المصنّفه، و منها كتاب التفسير، ذكرهما النجاشي و الشيخ و الكشي في كتب الرجال.

- تفسير ابن مهزيار، أبو الحسن عليّ بن مهزيار الدورقي الأهوازي الثقة الوكيل للأئمة الثلاثة: الرضا و الجواد و الهادي (ع). كان حيّاً إلى سنه (٢٢٩ هـ).

- تفسير ابن النجار، عيسى بن داود النجار الكوفي، الراوي عن الإمام الكاظم (ع). يرويّه عنه ابن عقده

(ت: ٣٣٣ هـ) بواسطة واحده كما فى النجاشى.

- تفسير ابن وضاح، ذكره الشيخ فى باب الكنى من الفهرست. يرويه عنه ابن دكين (استشهد ٢١٩ هـ). فيظهر أنه من أواسط القرن الثالث.

- تفسير ابن همام الصنعانى، الإمام الحافظ أبى بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميرى اليمانى الصنعانى (ت: ٢١١ هـ). ترجمه الذهبى. تفسيره من أقدم تفاسير الشيعة الموجوده فى العالم. نسخته موجوده فى بعض مكاتب مصر.

- تفسير ابن أبى نعيم الفضل بن دكين (ت: ٢١٩ هـ).

- تفسير ابن أسباط، أبى الحسن على بن أسباط بن سالم الكوفى الراوى عن الإمام الرضا و الجواد (ع). ذكره النجاشى.

- تفسير ابن أورمه، أبى جعفر محمّد بن أورمه القمى. ذكر النجاشى من كتبه تفسير القرآن. من أصحاب الإمام الهادى (ع).

- تفسير ابن صبيح، أبى عبد الله أحمد بن صبيح الأسدى الكوفى الثقه، يرويه عنه النجاشى بأربع وسائل.

- تفسير ابن الصلت القمى التيمى، أبى طالب عبد الله بن الصلت، الراوى عن الإمام الرضا و وكيل الجواد (ع). ذكره النجاشى.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٣٨٣

- تفسير ابن عقده، أبى العباس أحمد بن محمّد بن سعيد المعروف بابن عقده الزيدى الجارودى (ت: ٣٣٣ هـ). قال النجاشى: رأيت له كتاب تفسير القرآن، و هو كتاب حسن. و ينقل عنه السيد ابن طاوس (ت: ٦٦٤ هـ).

- تفسير اليقطينى، هو أبو جعفر محمّد بن عيسى بن عبيد بن يقطين، مولى بنى أسد، الراوى عن أبى جعفر الثانى الجواد (ع).

- تفسير يونس بن عبد الرحمن، الثقه الجليل، يروى عن الإمامين الكاظم و الرضا (ع)، له كتب منها (تفسير القرآن)، ذكره النجاشى.

- تفسير البرقى الكبير، الشيخ الأقدم أبى عبد الله محمّد بن

خالد بن عبد الرحمن الكوفي البرقي، يرويه النجاشي عنه بأربع وسائط. من أجلاء الأصحاب.

- تفسير البرقي الصغير، هو الشيخ أبو جعفر أحمد بن أبي عبد الله محمد بن خالد البرقي (ت: ٢٧٤ أو ٢٨٠ هـ) صاحب كتاب المحاسن. ذكره النجاشي.

- تفسير الثقفى، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن سعيد الثقفى (ت: ٢٨٣ هـ) رواه النجاشي بثلاث وسائط «١».

٦- فتره الغيبه - القرن الرابع الهجرى - (الازدهار القمى):

رغم غيبه الإمام المهدي (عج) و الحيره التى اكتنفت الشيعة بذلك و تفرّقهم فى أمره أوّل الأمر، ثمّ اتفاق عامتهم بشأنه، رغم هذه الفتره فإنّ جهود المفسّرين الشيعة استمرت، خصوصا أنّ هذه الفتره شهدت وجود شخصيات علميه قويّه فى قم، بفعل الازدهار العلمى الذى شهدته المدينه بعيدا عن أعين الخلفاء ببغداد، كان منهم:

- على بن إبراهيم بن هاشم القمى، صاحب التفسير المعروف باسمه (أواخر المائه الثالثه أو أوائل الرابعه).

(١)- الذريعه إلى تصانيف الشيعة / الطهرانى / ج ٤.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٣٨٤

- على بن الحسين بن بابويه القمى، والد الصدوق، عدّ النجاشي و الشيخ فى الفهرست من كتبه كتاب التفسير و ذكره سندهما إليه.

- و ولده الشيخ الصدوق، أبو جعفر محمد بن علىّ (ت: ٣٨١ هـ)، له تفسير كبير ذكره النجاشي.

- محمد بن الحسن بن أحمد بن الوليد القمى، شيخ القميين و فقيهم و مقدمهم و وجههم، له تفسير القرآن، ذكره ابن النديم و النجاشي و الشيخ فى الفهرست (٣٤٣ هـ).

- أحمد بن محمد بن الحسين بن الحسن بن دول القمى، قال النجاشي له مائه كتاب و عدّ منها كتاب التفسير (ت: ٣٥٠ هـ) «١».

و كان من مفسرى هذه الفتره أيضا:

- أبو عبد الله، أحمد بن صبيح الأسدى الكوفى، له كتاب التفسير، قاله

النجاشى و الشيخ فى الفهرست.

- أبو عبد الله، محمد بن العباس بن علي بن مروان المعروف بابن الحجاج، قال الشيخ فى الفهرست: له كتاب فى التفسير.

- عبد العزيز بن يحيى الجلودى البصرى، قال النجاشى: له كتاب التفسير عن علي (ع)، كتاب التفسير عن ابن عباس، كتاب تفسيره عن الصحابه.

- محمد بن علي بن عبدك الجرجانى، نص على تشييعه الشيخ و النجاشى و السمعانى، له تفسير القرآن عشره مجلدات، توفى بعد (٣٦٠ه).

٧- القرن الخامس (عصر المفيد):

فى هذا العصر ازدهرت دور العلم ببغداد، و نما البحث العلمى عند الشيعة ابتداء

(١)- أعيان الشيعة/ ج ١/ ص ١٢٥-١٢٦.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٣٨٥

بظهور شخصيه علميه بارزه و هو الشيخ المفيد الذى جمع المنقول و المعقول و دارس علماء الامه، سنه و شيعة، و روى عنهم، و أدار حلقات الدرس فى فتره ازدهر فيها علم الكلام، فانعكس ذلك على جل العلوم، و منها التفسير، لذا نجد التفسير فى هذه المرحله يحمل هذا الطابع، فيزخر بالمباحث الكلاميه إضافه إلى المأثور الذى ورثه، فشكل مدرسه جديده تختلف عما سبق من محاولات تفسيريه اقتصرت على المأثور، أو مع شىء قليل من الانتخاب و تقديم رأى على آخر.

و نجد أعلام هذه المدرسه قد بحثوا فى القرآن و تفسيره، من خلال الإطلاله الجديده، فكان:

- للمفيد محمد بن النعمان البغدادي، كتاب البيان فى تأليف القرآن (ت: ٤٠٩ه).

- للسيد الشريف الرضى محمد بن الحسين، كتاب تفسير، اسمه «حقائق التنزيل و دقائق التأويل» فى تأويل متشابهات القرآن، (ألف سنه ٤٠٢ه).

- و للشريف المرتضى علي بن الحسين، ثانى تلاميذ المفيد، تفسير كثير من الآيات فى أماليه (ت: ٤٦٣ه).

- ولأبى العباس أحمد

بن علي بن أحمد بن العباس النجاشي (ت: ٤٥٢هـ) - صاحب كتاب الرجال، و هو من تلاميذ الشيخ المفيد - تفسير النجاشي «١».

- ثم توج اتجاه هذه المدرسه البغداديه، شيخ الطائفة، الشيخ الطوسي محمد بن الحسن، بتفسيره التبيان، و هو في عشره مجلدات «٢».

٨- القرن السادس (مدرسه خراسان):

و هو العصر الذي اتسعت فيه العلوم و نضجت و ألفت بظلالها على سائر المواضيع

(١) - الدرعيه / ج ٤.

(٢) - أعيان الشيعة / ج ١ / ص ١٢٧.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٣٨٦

الاسلاميه، و منها التفسير، فبرز في هذا العصر الزمخشري، و الرازي، و أبو حيان، و ... غيرهم.

و كان البارز من المفسرين الشيعة - بلا منازع - الشيخ الطبرسي (٥٤٨هـ) ألف: مجمع البيان لعلوم القرآن، و قد جمع فيه علوما شتى استفاد منها في التفسير كعلوم اللغه و النحو و الكلام، و القراءات، و سائر علوم القرآن.

و قد تميز (مجمع البيان) كقمه شاخصه، تضاءلت في جوارها سائر التفاسير المتفرقه.

و يلحظ في هذه الفتره بروز مدرسه خراسان (نيسابور) في التفسير، و التي امتازت بانفتاحها على تفاسير المذاهب الاخرى، و عرض سائر الآراء، في ظاهره جديره بالدراسه، نذكر منها - مضافا إلى مجمع البيان -:

- تفسير البصائر، فارسي، للشيخ ظهير الدين أبي جعفر محمد بن محمود النيسابوري (فرغ منه سنه ٥٧٧هـ) كبير في مجلدات.

- تفسير البيهقي، للإمام الشهير أبي الحسن علي بن أبي القاسم زيد البيهقي (ت:

٥٦٥هـ). من المكثرين في التأليف في القرآن الشريف.

- تفسير الفتيال، و هو الشيخ أبو علي محمد بن الحسن بن علي بن أحمد الفتيال الفارسي النيسابوري الشهيد (أوائل المائه السادسة). تتلمذ عليه ابن شهر آشوب (ت: ٥٨٨هـ) في أوائل عمره. و كان الفتال معمرًا إذ

أدرک عصر الشریف المرتضی (ت: ۴۳۶هـ).

- تفسیر الحافظ محمّد بن مؤمن النیسابوری، نقل عنه السید ابن طاوس فی کتاب الیقین ثلاثه أحادیث، و قال إنّ المؤلف ذکر أنّه استخراج تفسیره من اثنی عشر تفسیرا.

- تفسیر روض الجنان و روح الجنان للشیخ أبی الفتوح الرازی النیسابوری (توفی بعد سنه ۵۸۵هـ).

التفسیر بالمأثور و تطویره عند الشیعہ، ص: ۳۸۷

- و تفسیر جوامع الجامع للطبرسی (ت: ۵۳۶هـ) بنفس المنهج أيضا.

و علی نفس الطریقه:

- تفسیر القطب الراوندی، أبی الحسن سعید بن هبه اللّه بن الحسن الراوندی (توفی بقم ۵۷۳هـ)، له تفسیر مختصر فی مجلّدين، و کبیر موسوم بخلاصه التفاسیر فی عشره مجلّدات «۱».

۹- القرن السابع حتّى نهایه القرن العاشر:

نستطیع القول بأن هذه هی فتره الركود الّتی شهدها التدوین فی التفسیر؛ إذ لم یکتب فیها إلّا عدد قليل من التفاسیر خلال فتره أربعمائنه سنه تقريبا، بحیث یمکن أن نسّمیها بالفتره المظلمه، و كانت التفاسیر المکتوبه - ممّا وصل إلینا علمها - متنوّعه، فمنها:

- ما كان مهتما بآیات الأحكام ککنز العرفان فی فقه القرآن للمقداد عبد اللّه السیوری (ت: ۷۹۲هـ).

- و زبده البیان فی فقه القرآن للملّا أحمد بن محمد الأردبیلی (ت: ۹۹۳هـ).

- و تفسیر المتوّج البحرانی (القرن التاسع).

كما ظهرت فی هذه الفتره التفاسیر العرفانيه، و منها:

- تفسیر السید حیدر الآملی، الّذی فسّر القرآن کرارا، و كان آخر تفاسیره «جامع الأسرار».

- و منها «التفسیر العرفانی»، و قد تضمّن أشعارا للحکیم السنائی، و أقوالا للخواجه الأنصاری.

- كما نجد عددا من التفاسیر قد ألّفت باللّغه الفارسیه فی العهد الصّیّ فوی، و یغلب

(۱) - الذریعه/ ج ۴.

التفسیر بالمأثور و تطویره عند الشیعہ، ص: ۳۸۸

عليها الطابع الصوفي، و هو من مميزات ذلك العهد،

- تفسير الإلهي، للمولى شرف الدين عبد الحق الأردبيلي (ت: ٩٥٠هـ).

- و تفسير جمشيد للسيد غياث الدين جمشيد الزاوري (القرن العاشر).

- و تفسير المولى عبد الباقي الخطاط الصوفي التبريزي (أواخر الفتره).

١٠- القرن الحادي عشر و الثاني عشر:

و هي فتره نمو الفكر الأخباري عند الشيعة، و الدعوه إلى التزام الحديث و نبذ الاجتهاد، لذا فقد اتجه التأليف في هذه الفتره إلى تدوين المجاميع الحديثيه؛ خصوصا بعد تيسر الوصول إلى مصادرهما، فكانت موسوعات (بحار الأنوار)، و (وسائل الشيعة)، و (الوافي) من نتاج هذه المرحله، و كان مسير التفسير أيضا بنفس الاسلوب، فقد كتبت عدّه تفاسير كانت تعتمد الروايات ابتداء، و لكن ربّما أضافت لها تفسيرا و تأويلا و رأيا عند فقد الروايه كما في تفسير الصافي للفيض الكاشاني و كنز الدقائق لتلميذه المشهدي. و من تفاسير هذه المرحله:

١- تفسير الصافي، للمولى محسن الفيض الكاشاني (ت: ١٠٩١هـ).

٢- تفسير البرهان، للسيد هاشم البحراني (ت: ١١٠٧ أو ١١٠٩هـ).

٣- تفسير نور الثقلين، لمؤلفه عبد علي الحويزي (ت: ١١١٢هـ).

٤- تفسير كنز الدقائق، للميرزا محمد المشهدي القمي (ت: ١١٢٥هـ).

١١- القرن الثالث عشر:

تعتبر هذه الفتره امتدادا للفتره السابقه مع بعض من العمق و التجديد، إلّا أنّه في النصف الثاني من هذه المائه، ظهرت المدرسه الأصوليه بشكلها المدرسي على يد الوحيد البهبهاني الذي تصدى للفكر الأخباري، و بدأت معالم علم الاصول بالتأصل و الانتشار بين العلماء، و كانت النتاجات بشكل عام تحاول الجمع بين الحصيله الحديثيه

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٣٨٩

الكبيره التي هيأها علماء المرحله السابقه جزاهم الله خيرا، و بين الفكر الاصولي العلمي الذي يحاول استنباط فكر جديد، خصوصا مع وصول أصداء النهضه الأوربيه إلى العالم الاسلامي.

و مع ذلك يمكن اعتبار هذه المرحله أيضا من مراحل الركود في التفسير، و لعل الانشغال بالفقه و الاتجاه نحو علم الاصول قد أخذ الحيز الأكبر من اهتمام العلماء في هذه الفتره.

و من تفاسير هذه الفترة:

١- تفسير البهبهاني

(مفصل، متوسط، خلاصه) لعلي بن قطب الدين البهبهاني.

٢- تفسير شبر، للسيد محمد رضا بن محمد بن حسين، وقد كتبه أيضا كمختصر ووسيط ومفصل. (ت: ١٢٣٠ هـ).

٣- تفسير أحسن التفاسير، لمحمد جعفر خشتي داوئي.

١٢- القرن الرابع عشر:

شهد هذا القرن تطورات فكرية عديدة منها:

١- اتجاه العلماء نحو الفكر الاصولي، تماما، بعد انحسار الفكر الاخباري، وحسم المعركة في ذلك، ونمو الفكر الاصولي بالاستفادة من نتاجات الفلسفه و علم الكلام.

٢- نشاط حركة الترجمة من الفكر الغربي و ما حملته رياح التغيير الثقافي من الغرب.

٣- انهيار السلطات السياسيّه، العثمانيه و القاجاريه القديمه و ظهور قوى و أفكار سياسيّه جديده و ظهور الصراع على الاستقلال في كثير من البلاد.

٤- التطور العلمي الهائل الذي شهده العالم منذ أواخر القرن الماضي و بدأت ثمراته تنضج في هذا القرن.

كل هذه التغيرات في العالم، لم يكن العالم الاسلامي معزولا عنها، و لا كان العلماء

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٣٩٠

المسلمون بمنأى عنها، إذ عايشوها بأنفسهم و لاحقوها بتصوراتهم، و انعكست بشكل ما على فكرهم، الذي ظهر على شكل دعوات للتجديد و التنوير ... و غيرها.

كان المفسرون الشيعة قد ازدادوا قوه بفعل الفكر الاصولي الجديد، و استفادوا من ذخيرتهم الغنيه بتراث أهل البيت (ع) في معالجه المواضيع المستحدثه، و كان الرائد بحق في هذا المضمار الشيخ محمد جواد البلاغي النجفي، و هو على الرغم من أنه لم يتم إلا الجزء الأول من تفسيره «آلاء الرحمن في تفسير القرآن»، إلا أن تفسيره يدل على مستوى العمق في التفكير الذي كان يتميز به، و انعكس ذلك على جملة من العلماء الذين تأثروا بمنهجه.

و من التفاسير البارزه لهذا القرن:

- البيان في تفسير القرآن،

للسيد أبي القاسم الخوئي، طبع الجزء الأول و لم يتمه.

- التفسير الكاشف، للشيخ محمد جواد مغنيه، في سبعة مجلدات.

- تفسير مواهب الرحمن في تفسير القرآن، للسيد عبد الأعلى السبزواري.

- تفسير أطيب البيان في تفسير القرآن للسيد عبد الحسين الطيب.

- إلا أنّ قمه التفاسير و أشملها و أكملها في هذه المرحله هو «الميزان في تفسير القرآن» للسيد محمد حسين الطباطبائي.

فمن أراد دراسه التفسير المعاصر عند الشيعة، فليبتدئ ب (آلاء الرحمن) و لينته ب (الميزان).

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٣٩١

الفصل السادس أشهر التفاسير بالمأثور عند الشيعة الإماميه

إشاره

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٣٩٣

كما ذكرنا في الفصل السابق، فإنّ تدوين التفسير بالمأثور- عند الشيعة- ابتدئ بكتابه ضمن المجاميع أو الاصول الحديثيه التي تحوى الأحاديث في سائر المواضيع الاخرى كالفقه و الآداب و الفضائل و غيرها، ثمّ عنى العلماء بعد ذلك بجمع الروايات التفسيريه ضمن كتب مستقله اقتصرت على الجمع دون الاضافه أو التعليق غالباً، أو مع بيانات لغويه مع قليل من الشرح أو الاضافه، و قد افتقدت معظم هذه المجاميع فضلاً عن الاصول، بسبب الظروف السياسيه الصّعبه التي مرّ بها عموم المسلمين و البلاد الاسلاميه، و الشيعة بشكل خاص، و يكفي أن نعلم أنّه كانت ببغداد مكاتب غنيّه و ضخمة أهمّها: مكتبه الوزير البويهى سابور بن أردشير، و كانت تضمّ أكثر من عشره آلاف مجلّد، و قد أحرقت عند مجي ء (طغرل بك) السلجوقي إلى بغداد، و اخرى هي مكتبه الشريف الرضى، و مكتبه أخيه الشريف المرتضى- و هما من أعلام الشيعة-، و التي كان

فيها ثمانون ألف مجلد، ثم مكتبه الشيخ الطوسي التي احترقت أيضا مع كرسيه الذي كان يجلس عليه «١»، وقيل أن كتبه احترقت مرّات عديدة، و لم يبق من المكتبات الاخرى أثر بعد دخول السلاجقه بغداد عام ٤٤٧ هـ.

ولذا فلم يصل إلينا من تلك الاصول و الكتب الاولي في التفسير إلا القليل، و هي بدورها لم تصل إلينا كما هي في الأصل، إذ اسقطت الأسناد من بعضها، كما إن بعضها تعرّض للحذف و الإضافه.

(١)- رجال الطوسي / مقدّمه المحقق / ص ١٦.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٣٩٤

و منذ عصر المفيد و من ثم تلاميذه: الرضى و المرتضى و النجاشى و الطوسى، بدأ عهد التحقيق و التدوين الشامل في التفسير، و كانت للأربعة الأوائل محاولات و آراء تفسيريه متفرّقه، إلا أن تفسير «التبيان» للشيخ الطوسى كان الرائد و المؤسس لمدرسه جديده في التفسير، اعتمدت المأثور أساسا و الاستدلال القرآنى و العقلى منهجا و طريقه في التفسير، ثم كثرت التفاسير التي سارت على نهج «التبيان».

إلّا أننا نجد في موازاه هذه المدرسه، اتجاها آخر من التفسير يصرّ على الاقتصار على الروايات، و يعتبر الألوان الاخرى من التفسير من قبيل التفسير بالرأى، و تمثّل هذا- كما سبقت الاشاره إليه- بالاتجاه الأخبارى.

و لقد وجدنا بعض الباحثين- الذين درسوا التفسير بالمأثور- اقتصروا على ذكر المجاميع الروائيه كالقمي و العياشى و فرات، و التفاسير ذات النهج الأخبارى كالبرهان و نور الثقلين كنماذج للتفسير بالمأثور عند الشيعة دون غيرها.

و لكننا نعتقد أن المجاميع الروائيه الاولي و

كذا الأخيره ذات النهج الأخبارى لا يمكن أن تمثل لنا شموليه المنهج التفسيرى بالمأثور عند الشيعة؛ لأنها تقتصر على الجمع لا غير، وإن كانت تمثل مدرسه، فهى تمثل المنهج الأخبارى القائم على قبول الأخبار جميعها.

أمّا إذا أردنا أن نعرف المعالم التطبيقية للتفسير المأثور عند الشيعة، و منهج تعاملهم مع الروايات، و ملاكات ترجيحهم لها، و طرق استدلالهم بها، فلا بدّ من دراسته ذلك فى التفاسير الجامعه التى اعتمدت المأثور، و فى مقدّمه تلك التفاسير «التبيان» و «مجمع البيان».

و لغرض التعرّف على الألوان المختلفه من التفسير بالمأثور، اخترنا أوّلا:

١- تفسير العياشى.

٢- تفسير القمى.

٣- تفسير فرات.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٣٩٥

كنماذج للمجاميع الروائيه فى التفسير، و أهملنا التفسير المنسوب إلى الإمام العسكرى (ع)، للاتفاق على أنّه موضوع، ثمّ:

١- تفسير التبيان.

٢- تفسير مجمع البيان.

كنماذج للتفاسير الجامعه.

و اخترنا تفسير البرهان للسيد هاشم البحرانى كنموذج للاتجاه الأخبارى فى التفسير و هو و تفسير «نور الثقلين» على نهج واحد.

و أخيرا ندرس التفسير بالمأثور عند العلّامة الطباطبائى كنموذج للتفاسير المعاصره و التى تمثل قمّه النضح فى التفسير الشيعى.

و من الله نستمدّ التوفيق.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٣٩٦

تفسير العياشى

المؤلف:

هو محمّد بن مسعود بن محمّد بن عياش السلمى السمرقندى، أبو النضر المعروف بالعياشى.

قال عنه النجاشي: «ثقه، صدوق، عين من عيون هذه الطائفة، و كان يروى عن الضعفاء كثيرا، و

كان في أول أمره عامي المذهب، وسمع حديث العامه فأكثر منه، ثم تبصر و عاد إلينا، و كان حديث السن.

سمع أصحاب علي بن الحسن بن فضال، و عبد الله بن محمد بن خالد الطيالسي، و جماعه من شيوخ الكوفيين و البغداديين و القميين.

قال أبو عبد الله الحسين بن عبيد الله: سمعت القاضي أبا الحسن علي بن محمد قال:

قال لنا أبو جعفر الزاهد: أنفق أبو النضر علي العلم و الحديث تركه أبيه سائرهما، و كانت ثلاثمائه ألف دينار، و كانت داره كالمسجد، بين ناسخ أو مقابل، أو قارئ أو معلق، مملوءه من الناس.

ثم عدّ النجاشي أسماء ما ألف من الكتب، و هي مائه و سبعة و خمسون كتابا، أولها كتاب التفسير.

أمّا الشيخ الطوسي فقال عنه: «محمد بن مسعود العياشي، من أهل سمرقند، و قيل: إنّه من بني تميم، يكنى أبا النضر. جليل القدر، واسع الأخبار، بصير بالروايات مطلع عليها. له كتب تزيد علي مائتي مصنف، ذكر فهرست كتبه أبو إسحاق النديم، منها: كتاب التفسير ... إلخ».

و قال عنه في رجاله: إنّه «أكثر أهل الشرق علما و فضلا و أدبا و نبلا في زمانه ... و له التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص:

٣٩٧

مجلس للخاص و مجلس للعام رحمه الله».

و جاء في ترجمه الكشي لمحمد بن عمر بن عبد العزيز قوله: «و صحب العياشي و أخذ عنه و تخرّج عليه من داره التي كانت مرتعا للشيعة و أهل العلم» (١).

و علي أيّ حال، فالرجل متسالم علي جلاله قدره و علوّ منزلته وسعه فضله (٢).

إلّا أنّه هناك امور لا بدّ من التأمل فيها عند النظر في التفسير، و هي:

الأمر الأوّل: تقدّم عن النجاشي قوله:

«و كان يروى عن الضعفاء كثيرا»، و مع حذف نساخ التفسير لأسانيده لغرض الاختصار، فإنه من الممكن أن تكون بعض روايات التفسير عن بعض هؤلاء الضعفاء الذين يروى عنهم كثيرا، و هذا يدعو إلى التعامل مع روايات هذا التفسير - كالتعامل مع غيره - على أساس تقييم المتن، من حيث موافقته للقرآن و طبقا للمبادئ التي تقدّم الحديث عنها آخر الفصل الرابع من هذا الكتاب «(*)».

الأمر الثاني: لا يضرّ سقوط الأسناد أو ضعفها بمجمل الكتاب الذى وصفه الطباطبائى بأنه «أحسن كتاب ألف قديما فى بابه، و أوثق ما ورثناه من قدماء مشايخنا فى التفسير من كتب التفسير بالمأثور».

فالكتاب يحوى كنوزا من العلم و المعرفة، و لكن لا يعنى ذلك قبول كل ما فيه قبول المسلمات، من دون تمحيص و تحقيق، و يسرى هذا على سائر كتب الحديث.

الأمر الثالث: بالرغم من حذف أسانيد الكتاب، إلّا أنّ بعض المتقدّمين كانت عندهم نسخه كامله منه، منهم الحافظ الكبير عبيد الله بن عبد الله الحاكم الحسكاني النيسابورى، من أعلام القرن الخامس، حيث إنّه ينقل فى «شواهد التنزيل» كثيرا من

(١) - معجم رجال الحديث / ج ١٨ / ص ٢٣٧.

(٢) - مقدّمه العلامة الطباطبائى لتفسير العياشى / ج ١ / ط ١ / مؤسسه الأعلّمى - بيروت.

*- تحت عنوان: منهج نقد النصّ فى التفسير الشيعى.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٣٩٨.

روايات العياشى بالأسانيد العامه، و ينقل عنه كثيرا العلامة الطبرسى فى تفسيره «مجمع البيان» (١).

الأمر الرابع: كان التفسير جزءين، و لا يوجد منه حاليا إلّا الجزء الأوّل، و الجزء الثانى كان مفقودا قبل عصر المجلسى الذى لا ينقل إلّا روايات جزئه الأوّل.

التفسير و منهجه:

يبتدئ التفسير الموجود فعلا بمقدّمه فى بعض المسائل المتعلقة بالقرآن و

علومه و فيها الأبواب التاليه:

- فى فضل القرآن و فيه ١٨ حديثا.

- باب ترك الروايه التى بخلاف القرآن و فيه ٧ أحاديث.

- باب فى ما أنزل فيه القرآن و فيه ٧ أحاديث.

- فى تفسير الناسخ و المنسوخ و الظاهر و الباطن و المحكم و المتشابه و فيه ١١ حديثا.

- فى ما عنى الأئمه من القرآن و فيه ٨ أحاديث.

- فى علم الأئمه بالتأويل و فيه ١٣ حديثا.

- فى من فسر القرآن برأيه و فيه ٦ أحاديث.

- فى كراهيه الجدل بالقرآن و فيه ٤ أحاديث.

ثم يبدأ بتفسير سورة الفاتحه، و ينتهى بالروايات الوارده فى تفسير سورة الكهف، و بقيه التفسير من المفقودات.

و قد طبع هذا القسم من التفسير فى مجلدين.

و قد خلا التفسير من أى إضافه أو شرح للروايات، و بهذا يختلف عن تفسير القمى

(١)- التفسير و المفسرون للشيخ معرفه/ ج ٢/ ص ٣٢٣.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٣٩٩

الذى امتزجت فيه متون الروايات بالشروح و الإضافات.

أما من حيث الأسناد، فإنّ التفسير يقتصر على ذكر آخر السند عن الإمام، و إذا كان هناك إرسال فى آخر الروايه، فإنّه يذكر أيضا الراوى قبل أن يرسلها، فيقول مثلا: عن نشيط عن رجل عن أبى عبد الله (ع)، و قد يذكر الارسال دون الراوى أيضا فيقول مثلا: عن بعض أصحابنا عن أبى عبد الله (ع).

و الروايات تنتهى إلى الرسول (ص) أو الإمام على أو سائر الأئمه (ع)، و إن كانت تكثر عن الإمامين الباقر و الصادق (ع).

على أنّ المفسر يورد الروايات من غير نقد أو تمحيص لا لسندها و لا لمتونها، على عاده المجاميع الروائيه، و لذا فإنّ من الطبيعى

أن تتسرّب إلى التفسير

بعض الروايات الضعيفه لتأخذ موقعها بين بقيه الروايات المتينه، و من هذه الروايات بعض القراءات الشاذة المنسوبه إلى أهل البيت (ع)، و كذا روايات فى التأويل من غير مراعاة لضوابط التأويل الصحيح «١»، و قد سبق للنجاشى أن قال عن مفسرنا بعد أن بين جلاله قدره و عظيم منزلته أنه يروى عن الضعفاء كثيرا.

و ما أورده المفسر من روايات فى نزول الآيات بلفظ آخر فيه تغيير أو إضافه، فإنها لا تعنى بحال التحريف المدعى فى بعض الكلمات، بل المراد من النزول هو التفسير و التأويل من حيث المعنى «٢». و يدل على ذلك أننا نجد بين مؤلفات المفسر كتابا بعنوان:

كتاب باطن القراءات، مما يدل على أن الروايات التى تقول بأن الإمام قرأها هكذا اريد بها باطن القراءات أو تفسير الآيات.

و يبقى التفسير غنيا بمئات الروايات التى جاءت فى موضوعات شتى، و منها الكثير فى آيات الأحكام و بيان الآيات، مع ملاحظه جديره بالاهتمام، و هى ندره الاسرائيليات

(١) - التفسير و المفسرون لمعرفة / ج ٢ / ص ٣٢٥.

(٢) - راجع التفسير / ج ١ / هامش ص ٣٩.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٤٠٠

فى هذا التفسير، و الاقتصار غالبا فى تفسير قصص الأنبياء على بيان الآيات الواردة فيها.

و نذكر فيما يلى بعضا من الروايات التى جاءت فى مقدمه التفسير تبركا و استزاده من الخير و المعرفة:

١- روى جعفر بن محمد بن مسعود عن أبيه عن أبي عبد الله جعفر بن محمد (ع) عن أبيه عن آبائه (ع) قال: قال رسول الله (ص): «أيها الناس، إنكم فى زمان هدنه و أنتم على ظهر السفر، و السير بكم سريع، فقد رأيتم الليل و النهار و الشمس و

القمر بيليان كل جديد، و يقربان كل بعيد، و يأتيان بكل موعود، فأعدوا الجهاز لبعدها، فقام المقداد فقال: يا رسول الله ما دار الهدنه؟ قال: دار بلاء و انقطاع، فإذا التبت عليكم الفتن كقطع الليل المظلم، فعليكم بالقرآن فإنه شافع مشفع، و ماحل مصدق، من جعله أمامه قاده إلى الجنة، و من جعله خلفه ساقه إلى النار، و هو الدليل يدل على خير سبيل، و هو [كتاب فيه تفصيل و بيان و تحصيل و هو الفصل، ليس بالهزل، له ظهر و بطن، فظاهره حكمه و باطنه علم، ظاهره أنيق و باطنه عميق، له تخوم و على تخومه تخوم، لا تحصي عجائبه و لا تبلى غرائبها، فيه مصابيح الهدى و منازل الحكمه و دليل على المعروف لمن عرفه».

٢- عن داود بن فرقد قال: سمعت أبا عبد الله (ع) يقول: «عليكم بالقرآن فما وجدتم آية نجى بها من كان قبلكم فاعملوا به، و ما وجدتموه هلك من كان قبلكم فاجتنبوه».

٣- عن الحسن بن علي قال: قيل لرسول الله (ص): إن امتك ستفتن فسئل ما المخرج من ذلك؟ فقال: «كتاب الله العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد، من ابتغى العلم في غيره أضله الله و من ولي هذا الأمر من جبار فعمل بغيره قصمه الله و هو الذكر الحكيم و النور المبين و الصراط المستقيم، فيه خبر ما قبلكم و نبأ ما بعدكم، و حكم ما بينكم و هو الفصل ليس بالهزل، و هو الذي سمعته الجن فلم تناها أن قالوا: إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص:

به و لا يخلق على طول الرّد، و لا ينقضى عبره و لا تفنى عجائبه».

٤- عن عمرو بن قيس عن أبي جعفر (ع) قال: سمعته يقول «إنّ الله تبارك و تعالى لم يدع شيئاً يحتاج إليه الائمة إلى يوم القيامة إلّا أنزله في كتابه و بينه لرسوله، و جعل لكلّ شىء حدّاً و جعل دليلاً يدلّ عليه، و جعل على من تعدّى ذلك الحدّ حدّاً».

٥- عن هشام بن الحكم عن أبي عبد الله (ع) قال: قال رسول الله (ص) فى خطبه بمنى أو بمكّة: «يا أيها الناس، ما جاءكم عنى يوافق القرآن فأنا قلته و ما جاءكم عنى لا يوافق القرآن فلم أقله».

٦- عن إسماعيل بن أبي زياد السكونى عن أبي جعفر عن أبيه عن على (صلوات الله عليه) قال: «الوقوف عند الشبهه خير من الاقتحام فى الهلكه، و تركك حديثنا لم تروه خير من روايتك حديثنا لم تحصه، إنّ على كل حقّ حقيقه و على كل صواب نورا فما وافق كتاب الله فخذوا به، و ما خالف كتاب الله فدعوه».

٧- عن أيوب بن حرّ قال: سمعت أبا عبد الله (ع) يقول: «كلّ شىء، مردود إلى الكتاب و السنّه، و كل حديث لا يوافق كتاب الله فهو زخرف».

٨- عن كليب الأسدى قال: سمعت أبا عبد الله (ع) يقول: «ما أتاكم عنّا من حديث لا يصدّقه كتاب الله فهو باطل».

٩- عن سدير قال: «كان أبو جعفر (ع) و أبو عبد الله (ع) لا يصدق علينا إلّا بما يوافق كتاب الله و سنّه نيّه (ص)».

١٠- عن عبد الله بن سنان قال: سألت أبا عبد الله (ع) عن القرآن و الفرقان، قال:

«القرآن جملة الكتاب و أخبار

ما يكون، و الفرقان المحكم الذى يعمل به؛ و كل محكم فهو فرقان».

١١- عن عبد الله بن بكير عن أبي عبد الله (ع) قال: «نزل القرآن بإيّاك اعنى و اسمعى يا جاره».

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٤٠٢

١٢- عن ابن أبي عمير عن عبد الله (ع) قال: «ما عاتب الله نبيّه فهو يعنى به من قد مضى فى القرآن مثل قوله: وَ لَوْ لَا أَنْ تَبْتَنَّاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكُنْ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا عنى بذلك غيره».

١٣- عن حمران بن أعين عن أبي جعفر (ع) قال: «ظهر القرآن الذين نزل فيهم و بطنه الذين عملوا بمثل أعمالهم».

١٤- عن ابن مسكان قال: قال أبو عبد الله (ع): «من لم يعرف أمرنا من القرآن لم يتنكب الفتن».

١٥- عن مسعده بن صدقه عن أبي جعفر (ع) عن أبيه عن جدّه قال: قال أمير المؤمنين (ع): «سمّوهم بأحسن أمثال القرآن يعنى عتره النبى (ص)، هذا عذب فرات فاشربوا، و هذا ملح أجاج فاجتنبوا».

١٦- عن الاصبغ بن نباته قال: لما قدم أمير المؤمنين (ع) الكوفة صلّى بهم أربعين صباحا يقرأ بهم سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى قال: فقال المنافقون: لا و الله ما يحسن ابن أبى طالب أن يقرأ القرآن و لو أحسن أن يقرأ القرآن لقرأ بنا غير هذه السوره قال:

فبلغه ذلك فقال: «ويل لهم إننى لأعرف ناسخه من منسوخه و محكمه من متشابهه و فصله من فصاله و حروفه من معانيه، و الله ما من حرف نزل على محمّد (ص) إلّا إننى أعرف فيمن أنزل و فى أى يوم و فى أى موضع، و ويل لهم أمّا يقرءون إنّ هذا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَ

مُوسَى وَ اللَّهُ عِنْدِي وَرَثَتُهُمَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ (ص)، وَ قَدْ أَنْهَى رَسُولُ اللَّهِ (ص) مِنْ إِبْرَاهِيمَ وَ مُوسَى (ع)، وَ يَلِ لَهُمْ وَ اللَّهُ أَنَا الَّذِي أَنْزَلَ اللَّهُ فِئْتِ وَ تَعَيَّهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ فَإِنَّمَا كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ (ص) فَيُخْبِرُنَا بِالْوَحْيِ فَأَعْيَهُ أَنَا وَ مِنْ يَعِيهِ، فَإِذَا خَرَجْنَا قَالُوا: مَاذَا قَالَ آنفًا؟».

١٧- عَنْ حَفْصِ بْنِ قُرْطِ الْجَهَنِّيِّ عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ الصَّادِقِ (ع) قَالَ: سَمِعْتَهُ يَقُولُ: «كَانَ عَلِيٌّ (ع) صَاحِبَ حَلَالٍ وَ حَرَامٍ وَ عِلْمٍ بِالْقُرْآنِ، وَ نَحْنُ عَلَى مِنْهَاجِهِ».

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٤٠٣

١٨- عَنْ أَبِي الصَّبَّاحِ قَالَ: قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ (ع): «إِنَّ اللَّهَ عَلَّمَ نَبِيَّهُ (ص) التَّنْزِيلَ وَ التَّأْوِيلَ فَعَلَّمَهُ رَسُولُ اللَّهِ (ص) عَلِيًّا (ع)».

١٩- عَنْ هِشَامِ بْنِ سَالِمٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ (ع) قَالَ: «مَنْ فَسَّرَ الْقُرْآنَ بِرَأْيِهِ فَأَصَابَ لَمْ يُؤْجِرْ، وَ إِنْ أَخْطَأَ كَانَ إِثْمُهُ عَلَيْهِ».

٢٠- عَنْ أَبِي الْجَارُودِ قَالَ: قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ (ع): «مَا عَلِمْتُمْ فَقُولُوا وَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَقُولُوا اللَّهُ أَعْلَمُ، فَإِنَّ الرَّجُلَ يَنْزِعُ بِالْآيَةِ فَيُخَرَّ بِهَا أَبْعَدَ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَ الْأَرْضِ».

٢١- عَنْ زُرَّارَةَ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ (ع) قَالَ: إِيَّاكُمْ وَ الْخُصُومَةَ، فَإِنَّهَا تَحْبُطُ الْعَمَلَ وَ تَمْحَقُ الدِّينَ، وَ إِنْ أَحَدَكُمْ لِيَنْزِعَ بِالْآيَةِ يَقَعُ فِيهَا أَبْعَدَ مِنَ السَّمَاءِ.

٢٢- عَنْ دَاوُدَ بْنِ فَرْقَدٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ (ع) قَالَ: لَا تَقُولُوا لِكُلِّ آيَةٍ هَذِهِ رَجُلٌ وَ هَذِهِ رَجُلٌ إِنَّ مِنَ الْقُرْآنِ حَلَالًا وَ مِنْهُ حَرَامًا، وَ فِيهِ نَبَأٌ مِنْ قَبْلِكُمْ، وَ خَيْرٌ مِنْ بَعْدِكُمْ وَ حَكْمٌ مَا بَيْنَكُمْ، فَهَكَذَا هُوَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ (ص) مَفُوضٌ فِيهِ إِنْ شَاءَ فَعَلَّ الشَّيْءَ وَ إِنْ شَاءَ تَذَكَّرَ حَتَّى إِذَا فَرَضْتَ فَرَائِضَهُ، وَ حَمَّسْتَ أَحْمَاسَهُ، حَقَّ

على الناس أن يأخذوا به، لأنَّ الله قال: ما آتاكم الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَ ما نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٤٠٤

تفسير القمي

المؤلف:

ينسب الكتاب إلى: علي بن إبراهيم بن هاشم القمي، قال عنه النجاشي إنَّه: «ثقه في الحديث، ثبت، معتمد، صحيح المذهب، سمع فأكثر، و صنَّف كتاباً، و أضرَّ في وسط عمره، و له كتاب التفسير...» (١).

و علي بن إبراهيم عاصر الإمام العسكري (ع)، و كان حيًّا في سنة ٣٠٧هـ؛ لأنَّ الصدوق روى عن حمزه بن محمّد بن أحمد العلوي في رجب سنة ٣٣٩هـ، قال أخبرني علي بن إبراهيم بن هاشم فيما كتب إليّ سنة سبع و ثلاثمائه، و قد أكثر الكليني الرواية عنه في الكافي، كما أكثر عنه مشايخ الحديث (٢).

أمّا راوي التفسير فهو: أبو الفضل العباس بن محمّد بن قاسم بن حمزه بن موسى ابن جعفر (ع)، و لا ذكر له في كتب الرجال. نعم ذكر والده محمّد بن القاسم، في رجال الشيخ، من أصحاب الهادي (ع)، و كذلك القاسم بن حمزه، ذكره الكشي في ترجمه محمّد بن خالد البرقي (٣).

بقيت هنا امور:

الأمر الأول: أنّ الكتاب يحوى ثلاثة أنواع من الروايات:

النوع الأول: عن علي بن إبراهيم عن أبيه أو سائر مشايخه، و تعرف هذه الروايات باختصار السند، و الظاهر أنّ هذه الروايات هي التي أخذها أبو الفضل العلوي من تفسير علي بن إبراهيم.

(١) - معجم رجال الحديث/ ج ١٢ / ص ٢١٢.

(٢) - تفسير القمي / المقدمه / نقلا عن إعلام الوري.

(٣) - معجم رجال الحديث/ ج ١٨ / ص ١٦٥، و ج ١٥ / ص ٢٠.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٤٠٥

النوع الثاني: روايات أخذها الراوي من

تفسير أبي الجارود، و سنده فيها: حدّثنا أحمد بن محمّد الهمداني قال: حدّثني جعفر بن عبد الله، قال: حدّثنا كثير بن عياش عن زياد بن المنذر أبي الجارود عن أبي جعفر محمّد بن علي (ع).

و هو الطريق المشهور إلى تفسير أبي الجارود «١».

و أبو الجارود هو زياد بن المنذر الهمداني الخارفي الأعمى، كان من أصحاب أبي جعفر - الباقر - و روى عن أبي عبد الله - الصادق - (ع)، و تغيّر - إلى الزيدية - لما خرج زيد (رض)، و إليه تنسب الزيدية الجارودية. و هو على أيّ حال ثقة في الحديث، لشهادته الشيخ المفيد في رساله العددية بأنّه من الرؤساء الأعلام المأخوذ عنهم الحلال و الحرام «٢».

النوع الثالث: روايات اخر عن سائر مشايخه ممّا يتعلّق بتفسير الآيه و يناسب ذكرها في ذيل تفسير الآيه، أدرجها تتيما له و زياده للنفع، و النوع الثاني و الثالث من الروايات زيدت من أوائل سورة آل عمران إلى آخر القرآن «٣».

الأمر الثاني: أنّ كتب الرجال ذكرت أنّ لعلّي بن إبراهيم كتابا في التفسير، إلّا أنّ ما يرويه الشيخ محمّد بن يعقوب الكليني من أحاديث التفسير عن علي بن إبراهيم هي من غير هذا التفسير.

الأمر الثالث: أنّ كتب الرجال ذكرت أيضا أنّ لأبي الجارود كتاب تفسير القرآن، رواه عن أبي جعفر (ع)، إلّا أنّ هذا التفسير من المفقودات التي لا وجود لها الآن.

و النتيجة أنّ هذا التفسير مؤلّف ثلاثي المأخذ، و هو من صنع أبي الفضل، و نسب إلى شيخه - القمي -؛ لأنّ أكثر رواياته عنه، أو لعلّه كان الأصل، فأضاف إليه

(١) - مقدّمه تفسير القمي / ص ١٠، اصول علم الرجال / الداوري / ص ١٦٤.

(٢) - معجم رجال الحديث / ج ٨ / ص ٣٣٥.

(٣) - مقدّمه

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٤٠٦

أحاديث أبي الجارود و غيره لغرض التكميل «١».

الأمر الرابع: للتفسير مقدّمه فى بيان أنواع علوم القرآن، و قد تردّد البعض فى نسبتها للقمى؛ لأنّ النعمانى تلميذ الكلينى أورد تلك الروايات بطولها فى أوّل تفسيره، و أخرجها منه السيد المرتضى و جعل لها خطبه و سمّيت برسالة «المحكم و المتشابه»، و طبعت مستقلّه فى الأواخر، و هى مدرجه بعينها فى المجلّد التاسع عشر، و هو كتاب القرآن، من كتاب بحار الأنوار «٢».

إلّا أنّ الصحيح أنّ هذه المقدّمه لعلى بن إبراهيم لوجود أجزاء من المقدّمه منسوبة إلى على بن إبراهيم فى كلمات القدماء «٣».

الأمر الخامس: التزم المفسّر فى مقدّمه التفسير بالروايه عن المشايخ و الثقات، فقال: «و نحن ذاكرون و مخبرون بما ينتهى إلينا، و رواه مشايخنا و ثقاتنا عن الذين فرض الله طاعتهم و أوجب ولايتهم و لا يقبل عمل إلّا بهم...» «٤».

و بناء على ذلك، ذهب بعض العلماء الأعلام إلى القول بوثاقه الرواه الواقعين فى أسناد تفسير القمى، حيث قال صاحب الوسائل، الحرّ العاملى: «و قد شهد على بن إبراهيم بثبوت أحاديث تفسيره، و أنّها مرويه عن الثقات عن الأئمه (ع)» «٥».

و وافق السيد الخوئى، العاملى على هذا الرأى، فذهب أيضا إلى وثاقه الرواه المذكورين فى التفسير «٦».

(١) - التفسير و المفسّرون فى ثوبه القشيب / معرفه / ج ٢ / ص ٣٢٦.

(٢) - الذريعه / الطهرانى / ج ٤.

(٣) - اصول علم الرجال / ص ١٦٣.

(٤) - تفسير القمى / ص ١٦.

(٥) - وسائل الشيعة / الخاتمه / ج ٣٠ / ص ٢٠٢.

(٦) - معجم رجال الحديث / ج ١ / ص ١٩ ط ٥.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٤٠٧

حيث أنّ التفسير لم تثبت نسبته بأجمعه إلى القمي، لذا فإنّ بعض العلماء خصّص هذه الشهاده بالموارد التي يتيقن أنّها من تفسير علي بن إبراهيم، وقد عدّ روايتها بمائتين و سبعة و ستين راويا «(١)».

على أنّ هذه الموارد أيضا تحتاج إلى دقه نظر و تأمل، حيث أنّه قد سبق قولنا في بحث الإسرائيليات أنّه قد وردت منها في تفسير علي بن إبراهيم و بسند صحيح و بروايه علي نفسه عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن هشام، عن الصادق (ع)، كما في روايات قصّه فتنه النبيّ سليمان (ع).

كما نجد في مواضع اخرى روايات موضوعه في التأويل الباطل، وردت أيضا بروايه علي بن إبراهيم نفسه، منها في قوله تعالى: **إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا، مِمَّا لَا يَلِيْقَ بِمَقَامِ النَّبِيِّ وَ الْإِمَامَةِ.**

و علي هذا لا يمكن أن تكون جميع روايات علي بن إبراهيم صحيحه في نفسها، و كذلك لا يمكن الجزم بوثاقه جميع روايتها. و علي أيّ حال، فإنّ هذه الروايات لا تخلّ بالكثير من الروايات المعتمده الوارده في الكتاب.

التفسير و منهجه:

بعد مقدّمه في بيان أنواع علوم القرآن، يبدأ التفسير بسوره الفاتحه، و يورد الروايات الوارده في بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، ثمّ سائر الروايات في تفسير سوره الفاتحه و سوره البقره، من روايات علي بن إبراهيم، و غالبها عن والده.

ثمّ يدرج ابتداء من سوره آل عمران حتّى آخر القرآن- إضافة إلى روايات علي بن إبراهيم-، روايات أبي الجارود عن الباقر (ع) و روايات اخر عن سائر مشايخه.

(١)- اصول علم الرجال بين النظرية و التطبيق/ الداوري/ ص ١٧٢.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٤٠٨

و نجد في طي كثير من

التفسير أن ينسب القول إلى علي بن إبراهيم نفسه، لا- الروايه عن الأئمه (ع)، خصوصا في الموارد اللغويه و بيانه لمعاني الآيات، و لا تدلّ هذه الأقوال على أنّ علي بن إبراهيم ينسبها إلى الأئمه (ع)، بل أحيانا يستشهد هو بابن عباس، أو الروايه عن الأئمه (ع) في أثناء كلامه- كما في تفسير سوره يس- و ذلك لتأكيد المعاني التي أشار إليها. و ممّا يؤكّد ذلك أنّه بعد ما شرح الآيات (٤٧- ٤١) من سوره البقره، يقول: «فنصف الآيه في سوره البقره، و تمامها و جوابها لموسى في المائده».

و الأقوال المنسوبه إلى علي بن إبراهيم دون الروايه عن الأئمه (ع) تشكّل نسبه كبيره من هذا التفسير.

و نستطيع أن نرى في تفسيره المواضيع التاليه:

١- المعاني اللغويه لكلمات الآيات القرآنيه، و هو في تفسير معظم الآيات القرآنيه.

٢- معاني الآيات القرآنيه من حيث بيان مصاديقها الخارجيه أو معاني الجمل و دلالاتها، و هو جزء كبير من التفسير كما مرّ.

٣- بيان أسباب النزول، خصوصا ممّا لها دخل في تفسير الآيات و بيانها، و قد ورد ذلك في تفسير معظم السور.

٤- بيان المفردات القرآنيه و المفاهيم المستنبطه منها، كبيان مراتب الإيمان، و أنواع الكفر و الشرك، و مفهوم الحياه، الظنّ، و غير ذلك.

٥- بيان الأحكام ممّا ورد في القرآن الكريم منها، و نجد ذلك مفضّلا في بيان آيات الأحكام حيثما وردت، و ذلك بالاستعانه بالروايات الوارده في ذلك.

٦- بيان قصص الأنبياء (ع) حيثما جاءت الإشارة إليها في القرآن الكريم، و بالرجوع إلى الروايات أيضا.

٧- الاشارات و البيانات الروحيه و الأخلاقيه كأدب الدّعاء و أوقاته.

٨- تأويل الآيات، في أهل البيت (ع)، و في أعدائهم، و منه ما هو مقبول خصوصا

التفسير

موارد الجرى و التطبيق، و منه ما هو مرفوض، و قد عدّنا موارد التأويل فى تفسير سورة البقره (٢٨٦ آيه)، فكانت سته فقط، أربعه من مصاديق الجرى و التطبيق، و أحدها فيه تكلف لا تحتمله الآيه، و الأخير من موارد التأويل المرفوضه، و قد أشرنا إليه سابقا.

٩- أشار فى مواضع قليله إلى قضايا علم الكلام من خلال إرجاع الآيات إلى معان اعتقاديّه، كموضوع الرّجعه.

١٠- كما نجد فى موارد نادره إشارات نحوّيّه فى إعراب الآيات ممّا يدخل فى بيانها.

١١- و نجد فى بعض الموارد- خصوصا قصص الأنبياء (ع)- تسرّب بعض الروايات الإسرائيليه، ممّا سبقت الإشارة إليه.

و على العموم، فالتفسير غنىّ بمختلف المعارف القرآنيه و بيان الآيات و شرح قصص الأنبياء (ع) و تفسير آيات الأحكام، ممّا يجعله- رغم وجود بعض الروايات الضعيفه- من المصادر التفسيريه المهمّه بالمأثور، فضلا عن اشتماله على مباحث و بيانات مختلفه من صاحب التفسير، لغويه و بيانيه و شرح لغريب الألفاظ، و بيان مصاديق الآيات و أسباب النزول، خصوصا إذا علمنا أنّه كتب فى القرن الثالث، أو مطلع القرن الرابع الهجرى.

أمّا ما وردت فيه من روايات ضعيفه أو تأويلات مهمله، فإنّ التفاسير- خصوصا الجوامع الروائيه منها- غالبا ما تحويها، و على المراجع تمييز الغثّ من السمين فيها.

و أمّا ما تقدّم من مجهوليه راوى التفسير و التشكيك فى سندّيته، فهو من باب رفع الحجّيه عمّا ورد فيه من روايات ضعيفه أو ممّا اندسّ فيه من الإسرائيليات و الموضوعات، و لا تضرّ هذه بأىّ حال بما وردت فيه من ثروه معرفيه و روايات اخرى كثيره تنسجم مع الآيات القرآنيه، و تزيد البيان بيانا بما ورد عن الرسول

(ص) و أهل بيته (ع) الذين نهلوا من بحر علمه و معرفته.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٤١٠

تفسير فرات الكوفى

المؤلف:

الشيخ أبو القاسم فرات بن إبراهيم بن فرات الكوفى، و قد عاش أواخر القرن الثالث الهجرى، حيث أكثر فى تفسيره من الروايه عن الحسين بن سعيد الكوفى الأهوازى، الذى كان من أصحاب الإمام الرضا و الجواد و الهادى (ع) ... و كذلك أكثر فيه من الروايه عن جعفر بن محمد بن مالك الفزارى الكوفى المتوفى فى حدود سنه ٣٠٠ هـ، و عن عبيد بن كثير العامرى الكوفى المتوفى سنه ٢٩٤ هـ.

و روى عنه والد الشيخ الصدوق، و هو أبو الحسن على بن الحسين بن بابويه المتوفى سنه ٣٢٩ هـ، و روى عنه الشيخ الصدوق فى كتبه عنه كثيرا، إن بواسطه والده، أو بواسطه شيخه الحسن بن محمد بن سعيد الهاشمى «١».

و قد اختلف فى شخصيه المؤلف و انتسابه إلى الشيعة الإماميه لأسباب منها: عدم وجود ترجمه له فى كتبهم، و إكثاره الروايه عن زيد، و فيها ما تحدّد المعصومين فى خمسه لا سادس لهم، إلّا أنّ التفسير زاهر أيضا بأحاديث الباقر و الصادق (ع) «٢».

و على أى حال لا يمكن الجزم باتجاه المؤلف الخاص، خصوصا مع افتقاد ترجمه له أيضا فى كتب الزيديه، فضلا عن غيرها، إلّا أنّ النظر فى مرويات الصدوق عنه، و ما روى فى فضائل الأئمه (ع) يؤيد أنه كان إماميا أو زيدا قريبا من الإماميه.

أمّا التفسير فهو يشمل ٧٦٦ (أو ٧٧٧) روايه أكثرها تتناول الآيات الوارده فى

(١) - معجم رجال الحديث / الخوئى / ج ١٤ / ص ٢٧٣ / ط ٥.

(٢) - تفسير فرات الكوفى / مقدّمه المحقق / ص ١٣.

التفسير بالمأثور و

فضائل أمير المؤمنين الإمام على (ع) و الأئمة من أهل البيت (ع)، لذا فلا يمكن اعتباره تفسيراً شاملاً لعموم القرآن الكريم، بل هو مختصّ بما ورد في فضائل أهل البيت (ع) سواء كان ذلك في أسباب النزول أو تفسيراً و تأويلاً للآيات.

و قد نقل الروايات من مصادر مختلفة سنيّة و شيعيّة، زيديّة و واقفيّة و غيرها، من أحاديث مروية عن الرسول (ص) و أهل البيت (ع)، و كذلك الصحابة و التابعين و غيرهم.

و كانت روايات التفسير مسنده؛ حيث نقل منه الحاكم الحسكاني الحافظ صاحب (شواهد التنزيل)، إلّا أنّ النسخة التي وصلت إلينا قد وقع فيها الاختصار و اسقاط الكثير من أسانيدھا، إذ فيها الروايات بالسند المتّصل إلى الحديث الأربعين، ثمّ يبدأ الإرسال حيث يقول: حدّثني معننا، و معنى ذلك أنّ الروايات مسنده في الواقع، إلّا أنّه حذف أسنادھا، و يستمرّ ذلك إلى الحديث السابع و الثمانين بعد الأربعمائه، حيث يوجد السند متصلًا فيما بعده إلى الحديث ٥٦٤، ثمّ الروايات مرسله إلى آخر التفسير ما عدا سور الكافرون و الإخلاص و الفلق و الناس، فإنّ رواياتها تذكر مسنده، و مجموع الروايات المتصلة الاسناد ١١٥ روايه، و الباقي في حكم المرسل «١».

بقيت هناك بعض الملاحظات:

١- من حيث الاسناد، فإنّ حال التفسير لا يختلف عن غالب التفاسير بالمأثور، من ضعف إسناد الكثير منها، حيث أنّ التفسير الموجود هو روايه أبي الخير مقداد بن علي الحجازي المدني، عن أبي القاسم عبد الرحمن بن محمّد بن عبد الرحمن العلوي الحسني أو الحسيني عن فرات، و هما مجهولان، إلّا أنّ للحسيني روايه واحده في تفسير القمي، رواها عن الحسين بن سعيد و روى عنه علي بن

إبراهيم، سورة المجادلة، في تفسير قوله تعالى: أَسْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ.

(١)- اصول علم الرجال/ الداوري/ ص ٤٨٩.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٤١٢

أمياً مشايخه- ممن يروى عنهم فرات- البالغون إلى نيف و مائه، فليس لأكثرهم ذكر و لا ترجمه في اصول الشيعة الرجاليه، كما قال الطهراني في الذريعه.

نعم، لقد أكثر الروايه عن الحسين بن سعيد الأهوازي، الثقة، بما يقرب من مائه مورد، و عن جعفر بن محمد بن مالك الفزاري، الذي ضعفه النجاشي و ابن الغضائري و غيرهما، في أكثر من مائه مورد، و كذلك عن عبيد بن كثير العامري- الضعيف أيضاً- في أكثر من ستين مورداً.

٢- و يبقى المعيار في الحديث المأثور- كما أشار العلامة الطباطبائي (قدس سره)- هو متن الحديث و انسجامه مع القرآن نصاً و سياقاً، و عدم تعارضه مع مسلمات الشريعة.

و لا- شكّ بأنّ الكتاب قد حوى جملة من الروايات المعتمده، و فيها بيان لأسباب النزول و موارد كثيره من الجري و التطبيق الصحيحه و المقبوله للآيات في الرسول (ص) و أهل بيته (ع)، إلّا أنّه لم يخل أيضاً من الروايات الضعيفه أو المرتبكه في معناها، ممّا يحتاج إلى دقّه و تمحيص في قبولها أو التوقّف فيها، كما هو الحال في سائر المجاميع الحديثيه التي لا تقبل جملة و لا تردّ جملة، بل يتعامل معها وفق المعايير العلميه في قبول أي حديث أو عدم قبوله: التوقّف فيه أو ردّه.

جدير ذكره أنّ الكتاب خلا من أيّه تعليقه أو إضافه للكاتب يمكن من خلالها تقييم فكره و منهجه التفسيري.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٤١٣

التبيان في تفسير القرآن

المؤلف:

محمد بن الحسن بن علي الطوسي، أبو

جعفر، شيخ الطائفة، ولد في طوس سنة ٣٨٥ هـ، وهاجر إلى العراق فنزل بغداد سنة ٤٠٨ هـ، و كانت زعامه الإمامية فيها يومذاك للشيخ محمد بن محمد بن النعمان العكبرى البغدادي المعروف بالشيخ المفيد- المقدم في العلم و صناعه الكلام، و الفقيه المتقدم فيه، بحسب تعبير تلميذه الطوسي- فلازمه و تتلمذ عليه حتى توفي سنة ٤١٣ هـ، فكانت مدة تلمذته عليه خمس سنوات.

ثم انتقل إلى درس تلميذ الشيخ المفيد المقدم على غيره، علم الهدى السيد المرتضى- الذي انتقلت إليه زعامه الشيعة- فلازمه، كما عني به استاذة و بالغ في توجيهه، و كان للمرتضى مكانه رفيعه في المجد و الشرف و العلم و الأدب و الفضل و الكلام، و كانت له مكتبه ضمت ثمانين ألف مجلد من مصنفاته و محفوظاته و مقروءاته، و استمر الطوسي يحضر درسه حتى وفاته سنة ٤٣٦ هـ، فكانت مدة تلمذته عليه أربعاً و عشرين سنة.

و كان لهذين الاستاذين القديرين و الموسوعيين الأثر الكبير في نشأته و نموه العلمي و جامعته في علوم عدّه، كالفقه و الاصول و علم الكلام و التفسير و غيرها.

كما إنه أدرك شيخين قديرين و مؤسسين في علم الرجال عند الشيعة، و هما شيخه الحسين بن عبيد الله الغضائري المتوفى سنة ٤١١ هـ، ثم تلميذه أبو العباس أحمد بن علي النجاشي- صاحب الرجال- المتوفى سنة ٤٥٠ هـ، و الذي شاركه في جملة من رجاله.

و قد انعكست هذه الملازمة و المصاحبة لهؤلاء الكبار في مؤلفات الطوسي، فكان مما كتب في الفقه: تهذيب الأحكام، و كتاب الاستبصار، و الخلاف في الأحكام، و الجمل و العقود و الاقتصاد و النهاية ثم المبسوط- و هو أجل كتبه في الفقه- و العدّه

الاصول، و كتاب الرجال و اختيار الرجال و الفهرست فى رجال الحديث، و كتب فى علم الكلام و اصول العقائد عدّه كتب، و فى التفسفر كان بكتابه الجامع و الواسع «التبيان» مؤسساً لمرحله جديده من تطوّر التفسفر عند الإماميه بعد الجوامع التفسفريه المبسطه من قبله.

و قد تصدّى الطوسى لزعامه الشيعه- بعد وفاه استاذه المرتضى- ببغداد، فكانت داره مأوى الامّه و مقصد العلماء، حتّى بلغ تلامذته أكثر من ثلاثمائه من المجتهدين، و برز حتى جعل له الخليفه العباسى كرسى الكلام و الإفاده، و كان لهذا الكرسى يومذاك منزله و قدر عظيم لا يخصّ به إلّا لمن بلغ فى العلم المرتبه الساميه و تفوّق على أقرانه، و لم يكن ببغداد يومذاك من يفوقه قدرا و يفضل عليه علما «١».

إلّا أنّ الفتن المختلفه حلّت ببغداد- بعد دخول السلاجقه-، فاضطرّ الطوسى إلى مغادرتها، هاربا بنفسه عام ٤٤٨ هـ، و قد احترقت كتبه عدّه مرّات بمحضر من الناس فى رحبه جامع النصر، كما نهبت داره فيما بعد.

و فى النجف الأشرف، عند مشهد الامام على (ع)، حيث توطن الطوسى نحواً من اثنى عشر عاماً حتّى وفاته سنه ٤٦٠ هـ، أسس مدرسه عظيمه تخرّج عليه عدد كبير من الفقهاء و المجتهدين، و استمرّت هذه المدرسه فى العطاء حتّى يومنا الحاضر، كما كتب فيها كتبه المختلفه، فكان حقاً أن قيل له شيخ الطائفه «٢».

التبيان:

اشاره

أمّا تفسفيره التبيان، و الذى يقع فى عشره مجلّدات كبيره، فهو من حيث المنهج يعتمد على الأثر و المنقول كما يعتمد على المعقول، فهو يبدأ فى كل سوره بذكر عدد آياتها و اختلاف القراء إن وجد، ثمّ يتبّه إلى

(١) - مقدمه رجال الطوسي / العلامة السيد محمد صادق بحر العلوم / ص ١٢.

(٢) - معجم رجال الحديث / ج ١٦ / ص ٢٦٢.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٤١٥

بذلك، و يشير إلى وجود النسخ أو عدمه، و يشرح آراء اللغويين و الاختلافات الواردة في آرائهم و مناقشته لتلك الآراء، و كذلك يذكر الإعراب و آراء النحاه، و قد يستشهد بالشعر حيث يحتاجه شاهدا و كذلك الأمثال.

ثم يفسر الآيات مستعينا بالقرآن، ليفسر بعضه بعضا مستفيدا من السياق و النظم بين الآيات لاستجلاء الكثير من معانيها، و يكثر في التفسير من ذكر آراء المفسرين و مناقشتها ليرد ما يرد أو يقبل ما يقبل، و كل ذلك عن بينه و دليل و برهان، كما يورد ما يتعلق بالآيات من القراءه و أسباب النزول.

و قد احتوى التفسير على الكثير من البحوث الكلاميه في رد أهل الكتاب أو مناقشه الفرق الكلاميه المختلفه، و كل ذلك دون تكرار ممل أو اختصار مخل «١».

كل ذلك جعل من صاحب التفسير رائدا و مؤسسا لمنهج تفسيري جديد، حتى أن الشيخ الطبرسي و هو إمام التفسير كان في كتبه إليه يزدلف و من عبره يعترف، و هو في صدر كتابه الكبير (المجمع) بذلك يعترف «٢»، فهو يقول عن «التبيان»: إنه الكتاب الذي يقتبس منه ضياء الحق و يلوح عليه رواء الصديق، و قد تضمن من المعاني الأسرار البديعه، و احتضن من الألفاظ اللغه الوسيعه، و لم يقنع بتدوينها دون تبيينها، و لا بتنسيقها دون تحقيقها، و هو القدوه أستضيء بأنواره و أطأ مواقع آثاره ... «٣».

بقي أمر، و هو لما كان «التبيان» تفسيراً جامعاً حوى شتى

المباحث العقلية، فلما ذا ندرجه هنا ضمن التفاسير بالمأثور؟

و نجيب بأنّ التبيان إنّما بنى مباحثه العقلية على أساس ما توفّر بين يديه من الأثر المنقول، سواء كانت أحاديث مروية عن النبيّ (ص) و أهل بيته (ع)، أو أخبارا منقوله

(١)- الشيخ الطوسي مفسّرا/ د. خضير جعفر/ ص ٩٠.

(٢)- رجال الطوسي / المقدمه / ص ٩٣.

(٣)- مجمع البيان / الطبرسي / المقدمه.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٤١٦

عن الصحابه و التابعين، و كذلك آراء المفسّرين الذين سبقوا صاحب التفسير، و لذا فإنّ حجم المادّه المأثوره التي حواها التفسير تزيد على حجمها في التفاسير المأثوره السابقه عليه- عند الشيعة- كتفسير القمي و غيره.

أضف إلى ذلك أنّنا و من حيث الاسناد نستطيع اعتبار «التبيان» أوّل تفسير يصل إلينا مسندا و متواترا بخلاف التفاسير السابقه، فإنّها و رغم جلالتها لم تصل إلينا مسنده، بل أنّ أكثر روايتها مجهولون.

و الميزه الاخرى أنّ «التبيان» شملت رواياته كلّ القرآن، و عن طريق الفريقين سنّه و شيعة، فهو اشتمل على الروايات المرويّه عن أهل البيت (ع) إضافه إلى ما روى عن طريق الصحابه و التابعين، و تلك ميزه اتّصفت بها مدرسه «الطوسي» و من بعده «الطبرسي» و تابعهما على ذلك جملة من العلماء الشيعة المحققين، في الوقت الذي نجد البعض من كلا الفريقين قد غصّ البصر عن الثروه الروائيه و المعرفيه لدى الطرف الآخر.

منهج الطوسي في التفسير بالمأثور:

١- استعان الطوسي في تفسيره كثيرا بآيات القرآن في تفسير بعضه للبعض الآخر، و في تقييد مطلقه و بيان ما اجمل منه في موضع بما فضّل في موضع آخر، و كذلك في بيان المعنى اللّغوي «١»، كما اعتمد مبدأ السياق و النظم في القرآن من خلال الربط بين

الآيات المتجاورة ضمن السياق القرآني لاستجلاء المفاهيم منها (٢).

٢- بين المفسر منهجه في التفسير من خلال تقسيم معاني القرآن، و بالتالى طريقه

(١)- راجع كأمثله على ما سبق: التبيان: ١/ ١٠٧ و ١١٥ و ٣٨٣/٢، وانظر: المنهج الأثرى فى تفسير القرآن الكريم/ هدى جاسم أبو طبره/ ص ١٦٤.

(٢)- التبيان: ٨/ ٤٧٠ و ٣/ ٢٢٢، ٢٦٨ و ٤٩١، راجع: الشيخ الطوسى مفسراً/ د. خضير جعفر/ ص ١٤٢.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٤١٧

التعامل معها إلى ما يلي:

أولها: ما اختص الله تعالى بالعلم به، فلا يجوز لأحد تكلف القول فيه و لا تعاطى معرفته، و ذلك مثل قوله تعالى: يَسْتَأْذِنُكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عَلَّمَهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ (الأعراف / ١٨٧).

ثانيها: ما كان ظاهره مطابقاً لمعناه، فكل من عرف اللغه التى خوطب بها عرف معناه، مثل قوله تعالى: وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ (الأنعام / ٣٤)، و مثل قوله تعالى: قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (التوحيد / ١)، و غير ذلك.

ثالثها: ما هو مجمل لا- ينبئ ظاهره عن المراد به مفضيلاً، مثل قوله تعالى: أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَ آتُوا الزَّكَاةَ (البقره / ٢)، و قوله: وَ لِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتِطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا (آل عمران / ٩٧)، فَإِنَّ تَفْصِيلَ الصَّلَاةِ وَ عِدَدَ رَكَعَاتِهَا وَ مَنَاسِكَ الْحِجِّ وَ أَحْكَامِهِ، لَا يُمْكِنُ مَعْرِفَتِهَا إِلَّا بِبَيَانِ النَّبِيِّ (ص)، من خلال ما يوحى إليه من جهه الله تعالى، لذا أكد الطوسى على منع القول فيه: «فتكلف القول فى ذلك خطأ ممنوع منه».

و يمكن أن تكون الأخبار متناوله له.

رابعها: ما كان اللفظ مشتركاً بين معنيين فما زاد عنهما، و يمكن أن

يكون كلّ منهما مرادا، فإنّه لا ينبغي أن يقدم أحد به فيقول أنّ مراد الله فيه بعض ما يحتمل إلّا بقول نبيّ أو إمام معصوم، بل ينبغي أن يقول إنّ الظاهر يحتمل لامور، و كلّ واحد يجوز أن يكون مرادا على التفصيل.

و متى كان اللفظ مشتركا بين شيئين أو ما زاد عليهما، و دلّ الدليل على أنّه لا يجوز أن يريد إلّا وجها واحدا، جاز أن يقال: إنّهُ هو المراد «١».

٣- رغم التزام المؤلّف بأنّ تفسير القرآن لا يجوز إلّا بالأثر الصحيح عن النبيّ (ص) و عن الأئمة (ع)، الذين قولهم حجّه كقول النبيّ (ص) - لأنّه ليس اجتهادا، و إنّما

(١) - التبيان / مقدّمه المؤلّف / ص ٥.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٤١٨

هو إخبار عن الوحي، و بما استحفظوا من سنّه النبيّ (ص)، و هم المطهرون و قرناء القرآن، إذ قال النبيّ (ص): إنّني مخلّف فيكم الثقلين: كتاب الله و عترتي أهل بيتي -، رغم التزامه بذلك، فإنّه إنّما عنى بذلك أنّه لا يجوز القطع بالتفسير إلّا بالثابت عن النبيّ (ص) و الأئمة المعصومين، أمّا في باب ذكر الوجوه المحتمله للتفسير في ما كان اللفظ مشتركا - و هو القسم الرابع ممّا سبق - فإنّه يمكن الاستعانه بسائر المأثور، و يرجح ما دلّ عليه الدليل.

لذا نجد المفسّر يروي عن النبيّ (ص)، و الإمام عليّ (ع) و سائر الأئمة من أهل البيت (ع)، كما يروي أيضا عن جملة من الصحابه و التابعين.

٤- بين المفسّر المنهج المقبول لديه في النظر في تفسير الآيه و تقديم رأي على آخر، فيما لا ينبى ظاهرها عن المراد تفصيلا، بأن يرجع - في تفسيرها - «إلى الأدلّه الصحيحه: إمّا العقليّه، أو الشرعيّه، من إجماع

عليه، أو نقل متواتر به، عمن يجب اتباع قوله، ولا يقبل في ذلك خبر واحد، خاصه إذا كان من طريقه العلم، ومتى كان التأويل يحتاج إلى شاهد من اللغه، فلا يقبل من الشاهد إلا ما كان معلوما بين أهل اللغه، شائعا بينهم» (١).

٥- ورغم خبره الكبيره للمفسر في علم الرجال مما هو جلي في كتبه الفقهيّه و الرجاليّه، إلا أنه لم يكن يعتنى كثيرا بنقد السند، وإنما كان يعطى لمتن الروايه أكبر الأهميه في دراسه ما يروى عن النبيّ (ص) و الأئمه (ع) و سائر الصحابه، و لم يجعل من روايات النبيّ (ص) و الأئمه (ع) شاهدا على التفسير إلا بعد ثبوت صحّتها، إذ كان متقيدا بالمبدأ القائل بضروره عرض الأخبار على الكتاب- القرآن- فما وافقه يؤخذ به و ما خالفه فهو زخرف و مطروح (٢).

(١)- المصدر السابق / ص ٦-٧.

(٢)- القرآن في الاسلام / الطباطبائي / ص ٦٧.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعه، ص: ٤١٩

لذا لم يتحرّج الشيخ الطوسي في عدم الأخذ ببعض الروايات المرويّه عن أهل البيت (ع)؛ لعدم ثبوتها عنده (١).

٦- تحفّظ الطوسي من آراء المفسرين الذاتيه؛ «لأنّ من المفسرين من حمدت طرائقه و مدحت مذاهبه؛ كابن عباس، و الحسن، و قتاده، و مجاهد و غيرهم، و منهم من ذمّت مذاهبه؛ كأبي صالح، و السدي، و الكلبي و غيرهم، هذا في الطبقة الاولى، و أمّا المتأخرون، فكلّ واحد منهم نصر مذهبه، و تأوّل على ما يطابق أصله»، لذا صرح بأنّه: «لا يجوز لأحد أن يقلّد أحدا منهم»، إلا أنه لم يهمل آراءهم و لم يسقطها من الاعتبار، بل نجده يستشهد بآراء المفسرين، على اختلاف طرائقهم، من

حمدت منهم مذاهبه أو من ذمّت، ليجعل الدليل هو الفيصل، و ذلك بالرجوع إلى «الأدلة الصحيحة: إمّا العقليّة أو الشرعيّة» (٢) .. فقبل من آرائهم ما نهض به البرهان، و ردّ على الكثير من آرائهم بالحجج العقليّة أو الشرعيّة، سواء من كان منهم من الممدوحين أو غيرهم، إذ إنّه لم يمنعهم ذمّ مذاهب البعض من قبول بعض الآراء التي ذكروها ممّا قام عليه الدليل و أيده البرهان.

٧- كان موقف الطوسي حذرا من الروايات الإسرائيليّة التي تمسّ اصول العقيدة؛ كمسائل التوحيد و النبوه، و قد تعرّضنا لذلك فيما سبق من البحث في الاسرائيليات، إلّا أنّ موقفه ذلك لم يشمل سائر المرويّات، فتضمّن تفسيره بعض المرويّات عن أهل الكتاب؛ ككعب الأخبار، و وهب بن منبه، و عبد الملك بن جريج، و ذلك في الموارد التي لا تمسّ العقيدة و لا تتنافى مع اصول الدين، فنجدّه أحيانا يتساهل في قبولها دون تعقيب، و قد يذكر بعض الروايات الغريبه أو الخرافيّه بصيغته التضعيف، و كأنّه لم يقطع بصحّتها أو خطئها، فيذكرها على نحو الحكايه بصيغته (قيل) أو (يقال) أو (حكى)،

(١)- التبيان/ ج ١٠ / ص ٤١٨.

(٢)- التبيان/ مقدّمه المؤلف / ص ٦.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٤٢٠

و هو بذلك ينقل عن تفاسير سابقه ضمّت تلك الروايات كتفسير الطبري و غيره «١».

و الخلاصه، فإنّ تفسير الطوسي شكّل بحقّ مدرسه متميزه في التفسير، سواء على صعيد مباحثه الكلاميّة المتميزه بالعمق القرآني، أو منهجه التحقيقي و الموضوعي في التعامل مع المأثور من التفسير ممّا ميّزه أيضا عن سائر التفاسير التي سبقته و شكّل الأساس لما جاء من بعده من تفاسير جامعته، و ترك بصماته العمليه على أعلام المفسّرين

حتى يومنا هذا. فجراه الله عن القرآن خير جزاء المحسنين.

(١)- التبيان/ ج ٨/ ص ٨٩-١٠٠. المنهج الأثرى/ ص ١٨٥.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٤٢١

مجمع البيان في تفسير القرآن

المؤلف:

أمين الاسلام، أبو علي، الفضل بن الحسن الطبرسي الطوسي، أصله من طبرستان، وقيل من تفرش (طبرس) من نواحي مدينه قم بإيران. ولد سنة ٤٦٨ هـ و عاش في المشهد الرضوي حتى سنة ٥٢٣ هـ، ثم انتقل إلى سبزوار حيث عاش فيها حتى وفاته سنة ٥٥٢ هـ، وقيل توفي سنة ٥٤٨ هـ، ليله النحر، ثم نقل نعشه إلى المشهد الرضوي، وقبره الآن معروف في موضع يقال له (قتلگاه)، أي مكان القتل.

وقد ذكر المترجمون للشيخ الطبرسي أنه تتلمذ على يد الشيخ أبي علي ابن شيخ الطائفة الطوسي، وكذلك الشيخ أبي الوفاء عبد الجبار بن علي المقرئ الرازي، و الشيخ الحسن بن الحسين بن الحسن بن بابويه القمي الرازي

و إذا علمنا أن الشيخ أبا علي، الحسن بن أبي جعفر محمّد الطوسي، الذي كان من أعظم تلامذه والده، و أحد كبار فقهاء الشيعة، درس عند والده و خلفه في العلم و الفتيا و التدريس، حتى توفي في النجف (بعد سنة ٥١٥ هـ)، و أن أبا الوفاء الرازي و كذلك الحسن بن الحسين القمي كانا شريكي الشيخ أبي علي الطوسي في درس والده «١» ... فإن ذلك يفيدنا بأن الطبرسي عاش لفترة من حياته في النجف، حيث أخذ عن ابن الطوسي و رفيقيه ما أخذ من علم و معرفه، و من هنا كان وفاء الشيخ الطبرسي الكبير لرائده الطوسي، إذ يذكره بآتم إجلال و أعظم تقدير، فهو إذ يراجع محاولات التفسير السابقه عليه يتوقف

عند تبيان الطوسي، ليعطيه موقع الاستثناء و القدوه بين التفاسير، و هو يقول:

«و قد خاض العلماء، قديما و حديثا، في علم تفسير القرآن، و اجتهدوا في إبراز

(١)- راجع ترجمته في مقدمه المحقق الشيخ آغا بزرك الطهراني للتبيان/ ج ١/ ص ٨١ ش.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٤٢٢

مكونه، و إظهار مصونه، و ألفوا فيه كتبا جمه، غاصوا في كثير منها في أعماق لججه، و شققوا الشعر في إيضاح حججه، و حققوا في تفتيح أبوابه، و تغلغل شعابه. إلا أن أصحابنا (رض)، لم يدونوا في ذلك غير مختصرات، نقلوا فيها ما وصل إليهم من الأخبار، و لم يعنوا ببسط المعاني و كشف الأسرار، إلا ما جمعه الشيخ الأجل السعيد، أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (قدس الله روحه)، من كتاب (التبيان)، فإنه الكتاب الذي يقتبس منه ضياء الحق، و يلوح عليه رواء الصدق، قد تضمن من المعاني الأسرار البديعه، و احتضن من الألفاظ اللغه الوسيه، و لم يقنع بتدوينها دون تبيينها، و لا بتنميقها دون تحقيقها، و هو القدوه أستضىء بأنواره، و أطأ مواقع آثاره» (١).

و هكذا عزم الطبرسي بعد التوكل على الله تعالى على انجاز مشروعه الكبير في خدمه القرآن الكريم، و هو يصف جهده خير وصف و يشرح خطته في العمل و انطلاقة من التفاسير السابقه و ما وصل إليه من نتائج تميز محاولته التفسيريه الشامخه، فيقول:

«و استخرت الله تعالى ثم قصرت وهمي و همي على اقتناء هذه الذخيره الخطيره و اكتساب هذه الفضيله النبيله، و شمّرت عن ساق الجد، و بذلت غايه الجهد و الكد، و أسهرت الناظر، و أتعبت الخاطر، و أطلت التفكير، و أحضرت التفاسير،

و استمددت من الله سبحانه التوفيق و التيسير، و ابتدأت بتأليف كتاب هو في غاية التلخيص و التهذيب، و حسن النظم و الترتيب، يجمع أنواع هذا العلم و فنونه، و يحوى نصوصه و عيونه، من علم قراءته و إعرابه، و لغاته و غوامضه و مشكلاته، و معانيه و جهاته، و نزوله و أخباره، و قصصه و آثاره، و حدوده و أحكامه، و حلاله و حرامه، و الكلام على مطاعن المبطلين فيه، و ذكر ما يتفرد به أصحابنا (رض)، من الاستدلالات بمواضع كثيرة منه على صحه ما يعتقدونه من الاصول و الفروع، و المعقول و المسموع، على وجه الاعتدال و الاختصار، فوق الإيجاز و دون الإكثار، فإن الخواطر في هذا

(١) - التبيان / مقدّمه المفسّر / ص ٣٣.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٤٢٣

الزمان، لا تحتمل أعباء العلوم الكثيره، و تضعف عن الاجراء فى الحلبات الخطيره، إذ لم يبق من العلماء إلّا الأسماء، و من العلوم إلّا الذماء.

و قدّمت فى مطلع كل سورة ذكر مكّيها و مدنيها، ثم ذكر الاختلاف فى عدد آياتها، ثم ذكر فضل تلاوتها، ثم أقدم فى كل آيه الاختلاف فى القراءات، ثم ذكر العلل و الاحتجاجات، ثم ذكر العربيّه و اللغات، ثم ذكر الإعراب و المشكلات، ثم ذكر الأسباب و النزولات، ثم ذكر المعانى و الأحكام و التأويلات، و القصص و الجهات، ثم ذكر انتظام الآيات.

على أنّى قد جمعت فى عربيته كلّ غزّه لائحته، و فى إعرابه كلّ حجّه واضحته، و فى معانيه كلّ قول متين، و فى مشكلاته كلّ برهان مبين، و هو بحمد الله للأديب عمدته، و للنحويّ عدّه، و للمقرئ بصيره، و للناسك ذخيره، و للمتكلّم حجّه، و

للمحدّث محجّه، و للفقيه دلالة، و للواعظ آله» (١).

إلّا أنّ هذه التلمذه و الاقتباس و الاقتداء مع كمال الاجلال لإمامه الطوسى، لم تمنع الطبرسى الألمعى من أن يقف موقف الناقد البصير من التبيان، و هو ما أهله لكى يبدع و يضيف و يزيد عليه فى مجمعه، فجمع فى منطلقه و منطقته بين الأصالة و التجديد، و بين الاحترام لجهود السابقين و عدم الوقوف عند إنجازاتهم، بل الانطلاق منها و بها نحو إبداعات جديده و ابتكارات و أفكار مستحدّته تفرضها طبيعه الفكر الانسانى المتجدّد الذى يتعامل مع غنى فكرى قرآنى لا ينفد و لا يبىد.

و هكذا نجد الطبرسى فى مقدّمه تفسيره يشخّص نواقص الخطى السابقه ليميّز منهجه الجديد فى التفسير فهو ينتقد «التبيان» و يقول: «غير أنّه خلط الألفاظ فى مواضع من متضمّناته قاهره عن المراد، و أحلّ بحسن الترتيب و جوده التهذيب، فلم يقع لذلك من القلوب السليمه الموقع المرضى، و لم يعل من الخواطر الكريمة المكان العلى» (٢).

(١) - مجمع البيان / مقدّمه المفسّر / ص ٣٥.

(٢) - م. ن.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٤٢٤

و قد أصاب الطبرسى الحقّ، فإنّ ما سطرته أنامله الكريمة، كان ذا منهجيّه فريده و رائعه فى عصره، و حتّى يومنا الحاضر، ممّا جعلت تفسيره من أحسن التفاسير، جمع فيه بين جمال التعبير و حسن الاسلوب مع دقّه النظر و عمق الفكر، جعلت منه علما شامخا فى سماء التفسير حتّى مع مرور مئات السنين.

فهذا الإمام الشيخ محمود شلتوت، إمام الجامع الأزهر، يكتب عنه فى مقدّمه طبعته بالقاهرة:

«إنّ هذا الكتاب نسيج وحده - لا نظير له - بين كتب التفسير، و ذلك لأنّه مع سعه بحوثه و عمقها و تنوعها،

له خاصيته في الترتيب و التبويب و التنسيق و التهذيب ...» (١).

أما الدكتور الذهبي، فمع موقفه المذهبي المتعصب تجاه الشيعة، و الذي رأينا نماذج منه في الفصل الأول من هذا الكتاب، إلا أنه يقف أمام «مجمع البيان» معترفا بعظمته و موسوعيته العلمية ... فهو يقول:

«و الحق أن تفسير الطبرسي - بصرف النظر عما فيه من نزعات تشيعيه و آراء اعتزاليه - كتاب عظيم في بابه، يدل على تبحر صاحبه في فنون مختلفه من العلم و المعرفة. و الكتاب يجري على الطريقه التي أوضحها لنا صاحبه، في تناسق تام و ترتيب جميل، و هو يجيد في كل ناحيه من النواحي التي يتكلم عنها، فإذا تكلم عن القراءات و وجوهها أجاد، و إذا تكلم عن المعاني اللغويه للمفردات أجاد، و إذا تكلم عن وجوه الإعراب أجاد، و إذا شرح المعنى الإجمالي أوضح المراد، و إذا تكلم عن أسباب النزول و شرح القصص استوفى الأقوال و أفاض، و إذا تكلم عن الأحكام تعرض لمذاهب الفقهاء، و جهر بمذهبه و نصره إن كانت هناك مخالفه منه للفقهاء، و إذا ربط بين الآيات آخى بين الجمل، و أوضح لنا عن حسن السبك و جمال النظم، و إذا عرض لمشكلات القرآن أذهب الإشكال و أراح البال. و هو ينقل أقوال من تقدمه

(١) - التفسير و المفسرون / الذهبي / ج ٢ / ص ١٢٣.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٤٢٥

- من المفسرين معزوه لأصحابها، و يرجح و يوجه ما يختار منها» (١).

و مع ذلك فإن الذهبي لم يستطع التخلص من عقده المذهبي، و عدم تحمله للآراء الاخرى؛ ستيه كانت أم شيعيه، لذا فهو أيضا يأخذ على الطبرسي استدلاله بالقرآن بما يدعم

عقائده و آراءه فيقول: «و إذا كان لنا بعض المآخذ عليه فهو تشييعه لمذهبه و انتصاره له، و حمله لكتاب الله على ما يتفق و عقيدته، و تنزيله لآيات الأحكام على ما يتناسب مع الاجتهادات التي خالف فيها هو و من على شاكلته، و روايته لكثير من الأحاديث الموضوعه، غير أنه- و الحق يقال- ليس مغاليا في تشييعه، و لا متطرفا في عقيدته، كما هو شأن كثير غيره من علماء الإماميه الاثني عشرية» (٢).

و قد علمنا فيما سبق أنّ الذهبي حمل على جملة من مفسري الشيعة و المعتزله و صنّفهم في فصل تحت عنوان: «التفسير بالرأى المذموم أو تفسير الفرق المبتدعه»، متّهما إياهم بتفسير القرآن وفقا لآرائهم المذهبيه، و جعل من امّهات المطالب التي يستدل بها على تفسيرهم «المذهبي المبتدع» إنكارهم مسأله رؤيه الله تعالى و ذلك لتزويهم إياه عن الجسميه و التشبيه، حتى أنّك تجد عنوانا مستقلا في دراسته لأى تفسير تحت عنوان «رؤيه الله»، فإذا كان المفسر ممّن ينكر رؤيه الله- من قبل الناس يوم القيامة- فإنه قد خرج عن «أهل السنّه و الجماعه»، و فسّر القرآن برأيه و وفقا لمذهبه!! فأخرج بذلك جملة من المفسرين شيعة و سنّه (٣). و أضاف مسائل اخرى عدّها من أساسيات عقائد «أهل السنّه و الجماعه» كالقول بأنّ كرسى العرش الإلهي هو من جنس السرير، لا العلم و القدره التي تأولها المعتزله و الشيعة (٤)، و أنّ النبي (ص)

(١)- م. ن / ص ١١٣.

(٢)- م. ن.

(٣)- التفسير و المفسرون / الذهبي / ج ١: ص ٣٦٧، ٣٦٩، ٣٧٥، ٣٧٨، ٤٠٤، ٤٤٥، ٤٥٥ و ٤٦٧، و ج ٢: ص ١٤١، ١٩٧، ٢١٢ و ٢٤٨.

(٤)- راجع م. ن /

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٤٢٦

قد وقع عليه السحر لا كما أنكره هؤلاء... و مسائل اخرى مشابهه لا يسعها البحث هنا.

و لذا فإنّ قدح الذهبى لا يتوقف عنده، فيما يبقى من الذهبى تقيمه الايجابى لتفسير الطبرسى، رغم موقفه المذكور منه «١».

و ممّا يزيد من عظمه «مجمع البيان» أنّ روعته و عمقه و سعته لم تكن فى جانب دون جانب، بل شملت سائر العلوم المتعلّقه بالقرآن من قراءات، و لغات، و نحو، و أسباب نزول، ثمّ الروايات، و استخراج المعانى، و ترجيح التأويلات، ممّا جعله محطّ عنايه الباحثين و اهتمام الدارسين به، فقد اتّجهت إليه الدراسات الأكاديميه و أعدت عدّه رسائل جامعيه عليا فى منهجه التفسيري عموماً، و بعضها متخصّصه فى تفسير ألفاظه و قضاياها النحويه و منهجه اللغوى، كما إنّه اختصر لأكثر من مرّه «٢».

منهج المفسر:

ابتدأ المفسر كتابه- و قد طبع فى عشره مجلّدات- بمقدمات مختصره عن مسائل أساسيه فى علوم القرآن، كتعداد آى القرآن و ذكر أسماء القراء المشهورين و الرأى فى القراءات المختلفه، ثمّ بحث التفسير و التأويل و المعنى و اعراب القرآن، و ذكر أسماء القرآن و معانيها، و من ثمّ التأكيد على سلامه القرآن و صيانتة عن التحريف، مع ذكر بعض ما جاء من الأخبار فى فضل القرآن و أهله و استحباب قراءته و تحسين الصوت فيه.

بعد ذلك يبدأ متن التفسير و يشرع المؤلف عادة بذكر نزول السوره و آياتها المكيه و المدنيه، ثمّ أسمائها و فضلها، و من ثمّ يبدأ فى مباحث تفسير الآيات، فيقدم لها بمباحث

(١)- م. ن/ ج ١٢ ص ١٤٥ و ٢٥١.

(٢)- راجع للاطلاع على تفاصيل

القراء و الحجّج فيها، ثمّ مباحث اللّغه فى شرح الكلمات و بيان معانيها و استعمالها و إعراب الآيات بما له دخل فى وضوح معانيها و تفسيرها ممّا هو معلوم فى مسائل إعراب القرآن.

بعد ذلك يدخل المفسّر إلى بيان معنى الآيات، فينظر فى السياق القرآنى ليربط الآيات بما سبقها، إن وجد ارتباط، و ما فى الآيه من إشارات عامّه، ثمّ يدخل فى بيان الآيات استنادا إلى الأقوال المذكوره فى الآيه، ناسبا إيّاها إلى مصادر روايه أو خبرا أو رأيا لأحد المفسّرين، فإذا كانت الأقوال يتكامل بعضها مع بعض أو أنّها تعطى وجوها مختلفه و محتمله فى آن واحد، فقد يتركها دون ترجيح، و إذا كان بين الآراء تناف أو كانت لديه الحجّج و قوى الدليل لأحدها أو بعضها دون البعض الآخر، عرض رأيه و رجّح ما رجّح لديه مع بيان الدليل بأجلى صورته و أقوى بيان.

و قد يستفيد من السياق القرآنى و المعنى اللّغوى الظاهر لديه رأيا دون سائر الآراء التى يرّجّحها لتعارضها مع السياق أو عدم نهوض الدليل عليها، فيعرض رأيه مناقشا بقيّه الآراء بأسلوب علمى هادئ و أدب رفيع، و هو ما ميّز تفسيره عن الكثير من غيره من التفاسير التى لا تخلو من نقد و تجريح.

و ممّا سبق، فإنّ قارئ التفسير يجد فى تسلسل المواضيع - قراءه و لغه و نحوا و معنى - صورته واضحه و متناسقه للمعاني القرآنيه، فالقراءه تهيبّ لمعرفة السياق و ارتباط الجمل، و اللّغه ترسم أبعاد الكلمه و احتمالات المعاني ممّا تقرب الانسان من صورته الكلمات و آفاق

البيانات، و تعطيه أفقا للسياحه فى فضاء الآيات، و إعراب الآيات يحدّد بدقّه مواقع الأحكام و يخصّص الأفعال بفواعلها و مفاعيلها، و تلك جميعا تهيئ القارئ بعد لدراسه المعانى المحتمله للآيات، و تضعه فى موضع مكين يستطيع من خلاله تذوّق البيانات القرآنيه و تبصّر معانيها و التأمل فى آفاقها.

و باختصار فإنّ التفسير جمع الجمال فى التّظم مع الكمال فى الرأى، و اليسر فى العرض مع القوّه فى الاستدلال، فكان حقاً «نسيج وحده بين كتب التفسير» (١).

(١) - من مقدّمه الشيخ محمود شلتوت، و التى أشرنا لها سابقا.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٤٢٨

و مع الاستقصاء الواسع و العرض الشامل للروايات و الأخبار و آراء المفسّرين السابقين، تقدّم «مجمع البيان» على سائر التفاسير من قبله و من بعده، فى الجانب المأثور من التفسير، رغم كثره البحوث العقليّه التى انتشرت فى مساحاته المختلفه، إلّا أنّه و بالنظر إلى حجم المادّه المأثوره و الطريقه العلميه و الموضوعيه فى التعامل معها، كان له السبق فى هذا الميدان.

و ممّا يجدر التنبيه و التأكيد عليه، هو أنّ اسلوب تعامل الشيخ الطبرسى مع المأثور من التفسير لا بدّ أن يحظى بالدراسه و العناية، ليكون أسوه و مقتدى، فهو - رحمه الله - لم يهمل رأيا و لم يحاكم روايه أو خبرا على أساس مذهبي أو رؤيه مسبقه، بل تراه يستقصى سائر المنقولات ليعرضها بأمانه علميه و أخلاقيه أدبيّه رفيعه، ثمّ يناقش أو يرحّج - حيث كان هناك موجب لذلك - الرأى لا القائل، لذا كانت له جوله واسعاه مع الآراء و صحب فيها من سبقه صحبه عالم لعلماء يحترم رأيهم و لا يقلّد أحدا منهم.

و ربّما كان ممّا يساعد على ذلك أنّ غالب

الروايات فى التفسىر، لا يمكن الترفىح بىنها على أساس الاسناد- لإرساله و ضعفه غالباً- و هو ما يوفر فرصة لمناقشه المتون على أساس السىاق و اللغه و الشواهد القرآنيه و القرائن الحالیه و غير ذلك من الأدله و البىانات.

و قد استشهدنا فى كتابنا هذا و فى مواضع متعدده بنماذج من تفسىر الطبرى مما قد بىن جانباً من آرائه، إلا أنه لا يمكن درك عظمه هذا التفسىر إلا بالرجوع إليه و سبر أغواره المتأله و الزاخره بالبىانات الجميله و المعانى الرائعه، فجزاه الله عن كل حرف خطه فى تفسیره خیر الجزاء.

التفسىر بالمأثور و تطويره عند الشيعه، ص: ٢٢٩

البرهان فى تفسىر القرآن

اشاره

و قد اخترنا هذا التفسىر لأنه يمثل نمودجا من تفاسىر القرن العاشر- الحادى عشر الهجرى، و هى مرحله تمثل قمه نمو الفكر الأخبارى عند الشيعه، حيث ألفت فى هذه الفتره مجاميع حديثيه كبيره كالبهار «١» فى عموم الحديث، و الوسائل «٢» و الوافى «٣» فى الأحاديث الفقيهيه، و الصافى «٤» و البرهان و نور الثقلين «٥» فى تفسىر القرآن.

المؤلف:

هو السيد هاشم بن سليمان الحسينى البحرانى التوبلى الكنكانى، يصل نسبه إلى السيد المرضى- قدس سره- و كان قريه من قري توبلى أحد أعمال البحرين.

ولد فى البحرين، ثم رحل إلى النجف الأشرف، و أقام فيها فتره من الزمن روى خلالها عن الشيخ فخر الدين الطريحي المحدث و الفقيه اللغوى، كما أنه سافر إلى إيران و زار المشهد الرضوى و روى هناك عن السيد عبد العظيم الاسترابادى.

و فى بلده البحرين حظى بمكانه مرموقه، و تولّى القضاء و إداره الامور الحسينيه بعد الشيخ محمد بن ماجد البحرانى الماحوزى المتوفى سنه ١١٠٥ هـ.

(١)- بحار الأنوار الجامعه لدرر أخبار الأئمه الأطهار، للعلامة محمد باقر المجلسى (ت: ١١١١ هـ).

(٢)- تفصيل وسائل الشيعه إلى تحصيل مسائل الشريعه، للشيخ محمد بن الحسن الحرّ العاملى (ت: ١١٠٤ هـ).

(٣)- الوافى لمؤلفه محمد محسن المشتهر بالفىض الكاشانى (ت: ١٠٩١ هـ).

(٤) - تفسير الصافي للفيض الكاشاني.

(٥) - تفسير نور الثقلين للشيخ عبد علي بن جمعه العروسي الحويزي (ت: ١١١٢ هـ).

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٤٣٠

و كان شديد الاهتمام بالحديث و الروايه، و تلك كانت سمه عصره، كما كان شديد الورع و الاحتياط متحرّجا عن إبداء النظر و الاجتهاد رغم فضله و علمه، و قد وضع العديد من الكتب إلّا أنّ الغالب

عليها هو الاهتمام بحفظ الحديث و جمعه و تبويبه بحسب الموضوعات المختلفه، إضافة إلى بعض الكتب في الفقه الاستدلالي
«١».

التفسير:

اشتمل تفسير البرهان على خطبه للمؤلف بين فيها المفسّر منهجه في التفسير و رأيه في بقيه المناهج، ثم شرع بمقدمه تضمّنت
سبعه عشر بابا وفق ما اعتاد المفسّرون التقديم به من فضل القرآن و تعلّمه و بعض من علوم القرآن و مسائله المتعلّقه بالتفسير و
التأويل، و لكنّه صنّف هذه الأبواب بالمأثور من الروايات في هذه المواضيع، و ختم مقدّمته هذه باب في ذكر مصادر تفسيره و
هي من الكتب الروائيه غالبا، ثمّ باب تضمّن مقدّمه تفسير علي بن إبراهيم في سائر مسائل القرآن من تنزيله و تأويله و ناسخه و
منسوخه، و ما تضمّن القرآن الكريم من علوم و فنون و معارف و آداب.

و لما كانت المقدّمه بأبوابها المختلفه تكشف عن الخطوط العامه التي سار عليها المؤلّف في تفسيره، فمن المفيد الاطلاع على
عناوينها و هي:

- ١- باب في فضل العالم و المتعلّم.
- ٢- باب في فضل القرآن.
- ٣- باب في الثقلين.
- ٤- باب في أنّ ما من شيء ء يحتاج إليه العباد إلّا و هو في القرآن، و فيه تبيان كلّ شيء ء.
- ٥- باب في أنّ القرآن لم يجمعه كما انزل إلّا الأئمّه (ع)، و عنهم تأويله.

(١)- البرهان في تفسير القرآن / مقدّمه التحقيق / ص ٥٩.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٤٣١

٦- باب في النهي عن تفسير القرآن بالرأى، و النهي عن الجدل.

٧- باب في أنّ القرآن له ظهر و بطن، و عامّ و خاصّ، و محكم و متشابه، و ناسخ و منسوخ، و النبي (ص) و أهل بيته (ع)
يعلمون ذلك، و هم الراسخون في

٨- باب فى ما نزل عليه القرآن من الأقسام.

٩- باب فى أنّ القرآن نزل بإيّاك أعنى و اسمعى يا جاره.

١٠- باب فى ما عنى به الأئمه (ع) فى القرآن.

١١- باب آخر متمم للباب السابق و يشتمل على النهى عن تفسير القرآن دون علم.

١٢- باب فى معنى الثقلين و الخليفين من طريق المخالفين.

١٣- باب فى العله التى من أجلها أنّ القرآن باللسان العربى، و أنّ المعجزه فى نظمه، و لم صار جديدا على مرّ الأزمان.

١٤- باب أنّ كلّ حديث لا يوافق القرآن فهو مردود.

١٥- باب فى أوّل سورة نزلت و آخر سورة.

١٦- باب فى ذكر الكتب المأخوذ منها الكتاب.

١٧- باب فى ما ذكره الشيخ على بن إبراهيم فى مطلع تفسيره.

ثمّ يبدأ المؤلف بتفسيره للقرآن؛ سورة سورة، فيبدأ بما ورد فى فضلها، ثمّ تفسير آياتها آيه آيه بذكر الروايات الواردة فيها مع كامل أسنادها، و هو ما تميّز به هذا التفسير على نظيره «نور الثقلين» الذى حذف الأسانيد، إضافة إلى ذكر الآيه و حسن النظم و التويب، مبتدئاً بسوره الحمد فالبقره، و منتهياً بسوره الناس، إلّا أنّه لم يذكر تفسيراً لبعض الآيات التى لم يجد روايات واردة بشأنها.

و أخيراً يختتم المفسّر تفسيره بأبواب اخرى و كأنّها استدراك لما فاتته ذكره فى التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٤٣٢

المقدمه، و هى:

١- باب فى ردّ متشابه القرآن إلى تأويله.

٢- باب فى فضل القرآن.

٣- باب فى أنّ حديث أهل البيت (ع) صعب مستصعب.

٤- باب فى وجوب التسليم لأهل البيت فى ما جاء عنهم (ع).

٥- باب فى جمع القرآن بيد على (ع).

و أخيرا ذكر أسماء بعض من أخذ منهم و أشار إليهم مختصرا فى الكتاب مع اجازاته، و

طرق روايته كتب المشايخ الثلاث: الكليني و الصدوق و الطوسي (قدم).

منهج التفسير:

يعتبر «البرهان» من التفاسير الروائية المحضه، فهو على غرار تفسير العياشي و تفسير فرات، قد جمع فيه الروايات المتعلقة بكل آيه من دون أيه إضافه أو تعليق، و إذا كان للمفسّر من رأى، فهو فى انتخاب الروايات و اختياره و استحسانه لها دون غيرها، على أنه قد يذكر روايات متعدده و مختلفه فى الآيه الواحده ممّا يدلّ على أنه يرتضى ورود معان متعدده للآيه من قبيل الظاهر و الباطن، أو أنه يترك الروايات كما هى لعدم وجود مرجح لبعضها على البعض الآخر.

و هو اسلوب يختلف عن تفسيري «التبيان» و «مجمع البيان» المتقدمين على «البرهان» بستة قرون و اللّذين تخطّيا مرحله «جمع الأحاديث» كما هى فى الاصول الحديثيه، إلى مرحله تمحيص الأحاديث و دراستها و ترجيح الأقوال وفقا لثوابت و معايير عقليه و شرعيّه، على أساس من السّياق القرآنى و تفسير القرآن بالقرآن و عرض الروايات على القرآن و مناقشه مداليل الروايات و غير ذلك من طرق البحث الاستدلالي الصحيحه.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٤٣٣

لذا فإنّ البحرانى كان فى تفسيره أقرب إلى المسلك الأخبارى من غيره، فهو يرى:

١- أنّ التفسير و التأويل لا يؤخذ إلّا من المأثور عن الرسول (ص) و أهل بيته (ع)، «الذين نزل التنزيل و التأويل فى بيوتهم، و اوتوا من العلم ما لم يؤته غيرهم، بل كان يجب التوقّف حتّى يأتى تأويله عنهم؛ لأنّ علم التنزيل و التأويل فى أيديهم، فما جاء عنهم فهو النور و الهدى، و ما جاء عن غيرهم فهو الظلمه و العمى» (١).

و هذا يختلف عن المنهج الذى سار عليه المحققون من علماء

الشيعة كالطوسي و الطبرسي و الذين قَسَموا تأويل الآيات إلى أربعة أقسام؛ قسم لا يعلمه إلا الله، و قسم بينها النبي (ص) بوحي من الله، و قسم تعرفه العرب (من خلال اللّغه و البيان)، و قسم يحتمل وجوها متعدّده، و لا- يَرَجِّح وجه إلّا بإجماع أو روايه متواتره أو دليل عقلي أو شرعي ... «٢».

٢- و لذا فإنّ البحراني أبدى تعجّبه من أن يكون لعلمي المعاني و البيان دور في التأويل (و التفسير بمعنى واحد هنا)، قال: «و العجب كلّ العجب من علماء علمي المعاني و البيان، حيث زعموا أنّ معرفه هذين العلمين تطلع على مكنون سرّ الله جلّ جلاله من تأويل القرآن، قال بعض أئمّتهم: ويل ثمّ ويل لمن تعاطى التفسير و هو في هذين العلمين راجل ...» «٣».

٣- كما إنّه رفض الاستفادة من أي مصدر آخر غير المأثور عن أهل البيت (ع) في التفسير، «و هم الذين علّمهم سبحانه و تعالى، فلا- ينبغى معرفه ذلك إلّا منهم، و من تعاطى معرفته من غيرهم ركب متن عمياء، و خبط خبط عشواء، فما ذا بعد الحقّ إلّا الضلال، فأنتي تصرفون» «٤».

(١)- من مقدّمه المفسّر لتفسيره.

(٢)- راجع مقدّمه الطوسي لتفسيره (التبيان).

(٣)- البرهان / مقدّمه المؤلّف.

(٤)- م. ن.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٤٣٤

و لا شكّ بأنّ ما ثبت و صحّ من المأثور عن النبي (ص) و أهل بيته (ع) الذين نهلوا من منهله العذب، هو الحقّ، كيف لا و في بيوتهم نزل الوحي، و قد بحثنا ذلك فيما تقدّم، إلّا أنّ ذلك لا يعني بحال عدم جواز التفسير بغير المأثور، و قد بحثنا ذلك أيضا فيما سبق، خصوصا أنّ مساحه

المأثور من الروايات لا تغطى كل آيات القرآن، والكثير منه ضعيف الأسناد، كما إنه قد دخلت فيه الموضوعات و الاسرائيليات، فكان لا- بدّ من تمحيصه و عرضه على القرآن، و قد وضع السيّد المؤلّف نفسه بابا من أبواب مقدّمه تفسيره بعنوان: «أنّ كلّ حديث لا يوافق القرآن فهو مردود» (١).

نعم، يمكن حمل ما ذكر في مقدّمته على تقدّم تفسير أهل البيت (ع) على سائر التفاسير، و على أحقيّتهم في تفسير القرآن و تأويله.

٤- و قد ترك المنهج الأخباري آثاره في عدم التأكيد على سلامه المصادر التي تؤخذ منها الروايات، فدخلت في مصادره مصادر متّهمه بالوضع كالتفسير المنسوب إلى الإمام العسكري (ع)، الذي قال عنه الشيخ البلاغى في مقدّمه تفسيره (آلاء الرّحمن): «و أمّا التفسير المنسوب إلى الإمام الحسن العسكري (ع) فقد أوضحنا في رساله منفرده في شأنه أنّه مكذوب موضوع، و ميّا يدلّ على ذلك نفس ما في التفسير من التناقض و التهافت في كلام الراويين، و ما يزعمان أنّه روايه، و ما فيه من مخالفه للكتاب المجيد، و معلوم التاريخ، كما أشار إليه العلّامة في (الخلاصه) و غيره» (٢). و من المؤسف أنّ معظم مادّه هذا التفسير قد دخلت تفسير البرهان و شكّلت جزءا أساسيا منه.

و كذلك اعتمد على كتاب الشيخ البرسى، و هو متّهم بالغلوّ عند علمائنا، و كتابه فاقد للاعتبار العلمى، و اعتمد على كتاب (جامع الأخبار) و لا يعرف مؤلّفه فضلا عن أسانيد رواياته.

(١)- الباب الرابع عشر من المقدّمه.

(٢)- آلاء الرّحمن / ج ١ / ص ٤٩.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٤٣٥

و كذلك اعتمد كتاب (مصباح الشريعه) المنسوب إلى الإمام الصادق (ع)، و هو كتاب جليل،

و لكنّه لم تثبت نسبته إلى الإمام الصادق (ع)، و مؤلّفه مجهول، و قد نسبه بعض العلماء إلى هشام بن الحكم، إلّا أنّ شيئا من ذلك لم يثبت بطريق علمي «(١)».

٥- و امتدادا لنفس المنهج، فقد أخذت الكثير من الروايات الضعيفه في (الغلوّ) و (التحريف) طريقها إلى الكتاب دون أن تتعرّض لتصفية و تمحيص و جرد من السيّد المؤلّف، و معظم هذه الروايات إمّا ضعيفه من حيث السند، أو مضطربه من حيث المتن.

٦- و مع كلّ ذلك، فإنّ الكتاب يعدّ جهدا علميا مشكورا، لجمع الروايات المرويّه عن أهل البيت (ع)، و هو جهد مفيد و نافع يمهد الطريق للمحقّقين الذين يعملون في تحقيق النصوص و استخراج الصحيح منها و فرزها عن الروايات الضعيفه و المضطربه، إلّا أنّه «من الصّعب جدّا أن يتمكّن أحد من غير ذوى الاختصاص أن يفتح أحد هذين التفسيرين الجليلين - البرهان و نور الثقلين - فيقطع برأى محدّد عن نظر أهل البيت (ع) في القرآن و تفسيره» «(٢)».

(١)- راجع مقدّمه الشيخ الآصفى للتفسير / ج ١ / ص ٤٢.

(٢)- م. ن.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٤٣٦

الميزان في تفسير القرآن

إشارة

تفسير الميزان يعدّ من أنفس التفاسير التي جمعت بين المعقول و المنقول، و تتوّعت فيه المطالب القرآنيّه و الحديثيه و الكلاميه و الفلسفيه و الأخلاقيه و العرفانيه، إضافة إلى مواضيع متفرّقه في التاريخ و الاجتماع و السياسه و علوم اخرى، و هو بالتالي يمثّل قمه تطوّر التفسير عند الشيعة الإماميه، و قد اخترناه كنموذج للتفسير المعاصر عندهم، خصوصا و أنّه يعكس في الكثير من مباحثه آخر نتاجات العلوم الإسلاميه، إضافة إلى آراء و نظريّات اختصّ بها صاحب «الميزان» أو تكاملت عنده و برزت

إلى عالم التدوين دون سواه.

المؤلف:

هو السيد محمد حسين ابن السيد محمد ابن السيد محمد حسين ابن الميرزا على أصغر شيخ الاسلام الطباطبائي التبريزي القاضي. يرجع نسبه من جهه أبيه إلى السيد إبراهيم طباطبا بن إسماعيل الديباج و هو حفيد الحسن المثنى ابن الإمام الحسن بن علي (ع)، و يرجع نسبه من جهه والدته إلى الإمام الحسين (ع).

لذا فإن ألقابه هي: الحسنى، الحسينى، الطباطبائي.

ولد الطباطبائي آخر سنة ١٣٢١ هـ فى اسره من الأشراف و رجال العلم، حيث ارتحل منهم إلى إيران (تبريز) السيد عبد الغفار ثم ابنه سراج الدين عبد الوهاب فى أواخر القرن العاشر الهجرى و الذى تقلد فيها سمه شيخ الإسلام، و من مشاهير اسرته التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٤٣٧

جدّه القريب السيد محمد حسين الشهير بشيخ آقا من أجداد تلامذه صاحب الجواهر و الشيخ موسى كاشف الغطاء و الشيخ جعفر الاسترابادى صاحب التأليفات الكثيره «١»، و هو من أعلام الدين فى النجف يومذاك.

تلقى الطباطبائي بمسقط رأسه بتبريز مبادئ العلوم الأوليه و ما يطلق عليها فى الحوزات الدينيه الشيعيه بالمقدمات، إذ يدرس فيها الطالب المنطق و النحو و الصّيرف و البلاغه و العروض و بدايات الفقه و الاصول. ثم هاجر إلى النجف سنة ١٣٤٣ هـ ليمضى فيها عشر سنوات فى إكمال دراساته العاليه.

و فى النجف درس الطباطبائي على عدد من الأساتذه الكبار، و الذين كانوا يعدّون من أساطين العلم، و الرواد فى حقوله، و قد برز كل من هؤلاء فى حقل علمى معين ممّا هتأ للطباطبائي فرصه التزود من علوم مختلفه و على مستوى عال و من مراجع حاذقين و بارزين اشتهروا برؤاهم الاجتهاديه و العلميه المتميزه، و كل هذا

شكل شخصيه الطبائى العلميه المتنوعه و التى انعكست بشكل واضح فى تفسيره، و كان أبرز هؤلاء الأساتذه هم:

١- الآيه العظمى العلمامه الشيخ محمّد حسين النائينى الغروى، الذى كان الأبرز فى عصره فى علم الاصول، فكانت حلقه درسه من أكبر مجالس البحث فى النجف و آلت إليه المرجعيه الدينيه فيها.

٢- الآيه العظمى الشيخ محمّد حسين الكمبانى الاصفهانى، الذى كان من أعظم العلماء و أجلاء الفلاسفه، و من أشهر الأساتذه فى الاصول و الفلسفه، و كان شاعرا أدبيا (ت: ١٣٦١ هـ).

٣- المحقق البارع السيّد حسين البادكوبى، العالم الكبير الذى اشتهر بالفلسفه و العلوم العقليه و عرف بالمهاره و الخبره و التحقيق و التدقيق حتى سطع نجمه فى الأوساط النجفيه و الأنديه العلميه.

(١)- من ترجمه المؤلف لنفسه (الطبائى و منهجه فى تفسير الميزان) على الأوسى / ص ٣٩.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعه، ص: ٤٣٨

٤- الرياضى البارع السيّد أبو القاسم الخوانسارى، صاحب التصانيف المتعدده فى الحساب و الرياضيات.

٥- و أخيرا: العالم الورع التقى، السيّد ميرزا على الطبائى التبريزى، القاضى، الفقيه الاصولى، و المفسر الأخلاقى الكبير، الذى كانت له اليد الطولى فى (الحكمه العمليه) و العرفان (ت: ١٣٦٦ هـ).

و للسيّد القاضى بصمات واضحة المعالم على شخصيه العلمامه الطبائى، سواء فى الجانب العلمى، أو فى الترييه الأخلاقيه و فى مراتب تهذيب السلوك و العرفان، حتى أنه كان يخصّه بلقب الاستاذ و يردّد: (كلّ ما عندنا فى هذا المضممار فهو من المرحوم القاضى)، كما إنه اكتسب من استاذه طريقه التفسير، و كان القاضى يفسّر القرآن، فهو يقول: «إنما سلكنا فى تفسيرنا ذات المسلك الذى سلكه المرحوم القاضى، كما هو الأمر بالنسبه لإدراك مكنون الأحاديث و الروايات، حيث تتلمذنا على

يديه فى مجال علم فقه الحديث) «١».

عاد الطباطبائى بعد عشر سنوات من التحصيل فى النجف إلى تبريز مسقط رأسه عام ١٣٥٣ هـ وبقى هناك حتى عام ١٣٦٥ هـ إذ هاجر منها إلى قم إثر الحرب العالميه الثانيه.

و فى قم باشر الطباطبائى التدريس و إلقاء المحاضرات فى التفسير و الفلسفه و برز فيها و اشتهر فالتفّ حوله جمع كثير من الطلبة، و الذين برزوا فيما بعد كمفكرين و علماء لامعين، كان أشهرهم الشهيد الشيخ مرتضى المطهري و الشهيد الدكتور بهشتى و الشهيد الدكتور مفتّح، و كذلك جمع من كبار علماء الحوزه الدينيه بقم و أساتذتها الكبار.

و قد خلّف عشرات المؤلفات فى الحديث و الاصول و الفلسفه و كتب فيها الكثير، و علم الكلام و تفسيره (الميزان) إضافة إلى عدد من الرسائل الفكرية الاسلاميه المختلفه.

(١) - تفسير القرآن بالقرآن عند العلامه الطباطبائى / ص ٢١.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعه، ص: ٤٣٩

تفسير الميزان:

يتكوّن هذا التفسير من عشرين مجلّدا، ابتداء بسوره الحمد فى الجزء الأوّل و انتهى بسوره الناس فى الجزء العشرين، و قدم لتفسيره بمقدمه مختصره تعرّض فيها لتاريخ التفسير و تطوّره، و ظهور مذاهب التفسير المختلفه، و انتقد فيها مسلك المحدثين فى الاقتصار على التفسير بالمأثور، «فإنّ الله سبحانه لم يبطل حجّجه العقل فى كتابه، و كيف يعقل ذلك و حجّيته تثبت به، و لم يجعل حجّيه فى أقوال الصحابه و التابعين و أنظارهم على اختلافها الفاحش، و لم يدع إلى السفسطه بتسليم المتناقضات و المتنافيات من الأقوال، و لم يندب إلّا إلى التدبّر فى آياته، فرفع به أى اختلاف يترأى منها، و جعله هدى و نورا و تبيانا لكلّ شىء، فما بال النور

يستنير بنور غيره! و ما شأن الهدى يهتدى بهدايه سواه! و كيف يتبين ما هو تبيان كل شىء بشىء دون نفسه! «(١)».

و هذا لا يعنى أنّ المفسّر يفتح الباب لكلّ من هبّ و دبّ ليقول فى القرآن ما يرى من دون هدى و لا دليل، لذا فإنّه انتقد فى نفس الوقت التفسير القائم على رؤى فلسفيه أو مذهبيه تلقى بظلالها على القرآن و تدبّره، فهو يقول:

«و أمّا المتكلّمون فقد دعّتهم الأقوال المذهبيه على اختلافها أن يسيروا فى التفسير على ما يوافق مذاهبهم بأخذ ما وافق و تأويل ما خالف على حسب ما يجوّزه قول المذهب» «(٢)».

و وصف التفسير المذهبي المسبق برأى أو نظر خاص بأنّه من قبل التطبيق لا التفسير، و هناك فرق بين أن يقول الباحث عن معنى آيه من الآيات: ما ذا يقول القرآن؟ أو يقول: ما ذا يجب أن نحمل عليه الآيه «(٣)»؟

(١)- الميزان/ ج ١/ المقدمه/ ص ٩.

(٢)- م. ن.

(٣)- م. ن.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٤٤٠

ثمّ تعرّض بعد هذه المقدمه بالنقد لتفسير الفلاسفه، و المتصوّفه، و أخيرا التفاسير «العلميه» المعاصره.

و أوعز منشأ الخطأ فى هذه التفاسير إلى حمل معانى القرآن على ما يسبق إلى الأذهان من معان مادّيه قد ألفناها و اعتدناها، مع أنّ هذه محكومته بالتغيّر و التبدّل.

و أخيرا بيّن منهجه الذى اختاره من تفسير القرآن بالقرآن، من خلال استيضاح معنى الآيه من نظيرتها بالتدبّر المندوب إليه فى نفس القرآن و تشخيص المصاديق و التعرّف بالخواص التى تعطىها الآيات، كما قال تعالى: وَ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ، و حاشا أن يكون القرآن تبيانا لكلّ شىء و لا يكون تبيانا

لنفسه «١».

و هو يؤكد أنّ هذه الطريقة (الحديثه) فى تفسيره هى من أقدم الطرق المأثوره فى التفسير التى سلكها معلموه «النبى و الأئمه (ع)» «٢».

منهجه فى التفسير:

ثم شرح السيد المفسّر منهجه فى التفسير، فهو يبتدئ أولاً- بتفسير الآيات مستعينا بالقرآن نفسه و بالتدبر فيه و سعى ذلك بالبيانات، و أكد على اجتنابه الركون- فى استخراج هذه البيانات للآيات- إلى حجه نظريه فلسفيه أو إلى فرضيه علميه أو إلى مكاشفه عرفانيه.

و قد تحصّل من هذه البيانات المذكوره على هذه الطريقه من البحث استفراغ الكلام فى أهمّ المعارف الاسلاميه المتعلقة بأسماء الله و صفاته و أفعاله و الوسائط الواقعه بينه و بين الانسان، و كذلك المعارف المتعلقة بالانسان قبل الدنيا و فى الدنيا و بعدها و هو البرزخ و المعاد، و من ثمّ المعارف المتعلقة بالأخلاق الانسانيه.

على أنّ المفسّر يتجنّب التفصيل فى آيات الأحكام لرجوع ذلك إلى الفقه.

(١)- م. ن / ص ١٤.

(٢)- م. ن / ص ١٧.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٤٤١

و يؤكد المؤلف بأنّ هذه الطريقه من البحث- القرآنى- أفادت فى ارتفاع التأويل، بمعنى الحمل على المعنى المخالف للظاهر من بين الآيات- فلا يكون هذا من التفسير و لا التأويل-، و أمّا التأويل الذى يثبت القرآن فى مواضع من الآيات فهو ليس من قبيل المعانى «١»، إذ يرى المفسّر أنّه الحقيقه الواقعيه للآيات «٢».

ثمّ يقوم المفسّر- بعد البيانات القرآنيه- بذكر أبحاث روائيه- حيثما وجدت- يورد فيها ما تيسّر من الروايات المنقوله عن النبى (ص) و أئمه أهل البيت (ع) من طرق العامه و الخاصه، و لا يعتبر السيد المفسّر الروايات الوارده عن مفسرى الصحابه و التابعين حجّه فى نفسها، و ذلك لما

فيها من الخلط و التناقض «٣».

و بعد الأبحاث الروائيه، يفرد المؤلف أبحاثا مختلفه: فلسفيه و علميه و تاريخيه و اجتماعيه و أخلاقيه، حسبما تيسر له من البحث إغناء للتفسير و إرساء للفكر الاسلامي على مبانيه القرآنيه و الحديثيه.

و سنركز في بحثنا الآتي على منهج المفسر في التفسير بالمأثور و هو الذي يتعلّق بدراستنا هذه، و من الله نستمدّ العون و التوفيق.

(١)- م. ن / ص ١٦.

(٢)- م. ن / ج ٣ / ص ٤٥.

(٣)- م. ن / ج ١ / ص ١٦.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٤٤٢

منهج التفسير بالمأثور عند الطباطبائي

إشاره

مرّ علينا أنّ التفسير بالمأثور يشمل ما جاء في القرآن نفسه من البيان و التفصيل لبعض آياته، و كذلك المأثور من الروايات و الأخبار من كل ما هو بيان و توضيح لمراد الله تعالى من نصوص كتابه الكريم «١».

و قد عدّ المفسرون تفسير القرآن بالقرآن أحسن طريق للتفسير، فما أجمل في مكان فقد فصل في موضع آخر «١»، فالقرآن يفسر بعضه بعضا «٢»، و إنّ أبين البيان بيانه، و أفضل الكلام كلامه، و إنّ قدر بيانه- جلّ ذكره- على بيان جميع خلقه كفضله على جميع عبادته «٣».

كما إنّ الامّه اتّفقت على أنّ السنّه النبويه هي المصدر الثاني للتشريع - بعد القرآن الكريم-، كما اتّفقت على الرجوع إلى ما صحّ منها في تفسير القرآن، فهي شارحه للقرآن و موضحة له «٤».

لذا فإننا سندرس منهج الطباطبائي في:

١- تفسير القرآن بالقرآن.

٢- تفسير القرآن بالسنّه.

مع ملاحظه المواضع المتعلقة بكلام الأئمّرين، كالسياق و النظم القرآني، و شأن

١- التفسير و المفسرون/ ج ١/ ص ١٥٦.

(١)- الاتقان/ ج ٢/ ص ١١٩٧.

(٢)- الكشّاف/ ج ١/ ص ٤٠٦.

(٣)- تفسير الطبري/ ج ١/

(٤) - البرهان / ج ٢ / ص ١٥٧.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٤٤٣

النزول و مناسبته من جهه، ثم تفسير الصحابه و التابعين و موقفه من الموضوعات و الإسرائيليات من جهه اخرى.

كما سندرس أيضا موضوع التفسير بالباطن، و ما اطلق عليه الجرى و التطبيق، و هو نوع من أنواع التأويل.

١ - تفسير القرآن بالقرآن:**اشاره**

فى تفسير قوله تعالى: أَمْ لَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَ لَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا (النساء / ٨٢)، يضع الطباطبائى من خلال بيان هذه الآيات المباركه الاسس التى ينطلق منها فى تفسيره القرآن بالقرآن و هى:

أولاً: أن القرآن مّا يناله الفهم العادى.

فآياه الكريمه تحضّ الناس على التدبّر فى القرآن، و هو هنا التأمل فى الآيه عقيب الآيه أو التأمل بعد التأمل فى الآيه.

ثانياً: أن الآيات القرآنيه يفسّر بعضها بعضاً.

فالمراد ترغيبهم أن يتدبّروا فى الآيات القرآنيه و يراجعوا فى كل حكم نازل أو حكمه مبينه أو قصه أو عظه أو غير ذلك جميع الآيات المرتبطه بها ممّا نزلت؛ مكّيتها و مدنيها، و محكمها و متشابهها، و يضمّوا بعضها إلى البعض حتى يظهر لهم أنه لا اختلاف بينها، فالآيات يصدّق قديمها حديثها و يشهد بعضها على بعض من غير أن يكون أى اختلاف مفروض.

ثالثاً: أن القرآن كتاب لا يقبل نسخا و لا إبطالا و لا تكميلا و لا تهديبا، و لا أى حاكم يحكم عليه أبداً.

و ذلك أن ما يقبل شيئا منها لا مناص من كونه يقبل نوعا من التحوّل و التغيّر بالضروره، و إذا كان القرآن لا يقبل الاختلاف، فليس يقبل التحوّل و التغيّر، فلا يقبل نسخا و لا إبطالا و لا غير ذلك، و لازم ذلك أن الشريعه الاسلاميه

و مجمل قوله فى ذلك: أنّ مرجعيه القرآن- و التى أكدّت عليها الأخبار المتواتره عن النبىّ (ص) المتضمّنهُ لوصيّه بالتمسك به و الأخذ بآياته و عرض الروايات على كتاب الله-، تؤكّد أنّ كل نظر دينى يجب أن ينتهى إلى القرآن الذى فيه تبيان كلّ شىء، و أنّ المعارف القرآنيه يمكن أن ينالها الباحث بالتدبّر و البحث، و أنّ جميع ما نقل عن النبىّ (ص)- فى تفسير القرآن- يمكن استفادته من الكتاب، إذ لو توقّف ذلك على بيان النبىّ (ص) لكان من الدور الباطل و هو ظاهر، و من هنا تكون أهميه دور النبىّ (ص) فى تعليم الناس و بيان ما يدلّ عليه القرآن بنفسه، فشان النبىّ (ص) فى هذا المقام هو التعليم فحسب، و التعليم إنّما هو هدايه المعلم الخبير ذهن المتعلم و إرشاده إلى ما يصعب عليه ... فإنّما التعليم تسهيل للطريق و تقريب للمقصد، لا ايجاد للطريق و خلق للمقصد «٢».

أمّا تفاصيل الأحكام- لا تفسير الآيات و فهم معناها اللفظى- فهى ممّا لا سبيل إلى تلقّيها من غير بيان النبىّ (ص) كما أرجعها القرآن إليه فى قوله تعالى: وَ مَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَ مَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا (الحشر/ ٧) و ما فى معناه من الآيات و كذلك تفاصيل القصص و المعاد مثلا (ممّا اجمل فى القرآن).

لذا فإنّ طريقه تفسير القرآن بالقرآن عند الطباطبائى تختلف عمّن سبقه من عامه المفسّرين الذين لجأوا إلى القرآن بشكل محدود كإحدى الوسائل لفهم القرآن، فهى عند الطباطبائى الأساس الأول و الأخير، و المستقلّ القائم بذاته لفهم القرآن و التدبّر به، و لا يستغنى عن

الروايات فى ذلك، و لكن لا من باب توقّف التفسير عليها، فالقرآن لا يحتاج إلى غيره فى بيان مقاصده، لأنه لو احتاج فى بيان مقاصده إلى شىء آخر لم

(١)- الميزان/ ج ٥/ ص ٢٠-٢١.

(٢)- الميزان/ ج ٣/ ص ٩٦-٩٨.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٤٤٥

تتمّ به الحجّه ... «١».

و أمّا الروايات فإنّ لها دور التعليم و الإرشاد و الانموذج و المثال، إذ أنّ جمًا غفيرا من الروايات التفسيرية الواردة عنهم- عليهم السلام- مشتمله على الاستدلال بآيه على آيه، و الاستشهاد بمعنى على معنى، و لا يستقيم ذلك إلّا بكون المعنى ممّا يمكن أن يناله المخاطب و يستقل به ذهنه لوروده من طريقه المتعيّن له «٢».

و يلخص المفسّر أخيرا منهجه فى تفسير القرآن بالقرآن، و استمداده من الروايات ذلك بقوله: «و قد تبين أنّ المتعيّن فى التفسير الاستمداد بالقرآن على فهمه و تفسير الآيه بالآيه، و ذلك بالتدرّب بالآثار المنقولة عن النبىّ و أهل بيته- صلى الله عليه و عليهم- و تهيئه ذوق مكتسب منها ثمّ الورود و الله الهادى» «٣».

و هو بذلك يجمع بين الأحاديث الدالّة على امكانيه نيل المعارف القرآنيه من القرآن- و كذلك الآيات- و عدم احتجابها عن العقول، و بين ما هو ظاهره خلافه- من النهى عن التفسير بالرأى- و الأمر بالتمسك بالقرآن و العتره فى حديث الثقلين، الدال على حجّيه قول أهل البيت (ع).

و من هنا جاءت روايات عن أهل البيت (ع) تدل على المطابقه- بين قولهم و القرآن-، كما روى فى المحاسن ياسناده عن أبى لييد البحرانى عن أبى جعفر (ع) فى حديث قال: «فمن زعم أنّ كتاب الله مبهم فقد هلك

و أهلك»، و يقرب منه ما فيه و في الاحتجاج عنه (ع) قال: «إذا حدّثتكم بشيء فاسألوني من كتاب الله» (٤).

لذا كانت طريقه الطباطبائي في التفسير تختلف عن غيره بأنه يشرع في تفسير

(١) - القرآن في الاسلام / ص ٦٤.

(٢) - الميزان / ج ٣ / ص ٩٨.

(٣) - م. ن / ص ١٠١.

(٤) - م. ن / ص ١٠٠.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٤٤٦

الآيات ابتداء بالرجوع إلى القرآن وحده: بالتدبر في معاني الآيات، و مراجعه الآيات الاخرى المتضمنة لنفس الألفاظ، أو المعاني، و مراجعه سياق الآيات و ارتباطها بما قبلها و ما بعدها، و الكشف عن زمان النزول و تسلسل الأحداث، و العلاقات المنطقيه و القرائن الحاليه للنص.

و أمّا المأثور من السنّه و الأخبار فإنّ دوره يأتي بعد أن يكون المعنى القرآني قد تجلّى بنفسه مستقلاً و من دون مؤثرات، فما انسجم المأثور مع ذلك المعنى قبل، و ما تعارض توقّف فيه أو ردّ حتى لو كان صحيح السند، إذ إنّ الروايات تؤكّد على إرجاع السنّه إلى القرآن، و القرآن غني ببيانه عن سائر البيان.

و لا يعنى ذلك أبدا الاستغناء عن السنّه الشريفه و التقليل من شأنها العظيم، فهي التي تعلّمنا و ترشدنا إلى المنهج الصحيح في تفسير القرآن و طريقه التدبر فيه و الاستمداد به لفهم ألفاظه و معانيه، و هي مرجعنا الوحيد في معرفه تفاصيل الأحكام و القضايا التي أجملها القرآن، و لكن يبقى الميزان هو الأخذ بالأحاديث التي توافق الكتاب و طرح ما عداها (١).

تطبيقات تفسير القرآن بالقرآن:

١- رفع التشابه من الآيات:

و هو من أهم مكاسب تفسير القرآن بالقرآن، و من أكثرها أهميّة، فقد قال تعالى:

هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ

مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَنُجٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ (آل عمران / ٧).

(١) - القرآن في الاسلام / ص ٨٦، الميزان / ج ٣ / ص ١٠١.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٤٤٧

فقسّم القرآن الآيات إلى محكمات هنّ امّ الكتاب، و الام معناه ما يرجع إليه، و اخر متشابهات، و المراد بالتشابه كون الآية بحيث لا- يتعين مرادها لفهم السامع بمجرد استماعها بل يتردد بين معنى و آخر حتى يرجع إلى محكمات الكتاب، فتعين هي معناها و تبينها، فتصير الآية المتشابهه محكمه بواسطه الآية المحكمه.

لذا فإنّ المراد بالمحكمات هي الآيات المتضمنه للاصول المسلّمه من القرآن، و المتشابهات هي الآيات التي تتعين و تتضح معانيها بتلك الاصول «١».

و مثال ذلك: أنّ المرء إذا استمع إلى قوله تعالى: الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى (طه / ٥)، فإنّه قد يتبادر إلى ذهنه المستأنس بالمحسوس من الأحكام معان هي من أوصاف الأجسام و خواصّها، لذا فيشبهه المراد منه على السامع أوّل ما يسمعه، و لكنّه إذا رجع إلى قوله تعالى: لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ (الشورى / ١١) بعدت عن ذهنه المعانى الحسيه المتصوّره و استقرّ في الذهن أنّ المراد به التسلط على الملك و الإحاطه على الخلق.

و كذلك في قوله تعالى: وَ جَاءَ رَبُّكَ وَ الْمَلَكُ صَيْفًا صَفًّا (الفجر / ٢٢)، فإنّ نسبه المجىء إليه تعالى من المتشابه الذي يحكمه قوله تعالى: لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ (الشورى / ١١)، و مثله ما ورد في آيات القيامه من خواص اليوم كتقطع الأسباب و ارتفاع الحجب عنهم و ظهور أنّ

فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أَوْتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (البقره / ٢١٣).

فالأول هو الاختلاف في الحياه والمعيشه، والثاني هو الاختلاف في الدين، ثم فصل المؤلف القول في تفسيره للآيه بالرجوع إلى الآيات الأخر التي تدمّ التفزق في الدين والإعراض عن الحق «٢».

(١) - م. ن / ج ٣ / ص ٢٤.

(٢) - الميزان / ج ١١ / ص ٦٥ - ٦٠.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٤٤٩

و من هذا الباب أن يستعين المفسّر بالآيات الأخر لترجيح أحد المعاني المطروحة في الآيه كما في قوله تعالى: وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ...

(البقره / ٣٠) فَإِنَّ الْمَفْسِّرَ اخْتَارَ أَنَّ الْخِلَافَةَ الْمَقْصُودَةَ هِيَ خِلَافَةُ اللَّهِ، لَا خِلَافَةَ لِنَوْعٍ مِنَ الْوُجُودِ الْإِنْسَانِيِّ، وَ ذَلِكَ اسْتِنَادًا إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ ... (يونس / ١٤)، وَقَوْلِهِ تَعَالَى: إِذْ جَعَلْنَاكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ (الأعراف / ٦٩)، وَقَوْلِهِ: وَ يَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ (النمل / ٦٢) «١».

٣- التفسير الموضوعي للقرآن:

و هو من معطيات تفسير القرآن بالقرآن، إذ يتم به مراجعه الآيات الواردة في موضوع واحد، ليتدبر فيها و ينظر في معانيها، و قد يتم ذلك بمستويين من النظر، أحدهما نظر كلي إلى مجموع الآيات للخروج برؤيه عامه و شامله لرأى الاسلام في الموضوع و تعيين خطوطه الكليه و مبادئه العريضه، و مستوى آخر من النظر لبيان معالمه التفصيليه و أحكامه الجزئيه.

و الواقع أنّ هذا النوع من التفسير هو من أرقى أنواعه رغم أنه لم يظهر بشكل متكامل إلا عند المتأخرين.

و قد استعمل الطباطبائي هذا اللون من

التفسير بشكل واسع و فى مواضيع أساسيه و اخرى تفصيليه؛ فخرج ببحوث قرآنيه رائعه فى سائر المباحث كالتوحيد و العباده و التوبه و الدعاء و الرزق و الجهاد، و هكذا علوم القرآن، و قضايا العقائد و الكلام، و مواضيع تربويه و أخلاقيه، و اخرى اجتماعيه و سياسيه، و مباحث تاريخيه مختلفه.

و لا يسعنا هنا أن نستقصى عشرات البحوث الموثقه فى سائر أجزاء الميزان، و لكن نضرب مثلا بعناوين البحوث التى ضمّها جزء واحد بيننا، و هـ الجزء الثالث

(١) - الميزان / ج ١ / ص ١١٥ - ١١٦.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٤٥٠

و هى: ١- معنى العذاب فى القرآن. ٢- فى المحكم و المتشابه و التأويل؛ فى عدّه فصول. ٣- تفسير القرآن بالرأى. ٤- معنى الرزق فى القرآن. ٥- معنى الملك و اعتباره. ٦- فى الخواطر الملكيه و الشيطانيه. ٧- قصّه عيسى و أمّه فى القرآن.

٨- احتجاج القرآن على مذهب التثليث. ٩- ما هو الكتاب الذى انتسب إليه أهل الكتاب. ١٠- قصّه التوراه. ١١- قصّه المسيح و الإنجيل. ١٢- انشعاب الكنائس.

١٣- ملخص تاريخ الكعبه، إضافه إلى عناوين فرعيه اخرى.

و ذلك يدلّنا على الغنى الفكرى الذى جاء به (الميزان) من خلال نهجه التفسيرى (القرآن بالقرآن).

٢- التفسير بالمأثور من السنّه:

أ- دور السنّه فى التفسير:

أكّد الطباطبائى على حجيه قول النبى (ص) فى بيان الآيات القرآنيه «١»، و أنّ الخبر المروى - عن المعصوم (ع) - إذا كان متواترا أو محفوظا بقرينه قطعيه فلا ريب فى حجيته و يلزم قبوله «٢».

و حدّر من ترك السنّه و طرحها إذ إنّ ذلك يهدم الدّين من أساسه و يؤدّى ذلك بنظره إلى: «إلغاء و إبطال للكتاب العزيز الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه،

و هو القائل جل ثناؤه: وَ مَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَ مَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا (الحشر / ٧)، و قال تعالى: وَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ (النساء / ٦٤)، إذ لو لم يكن لقول رسول الله (ص) حججه أو لما ينقل من قوله (ع) إلينا معاشر الغائبين في عصره أو الموجودين بعد ارتحاله من الدنيا حججه لما استقر من السدين

(١)- الميزان/ ج ١٢ / ص ٢٤١.

(٢)- م. ن / ج ١ / ص ٢٨٨.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٤٥١

حجر على حجر ...» (١).

و لكن الطباطبائي يميز هنا- في موقع التفسير- بين دور القرآن في تفسير القرآن، و دور السنه في تفسيره، فهو يرى أن القرآن الذي تبيانا لكل شئ (النمل / ٨٩)، فمن باب الأولى أن لا يحتاج في تبيين مقاصده إلى غيره، فكيف يكون تبيانا لكل شئ و يكون مفتقرا إلى هاد غيره و مستنيرا بنور غيره و مبينا بأمر غيره (٢).

لذا فهو يرى أن من الممكن الوصول إلى بيان القرآن بنفسه دون التوسيل بالروايات، و أن الكثير مما ورد من الروايات كان من قبيل تفسير القرآن بالقرآن، و أن شأن النبي (ص) هو التعليم، و هذا هو الذي يدل عليه أمثال قوله تعالى: وَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ (النمل / ٤٤)، و قوله تعالى: وَ يُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَ الْحِكْمَةَ (الجمعه / ٢)، فالنبي (ص) إنما يعلم الناس و يبين لهم ما يدل عليه القرآن بنفسه، و بينه الله سبحانه بكلامه ... (٣) فيكون المتعين بالتفسير- عنده- هو الاستمداد بالقرآن على فهمه و تفسير الآيه بالآيه و ذلك بالتدرّب بالآثار المنقوله عن النبي و أهل بيته (ع)

و تهيئه ذوق مكتسب منها ثم الورود، و الله الهادى «٤».

جدير ذكره أنّ الطباطبائى أكد أنّ بيان أهل البيت (ع) يلحق ببيان النبى (ص) لحديث الثقلين المتواتر وغيره، و هو قوله (ص) فى آخر خطبه خطبها: «إنى تارك فيكم الثقلين: الثقل الأكبر، و الثقل الأصغر، فأما الأكبر فكتاب ربى، و أمّا الأصغر فعترتى أهل بيتى، فاحفظونى فيها، فلن تضلّوا ما تمسّـ كتم بهما» «٥»، و الذى رواه الفريقان

(١)- م. ن / ص ٢٣٧.

(٢)- م. ن / ج ٣ ص ١٠١.

(٣)- م. ن / ج ٢ ص ٩٨.

(٤)- م. ن / ج ٣ ص ١٠١.

(٥)- رواه مسلم فى صحيحه و الترمذى فى سننه و الحاكم فى مستدركه و أحمد بن حنبل فى مسنده و غيرهم.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٤٥٢

بطرق متواتره عن جم غفير من أصحاب رسول الله (ص) عنه، و أنهى علماء الحديث عدّتهم إلى خمس و ثلاثين صحابيا، و فى بعض طرقه: «لن يفترقا حتى يردا على الحوض»، و الحديث دال على حجيه قول أهل البيت (ع) فى القرآن و وجوب اتباع ما ورد عنهم فى تفسيره و الاقتصار على ذلك و إلّا لزم التفرقه بينهم و بينه «١».

لذا فإنّ الطباطبائى ذهب أولا- إلى استمداد بيان الآيات من القرآن نفسه، و من ثمّ مراجعه الروايات الواردة فيها، و ملاحظه انسجامها و انطباقها أو عدمه مع البيانات القرآنيه و سياق الآيات.

و الأمر الهام الآخر فى رؤيه الطباطبائى لعلاقه السنّه بالقرآن، أنه يرى عدم جواز نسخ القرآن بالسنّه، لكونه مخالفا للأخبار المتواتره بعرض الأخبار على الكتاب و طرح ما خالفه و الرجوع إلى الكتاب «٢»، إذ كيف يكون القرآن حاكما

على غيره و ميزان له و يكون هو فى نفسه محكوما، و معدّلا بذلك الغير؟

أمّا تفاصيل الأحكام فهى ممّا لا- سبيل إلى تلقّيه من غير بيان النبى (ص) كما أرجعها القرآن إليه فى قوله تعالى: وَ مَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَ مَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا (الحشر / ٧)، و ما فى معناه من الآيات، و كذلك تفاصيل القصص و المعاد مثلا.

و لا يعنى ذلك بحال عدم الاعتناء بالمأثور من السنّه، فإنّ إلقاء نظره سريعه على مجلّدات الميزان العشرين تعطينا صوره واضحه عن عنايه الطباطبائى الكبيره بالمأثور من الروايات إذ اشتملت أجزاءه على مئات البحوث الروائيه التى أعقبت البيانات القرآنيه، و قد ضمت هذه البحوث آلاف الروايات من مختلف المصادر الروائيه لكلا الفريقين.

(١)- الميزان/ ج ٣/ ص ١٠٠، و ج ١٤/ ص ٢٦٠.

(٢)- م. ن/ ج ٤/ ص ٢٨٢.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٤٥٣

ب- دراسته السنّه و المتن:

اشاره

يهتمّ الطباطبائى ابتداء بالأخبار المتواتره، أو المحفوفه بقرائن قطعيه، فهو يعتبرها تامّه الحجيّه و لازمه القبول «١».

إلّا أنّه لا يعتبر صحّه السند دليلا على اعتبار الروايه- إذ ربّما وضع لها الوضّاع سندا صحيحا ليعطوها الاعتبار، أو أنّهم دسّوها فى كتب الأصحاب، كما فضلنا القول فى ذلك فى باب الوضع-، لذا فإنّ البحث عن حال السند يكون من باب التوسل إلى تحصيل القرائن على صحّه المتن «٢».

كما إنّ عدم صحّه الأسانيد لا يوجب طرح الروايات أو ردّها، فإنّ ذلك لا يوجب الطرح ما لم يخالف الأثر العقل، أو يخالف النقل الصريح: أى الكتاب و السنّه القطعيه فتدلّان على منعه. أمّا إذا لم يخالف العقل و لا النقل الصحيح فلا دليل على ردّه، و لا على قبوله «٣».

كما إنّ لا

يعتبر الحجّيه فى روايات الآحاد فى التفسير، خصوصا القصص و التفاصيل المختلفه إلاً ما وافق منها مضامين الآيات «٤». نعم، الأخبار الوارده فى الأحكام الشرعيه الفرديه تختلف عن غيرها، فإنّ لها الحجّيه إذا كانت موثوقه الصدور بالظن النوعى على ما هو مفصل فى علم الاصول «٥».

و نتيجة لأن أكثر الأخبار فى التفسير مرسله و فيها الكثير من الضعيف و الموضوع، حتّى قال أحمد: ثلاثه كتب لا أصل لها: المغازى و الملاحم و التفسير، و قيل أنّ مراده:

(١)- م. ن/ ج ١٢/ ص ٣٥١.

(٢)- م. ن/ ج ١٠/ ص ٢١٣.

(٣)- م. ن/ ج ١/ ص ٢٨٨.

(٤)- م. ن/ ص ٢٤١.

(٥)- م. ن/ ج ١٤/ ص ٢٠٤، و القرآن فى الاسلام/ ص ٩٣.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٤٥٤

أنّه ليس لها أسانيد صحاح متصله ... و قال السيوطى: الذى صحّ من ذلك قليل جدّا، بل أصل المرفوع منه فى غايه القلّه ... «١».

لذا فإنّ الطبائى لم يهتم غالبا بدراسه السند، إلاً ما كان فى السند من دلالات واضحه على صحّه الحديث أو ضعفه، فهو يشترط قبل أى شىء فى قبول الأخبار عدم مخالفتها للكتاب، فهو الميزان الدينى المضروب لتمييز الحق من الباطل و الصدق من الكذب، و على ذلك أخبار متواتره عن النبى (ص) و الأئمه من أهل بيته (ع) «٢»، و هى الأمره بعرض الأخبار على الكتاب و طرح ما خالفه و الرجوع إلى الكتاب «٣».

و طريقته فى مراجعه النص الروائى تتضمن الخطوات التاليه:

١- ملاحظه عدم معارضه الروايه لمضمون الآيات، بل ربّما كانت الآيات تؤيد ما ورد فى الروايات، كما فى قوله تعالى: وَ لَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ

قَبِيلٌ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحُيَّهِ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا (طه/ ١١٤)، قال: «و هذه الآية مما يؤيد ما ورد من الروايات أن للقرآن نزولا دفعه واحده غير نزوله نجوما على النبي (ص)» «٤».

و هو يردّ الروايات إذا كانت مخالفة للقرآن، كما في موضوع: رؤيه الله، و هو يستعين بقول أبي الحسن الرضا (ع) عند ما ردّ هذه الروايات إذ يقول له أبو قره: فتكذب الروايات؟ فقال أبو الحسن (ع): إذا كانت الروايات مخالفة للقرآن كذبتها، و ما أجمع المسلمون عليه أنه لا يحاط به علم و لا تدركه الأبصار و ليس كمثلته شىء.

كما إنه يردّ الروايات إذا كانت تعارض أصلا دينيا مسلما عليه، فبعد ما ذكر ما روى في «الدر المنثور» عن ابن أبي حاتم عن الس_____دى في ق_____وله تع_____الى: وَلَا _____تَعْجَلْ

(١) - الإيقان/ ج ٢ / ص ١٢٠٥.

(٢) - الميزان/ ج ١ / ص ٢٤١.

(٣) - م. ن/ ج ٤ / ص ٢٨٢.

(٤) - م. ن/ ج ١٤ / ص ٢١٤.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٤٥٥

بِالْقُرْآنِ، أَنْ رَسُولَ اللَّهِ (ص) كَانَ إِذَا نَزَلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ بَادِرَ بِقِرَاءَتِهِ قَبْلَ تَمَامِ نَزُولِ الْآيَةِ خَوْفًا مِنَ النِّسْيَانِ، عَقَّبَ قَائِلًا: «و أنت تعلم أن نسيان الوحي لا يلائم عصمه النبوه» «١».

كما إنه يهتم بموافقه الروايه للسياق القرآنى و يعتبر مخالفة الروايه للسياق دليلا لردّها أو التوقف فيها بحسب حجم المخالفة و نوعها، من ذلك أنه روى عن الدر المنثور ... عن رسول الله (ص) أنه قال: إذا أخذتم الساحر فاقتلوه. ثم قرأ: وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى قَالَ: لَا يَأْمَنُ حَيْثُ وَجَدَ.

و عقب عليها بقوله: «و فى انطباق المعنى المذكور فى الحديث على الآية

بما لها من السياق خفاء» (٢).

و فى تعقيبه على الروايات الواردة فى قوله تعالى: أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا (مريم / ٧٧) قال: «وقد تقدّم أنّ الروايات لا تنطبق على سياق الآيات ...» (٣).

و هو لا يهمل سند الحديث، خصوصا إذا أفاد فى تقييمه، فهو مثلا بعد ما نقل روايه و شكك بمتنها فإنه استعان بمراجعه حال السند ليتم حجيته فى ردّها، لذا قال: «...»

و نقل عن الحافظ ابن حجر أنّ الحديث لا أصل له و لم يوجد فى شىء من كتب الحديث لا مسند و لا غير مسند» (٤).

و كذلك بعد ما روى روايه عن القمى فى ذيل تفسيره لقوله تعالى: وَ أَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ (طه / ٨٥)، قال: «ظاهر هذا الذى نقلناه أنّ قوله (و السبب فى ذلك) الخ،

(١) - م. ن / ص ٢١٦.

(٢) - م. ن / ج ١٤ / ص ١٨٤.

(٣) - م. ن / ص ١٠٤.

(٤) - م. ن / ص ٣٣٦.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٤٥٦

ليس ذيلًا للروايه التى فى أول الكلام ... بل هو من كلام القمى اقتبسه من أخبار آخرين كما هو دأبه فى أغلب ما أورده فى تفسيره من أسباب نزول الآيات، و على ذلك شواهد من خلال القصه التى ذكرها ...».

ثمّ أضاف: «ثمّ على تقدير كونه روايه و تتمه للروايه السابقه هى روايه مرسله مضمرة» (١).

و هو بذلك يريد إضعاف سند الروايه خصوصا عند من يعتقد بصحّه أسناد و تفسير القمى.

موقفه من أخبار الصحابه و التابعين:

تضمّن تفسير «الميزان» آلاف الروايات المرويه عن الصحابه و التابعين و رجع فى ذلك إلى اتهامات التفسير بالمأثور كجامع البيان للطبرى و الكشاف و الدر المنثور للسيوطى و غيرها، و

قد رجع إلى الأخير في أكثر من ثمانمائة مورد، و هو يستفيد من هذه المرويات في توضيح الآيات و تطبيقاتها، جاريا على سنّه من سبقه من المفسّرين الشيعة، كالطوسي في تبيانه و الطبرسي في مجمع البيان، فالصحابه كانوا معاصرين لنزول الآيات و هم أقرب إلى فهم اللغه و قد نزلت بلغتهم، و الأمثله على ذلك في الميزان كثيره.

إلما أنّه في نفس الوقت لا- يعتقد حجّيه المروى عن الصحابه و التابعين، لأنّ الله تعالى لم يجعل حجّيه في أقوالهم «٢» و هو يرّد من يوجب على المفسّر أن لا يخرج عن قول الصحابه و أن يختار قول أحدهم و لا يخترق إجماعهم ... يرّد هذا بأن ما ورد عنهم من النقل، مع قطع النظر عن طرقة، لا يخلو من الاختلاف فيما بين الصحابه

(١)- م. ن / ص ٢٠٢.

(٢)- م. ن / ج ١ / ص ٩.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٤٥٧

أنفسهم، بل الاختلاف فيما نقل عن الواحد منهم، و هم أنفسهم لم يلتزموا هذا المنهج و لم يبالوا بالاختلاف فيما بينهم و لم يختصوا بحجّيه قولهم على غيرهم، و لا بتحريم الخلاف على غيرهم من دونهم «١» «٢».

و لذلك فإنّ الطباطبائي لم يتردد في إعلانه عن هذا المبدأ، فنجده يعقّب على روايه منسوبه لابن عباس: «و أمّا انتساب القول إلى ابن عباس فعلى تقدير ثبوته لا حجّيه فيه» «٣».

و ليس هذا الأمر بمستغرب مع كثره الوضع و ضعف الاسناد و الاجتهاد الشخصى للصحابه، حيث أنّ أكثر مروياتهم من الموقوف فيه النقل عن النبيّ (ص)، لذلك فإنّ الطباطبائي يتعامل مع المرويات عنهم، بنفس المعيار الذى تعامل فيه مع المروى عن النبيّ (ص) و أهل

بيته (ع) من حيث عدم مخالفته للقرآن و موافقته للسياق ... و غير ذلك من المعايير التي التزم بها في مراجعته النص في التفسير.

ج- موقفه من الإسرائيليات:

أبدى الطباطبائي و من بدايه تفسيره تحسّسا واعيا تجاه تسلل الإسرائيليات في التفسير، حيث أشار إلى دخول الروايات الإسرائيليه في عصر التابعين، خصوصا في القصص و المعارف الراجعه إلى الخلقه كابتداء السماوات و تكوين الأرض ... و عثرات الأنبياء و تحريف الكتاب (عندهم) «٤».

و اعتبر الطباطبائي أخذ الصحابه عن علماء أهل الكتاب الذين دخلوا في الاسلام

(١)- م. ن/ ج ٣/ ص ٩٩.

(٢)- راجع للتفصيل حول الآراء المختلفه في الموضوع: بحثنا عن الصحابه في الفصل الثاني من هذا الكتاب.

(٣)- م. ن/ ج ١٣/ ص ١٤٢.

(٤)- م. ن/ ج ١/ ص ٨.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٤٥٨

كوهب بن منبه و كعب الأحبار و معامله رواياتهم معامله الأخبار المرفوعه عن النبي (ص) ... اعتبر ذلك بلوى «١»، و ذلك لآثاره الخطيره على الفكر الاسلامي.

و أرجع الطباطبائي أخذ المسلمين بالاسرائيليات إلى بحثهم عن تفاصيل لما ورد في القرآن من قصص و أخبار، خصوصا أنّ القرآن يقتصر عادة في هذه القصص على نكاتها المهمه المتعلقة بالهدايه و الاعتبار لا السرد التاريخي، فالقرآن كتاب هدى لا كتاب تاريخ «٢».

و هكذا نجد الطباطبائي يردّ الروايات الإسرائيليه، خصوصا تلك التي تتعارض مع النص القرآني أو اصول العقيدته أو لا يحتملها العقل، و هو يلاحق هذه الروايات و يشخصها أينما وجدت، و لا يعني ذلك بحال رفضه كل ما روى في هذا الباب إذا لم يكن مخالفا للقرآن و للشرائط المعبره في تفسيره.

ففي معرض حديثه عن الروايات في قصّه ذي القرنين

يعقّب بقوله: «و اعلم أنّ الروايات المرويّه من طرق الشيعة و أهل السنّه عن النبي (ص) و من طرق الشيعة عن أئمه أهل البيت (ع) و كذا الأقوال المنقوله عن الصحابه و التابعين و يعامل معها أهل السنّه معاملة الأحاديث الموقوفه في قصّه ذى القرنين، مختلفه اختلافا عجيبيّا متعارضه متهافته في جميع خصوصيات القصّيه و كافّه أطرافها، و هي مع ذلك مشتمله على غرائب يستوحش منها الذوق السليم أو يحيلها العقل و ينكرها الوجود، لا يرتاب الباحث الناقد إذا قاس بعضها إلى بعض و تدبّر فيها أنّها غير سليمه عن الدسّ و الوضع و مبالغات عجيبيه في وصف القصّه، و أغربها ما روى عن علماء اليهود الذين أسلموا كوهب بن منبه و كعب الأحبار أو ما تشعر القرائن أنّه مأخوذ منهم، فلا يجدينا و الحال هذه نقلها بالاستقصاء على كثرتها و طولها، و إنّما نشأنا بعض الأشجاره إلى وجوه

(١)- م. ن. ج ١٣ / ص ٢١٨.

(٢)- م. ن.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٤٥٩

اختلافها، و تقتصر على نقل ما يسلم عن الاختلاف في الجملة» (١).

و لم يكتف الطباطبائي بمناقشه الروايات بذاتها فحسب، بل راح يتابع هذه الروايات في اصولها الإسرائيليه: التوراه و الإنجيل، ففي تعقيبه على الروايات الوارده في قصّه النبيّ داود و تزوجه امرأه أوريا، قال: «و القصّه مأخوذه من التوراه غير أنّ التي فيها أشنع و أفضع فعّدلت بعض التعديل على ما سيلوح لك»، ثمّ ذكر ملخص ما ورد في التوراه ليقارنها بالروايات (٢).

و كان موقفه هذا من سائر ما روى في مطاعن الأنبياء (ع) و عثراتهم، إذ يصرّ الطباطبائي على عصمه الأنبياء و نزاهتهم منها، فها

هو

يعقب على الروايات الواردة في قصه هاروت و ماروت فيقول: «فهذه القصة كالتى قبلها المذكوره فى الروايه السابقه تطابق ما عند اليهود على ما قيل من قصه هاروت و ماروت، تلك القصة الخرافيه التى تشبه خرافات يونان فى الكواكب و النجوم.

و من هاهنا يظهر للباحث المتأمل: أنّ هذه الأحاديث كغيرها الواردة فى مطاعن الأنبياء و عثراتهم لا تخلو من دسّ دسّته اليهود فيها، و تكشف عن تسربهم الدقيق و نفوذهم العميق بين أصحاب الحديث فى الصدر الأوّل، فقد لعبوا فى رواياتهم بكل ما شاءوا من الدسّ و الخلط و أعانهم على ذلك قوم آخرون» (٣).

و لكّنه- و رغم كثره المروى من الإسرائيليات و خطورته- يعتقد أنّ القرآن يدفع الباطل عن ساحته، و لا سبيل إلى التخلّص من هذه المرويّات المدسوسه و آثارها المخربه إلّا بالاعتصام بكتاب الله و عرض الأخبار عليه و طرح ما خالف الكتاب منها، فهو يقول: «لكنّ الله عزّ و جلّ جعل كتابه فى محفظه إلهيه من هوسات المتهوّسين من

(١)- م. ن / ص ٣٦.

(٢)- م. ن / ج ١٧ / ص ٦٨.

(٣)- م. ن / ج ١ / ص ٢٣٧.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٤٦٠

أعدائه كلّما استرق السمع شيطان من شياطينهم أتبعه بشهاب مبین، فقال عزّ من قائل: إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (الحجر / ٩) ...

فما من خلط أو دسّ إلّا و يدفعه القرآن و يظهر خساره صاحبه بالكشف عن حاله و اقراء صفحه تاريخه ...» (١).

و لذا يمكن القول بأنّ موقف الطبائى و تعامله مع الإسرائيليات قد جعل تفسيره فى منأى عن تأثيرها و كانت طريقه معالجته لها أنّه استفاد من مروياتها التى تتوافق

مع الكتاب ورفض الكثير منها ممّا يتعارض معه فكان تفسيره نموذجاً رائعاً في هذا المجال أيضاً، كما هو في المجالات الأخرى.

د- التأويل و الباطن:

يرى الطباطبائي - ووفقاً لمعظم المفسرين المسلمين - بوجود معنى باطن للآيات، تكشف عنه ظواهر الآيات نفسها، إذ الظاهر عنوان الباطن وطريقه، إلّا أنّه شدّد على أن لا يكون هذا الباطن مناقضاً لمعطيات ظواهر الكتاب نفسه وحقائق الشريعة، و أن يكون هذا الباطن ممّا تكشف عنه ظواهر الآيات، و هو يكون في طول المعنى الظاهر لا في عرضه فلا تزاحم بينهما «٢».

و مع كل هذا فإنّ ظاهر النص القرآني مقدّم على ما سواه و يتمسك به أولاً؛ فلا دليل على أنّه يقصد من كلمات القرآن غير المعاني التي ندرکها من ألفاظه وجملة «٣»، و لذا فهو ينتقد بشدّه تفسيرات الباطنية و تأويلات الصوفية الذين يعتقدون أنّ الباطن هو المقصود و أنّ الباطنيات لا ينالها فهم أهل الظاهر «٤».

(١) - م. ن.

(٢) - القرآن في الإسلام / ص ٤١.

(٣) - م. ن / ص ٢٤.

(٤) - الميزان / ج ٦ / ص ٢٨٧، و انظر: ج ١ / مقدمه المفسر.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٤٦١

لذا كان منهج المفسر في ميزانه، هو الابتداء بتحصيل بيان القرآن و تفسيره من خلال نفس الآيات القرآنية و سياقها العام و الآيات المشتركة في المعنى بالرجوع إلى معاني الألفاظ و استعمالها في مواضع أخرى من القرآن، و ذلك كلّه للوصول إلى تفسير يدل عليه ظاهر القرآن و يبيّنه بيانه.

و إذ تحصل لدى المفسر البيان القرآني واضحاً و صريحاً و قائماً بذاته، فإنّه ربّما يستمر في البحث ليصل إلى مراتب متقدّمة أو أفهام عالية للآيات، و يتوسّع في المطالب

لتشمل مساحه أوسع من الفكر و الحياه، و تلك الطريقه هي التي تغنى البحث بما تستفيده من القرآن، و هي التي تمكننا من استنباط و استفاده أحكام و آراء و نظريات قرآنيه عاليه المقاصد و ساميه الأهداف لنستير بها في حياتنا الفرديه و الاجتماعيه، و ليس ذلك ببدع و لا جديد بذاته، فقد روى عن ابن مسعود: «من أراد علم الأولين و الآخرين فليثور القرآن»، قال ابن الأثير في شرحه: أي لينقر عنه و يفكر في معانيه و تفسيره و قراءته، كما ورد عن أبي الدرداء قوله: لا يفقه الرجل كل الفقه حتى يجعل للقرآن وجوها «١».

و على أي حال، فإن أحد إبداعات الطبائبي التي تميز بها في تفسيره، هو بحوثه القرآنيه الرائعه التي استقاها و استفادها من القرآن الكريم، و التي انطلق فيها من البيانات اللفظيه القرآنيه، و التي كان يراها أنها: أمثال للمعارف الحقه الإلهيه، التي يجب أن لا تقف الأفهام عندها دون الاتساع و الانتشار منها و عنها، فهي أمثال للتأمل و التدبر، و قد قال جل شأنه: وَ تِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (الحشر / ٢١).

فإلى القرآن يجب أن ينتهي كل نظر ديني، كيف لا و القرآن (ظاهره أنيق و باطنه عميق، لا تحصى عجائبه و لا تنقضى غرائبه و لا تكشف الظلمات إلا بضوءه)، كما روى عن

(١) - الإتيان / ج ٢ / ص ١٢٢١.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٤٦٢

الإمام علي (ع) «١».

و قد كان من نتاج هذا الفهم الصائب و الذهن المنفتح على القرآن، أن أغنانا الطبائبي بعشرات البحوث القرآنيه المتوزعه على أجزاء تفسيره و الشامله لجميع مراحل حياه الانسان، في نشوئه و ارتقائه من عالم

الخلق و التكوين، ثم سيره و أسباب تكامله و سعادته في هذه الحياه الدنيا حتى استقراره في عالم الخلود.

و قد أعطانا الطباطبائي بذلك دليلاً بيناً و تاماً على إعجاز القرآن الكريم و عظمته و جلاله و جماله، و الذي يتجلى بأروع صورته في ما اشتمل عليه القرآن من معارف حقيقه و أخلاق فاضله و أحكام تشريعيه و أخبار غيبه و غيرها، فالقرآن آيه للبليغ في بلاغته و فصاحته، و للحكيم في حكمته، و للعالم في علمه، و للاجتماعي في اجتماعه، و للمقننين في تقنينهم، و للسياسيين في سياستهم، و للحكام في حكومتهم، و لجميع العالمين فيما لا ينالونه جميعاً كالغيب و الاختلاف في الحكم و العلم و البيان، فهو معجزه لكل فرد بما أتى به من معارف إلهيه مبرهنه، و أخلاق حقه في الصفاء و الفضيله و أحكام فقهيه تامه، و أخبار غيبه ماضيه و مستقبله، و كلها قائمه على أساس من التوحيد و الطهر و حفظ كلمه التقوى «٢».

و هكذا كان «الميزان» فإننا كلما ألقينا عليه نظره بعد اخرى، كلما وجدنا فيه مطالب جديده و بحوثاً إضافيه مما جعله بحق موسوعه قرآنيه شامله لا نظير لها في سائر ما بين أيدينا من كتب و تفاسير، فكان للطالب غايه و للمستزيد زياده، دوحه للعلماء و سياحه للادباء.

هـ- الجري و التطبيق:

تقدم أن العلامة الطباطبائي كان يؤكد أن ما جاء في القرآن من آيات و ما فيها من

(١)- الميزان/ ج ٣/ ص ٩٥.

(٢)- م. ن/ ج ١/ ص ٦٢.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٤٦٣

حكم و عبر لا تختص بزمان دون زمان، و لا مكان دون غيره، فإن شأن النزول و موارد لا

يحدد الآيات و يختصها به لأنّ «القرآن اتّسعا من حيث انطباقه على المصاديق و بيان حالها، فالآيه منه لا تختصّ بمورد نزولها بل تجرى في كل مورد يتحد مع مورد النزول ملاكا كالأمثال لا تختص بموردها الأوّل، بل تتعداها إلى ما يناسبها» (١).

و قد سمّى الطباطبائي هذا المعنى بجرى القرآن، و هو اصطلاح مأخوذ من قول أئمه أهل البيت (ع)، كما ورد في الحديث عن الباقر (ع) إذ سأله الفضيل بن يسار عن هذه الروايه: ما في القرآن آيه إلّا و لها ظهر و بطن، و ما فيها من حرف إلّا و له حد، و لكل حد مطلع، ما يعنى بقوله: ظهر و بطن؟ قال: «ظهره تنزيله و بطنه تأويله، منه ما مضى، و منه ما لم يكن بعد، يجرى كما يجرى الشمس و القمر، كلّما جاء منه شيء وقع» (٢).

فالآيه لا- تتحدّد بمورد نزولها، و إنّما هي كالأمثال تنطبق على ما يشابهها من موارد، قال الطباطبائي: «و في هذا المعنى روايات اخر، و هذه سليقه أئمه أهل البيت، فإنّهم (ع) يطبقون الآيه من القرآن على ما يقبل أن ينطبق عليه من الموارد و إن كان خارجا عن مورد النزول، و الاعتبار يساعده، فإنّ القرآن نزل هدى للعالمين يهديهم إلى واجب الاعتقاد و واجب الخلق و واجب العمل، و ما بينه من المعارف النظرية حقائق لا تختصّ بحال دون حال و لا زمان دون زمان، و ما ذكره من فضيله أو رذيله أو شرّعه من حكم عملي لا يتقيد بفرد دون فرد و لا عصر دون عصر لعموم التشريع» (٣).

و أكّد الطباطبائي مرّه اخرى أنّ شأن النزول لا يوجب قصر الحكم على الواقعه لينقضى الحكم

بانقضائها و يموت بموتها؛ لأنّ البيان عام و التعليل مطلق، و كان من أبرز مصاديق ذلك ما ورد في القرآن من مدح أو ذم في حق أفراد معينين، فإنّ هذا المدح أو الذم معلل بوجود صفات فيهم، و لا يمكن قصرها على شخص مورد النزول،

(١)- الميزان/ ج ٣/ ص ٧٨.

(٢)- الروايه من تفسير العياشى.

(٣)- الميزان/ ج ١/ ص ٤٤.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٤٦٤

مع وجود تلك الصفات في قوم آخرين بعدهم.

و كان أبرز أمثله الطباطبائى للجري و التطبيق: الروايات في تطبيق الآيات القرآنيه على أهل البيت (ع)، أو على أعدائهم، و سمّاها بروايات الجري و قال: «روايات الجري كثيره في الأبواب المختلفه، و ربّما تبلغ المئين، و نحن بعد هذا التنبيه العام نترك إيراد أكثرها في الأبحاث الروائيه لخروجها عن الغرض في الكتاب، إلّا ما تعلق بها غرض في البحث، فليترك» (١).

و ما ينبغي ذكره هنا، أنّ الطباطبائى ميّز ما بين التفسير و هو ما يتعلّق ببيان الآيات و شرح معانيها، و بين التأويل و ما ورد من الروايات في الجري و التطبيق، و التي عدّها من روايات البطن، في الوقت الذي نجد فيه بعض المحاولات التفسيريه السابقه قد اقتصرت في تفسيرها للآيات على روايات الجري و التطبيق التي أوردتها بعنوان تفسير الآيات لا تأويلها.

و بهذا التمييز فقد قسّم الطباطبائى البحث هنا إلى مستويين، بل لنقل موضوعين مختلفين؛ بين تفسير القرآن العام، و بين موارد التطبيق و عدّ المصاديق التي يمكن أن تتّسع و تضيق و تقلّ و تكثر بحسب انطباق مفاهيم هذه الآيات على تلك المصاديق، و هذا- ممّا لا شكّ فيه- سيساعد كثيرا في توسيع مساحه

الاشتراك و التفاهم بين المفسرين من عموم المذاهب الذين ستكون لديهم مساحه واسعه من اللقاء فى تفسير القرآن و تدبر معانيه و الاستهداء بهديه و الاستناره بأنواره.

و من المفيد هنا أن نذكر بعض الأمثله للروايات التى عدّها الطباطبائى من الجرى و التطبيق علما بأنّ الطباطبائى أورد هذه الروايات فى البحث الروائى الذى يأتى به مستقلاً بعد فراغه من تفسير الآيات تحت عنوان (بيان) وفقاً لمنهجه فى تفسير القرآن بالقرآن:

(١)- م. ن / ج ١ / ص ٤٥.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٤٦٥

١- تفسير القمى، بإسناده عن زراره، عن أبى جعفر (ع) فى قوله: فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (الأنبياء / ٧) من المعنىون بذلك؟ قال: نحن، قلت: فأنتم المسئولون؟ قال: نعم، قلت: و نحن السائلون؟ قال: نعم، قلت: فعلينا أن نسألكم؟

قال: نعم، قلت: فعليكم أن تجيبونا؟ قال: لا، ذاك إلينا إن شئنا فعلنا، و إن شئنا تركنا، ثم قال (ع): هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب.

فقد عقب الطباطبائى على الروايه بقوله: «و روى هذا المعنى الطبرسى فى مجمع البيان عن على و أبى جعفر، قال: و يؤيده أن الله تعالى سمى النبى (ص) ذكراً رسولا.

و هو من الجرى ضروره أن الآيه ليست بخاصه و الذكر إمّا القرآن أو مطلق الكتب السماويه أو المعارف الإلهيه، و هم على أى حال أهله، و ليس بتفسير للآيه بحسب مورد النزول، إذ لا- معنى لارجاع المشركين إلى أهل الرسول أو أهل القرآن و هم خصماؤهم، و لو قبلوا منهم لقبوا من النبى (ص) نفسه» (١).

٢- و روى عن تفسير العياشى، عن يزيد الكنانى، عن أبى جعفر (ع) فى قوله تعالى: يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ

الآية، قال: يقول: ما ذا أجبتم في أوصيائكم الذين خلفتم على امتكم؟ قال: فيقولون لا علم لنا بما فعلوا من بعدنا.

و عقب عليها الطباطبائي بقوله: و رواه القمي في تفسيره عن محمد بن مسلم عنه (ع).

و في الكافي عن زيد عن أبي عبد الله (ع) ما في معناه، و هو من الجري أو من قبيل الباطن «٢».

و قد تردّ هنا بين الجري أو الباطن، لأنّ الطباطبائي و إن كان يعتبر بطن القرآن مثل الجري أحيانا «٣»، إلّا أنّ في الجري تكون الآيات _____ به بمعنى _____ ام و تجرى في أمثاله _____، و في

(١) - م. ن / ج ١٤ / ص ٢٥٧.

(٢) - م. ن / ج ٤ / ص ٢١٧.

(٣) - القرآن في الإسلام / ص ٥٢.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٤٦٦

الباطن يكون للآية معنى ظاهر تام، و تحمل على معان باطنية موازية لهذا المعنى، إذ يؤخذ الظاهر فيه مأخذ الرمز و الاشارة.

فقد ذكر الطباطبائي روايه الدر المنثور فيما أخرجه ابن مردويه عن ابن عباس في قوله: مَرَجَ الْبُحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ قال: عليّ و فاطمه، بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ قال:

النبيّ (ص)، يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللَّوْؤُ وَ الْمَرْجَانُ قال: الحسن و الحسين.

و عقب عليها بقوله: «و رواه أيضا عن ابن مردويه عن أنس بن مالك مثله، و رواه في مجمع البيان عن سلمان الفارسي و سعيد بن جبير و سفيان الثوري، و هو من البطن» «١». و وصفه بالبطن لأنه فسّر الروايه بمعناها اللغوي، و ليس في الآية مفهوم يجري على غير موردها، و ما في الروايه يشير إلى أنّ ما في الآية إشاره و تعبير رمزي عن هذه الأسماء المباركه.

ختاما: كان الميزان بحق تاج التفاسير و من أروعها و

أغناها إن لم يكن الأحسن و الأفضل على الإطلاق، و قد جاء بأساليب و مناهج متكامله و متناسقه فى التفسير، كان فيها قريبا من آيات الله، متحديسا لمعانيها البديعه و متلمسا لآثارها الكبيره فى الحياه، و متابعا لها فى الأنفس و الآفاق، فمثل بذلك نماء التفسير و ازدهاره، و بذكره الطيب نختتم بحثنا هذا.

و آخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

(١) - الميزان / ج ١٩ / ص ١٠٨.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٤٦٧

فهرست المراجع و المصادر

أولا: القرآن الكريم.

ثانيا: المصادر الاخرى:

١- ابن تيميه حياته عقائده: صائب عبد الحميد، ط ١. مركز الغدير، قم.

٢- اتجاهات التفسير فى القرن الرابع عشر: د. فهد الرومى، ط ١. الرياض (١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦ هـ).

٣- التجديد و الاجتهاد فى الاسلام: الشهيد مرتضى المطهري، ط ١. مؤسسه البلاغ، طهران (١٤١٩ هـ).

٤- الإتقان فى علوم القرآن: جلال الدين السيوطى (ت: ٨٤٩ هـ)، تحقيق: د.

مصطفى ديب البغا، ط ٣. دار ابن كثير، دمشق (١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م).

٥- إجماعيات فقه الشيعة و أحوط الأقوال من أحكام الشريعة: السيد إسماعيل الحسينى المرعشى، ط ١. مؤسسه المنار، قم (١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م).

٦- أجوبه مسائل جار الله: السيد عبد الحسين شرف الدين، ط ٢. الفقيه، قم (١٣٧٣ هـ ش).

٧- أحاديث أم المؤمنين عائشه: السيد مرتضى العسكري، ط ١. المجمع العلمى الاسلامى، طهران (١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م).

٨- الإحكام فى أصول الأحكام: على بن محمد الأمدى (ت: ٦٣١ هـ)، تحقيق: د.

سيد الجميلى، ط ٢. دار الكتاب العربى، بيروت (١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م).

٩- الأخبار الدخيله: الشيخ محمد تقى التستري، تحقيق: على أكبر الغفارى، ط ١. مكتبه الصدوق، طهران (١٣٦٥ هـ ق).

اختيار معرفه الرجال المعروف برجال الكشي: الكشي - الطوسي، تحقيق السيد مهدي الرجائي، ط. مؤسسه آل البيت (ع)، قم (١٤٠٤ م).

١١- أسباب النزول: أبو الحسن علي بن أحمد الواحدى النيسابورى (ت):

٤٦٨ هـ، ط ١. دار الكتب العلميه، بيروت (١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م).

١٢- الإسرائيليات فى التفسير و الحديث: د. محمد حسين الذهبى، ط ٢. دار الايمان، دمشق (١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م).

١٣- الشيخ الطوسى مفسراً: د. خضير جعفر، ط ١. مركز النشر التابع لمكتب الإعلام الإسلامى، قم (١٤٢٠ هـ).

١٤- الإسرائيليات و أثرها فى كتب التفسير: د. رمزى نعاغه، ط ١. دار العلم، دمشق (١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠ م).

١٥- أصل الشيعة و أصولها: محمد الحسين كاشف الغطاء، ط. المطبعه العربيه، القاهره.

١٦- أصول التفسير و قواعده: الشيخ خالد عبد الرحمن العك، ط ٣. دار النفائس، بيروت (١٤١٤ هـ).

١٧- أصول الحديث و أحكامه فى علم الدرايه: جعفر السبحانى، ط ٢. مؤسسه الإمام الصادق (ع)، قم (١٤١٤ هـ).

١٨- أصول علم الرجال: الشيخ مسلم الداورى، ط ١. نمونه، قم (١٤١٦ هـ).

١٩- الأصول من الكافى: ثقه الاسلام أبو جعفر محمد بن يعقوب الكلينى (ت: ٣٢٨ - ٣٢٩ هـ). تحقيق: على أكبر الغفارى، ط ٣. دار الكتب الاسلاميه، طهران (١٣٨٨ هـ).

٢٠- أضواء على السنّه المحمديه: محمود أبو ريه، ط ٥. نشر البطحاء.

٢١- أطيب البيان فى تفسير القرآن: السيد عبد الحسين الطيب، ط. ٣، انتشارات اسلام، طهران.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٤٦٩

٢٢- أعيان الشيعة: السيد محسن الأمين، تحقيق: السيد حسن الأمين، ط ٥. دار التعارف، بيروت (١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م).

٢٣- آلاء الرحمن فى تفسير القرآن: محمد جواد البلاغى، ط ٢. مكتبه الوجدانى، قم.

٢٤- الإمام الصادق و المذاهب الأربعة: أسد حيدر، ط ٢. دار الكتاب

العربي، بيروت ١٣٩٢ هـ.

٢٥- أوائل المقالات في المذاهب و المختارات: الشيخ المفيد (ت: ٤١٣ هـ)، تحقيق:

شيخ الاسلام الزنجاني، ط. مكتبه الداوري، قم.

٢٦- الباحث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث: الحافظ ابن كثير (ت: ٧٧٤ هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط ٤. دار الكتب العلميه، بيروت (١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م).

٢٧- بحار الأنوار الجامعه لدرر أخبار الأئمه الأطهار: محمد باقر المجلسي، ط ٣.

دار إحياء التراث العربي، بيروت (١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م).

٢٨- البحر المحيط في التفسير: محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي (ت:

٧٥٤ هـ)، تحقيق: صدقي محمد جميل، ط. دار الفكر، بيروت (١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م).

٢٩- بحوث في الملل و النحل: الشيخ جعفر السبحاني / ط. مؤسسه الصادق (ع) / قم (١٤١٦ هـ).

٣٠- بحوث في تاريخ السنه المشرفه: أكرم ضياء العمري، ط ٢. مطبعه الإرشاد، بغداد (١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م).

٣١- بحوث في علم الرجال: محمد آصف المحسني، ط ٢. مطبعه سيّد الشهداء (ع)، قم (١٤٠٣ هـ).

٣٢- البرهان في تفسير القرآن: السيّد هاشم البحراني، تحقيق: قسم الدراسات الاسلاميه، مؤسسه البعثه، طهران (١٤١٥ هـ).

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٤٧٠

٣٣- البرهان في علوم القرآن: بدر الدين محمد الزركشي (ت: ٧٩٤ هـ)، تحقيق:

محمد أبو الفضل إبراهيم، ط ٢. دار المعرفه، بيروت (١٣٩١ هـ - ١٩٧٢ م).

٣٤- البيان في تفسير القرآن: السيّد أبو القاسم الخوئي، ط ٨. أنوار الهدى، قم (١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م).

٣٥- تاريخ آداب العرب: مصطفى صادق الرافعي، ط ٢. دار الكتاب العربي، بيروت (١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م).

٣٦- تاريخ الإماميه و أسلافهم من الشيعة: د. عبد الله الفياض، ط ٢. مؤسسه الأعلمي، بيروت (١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م).

٣٧- تأسيس الشيعة لعلوم الاسلام: السيد حسن الصدر، ط. الأعلمي، طهران.

في العترة الطاهرة: السيد شرف الدين علي الحسيني الاسترآبادي (القرن العاشر)، تحقيق: مؤسسسه الإمام المهدي (عج)، ط ١. مؤسسسه الإمام المهدي (عج)، قم (١٤٠٧ هـ).

٣٩- التبصير في الدين: أبو المظفر الأسفراييني (ت: ٤٧١ هـ)، تحقيق: كمال يوسف الحوت، ط ١. عالم الكتب، بيروت (١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م).

٤٠- التبيان في تفسير القرآن: أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت: ٤٦٠ هـ)، ط. دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٤١- التحرير و التنوير: محمد الطاهر بن عاشور (ت: ١٣٩٣ هـ)، ط ٢. الدار التونسية، تونس.

٤٢- تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي: جلال الدين السيوطي (ت: ٨٤٩ هـ)، تحقيق الشيخ عرفان العشا حسونه، ط. دار الفكر، بيروت (١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م).

٤٣- تدوين السنه الشريفه: السيد محمد رضا الحسيني الجاللي، ط ١. مكتب الاعلام الاسلامي، قم (١٤١٣ هـ).

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٤٧١

٤٤- التسهيل لعلوم التنزيل: محمد بن أحمد بن جزي الكلبي، ط ٤. دار الكتاب العربي، بيروت (١٤٠٣ هـ).

٤٥- التشيع نشأته معالمه: السيد هاشم الموسوي، ط ٢. مركز الغدير للدراسات الاسلاميه، قم (١٤١٧ هـ - ١٩٧٧ م).

٤٦- التشيع نشوؤه مراحلهم مقوماته: السيد عبد الله الغريفي، ط ٦. المطبعه العلميه، قم (١٤١٧ هـ).

٤٧- تصحيح الاعتقاد: الشيخ المفيد.

٤٨- تفسير الخازن: علاء الدين علي بن محمد البغدادي (ت: ٢٧٥ هـ)، ط ١.

دار الكتب العلميه، بيروت (١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م).

٤٩- تفسير الصافي: المولى محسن الفيض الكاشاني (ت: ١٠٩١ هـ)، تحقيق:

الشيخ حسين الأعلمي، ط. مؤسسسه الأعلمي، بيروت (١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م).

٥٠- تفسير العياشي: محمد بن مسعود بن عياش السلمى السمرقندي (أواخر القرن الثالث)، تحقيق: السيد هاشم الرسولى

المحلّاتى، ط ١. مؤسسسه الأعلمي، بيروت (١٤١١ هـ - ١٩٩١ م).

٥١- تفسير القرآن العظيم: ابن كثير

(ت ٧٧٤ هـ)، ط. دار الأندلس، بيروت.

٥٢- تفسير القرآن الكريم (تفسير المنار): محمّد رشيد رضا، ط ٢. دار المعرفة، بيروت.

٥٣- تفسير القرآن بالقرآن عند العلّامة الطباطبائي: د. خضير جعفر، ط ١. دار القرآن الكريم، قم (١٤١١ هـ).

٥٤- تفسير القمي: أبو الحسن عليّ بن إبراهيم القمي (القرن الثالث)، ط ١.

مؤسسه الأعلمي، بيروت (١٤١٢ هـ - ١٩٩١ م).

٥٥- التفسير بالرأى: د. سيّد جعفر شهيدى، ط. جامعه مشهد، مشهد.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٤٧٢

٥٦- تفسير فرات الكوفى: فرات بن إبراهيم بن فرات الكوفى، تحقيق: محمّد الكاظم، ط ١. مؤسسه الطبع و النشر، طهران (١٤١٠ هـ).

٥٧- تفسير مجاهد: (ت: ١٠٤ هـ)، تحقيق: عبد الرّحمن السورتى، ط. مجمع البحوث الاسلاميه، إسلام آباد.

٥٨- تفسير نور الثقلين: عبد على بن جمعه العروسى الحويزى، تحقيق: السيّد هاشم الرسولى المحلاتى، ط ٤. إسماعيليان، قم (١٤١٥ هـ).

٥٩- التفسير و المفسّرون: د. محمّد حسين الذهبي، ط ١. دار القلم، بيروت.

٦٠- التفسير و المفسّرون فى ثوبه القشيب: الشيخ محمّد هادى معرفه، ط ١.

الجامعه الرضويه للعلوم الاسلاميه، مشهد (١٤١٨ هـ).

٦١- تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة: محمّد بن الحسن الحرّ العاملى (ت: ١١٠٤ هـ)، تحقيق: مؤسسه آل البيت (ع)، ط ١. مؤسسه آل البيت (ع) لإحياء التراث، قم (١٤١٢ هـ).

٦٢- تلخيص مقباس الهدايه: العلّامة المامقانى (ت: ١٣٥١ هـ)، تحقيق: الاستاذ على أكبر الغفارى، ط ١. جامعه الإمام الصادق (ع)، طهران (١٣٦٩ هـ ش).

٦٣- التمهيد فى علوم القرآن: محمّد هادى معرفه، ط ٢. مؤسسه النشر الاسلامى، قم (١٤١٦ هـ).

٦٤- جامع البيان عن تأويل آى القرآن: أبو جعفر محمّد بن جرير الطبرى (ت):

٣١٠هـ، ط. دار الفكر، بيروت (١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م).

٦٥- جامع الرواه: محمد بن علي

الأردبيلي الغروي الحائري، ط. مكتبه آيه الله المرعشي النجفي، قم (١٤٠٣ هـ).

٦٦- الجامع لأحكام القرآن: أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (ت):

٦٧١ هـ)، ط. دار إحياء التراث العربي، بيروت.

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٤٧٣

٦٧- الخلاصه في أصول الحديث: الحسين بن عبد الله الطيبي (ت: ٧٤٣ هـ)، تحقيق: صبحي السامرائي، ط ١. عالم الكتب، بيروت (١٤١٥ هـ - ١٩٨٥ م).

٦٨- الذريعة إلى تصانيف الشيعة: الشيخ آقا بزرك الطهراني، ط. إسماعيليان، قم.

٦٩- رجال الطوسي: أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت: ٤٦٠ هـ)، تحقيق:

السيد محمد صادق آل بحر العلوم، ط ١. المكتبة الحيدريه، النجف (١٣٨١ هـ).

٧٠- رجال النجاشي: أحمد بن علي النجاشي، تحقيق: محمد جواد النائيني، ط ١.

دار الأضواء، بيروت.

٧١- الرد على من كذب بالأحاديث الصحيحه الوارده في المهدي (عج): عبد المحسن العباد، ط ١. مكتبه چهل ستون، طهران (١٤٠٢ هـ).

٧٢- رساله القرآن، نشره فصليه: دار القرآن الكريم، العدد التاسع، (١٤١٣ هـ).

٧٣- الرعايه في علم الدرايه: الشهيد الثاني - زين الدين العاملي (٩٦٥ هـ)، ط.

مكتبه المرعشي، قم (١٤٠٨ هـ).

٧٤- روح التشيع: عبد الله نعمه، ط. دار الفكر اللبناني، بيروت (١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م).

٧٥- الزينه: الرازي، تحقيق: د. عبد الله سلوم السامرائي، ملحق بكتاب: الغلو و الفرق الغاليه، ط. دار واسط، بغداد.

٧٦- سلسله الأحاديث الضعيفه و الموضوعه: محمد ناصر الدين الألباني، ط ٥.

المكتب الاسلامي، بيروت.

٧٧- سنه أهل البيت (ع): السيد محمد تقى الحكيم، ط ١. مؤسسه الإمام الحسين (ع)، قم (١٤١٣ هـ).

٧٨- السنّه في التشريع الاسلامي: السيد محمد تقى الحكيم، ط ١. مؤسسّه البعثه، طهران (١٤٠٢ هـ).

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعه، ص: ٤٧٤

٧٩- السنّه قبل التدوين: محمد عجاج الخطيب، ط ٥. دار

الفكر، بيروت.

٨٠- سيره الرسول (ص) و أهل بيته (ع): لجنة التأليف، مؤسسه البلاغ، ط.

المجمع العالمى لأهل البيت (ع)، قم.

٨١- شرح عقائد الصدوق: الشيخ المفيد (ت: ٤١٣ هـ)، تحقيق: السيد هبه الدين الشهرستاني، ط الثانية، تبريز (١٣٧١ هـ).

٨٢- الشيعة: السيد محمد صادق الصدر، ط. مكتبه نينوى، (١٣٥٢ هـ).

٨٣- الشيعة بين الأشاعره و المعتزله: السيد هاشم معروف الحسنى، ط ١. دار القلم، بيروت (١٩٧٨ م).

٨٤- الشيعة فى الميزان: محمد جواد مغنيه، ط. دار التعارف، بيروت.

٨٥- الشيعة و التشيع: محمد جواد مغنيه، ط. مكتبه المدرسه و دار الكتاب اللبنانى، بيروت.

٨٦- الصحابه فى نظر الشيعة الإماميه: أسد حيدر، ط. مكتبه النجاح، طهران (١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م).

٨٧- الصحاح (تاج اللغة و صحاح العربيه): إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق:

أحمد عبد الغفور عطار، ط ٤. دار العلم للملايين، بيروت (١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م).

٨٨- صحيح البخارى: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخارى (ت: ٢٥٦ هـ)، ط. دار إحياء التراث العربى، بيروت.

٨٩- صحيح مسلم بشرح النووى: ط ٣. دار إحياء التراث العربى / بيروت.

٩٠- الصحيفه السجّاديه: الإمام علي بن الحسين (ع)، تحقيق: على أنصاريان، منشورات المستشاريه الثقافيه للجمهوريه الاسلاميه
الإيرانيه بدمشق.

٩١- الصله بين التصوّف و التشيع: مصطفى كامل الشيبى، ط ٣، دار الأندلس، بيروت (١٩٨٢ م).

٩٢- صيانه القرآن من التحريف: محمد هادى معرفه، ط ١، مؤسسه النشر

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٤٧٥

الاسلامى، قم (١٤١٣ هـ).

٩٣- ضحى الإسلام: أحمد أمين، ط ١٠. دار الكتاب العربى، بيروت.

٩٤- الطباطبائي و منهجه في تفسير القرآن: د. علي الأوسى، ط ١. منظمه الإعلام الإسلامي، طهران.

٩٥- طبقات المفسرين: جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ت: ٩١١ هـ)، ط.

دار الكتب العلميّه، بيروت.

٩٦- طبقات المفسرين: شمس الدين محمد بن

على الداودى (ت: ٩٤٥ هـ)، ط.

دار الكتب العلميه، بيروت.

٩٧- عبد الله بن سبأ و أساطير أخرى: السيد مرتضى العسكري، ط. نشر توحيد، طهران.

٩٨- عدّه الأصول: محمد بن الحسن الطوسى، ط. مؤسسه آل البيت (ع)، قم.

٩٩- عقائد الإماميه: محمد رضا المظفر، ط. أنصاريان، قم.

١٠٠- العقائد الباطنيه و حكم الاسلام فيها: د. صابر نعيمه، ط. المكتبه الثقافيه، بيروت.

١٠١- عقائد الشيعة و أهل السنّه فى أصول الدين: د. علاء الدين القزوينى، ط.

نگين، قم (١٩٩٦ م).

١٠٢- عقيدته أهل الاسلام فى نزول عيسى (ع): الحافظ أبو الفضل عبد الله بن محمد بن الصديق المحسنى، ط. عالم الكتب، بيروت.

١٠٣- العقيدته و الشريعه فى الاسلام: أجناس جولد تسيهر، ط. دار الرائد العربى، بيروت.

١٠٤- علوم الحديث و مصطلحه: د. صبحى الصالح، ط ٥. منشورات الرضى، قم (١٣٦٣ هـ ش).

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٤٧٦

١٠٥- علوم القرآن: السيد محمد باقر الحكيم، ط ٣. مؤسسه الفكر الاسلامى، قم.

١٠٦- علوم القرآن عند المفسرين: مركز الثقافه و المعارف القرآنيه، ط ١. مكتب الإعلام الاسلامى، قم (١٤١٦ هـ).

١٠٧- العين: الخليل بن أحمد الفراهيدى (ت: ١٧٥ هـ)، تحقيق: د. مهدي المخزومى - د: إبراهيم السامرائى، ط ١. اسوه، طهران (١٤١٤ هـ).

١٠٨- الغدير: العلامه الأمينى، ط. مؤسسه الأعلمى، بيروت.

١٠٩- الغلوّ و الفرق الغاليه فى الحضاره الاسلاميه: د. عبد الله سلوم السامرائى، ط ٢. دار واسط، بغداد (١٩٨٢ م).

١١٠- الغيبه: محمد بن إبراهيم النعمانى، تحقيق: على أكبر الغفارى، ط. مكتبه الصدوق، طهران.

١١١- فرق الشيعة: الحسن بن موسى النوبختى (القرن الثالث)، تحقيق: السيد محمد صادق بحر العلوم، ط ٤. المطبعه الحيدريه،

النجف (١٣٨٨ هـ - ١٩٦٩ م).

١١٢- الفرق بين الفرق: عبد القاهر بن طاهر البغدادي الأسفراييني (ت: ٤٢٩ هـ)، تحقيق:

محمّد محيي الدين عبد الحميد، ط. دار المعرفة، بيروت.

١١٣- فضائل الخمسة في الصحاح السنّه: السيّد مرتضى الفيروزآبادي، ط ٤.

مؤسسه الأعلمي، بيروت (١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م).

١١٤- الفوائد المجموعه في الأحاديث الموضوعه: محمّد بن علي الشوكاني، تحقيق:

محمّد عبد الرحمن عوض، ط ١. دار الكتاب العربي، بيروت (١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م).

١١٥- القرآن الكريم و روايات المدرستين: السيّد مرتضى العسكري، ط ١. نشر توحيد، طهران، (١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م).

١١٦- القرآن في الاسلام: السيّد محمّد حسين الطباطبائي، ط. منظمه الاعلام الاسلامي، طهران، (١٤٠٤ هـ).

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٤٧٧

١١٧- القرطبي و منهجه في التفسير: د. القصبى محمود زلط، ط. المركز العربي للثقافه و العلوم، بيروت.

١١٨- قواعد الحديث: محيي الدين الموسوي الغريفي، ط ١. مكتبه المفيد، قم.

١١٩- قيام الأئمه بإحياء السنّه: السيّد مرتضى العسكري، ط ١. نشر توحيد، طهران.

١٢٠- الكامل في التاريخ: ابن الأثير الجزري (ت: ٦٣٠ هـ)، ط. دار صادر، بيروت (١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م).

١٢١- الكشف الحثيث عن رمى بوضع الحديث: برهان الدين الحلبي (ت):

(٨٤١ هـ)، تحقيق: صبحي السامرائي، ط ١. عالم الكتب، بيروت (١٤١٧ هـ - ١٩٨٧ م).

١٢٢- الكفايه في علم الروايه: أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت المعروف بالخطيب البغدادي (٤٦٣ هـ)، ط. دار الكتب العلميه،

بيروت (١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨ م).

١٢٣- لسان العرب: أبو الفضل جمال الدين محمّد بن مكرم بن منظور، ط. دار صادر، بيروت.

١٢٤- مباحث في تدوين السنّه النبويّه: أبو اليقظان عطيه الجبوري، ط. دار الندوه الجديده، بيروت.

١٢٥- مجمع البيان في تفسير القرآن: الفضل بن الحسن الطبرسي، ط ١. دار الكتب العلميه، بيروت (١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م).

١٢٦- محاسن التأويل (تفسير القاسمي): محمّد جمال الدين القاسمي، ط ٢. دار الفكر، بيروت (١٣٩٨ هـ).

المدخل إلى دراسته الأديان و المذاهب: عبد الرزاق محمد أسود، ط ١، الدار العربية للموسوعات، بيروت (١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م).

١٢٨- المدخل لدراسه القرآن الكريم: أ. د. الشيخ محمد بن محمد أبو شهبه، ط:

دار الجليل، بيروت (١٤١٢ هـ).

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٤٧٨

١٢٩- مستدرک الأخبار الدخيله: محمد تقى التستري، ط ١. مكتبه الصدوق، طهران (١٤٠١ هـ).

١٣٠- مشكل الحديث و بيانه: الحافظ أبو بكر بن فورك (ت: ٤٠٦ هـ)، تحقيق:

موسى محمد على، ط ٢. عالم الكتب، بيروت (١٤١٥ هـ - ١٩٨٥ م).

١٣١- المعالم الجديده للأصول: السيد محمد باقر الصدر، ط. دار التعارف، بيروت.

١٣٢- معالم المدرستين: السيد مرتضى العسكري، ط ٣. المجمع العلمى الاسلامى، طهران (١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م).

١٣٣- المعجم الوسيط: مجمع اللغة العربيه- القاهره، ط. ناصر خسرو، طهران.

١٣٤- معجم ديانات و أساطير العالم: د. إمام عبد الفتاح إمام، مكتبه مديولى، القاهره.

١٣٥- معجم رجال الحديث: السيد أبو القاسم الخوئى، ط ٥. نشر توحيد، طهران.

١٣٦- معجم مصطلحات توثيق الحديث: د. على زوين، ط ١. عالم الكتاب، بيروت (١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦ م).

١٣٧- معجم مقاييس اللغة: أحمد بن فارس (ت: ٣٩٥ هـ)، ط. دفتر تبليغات اسلامى، قم.

١٣٨- معرفه الحديث: محمد باقر البهردى، ط. مركز انتشارات علمى و فرهنگى، طهران (١٣٦٢ هـ ش).

١٣٩- مغامره العقل الأولى: فراس السواح، ط. دار علاء الدين، دمشق.

١٤٠- مفاتيح الأسرار و مصابيح الأبرار: محمد بن عبد الكريم الشهرستانى (ت):

(٥٤٨ هـ)، تحقيق: د. محمد على آذرشب، ط ١. مؤسسسه الآثار و المفاخر الثقافيه، طهران (١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م).

١٤١- مفردات ألفاظ القرآن الكريم: الراغب الاصفهانى (ت: ٤٢٥ هـ)، تحقيق:

صفوان عدنان داورى، ط ١. دار القلم، دمشق (١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م).

١٤٢- المفسِّرون حياتهم و منهجهم: السيّد محمّد علي أيازي، ط ١. مؤسّسه الطباعه و النشر التابعه لوزاره الثقافه و الإرشاد الإسلامي، طهران (١٤١٤ هـ).

١٤٣- المفيد من معجم رجال الحديث: محمّد الجواهرى، ط ١. المحلاتى، قم (١٤١٧ هـ).

١٤٤- المقالات و الفرق: سعد بن عبد الله الأشعري، تحقيق: د. محمّد جواد مشكور، ط ٢. مركز انتشارات علمى و فرهنگى، طهران (١٣٦٠ هـ).

١٤٥- مقدّمه ابن الصلاح فى علوم الحديث: سراج الدين عمر البلقينى (٦٦٣ هـ)، تحقيق: د. عائشه عبد الرّحمن، ط. الهيئه المصريه العامه للكتاب (١٩٧٤ م).

١٤٦- مقدّمه ابن خلدون: عبد الرّحمن بن محمّد بن خلدون، ط. مؤسّسه الأعلمى، بيروت.

١٤٧- الملل و النحل: محمّد بن عبد الكريم الشهرستانى (ت: ٥٨٤ هـ)، تحقيق:

محمّد بن فتح الله بدران، ط. منشورات الشريف الرضى، قم.

١٤٨- مناظره علميه: محمّد صادق النجمى، ط ١. مؤسّسه المعارف الاسلاميه، قم (١٤١٨ هـ).

١٤٩- مناهل العرفان فى علوم القرآن: الشيخ محمّد عبد العظيم الزرقانى، ط. دار الكتب العلميه، بيروت (١٤١٦ هـ).

١٥٠- المنهج الأثرى فى تفسير القرآن الكريم: هدى جاسم محمّد أبو طبره، ط ١. مكتب الإعلام الإسلامى. قم (١٤١٤ هـ).

١٥١- منهج النقد فى علوم الحديث: د. نور الدين عتر، ط ٣. دار الفكر، بيروت (١٤٠٦ هـ - ١٩٨٥ م).

١٥٢- مواهب الرّحمن فى تفسير القرآن: السيّد عبد الأعلى السبزواري، ط ٢.

مؤسّسه أهل البيت (ع)، بيروت (١٤٠٩ هـ).

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعه، ص: ٤٨٠

١٥٣- الموضوعات: أبو الفرج عبد الرّحمن بن عليّ بن الجوزى (ت: ٥٩٧ هـ)، تحقيق: توفيق حمدان، ط ١. دار الكتب العلميه، بيروت (١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م).

١٥٤- الموضوعات فى الآثار و الأخبار: السيّد هاشم معروف الحسنى، ط. دار التعارف، بيروت (١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م).

الميزان في تفسير القرآن: السيد محمد حسين الطباطبائي، ط ١. محققه مؤسسه الأعلمي، بيروت (١٤١٧هـ - ١٩٩٧ م).

١٥٦- نهج البلاغه: الإمام علي بن أبي طالب (ع)، تبويب: د. صبحي الصالح، ط ١. دار الكتاب اللبناني، بيروت (١٣٨٧هـ - ١٩٦٧ م).

١٥٧- هويّه التشيع: د. أحمد الوائلي، ط ٢، مؤسسه أهل البيت (ع)، بيروت (١٤٠١هـ - ١٩٨١ م).

١٥٨- الوضّاعون و أحاديثهم من كتاب الغدير للشيخ الأميني: إعداد: السيد رامى يوزبكي / ط ١. مركز الغدير للدراسات الاسلاميه / قم (١٤٢٠هـ).

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٤٨١

فهرست الموضوعات

مقدمه ٥- ١٣

* الفصل الأول: تعريفات ١٥- ٦٢

التفسير لغة ١٧

التفسير اصطلاحاً ١٨

الأثر في اللغه ٢٠

الأثر اصطلاحاً ٢٢

التفسير بالمأثور اصطلاحاً ٢٢

مصادر التفسير بالمأثور ٢٣

الشيعة ٢٤

الإماميه ٢٥

عقائد الاماميه ٢٦

التوحيد ٢٩

العدل ٣١

النّبوءه ٣٢

الإمامه ٣٤

أهل البيت (ع) ٣٥

المهدىّ (ع) ٣٦

المعاد ٣٨

التقيّه و الرجعه و مسائل أخرى ٣٩

حول نشأه الشيعه ٤٢

منهج الذهبى فى تقييم التفاسير ٤٦

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعه، ص: ٤٨٢

* الفصل الثانى: مصادر التفسير بالمأثور ٤٣-١٤٠

١- القرآن الكريم ٤٥

هل يجوز تفسير القرآن بغير المأثور؟ ٤٨

أسباب الاختلاف ٤٩

القائلون بجواز تفسيره بغير المأثور ٧٢

أهميه التفسير بالمأثور ٧٦

٢- السنه النبويه ٧٨

مسائل السنه النبويه ٧٩

دور السنه النبويه فى التفسير ٨٠

علاقه السنه بالقرآن ٨٢

٣- أهل البيت (ع) ٨٥

الرعايه النبويه الخاصه بعلي (ع) ٨٧

أهداف الرعايه النبويه ٨٨

نتائج الرعايه النبويه ٩٠

علي (ع) إمام المفسرين ٩٢

مرجعيه أهل البيت (ع) في فهم القرآن ٩٤

الظروف التي منعت الامه من الاستفاده من علم علي (ع) ١٠٠

أهل البيت (ع) حمله العلوم النبويه ١٠٤

٤- الصحابه ١٠٧

(١) الموقوف و المرفوع ١٠٨

(٢) في معنى الصحابي و الصاحب ١٠٨

(٣) عداله الصحابي ١١٣

الأدله علي عداله الصحابه ١١٥

رأى الغزالي ١١٦

التفسير بالمأثور

و تطويره عند الشيعة، ص: ٤٨٣

(٤) رأى الشيعة فى الصحابه و عدالتهم ١١٧

(أ) رأيهم فى مسمى الصحابي ١١٧

(ب) الموقف العام من الصحابه ١١٨

(ج) رأيهم فى عداله الصحابه ١٢٠

(٥) تفسير الصحابي ١٢٣

(٦) مصادر الصحابه فى التفسير ١٢٤

(٧) موقف الشيعة من تفسير الصحابه ١٢٦

أهميه تفسير الصحابي ١٢٩

إفراط و تفريط ١٣١

٥- التابعون ١٣٣

حجته تفسير التابعى ١٣٣

موقف المفسرين من تفسير التابعى ١٣٦

موقف المفسرين الشيعة منه ١٣٦

* الفصل الثالث: مسائل التفسير بالمأثور ١٤١-٣٣٢

١- الوضع ١٤٣

متى ابتداء الوضع؟ ١٤٤

سياسه معاويه فى وضع الحديث ١٤٧

أسباب وضع الحديث و أنواع الوضع ١٥٠

١- الأسباب السياسيه ١٥٠

٢- الأسباب المذهبيه ١٥٣

٣- الأسباب التعبديه ١٥٥

٤- حركه الزنادقه ١٥٦

٥- الوضع القصصى ١٥٨

الوضع على أهل البيت (ع) ١٦٢

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٤٨٤

الوضع فى التفسير ١٦٤

نماذج من الوضع فى التفسير ١٦٥

أولاً- أحاديث فضائل السور ١٦٥

ثانياً- الوضع فى تفسير الآيات ١٦٦

١- مسائل التوحيد ١٦٧

أ) إمكان الرؤيه ١٦٨

مصدر القول بالرؤيه ١٧٠

الرأى الصحيح فى الرؤيه ١٧٢

رأى المفسرين الشيعة فى موضوع الرؤيه ١٧٣

ب) روايات التجسيم ١٧٩

رأى المفسرين الشيعة فى روايات التجسيم ١٨١

ج) روايات فى الحركه و الانتقال و الجبهه ١٨٣

رأى المفسرين الشيعة فيها ١٨٤

٢- قضايا النبوه ١٨٧

أسطوره «الغرائق» و رواياتها ١٨٨

دراسه الروايات ١٩٠

رأى المفسرين الشيعة فى أسطوره الغرائق ١٩٠

٣- روايات الإسراء و المعراج ١٩٤

٤- قصه آدم (ع) ١٩٥

٥- روايات الفضائل و المناقب ١٩٧

موارد الوضع فى التفاسير الشيعيه ٢٠٠

أسباب الوضع ٢٠٠

أهل البيت (ع) يحذرون من الوضع ٢٠٣

المفسرون الشيعة و الوضع ٢٠٤

مصادر الموضوعات ٢٠٦

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٤٨٥

نماذج من الموضوعات ٢٠٧

٢- الإسرائيليات ٢١٢

جواز نقل الإسرائيليات و عدمه ٢١٤

مصادر الإسرائيليات ٢١٦

طرق تسلل الإسرائيليات ٢١٦

كيف دخلت الاسرائيليات فى الفكر

الإسرائيليات في كتب التفسير بالمأثور ٢٢٣

الموضوعات الإسرائيلية في كتب التفسير ٢٢٤

نماذج من الإسرائيليات في التفسير ٢٢٥

١- قصّة زواج النبي داود (ع) ٢٢٥

رأى الخازن ٢٢٧

رأى ابن كثير ٢٢٨

رأى السيوطي ٢٢٩

مراجعته الروايات ٢٣٠

موقف المفسرين الشيعة منها ٢٣١

رأى تفسير القمي ٢٣١

رأى الشيخ الطوسي ٢٣٢

رأى الشيخ الطبرسي ٢٣٣

رأى الفيض الكاشاني ٢٣٤

رأى العلّامة الطباطبائي ٢٣٧

٢- قصّة النبي سليمان (ع) ٢٣٩

رأى المفسرين الشيعة فيها ٢٣٩

٣- قصّة خاتم سليمان (ع) ١٧٨

٤- قصّة هاروت و ماروت ٢٤٢

رأى الطبري و السيوطي ٢٤٢

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٤٨٦

رأى ابن كثير ٢٤٤

رأى المفسرين الشيعة ٢٤٥

معيار التعامل مع الإسرائيليات عند المفسرين الشيعة ٢٤٧

٣- الغلو ٢٥٠

أقوال المفسرين في الغلو ٢٥١

خلاصه البحث في الغلو ٢٥٣

الغلو في كتب الفرق ٢٥٤

موقف أهل البيت (ع) من الغلاة ٢٥٦

أحاديث أهل البيت (ع) بشأن الغلاة ٢٥٨

نفى آثار الغلو ٢٦١

آراء العلماء الشيعة في الغلاة ٢٦٢

موقف الفقهاء ٢٦٤

الموقف من روايه الغلاة ٢٦٥

حركه التأليف في الرد على الغلاة ٢٦٧

الغلو و مساحته عند المسلمين ٢٦٩

مواقف المفسرين الشيعة من الغلو ٢٧١

الظاهره السبئيه ٢٧٣

آراء علماء الرجال في سيف و رواته ٢٧٨

مراجعہ النصوح «السبئيه» ٢٧٩

مناقشه متن الروايات ٢٨٢

٤- التاويل ٢٨٩

روايات أن للقرآن ظهرا و بطنا ٢٩١

روايات مدرسه أهل البيت (ع) ٢٩٢

معنى بطن الآيات ٢٩٣

شرائط التاويل ٢٩٨

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٤٨٧

التاويل المذموم ٢٩٩

رأى المفسرين الشيعة ٣٠٠

موارد التاويل المقبول ٣٠٣

أ- موارد الجرى و التطبيق ٣٠٣

ب- موارد انتزاع المفهوم العام و تطبيقه ٣١٠

التاويل الباطنى المذموم ٣١١

موارد التاويل المذموم ٣١٢

منهج الإماميه فى التاويل الباطنى ٣٢٣

اختلاف التاويل عند التفسير الباطنى ٣٢٥

التاويل لدى مختلف المذاهب ٣٢٩

* الفصل الرابع: منهج التعامل مع الحديث ٣٣٣-٣٦٤

أهميه علوم الحديث ٣٣٥

١- علوم السند ٣٣٧

٢- دراسه المتن ٣٣٧

نواقص علوم الحديث ٣٣٨

اتجاهات التعامل

مع المتشابه من الحديث ٣٤٠

الحشويّه ٣٤٣

اتّجاهات المدارس الفقهيّه ٣٤٥

آثار المنهج في مدارس التفسير ٣٤٦

تأثير مناهج الحديث في التفسير الشيعي ٣٤٨

ظهور الحركة الأخباريه عند الشيعة ٣٥٠

معالم المدرسه الأخباريه في الحديث ٣٥١

آثار الحركة الأخباريه في التفسير ٣٥٢

موقف المفسرين الشيعة من الاتّجاه الأخباري ٣٥٤

منهج نقد النص في التفسير الشيعي ٣٦١

التفسير بالمأثور و تطويره عند الشيعة، ص: ٤٨٨

* الفصل الخامس: تطوّر التفسير عند الشيعة الإماميه ٣٦٥ - ٣٨٩٠

طبقات المفسرين الشيعة ٣٦٩

التصنيف المقترح ٣٧١

١- عهد الرسول (ص) ٣٧١

٢- عهد الإمام عليّ (ع) ٣٧١

٣- عهد الإمامين الحسن و الحسين (ع) ٣٧٣

٤- عهد الأئمّه السجّاد و الباقر و الصادق (ع) ٣٧٤

٥- عهد الإمام الكاظم إلى غيبه الإمام المهدي (ع) ٣٨١

٦- فتره الغيبه- القرن الرابع الهجري- (الإزدهار القمّي) ٣٨٣

٧- القرن الخامس (عصر المفيد) ٣٨٤

٨- القرن السادس (مدرسه خراسان) ٣٨٥

٩- القرن السابع حتّى نهايه القرن العاشر ٣٨٧

١٠- القرنان الحادى عشر و الثانى عشر ٣٨٨

١١- القرن الثالث عشر ٣٨٨

١٢- القرن الرابع عشر ٣٨٩

* الفصل السادس: أشهر التفاسير بالمأثور ٣٩١-٤٦٦

تفسير العياشى ٣٩٦

تفسير القمى ٤٠٤

تفسير فوات الكوفى ٤١٠

التبيان فى تفسير القرآن ٤١٣

مجمع البيان فى تفسير القرآن ٤٢٠

البرهان فى تفسير القرآن ٤٢٩

الميزان فى تفسير القرآن ٤٣٥

منهج التفسير بالمأثور عند الطباطبائى ٤٤٢

فهرست المراجع و المصادر ٤٦٧-٤٨٨

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ

الزمر: ٩

المقدمة:

تأسس مركز القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان بإشراف آية الله الحاج السيد حسن فقيه الإمامي عام ١٤٢٦ الهجرى في المجالات الدينية والثقافية والعلمية معتمداً على النشاطات الخالصة والدؤوبة لجمع من الإخصائيين والمثقفين في الجامعات والحوزات العلمية.

إجراءات المؤسسة:

نظراً لقلّة المراكز القائمية بتوفير المصادر في العلوم الإسلامية وتبعثها في أنحاء البلاد وصعوبة الحصول على مصادرها أحياناً، تهدف مؤسسة القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان إلى التوفير الأسهل والأسرع للمعلومات ووصولها إلى الباحثين في العلوم الإسلامية وتقديم المؤسسة مجاناً مجموعةً إلكترونيةً من الكتب والمقالات العلمية والدراسات المفيدة وهي منظمة في برامج إلكترونية وجاهزة في مختلف اللغات عرضاً للباحثين والمثقفين والراغبين فيها. وتحاول المؤسسة تقديم الخدمة معتمدةً على النظرة العلمية البحتة البعيدة من التعصبات الشخصية والاجتماعية والسياسية والقومية وعلى أساس خطة تنوى تنظيم الأعمال والمنشورات الصادرة من جميع مراكز الشيعة.

الأهداف:

نشر الثقافة الإسلامية وتعاليم القرآن وآل بيت النبي عليهم السلام
تحفيز الناس خصوصاً الشباب على دراسة أدق في المسائل الدينية
تنزيل البرامج المفيدة في الهواتف والحاسوبات واللابتوب
الخدمة للباحثين والمحققين في الحوزات العلمية والجامعات
توسيع عام لفكرة المطالعة
تهميد الأرضية لتحريض المنشورات والكتّاب على تقديم آثارهم لتنظيمها في ملفات إلكترونية

السياسات:

مراعاة القوانين والعمل حسب المعايير القانونية
إنشاء العلاقات المترابطة مع المراكز المرتبطة
الاجتناب عن الروتين وتكرار المحاولات السابقة
العرض العلمي البحت للمصادر والمعلومات

الالتزام بذكر المصادر والمآخذ في نشر المعلومات
من الواضح أن يتحمل المؤلف مسؤولية العمل.

نشاطات المؤسسة:

طبع الكتب والملزمات والدوريات

إقامة المسابقات في مطالعة الكتب

إقامة المعارض الالكترونية: المعارض الثلاثية الأبعاد، أفلام بانوراما في الأمكنة الدينية والسياحية

إنتاج الأفلام الكرتونية والألعاب الكمبيوترية

افتتاح موقع القائمة الانترنتى بعنوان : www.ghaemiyeh.com

إنتاج الأفلام الثقافية وأقراص المحاضرات و...

الإطلاق والدعم العلمى لنظام استلام الأسئلة والاستفسارات الدينية والأخلاقية والاعتقادية والردّ عليها

تصميم الأجهزة الخاصة بالمحاسبة، الجوال، بلوتوث Bluetooth، ويب كيوسك kiosk، الرسالة القصيرة (sms)

إقامة الدورات التعليمية الالكترونية لعموم الناس

إقامة الدورات الالكترونية لتدريب المعلمين

إنتاج آلاف برامج فى البحث والدراسة وتطبيقها فى أنواع من اللابتوب والحاسوب والهاتف ويمكن تحميلها على ٨ أنظمة؛

JAVA.١

ANDROID.٢

EPUB.٣

CHM.٤

PDF.٥

HTML.٦

CHM.٧

GHB.٨

إعداد ٤ الأسواق الإلكترونية للكتاب على موقع القائمة ويمكن تحميلها على الأنظمة التالية

ANDROID.١

IOS.٢

WINDOWS PHONE.٣

WINDOWS.٤

وتقدّم مجاناً فى الموقع بثلاث اللغات منها العربية والانجليزية والفارسية

الكلمة الأخيرة

نتقدم بكلمة الشكر والتقدير إلى مكاتب مراجع التقليد منظمات والمراكز، المنشورات، المؤسسات، الكتاب وكل من قدم لنا المساعدة في تحقيق أهدافنا وعرض المعلومات علينا.

عنوان المكتب المركزي

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده اي، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلي، الرقم ١٢٩، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الإلكتروني : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزي ٠٣١٣٤٤٩٠١٢٥

هاتف المكتب في طهران ٠٢١ - ٨٨٣١٨٧٢٢

قسم البيع ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩ شؤون المستخدمين ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩.

مركز
للبحوث والتحريرات الكمبيوترية
الغمامة اصحمان



للحصول على المكتبات الخاصة الاخرى
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم

www.Ghaemiyeh.com

www.Ghaemiyeh.net

www.Ghaemiyeh.org

www.Ghaemiyeh.ir

و للايحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩